

الذِّكْرُ الضَّيِّقُ

عَلَى أَبْوَابِ النُّوحِ

تَأَلَّفَ

الشيخ سليمان بن عبد الرحمن الحمدان
يرحمه الله

وقف لله تعالى

مكتبة الصحابة

جدة - الشرفية

فاكس : ٦٥٣٤٤٨٩ / هاتف : ٦٥٢١٠٦٠

الطبعة الرابعة
١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م

الناشر

مكتبة الصحابة

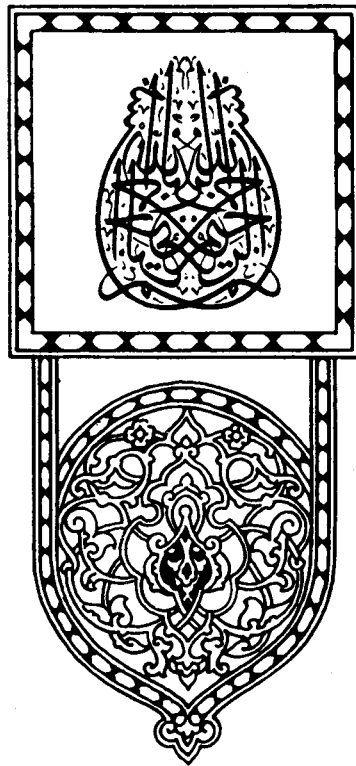
جدة - الشرفية

فاكس : ٦٥٣٤٤٨٩ / هاتف : ٦٥٢١٠٦٠

فائدة^(١)

عن محمد بن النظر الحارثي قال : كان يقال أول العلم الإنصات له ، ثم الاستماع له ، ثم حفظه ، ثم العمل به ، ثم لله .

من كتاب الزهد في زهد عمر حدثنا عبد الله قال حدثني أبي حدثنا عفان حدثنا جرير بن حازم قال سمعت الحسن قال : حضر باب عمر بن الخطاب سهيل ابن عمرو والحارث بن هشام وأبو سفيان بن حرب ونفر من قریش من تلك الرؤوس ، وصهيب وبلال وتلك الموالى الذين شهدوا بدرًا ، فخرج إذن عمر فأذن لهم وترك هؤلاء . فقال أبو سفيان : لم أر كاليوم قط يأذن لهؤلاء العبيد ويتركنا على بابهم ولا يلتفت إلينا . قال فقال سهيل بن عمرو وكان رجلاً عاقلاً : أيها القوم إني والله لقد أرى الذي في وجوهكم إن كنتم غضاباً فاغضبوا على أنفسكم . دُعي القوم ودعيتم فأسرعوا وتبظأتم فكيف بكم إذا دعوا ليوم القيامة وتركتم ، أما والله لما سبقوكم إليه من الفضل مما ترون أشد عليكم فواتاً من بابكم هذا الذي تنافستم عليه . قال : ونقض ثوبه وانطلق .



مقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

رب يسر وأعن يا كريم

الحمد لله الذى جل عن الأنداد وتنزه عن أن يكون له ظهير من العباد ،
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة من عرف المعنى منها والمراد ،
واعتقد ما دلت عليه حقيقة الاعتقاد ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، الهادى
إلى سبيل الرشاد ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد ، فإن ﴿ كتاب التوحيد ﴾ الذى ألفه الإمام المجدد شيخ الإسلام
محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ورضى عنه ، كتاب بديع الوضع عظيم النفع ،
لم أر من سبقه إلى مثاله أو نسيج فى تأليفه على منواله ، فـ كل باب منه قاعدة
من القواعد يبنى عليها كثير من الفوائد ، وأكثر أهل زمانه قد وقعوا
فى الشرك الأكبر والأصغر ، واعتقدوه ديناً فلا يتاب منه ولا يستغفر ،
فألفه عن خبرة منه ومشاهدة للواقع ، فـ كان لذاك الداء كالدواء النافع ،
فرحمه الله ورضى عنه .

وقد شرحه بعض أحفاده وغيرهم ، ووضعوا عليه بعض الحواشى المفيدة ،
إلا أنه لم يتعرض أحد منهم لذكر المسائل التى استنبطها المصنف فى آخر كل
باب إلا نادراً ، وهى تضمن علوماً جمّة وفوائد مهمة ، فرأيت من الضروري

استخراج خلاصة مما ذكره تكون وافية بتوضيح مقاصده وتقريب شوارده مع ما من الله به من الفوائد وتوضيح الشواهد ، واتبعت كل آية أو حديث بما استنبطه المصنف من الفوائد ، ومرادى بشيخ الإسلام أحمد بن تيمية رحمه الله ورضي عنه ، وسميته : ﴿ الدر النضيد على أبواب التوحيد ﴾ .

والله أسأل أن ينفع به كما نفع بأصله ، وأن يجعله خالصاً لوجهه ، ومن العمل المبرور ، والسعي المشكور المقرب لديه ، إنه ولي ذلك والقادر عليه ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

وإني أروى كتاب التوحيد وسائر مؤلفات الشيخ في اليوم العاشر من شهر محرم الحرام عام ألف وثلاثمائة وخسين ، بالإجازة عن الشيخ العلامة محدث الحجاز في وقته أبي الفيض وأبي الإسماعيل عبد الستار بن عبد الوهاب الصديقي الحنفي الدهلوي ثم المكي ، عن الشيخ العلامة السلفي أحمد بن إبراهيم ابن عيسى النجدي الحنبلي ، عن الشيخ العلامة حفيد المؤلف عبد الرحمن ابن حسن ، عن المؤلف الشيخ محمد بن عبد الوهاب أجزل الله له الأجر والثواب .



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) قال المؤلف رحمه الله (بسم الله الرحمن الرحيم) ابتداء المصنف كتابه بالبسملة اقتداء بالكتاب العزيز وعملاً بحديث : « كل أمر ذي بال لا يفتتح بذكر الله فهو أبتى - أو - أقطع » ، واقتصر المصنف في بعض نسخه على البسملة لأنها من أبلغ الشاء والذكر . قال في « فتح المجيد » ، ووقع لي نسخة بخطه رحمه الله بدأ فيها بالبسملة وثني بالحمد والصلاة على النبي ﷺ ، وعلى هذا فلا ابتداء بالبسملة حقيقة وبالحمد له نسبي إضافي . والباء في (بسم الله) للمصاحبة ، وقيل للاستعانة وهي طلب العون ، والاسم الشريف مستعان مجرور ، والجار والمجرور متعلق بمحذوف تقديره قرأت باسم الله أو اقرأ باسم الله ومن الناس من يضم في مثل هذا ابتداء باسم الله . قال شيخ الإسلام : « الأول أحسن لأن الفعل كله مفعول باسم الله ليس مجرد ابتدائه والله علم على ذات الرب تبارك وتعالى . قال الكسائي والقراء : أصله الإله حذفوا الهمة وأدغموا اللام في اللام فصارت لاماً واحدة مشددة مفخمة . قال ابن عباس : الله ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين ، ويقال إنه الاسم الأعظم لأنه يوصف بجميع الصفات ، وقد ذكر في القرآن في ألفين وثلاثمائة وستين موضعاً . وقال سيويه : إنه أعرف المعارف .

وقوله : (الرحمن الرحيم) قال ابن عباس : اسمان رقيقان أحدهما أرق من الآخر ، أي أوسع رحمة ، وهما مشتقان من الرحمة على وجه المبالغة ، فالرحمن أشد مبالغة من رحيم ، والرحمن رحمان الآخرة والدنيا ، والرحيم رحيم الآخرة ، والرحمن دال على الصفة القائمة به سبحانه ، وأن الرحمة صفته ، والرحيم دال على تعلُّقها بالمرحوم وأنه يرحم خلقه برحمته وأسمائه تعالى هي أسماء ونعوت فإنها دالة على صفات كاله فلا تنافي فيها بين العلوية والوصفية ، فالرحمن اسمه تعالى وصفته ، فمن حيث هو صفة جرى تابعا لاسم الله ، ومن حيث هو اسم ورد في القرآن غير تابع بل ورود الاسم العلم ، قال تعالى : (الرحمن على العرش استوى) ، (الرحمن علم القرآن)

كتاب التوحيد^(١)

(١) وقوله (كتاب التوحيد) كتاب : مصدر كتب يكتب كتابا وكتابة وكتباً ، وهو بمعنى الجمع لغة واصطلاحاً مكتوب جامع لمسائل أنواع التوحيد ، والتوحيد مصدر وحّد يوحد توحيداً ، وسمى دين الإسلام توحيداً لأن مبناه على أن الله واحد في ذاته وأسمائه وصفاته لا نظير له ، وواحد في ملكه وأفعاله لا شريك له ، وواحد في إلهيته وعبادته لا ندّ له ، وإلى هذه الأنواع الثلاثة ينقسم توحيد الأنبياء والمرسلين . قال العلامة ابن القيم رحمه الله :

والعلم أنواع ثلاث ما لها من رابع والحق ذو تبيان
علم بأوصاف الإله وفعله وكذلك الأسماء للرحمن
والأمر والنهي الذي هو دينه وجزاؤه يوم المعاد الثاني

فالعلم بأوصاف الإله توحيد الصفات . والعلم بالفعل توحيد الربوبية كالخلق والرزق والإحياء والإماتة . والعلم بالأسماء توحيد فهو توحيد المعرفة والإثبات بإثبات ذات الرب وأسمائه وصفاته وأفعاله . وقوله : والأمر والنهي الذي هو دينه . فهذا توحيد الإلهية والعبادة ، وهو توحيد الطلب والقصد ، وهو حق الله على عباده الذي يخلفهم من أجله ، وهو أول واجب على المكلف ، وهو مدلول شهادة أن لا إله إلا الله ، ومن أجله أرسلت الرسل ، وأنزلت الكتب ، ونصبت القبلة ، وأسست الملة ، وجردت سيوف الجهاد ، وخلقت الجنة والنار ، فهو سر الخلق والأمر ، وهو الذي وضع المصنف كتابه من أجله لوقوع الشرك فيه ، وإليه أشار العلامة ابن القيم بقوله :

هذا وثاني نوعي التوحيد توحيده العبادة منك للرحمن
أن لا تكون لغيره عبداً ولا تعبد بغير شريعة الإيمان
فتقوم بالإسلام والإيمان والاحسان في سر وفي إعلان
والصدق والإخلاص ركناً ذلك التوحيد كالركنين للبيان

وليس المراد بالتوحيد مجرد توحيد الربوبية وهو : اعتقاد أن الله وحده خلق العالم كما يظن ذلك من يظنه من أهل الكلام والتصوف ، فإن الرجل لو أقر بما يستحقه الرب تعالى من الصفات ، ونزهه عن كل ما ينزه عنه ، وأقر بأنه =

وقول الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(١).

= وحده خالق كل شيء ، لم يكن موحداً حتى يشهد : أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له فيقر أن الله وحده هو الإله المستحق للعبادة ويلتزم بعبادة الله وحده لا شريك له . وقوله : فنقوم بالإسلام والإيمان والإحسان كما في حديث جبريل . وقوله : والصدق والإخلاص ركنا ذلك التوحيد . أى توحيد العبادة فن لم يكن صادقاً فهو منافق ، ومن لم يكن مخلصاً فهو مشرك ، فلا بد في قول : لا إله إلا الله من الصدق والإخلاص .

(١) قوله وقوله تعالى : ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ بالجر عطف على التوحيد ويجوز الرفع على الابتداء . قال القرطبي : أصل العبادة التذلل والخضوع ، وسميت وظائف الشرع على المكلفين عبادات لأنهم يلتزمونها ويفعلونها خاضعين لله تعالى . انتهى . فهي عبارة عما يجمع كمال المحبة مع غاية الخضوع فلا تكون المحبة بدون خضوع عباده ولا الخضوع بدون محبة عباده . قال العلامة ابن القيم :

وعبادة الرحمن غاية حبه مع ذل عابده هما قطبان
وعليهما فلك العبادة دائر ما دار حتى قامت القطبان
ومداره بالأمر أمر رسوله لا بالهوى والنفس والشيطان

شبه دوران العبادة على المحبة والذل للمحبوب جل وعلا بدوران الفلك على قطبيه وذكر أن دورانه بأمر الرسول وما شرعه لا بالهوى وما تأمر به النفس والشيطان فليس ذلك من العبادة . وقال الفقهاء : العبادة ما أمر به شرعاً من غير اطراد عرقى ولا اقتضاء عقلى . وقال شيخ الإسلام : العبادة اسم جامع لسكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة ، قلت : الظاهرة أعمال الجوارح ، والباطنة أعمال القلب . قال : والعبودية خاصة وعامة ، فالعامة عبودية أهل السموات والأرض كلهم برّهم وفاجرهم مؤمنهم وكافرهم ، فهذه عبودية الملك والقهر ، قال تعالى : ﴿إِنَّ كُلَّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ وأما الخاصة فعبودية الطاعة والمحبة واتباع الأوامر ، قال تعالى : ﴿فبشر عبادى الذين يستمعون القول فيتعنون أحسنه﴾ . وأما قوله : ﴿وما الله يريد =

وقوله: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا

== ظلماً للعباد) . وقوله : إن الله قد حكم بين العباد ، فهذا يتناول العبوديتين . انتهى . قال ابن القيم : ومدار العبادة على خمس عشرة قاعدة من كلها فقد كمل مراتب العبودية لأنها منقسمة على القلب واللسان والجوارح ، والأحكام التي للعبودية خمسة : واجب ومستحب وحرام ومكروه ومباح ، وهي لكل واحد من القلب واللسان والجوارح ، فقول القلب هو اعتقاد ما أخبر الله سبحانه عن نفسه وأسمائه وصفاته وأفعاله وملائكته ولقائه ، وقول اللسان الإخبار عنه بذلك والدعوة إليه والذنب عنه وتبيين البدع المخالفة له والقيام بذكره وتبليغ أوامره ، وعمل القلب كالجابة له والتوكل عليه والإجابة إليه والخوف منه والرجاء له وإخلاص الدين له والصبر له على أوامره وعن نواهيه وعلى أقداره والرضى به وعنه والموا الالة فيه والمعادة والذل له والخضوع والإخبات إليه والطمانينة به وغير ذلك ، وأعمال الجوارح كالصلاة والجهاد ونقل الأقدام إلى الجمع والجماعات ومساعدة العاجز والإحسان إلى الخلق ونحو ذلك . واللام في قوله : ﴿ ليعبدون ﴾ لام التعليل المعروفة عند النحاة بلام كي ، كاللام في قوله : ﴿ وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله ﴾ ثم قد يطاع وقد لا يطاع وكذلك ما خلق الجن والإنس إلا للعبادة ، ثم قد يعبدون وقد لا يعبدون ، وليست لام الصيرورة والعاقبة . قال شيخ الإسلام : لام الصيرورة والعاقبة لا تقع إلا في فعل من يحمل عاقبة فعله ، كما قال تعالى عن موسى : ﴿ فاتخذ آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً ﴾ فلو كانوا عالمين بعاقبة اتخاذه ما اتخذوه ، ومعنى الآية : أن الله خلق الخلق ليعبدوه وحده لا شريك له ، ويوحده وهذا هو الشاهد من الآية للترجمة ، وأخبر أنه غير محتاج إليهم بل هم الفقراء إليه وهو خالقهم ورازقهم ، قال علي بن أبي طالب : وما خلقت الجن والإنس إلا لآمرهم أن يعبدون وأدعهم إلى عبادتي . وقال مجاهد : إلا لآمرهم وأنهاهم ، واختاره الزجاج وشيخ الإسلام لقوله : ﴿ يحسب الإنسان أن يترك سدى ﴾ قال الشاذلي : لا يؤمر ولا ينهى ، وقال غيره لا يثاب ولا يعاقب ، والصحيح الأمران فإن الثواب والعقاب مترتب على الأمر والنهى وحقيقة العبادة امتثالها . وفي الآية بيان الحكمة في خلق الجن والإنس وأن العبادة هي التوحيد لأن الخصومة فيه ، وأن من لم يأت به لم يعبد الله ففيه معنى قوله : ﴿ ولا أنتم عابدون ما أعبد ﴾ .

الطَّاغُوتَ ﴿١١﴾ الآية . وقوله : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾ ﴿١٢﴾ الآية . وقوله : ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ

(١) قاله المصنف رحمه الله : قوله وقول الله تعالى : ﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطَّاغُوت ﴾ أخبر تعالى أنه بعث في كل أمة - أى كل طائفة وقرن من الناس - رسولا قائلا لهم الرسول الذى بعث فيهم : اعبدوا الله أى وحدوه ، وهذا هو الشاهد من الآية للترجمة ، وقوله : ﴿ واجتنبوا الطَّاغُوت ﴾ أبلغ من قوله : اتركوا الطَّاغُوت ، لأنه يتضمن الشرك والتباعد عنه فتضمنت الآية النفي والإيجاب كما تضمنته لا إله إلا الله ، فالإيجابات قوله : ﴿ اعبدوا الله ﴾ ، والنفي قوله : ﴿ واجتنبوا الطَّاغُوت ﴾ وهذا هو حقيقة التوحيد وهو معنى لا إله إلا الله ، فالنفي المجرد ليس بتوحيد وكذلك الإيجاب المجرد . قال ابن القيم رحمه الله : والطَّاغُوت مشتق من الطغيان ، وهو مجاوزة الحد ، وهو ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع ، فطَّاغُوت كل قوم من يتحاكمون إليه غير الله ورسوله أو يعبدونه من دون الله أو يتبعونه على غير بصيرة من الله أو يطيعونه فيما لا يعلنون أنه طاعة لله انتهى . وفى الآية بيان الحكمة فى إرسال الرسل ، وأن الرسالة عمت كل أمة ، وأن دين الأنبياء واحد وأن عبادة الله لا تحصل إلا بالكفر بالطَّاغُوت ففيه معنى ﴿ فمن يكفر بالطَّاغُوت ويؤمن بالله ﴾ الآية وأن الطَّاغُوت عام فى كل ما عبد من دون الله .

(٢) قاله المصنف رحمه الله : قوله وقول الله تعالى : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ﴾ الآيات . قال مجاهد يعنى وصى ، وكذا قرأ أنى بن كعب وابن مسعود وابن عباس وغيرهم ، وقال ابن عباس أيضاً : ﴿ وَقَضَىٰ ﴾ يعنى أمر ، رواه ابن جرير . وقوله : ﴿ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ﴾ أى أن تعبدوه وحده ولا تعبدوا غيره ، وهذا هو الشاهد فى الآية للترجمة وهو معنى لا إله إلا الله فتضمنت الآية النفي والإيجاب ، كما تضمنته لا إله إلا الله . وقوله : ﴿ وبوالوالدين إِحْسَانًا ﴾ أى وقضى أن تحسنوا بالوالدين إِحْسَانًا ، كما أمر بعبادته وحده لا شريك له ، وعطف حقها على حقه تعالى دليل على تأكيد حقها وأنه أوجب الحقوق بعد حق الله تعالى وهذا كقوله : ﴿ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ ﴾ ولم يخص نوعا من أنواع =

= الإحسان ليعم جميع أنواع الإحسان ، وقوله : ﴿ إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ﴾ أى لا تسمعهما قولاً سيئاً حتى ولا التأنيب الذى هو أدنى مراتب القول السيئ . ﴿ ولا تنهرهما ﴾ أى لا يصدر منك إليهما فعل قبيح ، قال عطاء بن أبى رباح : لا تنفض يديك عليهما ، ولما نهى عن الفعل القبيح والقول السيئ أمره بالفعل الحسن والقول الحسن فقال : ﴿ وقل لهما قولاً كريماً ﴾ أى ليئناً لطيفاً بأدب وتوقير . وقوله : ﴿ واخفض لهما جناح الذل من الرحمة ﴾ أى تواضع لهما ﴿ وقل رب ارحمهما ﴾ فى كبرهما وعند وفاتهما ﴿ كما ربياني صغيراً ﴾ .

وفى هذه الآيات المحكمات من سورة الإسراء ثمان عشرة مسألة ، بدأها الله بقوله : ﴿ لا تجعل مع الله إلهاً آخر فتقعد مذموماً مخذولاً ﴾ وختمها بقوله : ﴿ ولا تجعل مع الله إلهاً آخر فتلقى فى جحيم ملوماً مدحوراً ﴾ ونهيا الله سبحانه على عظم شأن هذه المسائل بقوله : ﴿ ذلك بما أوحى إليك ربك من الحكمة ﴾ .

قاله المصنف رحمه الله تعالى (والمسائل التى أشار إليها الشيخ :

- (١) النهى عن الشرك (٢) الأمر بعبادة الله وحده (٣) الإحسان إلى الوالدين
- (٤) إيتاء ذا القربى حقه (٥) إيتاء المسكين حقه (٦) إيتاء ابن السبيل حقه
- (٧) النهى عن التبذير (٨) النهى عن الإمساك بدون إسراف (٩) النهى عن قتل الأولاد (١٠) النهى عن الزنى (١١) النهى عن قتل النفس التى حرم الله إلا بالحق
- (١٢) النهى عن قربان مال اليتيم إلا بالتي هى أحسن (١٣) الأمر بالوفاء بالعهد
- (١٤) الأمر بالوفاء بالكيل (١٥) الأمر بالوفاء بالوزن (١٦) النهى عن القول بغير علم (١٧) النهى عن المشى فى الأرض مرحاً (١٨) النهى عن الشرك

وقد تواترت الأحاديث عن النبي ﷺ فى الأمر ببر الوالدين وتحريم عقوقهما ، وفى صحيح البخارى عن ابن مسعود رضى الله عنه عن النبي ﷺ قلت يا رسول الله : أى الأعمال أفضل قال : « الصلاة على وقتها » . قلت : ثم أى ، قال : « بر الوالدين » . قلت : ثم أى ، قال : « الجهاد فى سبيل الله » . وفى الصحيحين عن أبى بكره رضى الله عنه ، قال رسول الله ﷺ : « ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ، قلنا بلى يا رسول الله . قال : « الإشراك بالله ، وعقوق الوالدين ، وكان متكئاً فجلس =

وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴿١﴾ الآية . وقوله : ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَنبُلْ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾ الآية .

== فقال : ، ألا وقول الزور ، ألا وشهادة الزور ، فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت . وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رجل : يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي ؟ قال : ، أمك ، قال : ثم من ؟ قال : ، أمك ، قال : ثم من ؟ قال : ، أمك ، قال : ثم من ؟ قال : ، ثم أبوك ، أخرجه . وعن أبي أسيد الساعدي رضى الله عنه قال : بينما نحن جلوس عند النبي ﷺ إذ جاءه رجل من بني سلمة فقال : يا رسول الله : هل بقي من بر أبوى شيء أبرهما به بعد موتهما ؟ قال : ، نعم : الصلاة عليهما ، يعنى الدعاء لهما والاستغفار لهما وإنفاذ عهدهما من بعدهما وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما وإكرام صديقهما . رواه أبو داود وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه . قال شيخ الإسلام : توجب طاعتها فيما فيه نفع لهما ولو شق على الولد

(١) وقوله تعالى : ﴿ واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ﴾ الآية . قال ابن كثير : يأمر تعالى عباده بعبادته وحده لا شريك له فإنه الخالق الرازق المنعم المتفضل على خلقه فى جميع الحالات ، فهو المستحق منهم أن يوحده ولا يشركوا به شيئاً من مخلوقاته ، وهذا هو الشاهد من الآية للترجمة فقرن الأمر بعبادته بالنهى عن الشرك فيها فدل على أن اجتناب الشرك شرط فى صحة العبادة وشيئاً فكرة فى سياق النهى تعم كل شيء عما يعبد من دون الله ، سواء كان ملكاً أو نبياً أو ولياً أو غير ذلك . وهذه الآية تسمى آية الحقوق العشرة ، قاله المصنف رحمه الله تعالى : لأنها تضمنت عشرة حقوق : (١) الأمر بعبادته وحده والنهى عن الشرك به (٢) الأمر بالإحسان إلى الوالدين (٣) الإحسان إلى ذى القربى (٤) الإحسان إلى اليتامى (٥) الإحسان إلى المساكين (٦) الإحسان إلى الجار القريب (٧) الإحسان إلى الجار الجنب (٨) الإحسان إلى الصاحب بالجنب ، وهو الرفيق فى السفر ، وقيل المرأة وقيل غير ذلك (٩) الإحسان إلى ابن السبيل (١٠) الإحسان إلى ما ملكك البين .

(٢) وقوله تعالى : ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَنبُلْ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ، =

== ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون . ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده ، وأوفوا الكيل والميزان بالقسط ، لا تكلف نفساً إلا وسعها ، وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى ، وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون) . قال ابن كثير : يقول تعالى لنبية ورسوله محمد ﷺ : قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين عبدوا غير الله وحرموا ما رزقهم الله وقتلوا أولادهم وكل ذلك فعلوه بأرائهم الفاسدة وتسويل الشيطان لهم تعالوا أي هلموا وأقبلوا أتل أي أقص عليكم وأخبركم بما حرم ربكم عليكم حقاً ، لا تخرصا ولا ظنا بل وحى منه وأمر من عنده وأن لا تشركوا به شيئاً ، وكأن في الكلام محذوفاً دل عليه السياق تقديره وصاكم أن لا تشركوا به شيئاً ، ولهذا قال في آخر الآية : (ذلكم وصاكم به) انتهى وشيئاً نكرة تعم كل ما عبد من دون الله والنهي عن الشرك يستدعي التوحيد بالاقضاء وهو الشاهد من الآية للترجمة قال في دقة العيون ، وقد وقع الأكثر من متأخري هذه الأمة في هذا الشرك الذي هو أعظم المحرمات كما وقع في الجاهلية قبل المبعث عبدوا القبور والمشاهد والأشجار والأحجار والطواغيت والجن كما عبد أولئك اللات والعزى ومناة وهبل وغيرها من الأصنام والأوثان واتخذوا هذا الشرك ديناً ونفروا إذا دعوا إلى التوحيد أشد التفرقة واشتد غضبهم لمعبوداتهم كما قال تعالى : (وإذا ذكر الله وحده اشمازت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة ، وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون . وقال تعالى : (أنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون) الآية . عللوا أن لا إله إلا الله تنفي الشرك الذي وقعوا فيه فأنكروا التوحيد الذي دلت عليه فصار أولئك المشركون الأولون أعلم بمعنى لا إله إلا الله من أكثر المتأخرين لا سيما أهل العلم منهم الذين لهم دراية في بعض الأحكام وعلم الكلام ، فجهلوا توحيد العبادة فوقعوا في الشرك المنافي له وزينوه للناس ، وجعلوا توحيد الأسماء والصفات وأنكروه أيضاً وصنفوا فيه الكتب لاعتقادهم أنه حق وهو باطل وقد اشتدت غربة الإسلام حتى عاد المعروف منكراً والمنكر معروفاً اشأ على هذا الصغير وهم عليه الكبير . وقد قال ﷺ : بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ .

= وقوله : (وبالوالدين إحساناً) . قال القرطبي : الإحسان إلى الوالدين برهما وامتنال أمرهما وحفظهما وصيانتهم وإزالة الرق عنهما وترك السلطنة عليهما وإحساناً منصوب على المصدرية وناصبه فعل من لفظه تقديره وأحسنوا بالوالدين إحساناً .

وقوله : (ولا تقتلوا أولادكم من إملاق) الإملاق الفقر ، أى لا تتدوا بناتكم خشية العيلة والفقر ، فإن رازقكم وإياهم ، وكان منهم من يفعل ذلك بالإناث خشية العار وبالذكور خشية الافتقار ، وفي الصحيحين عن ابن مسعود رضى الله عنه قال ، قلت : يا رسول الله أى الذنب أعظم ؟ قال : « أن تجعل لله نداً وهو خلقك » . قلت : ثم أى ؟ قال : « أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك » . قلت : ثم أى ، قال : « أن تزاني حليلة جارك » ، ثم تلى رسول الله ﷺ : (والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ، ومن يفعل ذلك يلق أثاماً يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً إلا من تاب) الآية

وقوله : (ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن) قال ابن عطية : نهى عام عن جميع الفواحش وهى المعاصى . وظهر وبطن حالتان تستوفيان أقسام ما جعلتا له من الأشياء . وقيل : الظاهر ما بينك وبين الخلق والباطن ما بينك وبين الله .

قوله : (ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق) . قال ابن كثير : هذا عما نص الله على النهى عنه تأكيذاً ، وإلا فهو داخل فى النهى عن الفواحش . وفى الصحيحين عن ابن مسعود رضى الله عنه مرفوعاً : « لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله إلا بإحدى ثلاث : الثيب الزانى ، والنفس بالنفس ، والتارك لدينه المفارق للجماعة » .

وقوله : (ذلکم وصاکم به لعلکم تعقلون) قال ابن عطية : ذلکم إشارة إلى هذه المحرمات والوصية الأمر المؤكد المقرر .

وقوله : (لعلکم تعقلون) أى تفهمون عنه ذكرأ ولا تعقلون ، ثم تذكرون ثم تتقون لأنهم إذا عقلوا تذكروا فإذا تذكروا خافوا واتقوا المهلك . =

= وقوله (ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده) قال ابن عطية : هذا نهى عن القرب الذي يعم وجوه التصرف ، وفيه سد الذريعة ثم استثنى ما يحسن وهو التتميم والسعى في نمائه . قال مجاهد : التي هي أحسن التجارة فيه فمن كان من الناظرين له ما يعيش به فالأحسن إذا ثمر مال اليتيم أن لا يأخذ منه نفقة ولا أجرة ولا غيرها ، ومن كان من الناظرين لا مال له ولا يتفق له نظر إلا بأن يتفق على نفسه من ربح نظره فالأحسن أن ينظر ويأكل بالمعروف . قال ابن زيد : وقوله : حتى يبلغ أشده قال مالك وغيره هو الرشد وزوال السفه مع البلوغ . قال ابن عطية : وهو أصح الأقوال وأليقها بهذا الموضع ويدل عليه قوله تعالى : (وابتسوا ليتأى حتى إذا بلغوا النكاح فإن آنستم منهم رشداً فادفعوا إليهم أموالهم) فاشتراط للدفع إليهم ثلاثة شروط : الأول : ابتلاؤهم وهو اختبارهم وامتحانهم بما يظهر به معرفتهم لمصالح أنفسهم وتدبير أموالهم ، والثاني : البلوغ ، والثالث : الرشد

وقوله : (وأوفوا السكيل والميزان بالقسط) والقسط العدل (لا تكلف نفساً إلا وسعها) أى من اجتهد فى أداء الحق وأخذه فأخطأ بعد است فراغ وسعه وبذل جهده فلا حرج عليه

وقوله : (وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى) هذا أمر بالعدل فى القول والفعل على القريب والبعيد لا يتغير بالرضى والغضب

وقوله : (وبعهد الله أوفوا) قال ابن جرير وغيره وبوصية الله التى وصاكم بها فأوفوا . قال فى الشرح : والظاهر أن الآية فيما هو أخص كالبيعة والذمة والأمان ، فهذا هو المقصود بالآية ، وإن كانت شاملة لما قالوا بطريق العموم

وقوله : (ذللكم وصاكم به لعلكم تذكرون) أى تتمظون فتذنبوا عما كنتم عليه

وقوله : (وأن هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) لما نهى وأمر حذر عن اتباع غير سبيله ، وأمر باتباع طريقه فإن الصراط الطريق الذى هو دين الإسلام مستقيماً ومعناه مستويًا قويمًا لا اعوجاج فيه فأمر باتباع طريقه الذى طرقه وشرعه على لسان محمد ﷺ ونهايته الجنة ، =

== ونهى عن اتباع السبل ، وروى الإمام أحمد والنسائي والدارمي وابن أبي حاتم والحاكم وصححه عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : خط رسول الله ﷺ خطاً بيده ثم قال : « هذا سبيل الله مستقيماً ، ثم خط خطوطاً عن يمين ذلك الخط وعن شماله ثم قال : « وهذه سبل ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه » ، ثم قرأ : ﴿ وأن هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ﴾ . قال شيخ الإسلام على حديث ابن مسعود هذا . وإذا تأمل العاقل هذا المثال وتأمل سائر الطوائف من الخوارج ، ثم المعتزلة ، ثم الجهمية والرافضة ومن أقرب منهم إلى السنة من أهل الكلام مثل السكرامية والكلابية والأشعرية وغيرهم ، وأن كلا منهم له سبيل يخرج به عما عليه الصحابة وأهل الحديث ، ويدعى أن سبيله هو الصواب وجد أنهم المراد بهذا المثال الذى ضربه المعصوم الذى لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى . انتهى . وقال أيضاً : الصراط المستقيم هو أمور باطنة في القلب من اعتقادات وإرادات وغير ذلك ، وأمور ظاهرة من أقوال وأفعال قد تكون عبادات وقد تكون أيضاً عادات في الطعام واللباس والشكاح والمسكن والاجتماع والافتراق والسفر والإقامة وغير ذلك ، وهذه الأمور الباطنة والظاهرة بينهما - ولا بد - ارتباط ومناسبة انتهى . وقال ابن القيم رحمه الله ولنذكر في الصراط قولاً وجيزاً ، فإن الناس قد تنوعت عباراتهم عنه بحسب صفاته ومتعلقاته ، حقيقة شيء واحد وهو طريق الله الذى نصبه لعباده موصلاً لهم إليه ولا طريق إليه سواه وهو أفراد بالعبادة وإفراد رسوله بالطاعة ، فلا يشرك به أحداً في عبادته ولا يشرك برسوله أحداً في طاعته فيجرد التوحيد ويجرد متابعة الرسول ﷺ ، وهذا مضمون شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فأى شيء فسر به الصراط فهو داخل في هذين الأصلين انتهى . وعن مجاهد في قوله : ﴿ ولا تتبعوا السبل ﴾ قال البدع والشبهات ، رواه ابن جرير . قال سهل بن عبد الله : عليكم بالسنة والآثر فإنى أخاف أنه سيأتى عن قليل زمان إذا ذكر الإنسان النبي ﷺ في جميع أحواله ذموه ونفروا عنه وتبرءوا منه أو ذلوه وأهانوه

وفيه عظم شأن الثلاث الآيات المحكمات من سورة الأنعام عند السلف وفيها عشر مسائل قاله المصنف

قال ابن مسعود^(١) : « من أراد أن ينظر إلى وصية محمد ﷺ التي عليها خاتمته فليقرأ قوله تعالى ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ أَنْ لَا تَشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا - إلى قوله - وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا ﴾ الآية^(٢) » .

وعن مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ^(٣) رضى الله عنه قال : كُنْتُ رَدِيفَ

= قلت : بل فيها أحد عشر مسألة (١) النهى عن الشرك (٢) الإحسان إلى الوالدین (٣) النهى عن قتل الأولاد (٤) النهى عن قربان الفواحش (٥) النهى عن قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق (٦) النهى عن قربان مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن (٧) الأمر بالوفاء بالكيل والوزن (٨) الأمر بالعدل في القول (٩) الأمر بالوفاء بالعهد (١٠) الأمر باتباع الصراط المستقيم (١١) النهى عن اتباع السبل .

(١) قوله : (قال ابن مسعود) وهو عبد الله بن مسعود بن غافل - بمجمعة وفاء - ابن حبيب الهذلي أبو عبد الرحمن صحابي جليل من السابقين الأولين وأهل بدر وأحد والحدق وبيعة الرضوان ، ومن كبار علماء الصحابة ، أمره عمر على الكوفة ، مات سنة اثنتين وثلاثين رضى الله عنه

(٢) قوله (من أراد أن ينظر إلى وصية محمد ﷺ التي عليها خاتمته - يعنى التي النبي ﷺ كتبها وختمها فلم تغير ولم تبدل - فليقرأ قوله تعالى ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّي عَلَيْكُمْ ﴾) إلى آخر الآيات الثلاث

وهذا الأثر رواه الترمذى وحسنه ، وابن المنذر وابن أبي حاتم بنحوه ، وليس المراد أن النبي ﷺ كتبها وختم عليها ، وإنما المراد أنه ﷺ لو أوصى لما أوصى إلا بما أوصى به ربه في كتابه ، كما قال ﷺ فيما رواه مسلم « وإني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا : كتاب الله »

وفيه التنبيه على وصية رسول الله ﷺ عند موته ، قاله المصنف رحمه الله

(٣) قوله (وعن معاذ بن جبل) بن عمرو بن أوس الأنصاري الخزرجي =

النبي ﷺ على حمار^(١) فقال لي « يا معاذ أتدرى ما حق الله على العباد وما حق العباد على الله » ؟^(٢) فقلت : الله ورسوله أعلم^(٣) قال : « حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً^(٤) ، وحق العباد

= أبو عبد الرحمن صحابي مشهور من أعيان الصحابة رضى الله عنه ، شهد بدرأ ، وما بعدها . قال النبي ﷺ : « معاذ أعلم أمتي بالحلال والحرام » ، كان اليه المنتهى في العلم والأحكام والقرآن ، بعثه النبي ﷺ إلى اليمن معلماً ومفتياً ، وقد استخلفه النبي ﷺ على أهل مكة يوم الفتح يعلمهم دينهم . مات سنة ثمان عشرة بالشام (١) قوله (كنت رديف النبي ﷺ على حمار) في رواية اسمه غفير أهداه له المقوقس صاحب مصر ، قاله في فتح المجيد

وفيه فضيلة معاذ إرداف النبي ﷺ له خلفه ، وجواز الإرداف على الدابة إذا كانت تطيق ذلك وتواضعه ﷺ لركوب الحمار مع الإرداف عليه ، قاله المصنف رحمه الله

(٢) قوله (فقال لي يا معاذ أتدرى ما حق الله على العباد ، وما حق العباد على الله ؟) . أخرج السؤال بصيغة الاستفهام ليكون أوقع في النفس وأبلغ في الفهم ، فإن الإنسان إذا سئل عن مسألة لا علم له بها ثم أخبر عنها بعد الامتحان بالسؤال يكون أدعى لفهمها وحفظها . « والدراية ، المعرفة

وفيه جواز تخصيص بعض الناس بالعلم دون بعض قاله المصنف رحمه الله تعالى

(٣) قوله (فقلت : الله ورسوله أعلم)

وفيه قول المستول عما لا يعلم : الله ورسوله أعلم ، قاله المصنف رحمه الله . وهذا في حياة الرسول ﷺ وفيه حسن الأدب من المتعلم وأنه ينبغي لمن سئل عما لا يعلم أن يقول ذلك بخلاف أكثر المتكلمين قاله في « فتح المجيد ،

(٤) قوله (قال حق الله على العباد أن يعبدوه) أى يوحده (ولا يشركوا به شيئاً) وهذا هو الشاهد من الحديث للترجمة ففني الشرك أكبره وأصغره شرط في صحة العبادة وشيئاً فمكرة في سياق النفي تم كل شئ مما يعبد من دون الله =

على الله أن لا يعقّب من لا يشرك به شيئا» ^(١) . قلت : « يا رسول

== وفي بعض الآثار الإلهية يقول الله تعالى إني والجن والإنس في نبأ عظيم ، أخلق ومعبود غيري ، وأرزق ويشكر سواي ، خيري إلى العباد نازل ، وشرهم إلى صاعد ، أتحبب إليهم بالنعم ويتبغضون إليّ بالمعاصي .

وفيه معرفة حق الله علينا قاله المصنف رحمه الله تعالى هذا الحق أشار العلامة ابن القيم رحمه الله بقوله :

حق الإله عبادة بالامر لا بهوى النفوس فذاك للشيطان
من غير إشراك به شيئا هما سببا للنجاة فحبذا السببان
لم ينج من غضب الإله وناره إلا الذي قامت به الأصلان
والناس بعد فمشرِك باللاه أو ذو ابتداع أوله الوصفان

(١) قوله (وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئا) اقتصر على نفي الشرك لأنه يستدعي التوحيد بالاقتضاء وإثبات الرسالة باللزوم إذ من كذب رسول الله فقد كذب الله ومن كذب الله فهو مشرك كقول القائل من توضحاً صحت صلاته ، أى مع سائر الشروط ، قاله الحافظ بن حجر . وهذا الحق هو الذى أحقّه تعالى على نفسه كرما منه وفعتلا ومعناه أنه متحقق لا محالة لأنه قد وعدم ذلك جزاء على توحيدّه ، وعد الله ، لا يخلف الله وعده ، وليس على الله حق واجب بالعقل كما تقول المعتزلة ولذا قيل :

ما للعباد عليه حق واجب كلا ولا سعى لديه ضايع
إن عذبوا فبعدله ، أو نعموا فبفضله وهو الكريم المواسع

قال شيخ الإسلام وهذا الحق هو استحقاق لإنعام وفضل ليس هو استحقاق مقابلة كما يستحق المخلوق على المخلوق فمن الناس من يقول لا معنى للاستحقاق إلا أنه أخبر بذلك ووعد صدق ولكن أكثر الناس يشبّون استحقاقا زائدا على هذا كما دل عليه الكتاب والسنة ، قال تعالى (وكان حقا علينا نصر المؤمنين) وكما فى حديث معاذ هذا ، ولكن أهل السنة يقولون : هو الذى كتب على نفسه الرحمة ==

الله أفلا أبشر الناس؟ قال لا تبشروهم « فينكلوا »^(١) . وأخرجاه في
الصحيحين^(٢)

= وأوجب هذا الحق على نفسه ولم يوجب عليه مخلوق ، والمعتزلة يدعون أنه
واجب عليه بالقياس على المخلوق وأن العباد هم الذين أطاعوه بدون أن يعلمهم
له وأنهم مطيعين يستحقون الجزاء بدون أن يكون هو الموجب وغلطوا في ذلك
وفيه معرفة حق العباد على الله إذا أدوا حقه ، قاله المصنف

(١) قوله (قلت يا رسول الله ، أفلا أبشر الناس؟ قال : « لا تبشروهم
فينكلوا ») . وفي رواية : « إن أخاف أن يتكلوا » - أي يعتمدوا على ذلك -
فيتركوا التنافس في الأعمال الصالحة . وفي رواية فأخبر بها معاذ عند موته تأثما
- أي تخرجا - خوفا من الإثم .

وفيه أن هذه المسئلة لا يعرفها أكثر الصحابة ، وعظم شأن هذه المسئلة
وجواز كتمان العلم للصالحين واستحباب بشارة المسلم بما يسره ، وفيه ما كان عليه
الصحابة من الاستبشار بثل هذا والخوف من الاتكال على سعة رحمة الله ، قاله
المصنف رحمه الله

(٢) قوله (أخرجاه) أي البخاري وهو محمد بن اسمعيل بن ابراهيم الجعفي
مولاهم الحافظ صاحب : الصحيح والتاريخ والادب المفرد ، روى عن الإمام أحمد
والحميدي وابن المديني وغيرهم ، وعند مسلم والنسائي والترمذي والفريزي راوي
الصحيح ولد سنة أربع وستين ومائة ومات سنة ست وخمسين ومائتين ، ومسلم هو
ابن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري صاحب الصحيح والعلل والوحدان
روى عن أحمد بن حنبل ويحيى بن معين وأبي خيثمة وابن أبي شيبة وطبقتهم وعن
البخاري وعنه الترمذي وابراهيم بن محمد بن سفيان راوي الصحيح ولد سنة أربع
ومائتين ومات سنة إحدى وستين ومائتين بنيسابور . رحمهما الله تعالى

٢ - باب

فضل التوحيد^(١) وما يكفر من الذنوب^(٢)

وقول الله تعالى ﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم﴾ الآية^(٣)

(١) قوله (باب فضل التوحيد) إنما بوبت الكتب ليكون أنشط للطالب إذا ختم بابا وشرع في آخر، وأبعث لهمة كالمراحل التي يطلبها المسافر ليرتاح عندها ولذا كان القرآن سوراً ولأنه أسهل في وجدان المسائل وأدعى لحسن الترتيب وسميت الأبواب تراجم لأنها تترجم عما بعدها أى تبينه بوجه إجمالى ومنه الترجمان لما ذكر الشيخ رحمه الله تعالى التوحيد ناسب أن يذكر فضلة ترغيبا فيه والمراد بالتوحيد توحيد العبادة قاله في قرّة العيون

(٢) قوله (وما يكفر من الذنوب) يحتمل أن تكون ما موصولة والعائد محذوف أى وبيان الذى يكفره من الذنوب، وأن تكون مصدرية أى وتكفيره الذنوب وهذا أظهر لأن كونها موصولة يوم أن هناك ذنباً لا يكفرها التوحيد وهذا ليس بمراد

(٣) قوله (وقول الله تعالى ﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون﴾) ومعنى آمنوا وحدوا وقوله (ولم يلبسوا إيمانهم بظلم) أى لم يخلطوا توحيدهم بشرك (أولئك لهم الأمن وهم مهتدون) قال الحسن والسكبي لهم الأمن فى الآخرة (وهم مهتدون) فى الدنيا وهذا هو الشاهد من الآية للترجمة وروى الإمام أحمد عن ابن مسعود رضى الله عنه قال: لما نزلت ﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم﴾ شق ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله وأينا لا يظلم نفسه قال النبي ﷺ: «إِنَّهُ لَيْسَ الَّذِي تَعْنُونَ أَلَمْ تَسْمَعُوا مَا قَالَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ (يَا بَنِي لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ) إِنَّمَا هُوَ الشِّرْكُ». قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى. والذين شق عليهم ظنوا أن الظلم المشروط هو ظلم العبد لنفسه، وأنه لا أمن ولا اهتداء إلا لمن لم يظلم نفسه، فبين لهم النبي ﷺ ما دلهم على أن الشرك ظلم فى كتاب الله فلا يحصل الأمن والاهتداء إلا لمن لم يلبس إيمانه بهذا الظلم فمن سلم من أجناس الظلم الثلاثة يعنى: الظلم الذى هو الشرك، وظلم العباد، وظلمه لنفسه بما دون الشرك، كان له الأمن التام والاهتداء التام، ومن لم يسلم =

عن عبادة بن الصامت^(١) رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ

== من ظلم نفسه كان له الآمن والاهتداء مطلقا ويحصل له من نقص الآمن والاهتداء بحسب ما نقص من إيمانه بظلمه لنفسه ، قال : وليس مراد النبي ﷺ بقوله : إنما هو الشرك ، أن من لم يشرك الشرك الأكبر يكون له الآمن التام والاهتداء التام فإن أحاديثه الكثيرة مع نصوص القرآن تبين أن أهل الكبائر معرضون للخوف لم يحصل لهم الآمن التام والاهتداء التام فالآمن أمانان : آمن مطلق ، وآمن مقيد . فالأول هو الآمن من العذاب وهو لمن مات على التوحيد ولم يصر على الكبائر ، الثاني لمن مات على التوحيد مع الإصرار على الكبائر فله الآمن من الخلود في النار ففرق بين الآمن المطلق ومطلق الآمن

وقوله إنما هو الشرك إن أراد به الأكبر فقصوده أن من لم يكن من أهله فهو آمن بما وعده به المشركون من عذاب الدنيا والآخرة وهو مهتد إلى ذلك ، وإن كان مراده حبس الشرك فيقال ظلم العبد لنفسه كبخله لحب المال ببعض الواجب هو شرك أصغر ، وسبه ما يبغض الله حتى يقدم هواه على محبة الله شرك أصغر ، ونحو ذلك فهذا فاته من الآمن والاهتداء بحسبه ، ولهذا كان السلف يدخلون الذنوب في هذا الظلم بهذا الاعتبار . وقال أيضا : وهذه آية عظيمة تنفع المؤمن الحنيف في مواضع فإن الإشراك في هذه الأمة أخفى من ديبب النمل ، وكثير من المتفقهة وأجناد الملوك وأتباع القضاة والعامّة المتبعة لهؤلاء يشركون شرك الطاعة فيجمل الواجب ما أوجبه متبوعه والحرام ما حرمه متبوعه والحلال ما حله متبوعه والدين ما شرعه إما ديننا وإما ديننا ودنيا ، ثم يخوف من امتنع من هذا الشرك وهو لا يخاف أنه أشرك بالله شيئا في طاعته بغير سلطان انتهى

وفيه سعة فضل الله وكثرة ثواب التوحيد عند الله وتكفيره مع ذلك للذنوب ومعرفة تفسير آية الانعام ، قاله المصنف رحمه الله تعالى

(١) قوله (عن عبادة بن الصامت) بن قيس الأنصارى الخزرجى أبو الوليد أحد النقباء ، بدرى مشهور مات سنة أربع وثلاثين وله اثنتان وسبعون سنة رضى الله عنه

« من شهد أن لا إله إلا الله ^(١) »

قال (قال رسول الله ﷺ) من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله وكنيته ألقاها إلى مريم وروح منه وأن الجنة حق والنار حق ، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل .
(أخرجه) قال النووي هذا حديث عظيم جليل الموضع وهو من أجمع الأحاديث المشتملة على المعاني جمع فيه ما يخرج من ملل الكفر على اختلاف عقائدهم وما يبين به جميعهم انتهى .

(١) قوله (من شهد أن لا إله إلا الله) أى تكلم بهذه الكلمة العظيمة عارفاً لمعناها من أنه لا معبود بحق إلا الله عاملاً بمقتضاها باطناً وظاهراً كما دل عليه قوله (فاعلم أنه لا إله إلا الله) وقوله (إلا من شهد بالحق وهم يعلمون) أما النطق بها من غير معرفة لمعناها ولا عمل بمقتضاها فإن ذلك غير نافع ، يدل على هذا قوله : من شهد كيف يشهد وهو لا يعلم

قال القرطبي في المفهم على صحيح مسلم باب لا يكتفى بالتلفظ بالشهادتين بل لابد من استيفاء القلب ، هذه الترجمة تنبيه على فساد مذهب غلاة المرجئة القائلين بأن التلفظ بالشهادتين كاف في الإيمان . وأحاديث هذا الباب يعنى التى ذكرها مسلم تدل على فساده بل هو مذهب معلوم الفساد من الشريعة لمن وقف عليها ، ولأنه يلزم منه تسويغ النفاق والحكم للمنافق بالإيمان الصحيح وهو باطل قطعاً انتهى .

وقال شيخ الإسلام : الإله هو المعبود المطاع فإن الإله هو المألوه ، والمألوه هو الذى يستحق أن يعبد ، وكونه يستحق أن يعبد هو بما انصف به من الصفات التى تستلزم أن يكون هو المحبوب غاية الحب الخاضوع له غاية الخضوع . قال : فإن الإله هو المحبوب المعبود الذى تأله القلوب بحبها وتخضع له وتذل له وتخافه وترجوه وتذنب إليه فى شدائدها وتدعوه فى مهماتها وتتوكل عليه فى مصالحها وتلجأ إليه ونظمته بذكره وتسكن إلى حبه وليس ذلك إلا الله وحده ، ولهذا كانت : لا إله إلا الله أصدق الكلام ، وكان أهلها أهل الله وحزبه ، والمنكرون لها أعداءه وأهل غنابه ونقمته فإذا صحت صحبها كل مسئلة وحال وذوق وإذا لم يصححها العبد فالفساد لازم له فى علومه وأعماله انتهى .

وحده^(١) لا شريك له ، وأن محمدًا عبده ورسوله^(٢) ، وأن عيسى

وقال الزمخشري : الإله من أسماء الأجناس كالرجل والفرس يقع على كل معبود بحق أو باطل ثم غلب على المعبود بحق . وقال ابن القيم في بدائع الفوائد ردًا لقول من قال إن المستثنى مخرج من المستثنى منه ، قال : بل هو مخرج من المستثنى منه وحكمه ، فلا يكون داخلًا في المستثنى إذ لو كان كذلك لم يدخل الرجل في الإسلام بقوله لا إله إلا الله لأنه لم يثبت الإلهية لله تعالى وهذه أعظم كلمة تضمنت بالوضع نفي الإلهية عما سوى الله وإثباتها له بوصف الاختصاص فدلائها على إثبات الإلهية أعظم من دلالة قولنا الله إله ولا يستريب أحد في هذا البتة انتهى بمعناه

وأما من زعم أن الإله القادر على الاختراع أو النقي عما سواه الفقير إليه كلما عداه ونحو ذلك فهذا من لوازم الإلهية وليس هو المراد بمعنى لا إله إلا الله لأن معناها لا معبود بحق إلا الله فما أجمل عباد القبور وما أعظم ما وقعوا فيه من الشرك المنافي لكلمة الإخلاص : لا إله إلا الله فإن مشركي العرب جحدوا لا إله إلا الله لفظًا ومعنى ، وهؤلاء المشركون أقرؤا بها لفظًا وجحدوها معنى

(١) وقوله (وحده) تأكيد للإثبات ، (لا شريك له) تأكيد للنفي

(٢) وقوله (وأن محمدًا عبده ورسوله) أى وشهد أن محمدًا عبده ورسوله وهو معطوف على ما قبله على نية تكرار العامل ، والعبده هنا المملوك العابد أى مملوك الله تعالى وليس له من الربوبية والإلهية شئ . فقوله (عبده ورسوله) أعلى مراتب العبد العبودية الخاصة والرسالة ، والنبي ﷺ أكمل الخلق في هاتين الصفتين الشريفتين وجميعها في حقه ﷺ دفعا للإفراط والتفريط فإن كثيرًا من يدعى أنه من أمته أفرط بالغلو فيه قولًا وفعلًا وفرط بترك متابعتة واعتمد على الآراء المخالفة لما جاء به وتسمف في تأويل أخباره بصرفها عن مدلولها والصدف عن الانقياد لها مع انظر أحبا

وشهادة أن محمدًا رسول الله تقتضى طاعته فيما أمر وتصديقه فيما أخبر واجتناب ما عنه نهى وزجر وأن لا يعبد الله إلا بما شرع وأن يعظم أمره ونهيه ولا يقدم عليه قول أحد كائنًا من كان

عبد الله ورسوله ^(١) وكلمته ^(٢) ألقاها إلى مريم ^(٣) وروح منه ^(٤) ،

قوله (وأن عيسى عبد الله ورسوله) وفي رواية وابن أمته ، فقوله عبد الله رد على النصارى القائلين بأنه الله أو ابن الله أو ثالث ثلاثة ، تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً (ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذاً لذهب كل إله بما خلق ولعل بعضهم على بعض سبحانه الله عما يصفون عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون)

(١) وقوله (ورسوله) رد على اليهود القائلين بأنه ولد بنى لعنهم الله . قال القرطبي : يستفاد من هذا الحديث ما يلقيه النصراني إذا أسلم

(٢) قوله (وكلمته) قال الإمام أحمد رحمه الله : إنما سمي عيسى عليه السلام كلمة الله لصدوره بكلمة كن بلا أب ، وكان عيسى بكن ، وليس عيسى هو كن ولكن بكن كان ، فسكن من الله قول وليس كن مخلوقاً ، وكذب النصارى والجهمية على الله في أمر عيسى وذلك أن الجهمية قالت : عيسى روح الله وكلمته إلا أن الكلمة مخلوقة ، وقالت النصارى عيسى روح الله من ذات الله وكلمة الله من ذاته

(٣) وقوله (ألقاها إلى مريم) أى أرسل بها جبريل عليه السلام إليها فنفخ فيها من روحه بإذن الله فجبريل نفخ والله خلق بقول كن فكان فسبحان من لا يخلق غيره ولا يعبد سواه

(٤) قوله (وروح منه) يقول من أمره كان الروح فيه ، وقال أبي بن كعب : عيسى روح من الأرواح التي خلقها الله واستنطقها بقوله (ألسن بربكم ؟ قالوا : بل) قال الحافظ ابن حجر ووصفه بأنه منه ، فالمعنى أنه كائن منه كما في قوله (وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه) كما أن معنى الآية الأخرى أنه سخر هذه الأشياء كائنة منه أى أنه مكون ذلك وموجده بقدرته وحكمته . قال شيخ الإسلام : المضاف إلى الله تعالى إذا كان معنى لا يقوم بنفسه ولا بغيره من المخلوقات وجب أن يكون صفة لله تعالى قائمة به وامتنع أن تكون إضافتها إضافة مخلوق مربوب وإذا كان المضاف عيناً قائمة بنفسها كعيسى وجبريل عليهما السلام وأرواح بنى آدم امتنع أن تكون صفة لله تعالى لأن ما قام بنفسه لا يكون صفة لغيره ، لكن الأعيان المضافة إلى الله تعالى على وجهين أحدهما أن تضاف =

وَأَنَّ الْجَنَّةَ حَقٌّ وَالنَّارُ حَقٌّ^(١) ، أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ^(٢) « أَخْرَجَاهُ »^(٣) .

= إله لكونه خلقها وأبدعها فهذا شامل لجميع المخلوقات كقولهم : سماء الله وأرض الله فجميع المخلوقين عبيد الله وجميع المال مال الله . الوجه الثاني أن تضاف إليه لما خصها به من معنى يحبه ويأمر به ويرضاه . كما خص البيت العتيق بعبادة فيه لا تكون في غيره ، وكما يقال في مال الخنس والقي " مال الله ورسوله ، ومن هذا الوجه فعباد الله هم الذين عبدوه وأطاعوا ، أمره فهذه إضافة تتضمن ألوهيته وشرعه ودينه ، وتلك إضافة تتضمن ربوبيته وخلقه انتهى ملخصا

(١) وقوله (والجنة حق والنار حق) ، أى وشهد أن الجنة حق لا شك فيها وأنها موجودة الآن لأن الله أخبر في كتابه بأنه أعدها لمن آمن به وبرسله ، قال تعالى ﴿ سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض أعدت للذين آمنوا بالله ورسوله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ﴾ وشهد أن النار حق وأنها موجودة الآن أعدها للكافرين كما قال تعالى ﴿ واتقوا النار التي أعدت للكافرين ﴾ ولحديث عجاة الجنة والنار وغير ذلك من النصوص الدالة على وجودهما

وفيه الإيمان بالمعاد

(٢) قوله (أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ) هذه الجملة جواب الشرط في قوله « من شهد أن لا إله إلا الله ، الخ . وفي رواية أَدْخَلَهُ اللَّهُ مِنْ أَى أَبْوَابِ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ شَاءَ . قال الحافظ بن حجر معنى قوله على ما كان من العمل من صلاح أو فساد لأن أهل التوحيد لا بد لهم من دخول الجنة ويحتمل أن يكون معنى قوله على ما كان من العمل أن يدخل الجنة أهل الجنة على حسب أعمالهم في الدرجات

قال المصنف تأمل الخنس اللواتي في حديث عبادة وإذا جمعت بينه وبين حديث عتيان تبين لك معنى قول لا إله إلا الله وتبين لك خطأ المغرورين وتأمل الجمع بين كون عيسى ومحمد عبيد الله ورسوليه ومعرفة اختصاص هيسى بكونه كلمة الله ومعرفة كونه روحا منه ومعرفة فضل الإيمان بالجنة والنار ومعرفة قوله على ما كان من العمل

(٣) قوله (أَخْرَجَاهُ) ، أى البخارى ومسلم

ولها في حديث عتيبان^(١) «فإن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله»^(٢)

(١) قوله (ولها) أى البخارى ومسلم (في حديث عتيبان) - بكسر العين بعدها مثناة فوقية ثم موحدة - ابن مالك بن عمرو بن العجلان الأنصارى من بنى سالم بن عوف ، صحابي مشهور مات في خلافة معاوية رضى الله عنه
(٢) قوله (فإن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله) وهذا طرف من حديث طويل أخرجه البخارى ومسلم ورواه أيضا أحمد والنسائي وابن ماجه والبيهقى في الأسماء والصفات ، اختصره المصنف وذكر منه ما يناسب الترجمة
وفيه التنبيه للشرط الذى في حديث عتيبان ومعرفة ذكر الوجه ، قاله المصنف رحمه الله

واعلم أنه قد وردت أحاديث ظاهرها أن من أتى بالشهادتين حرمه الله على النار كحديث عتيبان هذا وحديث أنس قال كان النبي ﷺ ومعاذ رديفه على الرجل فقال يامعاذ ، قال لبيك وسعديك ، قال يامعاذ قال لبيك وسعديك ، قال يامعاذ قال لبيك وسعديك ثلاثا ، قال ما من عبد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صدقاً من قلبه إلا حرمه الله على النار ، الحديث أخرجه لمسلم عن عبادة مرفوعاً ، من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله حرمه الله على النار ووردت أحاديث فيها أن من أتى بالشهادتين دخل الجنة وليس فيها أنه يحرم على النار منها حديث عبادة الذى تقدم قبل هذا وحديث أبى هريرة أنهم كانوا مع النبي ﷺ في غزوة تبوك ، وفيه فقال رسول الله ﷺ ، أشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله لا يلقى الله عبد بهما غير شاك فيهما فيحجب عن الجنة ، الحديث رواه مسلم . وحديث أبى ذر في الصحيحين مرفوعاً ، ما من عبد قال لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة ، الحديث

وأحسن ما قيل في ذلك ما قاله شيخ الإسلام وغيره أن هذه الأحاديث إنما هى فن قالها ومات عليها كما جاءت مقيدة بقوله ، وقالها خالصاً من قلبه مستيقناً بها قلبه غير شاك فيها بصدق وبقين فإن حقيقة التوحيد انجذاب الروح إلى الله =

== تعالى جملة فن شهد أن لا إله إلا الله خالصا من قلبه دخل الجنة لأن الإخلاص هو انجذاب القلب إلى الله تعالى بأن يتوب من الذنوب توبة نصوحا فإذا مات على تلك الحال قال ذلك فإنه قد تواترت الأحاديث بأنه يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة وما يزن خردلة وما يزن ذرة وتواترت بأن كثيرا ممن يقول لا إله إلا الله يدخل النار ثم يخرج منها وتواترت بأن الله حرم على النار أن تأكل أثر السجود من ابن آدم فهو لاء كانوا يصلون ويسجدون لله ، وتواترت بأن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله ومن شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله لسكن جاءت مقيدة بالقيود الثقيل وأكثر من يقولها لا يعرف الإخلاص وأكثر من يقولها إنما يقولها تقليدا أو عادة ولم تحاط حلوة الإيمان بشاشة قلبه وغالب من يفتن عند الموت وفي القبور أمثال هؤلاء كما في الحديث سمعت الناس يقولون بشاء فقلته وغالب أعمال هؤلاء إنما تقليد واقتداء بأمثالهم وهم من أقرب الناس من قوله تعالى ﴿إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون﴾

وحينئذ فلا منافاة بين الأحاديث لأنه إذا قالها بإخلاص ويقين تام لم يكن في هذه الحال مصراً على ذنب أصلاً فإن كمال إخلاصه ويقينه يوجب أن يكون الله أحب إليه من كل شيء ، فإذا لا يبقى في قلبه إرادة لما حرم الله ولا كرامة لما أمر الله وهذا هو الذي يحرم على النار . وإن كانت له ذنوب قبل ذلك فإن هذا الإيمان والإخلاص والتوبة والمحبة واليقين لا يترك له ذنباً إلا محي كما يمحو الليل النهار فإذا قالها على وجه السكال المانع من الشرك الأكبر والأصغر فهذا غير مصراً على ذنب أصلاً فيغفر له ويحرم على النار وإن قالها على وجه خلص به من الشرك الأكبر دون الأصغر ولم يأت بعدها بما يناقض ذلك فهذه الحسنة لا يقاومها شيء من السيئات فيرجح بها ميزان حسناته كما في حديث البطاقة فيحرم على النار أيضاً لكن تنقص درجته في الجنة بقدر ذنوبه وهذا بخلاف من رجحت سيئاته بحسناته ومات مصراً على ذلك فإنه يستوجب النار . وإن قال لا إله إلا الله وخلص بها من الشرك الأكبر ولكنه لم يمت على ذلك بل أتى بعد ذلك بسيئات رجحت على حسنة توحيد فلو هنت ذلك التوحيد والإخلاص فأضعفته ، وقويت نار الذنوب حتى أحرقت ذلك بخلاف المخلص المستيقن فإن حسناته لا تكون إلا راجحة على سيئاته ==

عن أبي سعيد^(١) الخدرى رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال :
« قال موسى : يا رب علمنى شيئاً أذكرك وأدعوك به ، قال : قل :
يا موسى لا إله إلا الله . قال : يا رب كل عبادك يقولون هذا^(٢) . قال :

= ولا يكون مصراً على سيئاته فان مات على تلك دخل الجنة . فمن قال لا إله إلا
الله ولم يقم بموجها بل اكتسب مع ذلك ذنوباً وسيئات وكان صادقاً في قولها موقناً
بها لكن ذنوبه أضعفت صدقه وبقينه وانضاف إلى ذلك الشرك الأصغر العمل
رجحت هذه الأشياء على هذه الحسنة وبات مصراً على الذنوب

والذين يدخلون النار ممن يقولها فانهم أحد هذين الشرطين ، أما لمنهم لم يقولوها
بالصدق واليقين التامين المنافين للسيئات أو لرجحان السيئات أو قالوها واكتسبوا
بعد ذلك سيئات رجحت على حسناتهم

(١) قوله (وعن أبي سعيد) سعد بن مالك بن سنان الأنصارى الخزرجى
صحابى جليل وأبوه كذلك ، استصغر بأحد وشهد ما بعدها ، مات بالمدينة سنة
ثلاث أو أربع أو خمس وستين وقيل سنة أربع وسبعين رضى الله عنه (عن
رسول الله ﷺ قال قال موسى : يا رب علمنى شيئاً أذكرك) أى أننى عليك
وأحمدك به (وأدعوك) أى أتوسل (به) إليك إذا دعوتك (قال قل يا موسى لا
إله إلا الله) فدل على أن هذه الكلمة العظيمة مشتملة على الذكر والدعاء وأن
الذاكر يقولها كلها ولا يقتصر على ما تضمنته من الإثبات دون النفى ، ولا على لفظ
الجلالة كما يفعله جهال المنصوفة ، ولا على الضمير كما يفعله غلاتهم فى قولهم « هو
هو ، فان ذلك بدهة وضلالة بل لا بد فى الذكر بها من الإتيان بما اشتملت
عليه من النفى والإثبات فلا يكون النفى وحده ذكراً ولا توحيداً وكذلك
الإثبات وحده لا يكون ذكراً ولا توحيداً حتى يجمع فى قولها بين النفى والإثبات
من متكلم واحد فلو قال بعضهم « لا إله ، وقال الآخر « إلا الله ، لم يكن ذلك
ذكراً ولا توحيداً

(٢) قوله (قال كل عبادك يقولون هذا) بالجمع مراعاة لمعنى « كل ، والذى فى
الأصول يقول بالإفراد مراعاة للفظها دون معناها ، لكن قد روى الإمام أحمد =

يا موسى لو أن السموات السبع وعامرهن . غيرى . والأرضين السبع
في كفة ، ولا إله إلا الله في كفة ، مالت بهن لا إله إلا الله ^(١) »

== عن عبد الله بن عمرو هذا الحديث بهذا اللفظ الذي ذكره المصنف أطول منه
قاله في الشرح وفي رواية النسائي والحاكم : إنما أريد شيئاً تخصنى به

(٣) قوله (قال يا موسى لو أن السموات السبع وعامرهن) بالنصب عطفا
على السموات أى من فيهن من العار يعنى السكان (غيرى) أى غير الله تبارك
وتعالى (والأرضين السبع) ومن فيهن من السكان وضعوا في كفة بكسر الكاف
وتشديد الفاء يعنى من كفتى الميزان (ولا إله إلا الله في الكفة الأخرى مالت بهن
لا إله إلا الله) أى رجحت عليهن ، لما اشتملت عليه من التوحيد الذى هو أفضل
الاعمال وأساس الملة ورأس الأمر وهذا هو الشاهد من الحديث للترجمة وروى
الإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ أن نوحا عليه السلام قال لابنه
عند موته : أمرك بلا إله إلا الله فإن السموات السبع والأرضين السبع لو وضعت
في كفة ولا إله إلا الله في كفة رجحت بهن لا إله إلا الله ، ولو أن السموات السبع
والأرضين السبع كن حلاقة مبهمة فضمتن لا إله إلا الله . فن قالها بإخلاص
ويقين وعمل بمقتضاها واستقام على ذلك فهو من الذين لا خوف عليهم ولا هم
يحزنون . ودل الحديث على أن لا إله إلا الله أفضل الذكر كحديث عبد الله بن
عمر مرفوعا : خير الدعاء دعاء يوم عرفة ، وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلى
لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير ، رواه
أحمد والترمذى وعنه أيضا : يصاح برجل من أمتى على رؤوس الخلائق يوم القيامة
فينشر له تسعة وتسعون سجلا كل سجل منها مد البصر ، ثم يقال له أتشكر من
هذا شيئا ؟ أظلمك كتبى الحافظون ؟ فيقول : لا يارب ، فيقال أفلك عذر أو
حسنة فيهاب الرجل فيقول : لا ، فيقال بلى إن ذلك عندنا حسنة ، وإنه لا ظلم
عليك اليوم فيخرج له بطاقة فيها : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا عبده
ورسوله . فيقول : يارب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات ؟ فيقال : إنك
لا تظلم ، فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت
البطاقة ، رواه الترمذى وحسنه والنسائي وابن حبان والحاكم وقال صحيح على شرط
مسلم وقال الذهبي في تلخيصه صحيح

رواه ابن حبان والحاكم وصححه^(١) . وللترمذى^(٢) - وحسنه^(٣) -
عن أنس^(٤) : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول « قال الله تعالى : يا ابنَ

قال ابن القيم رحمه الله فالاعمال لا تفاضل بصورها وعددها وإنما تفاضل بتفاضل ما في القلوب فتكون صورة العملين واحدة وبينهما من التفاضل كما بين السماء والأرض ، ومعلوم أن كل واحد له هذه البطاقة وكثير منهم يدخل النار بذنوبه

وفيه كون الأنبياء يحتاجون إلى التنبيه على فضل لا إله إلا الله ، والتنبيه لرجحانها بجميع المخلوقات مع أن كثيرا ممن يقولها يخف ميزانه والنص على أن الأرضين سبع كالسموات وأن لمن عمارا وفيه إثبات الصفات خلافاً للمعطلة ومعرفة أن الميزان له كفتان ، قاله المصنف رحمه الله تعالى

(١) قوله (رواه ابن حبان) وهو محمد بن حبان بكسر المهملة وتشديد الموحدة أبو حاتم التميمي البستي الحافظ صاحب التصانيف : كالصحيح والتاريخ والضعفاء والثقات ، قال الحاكم كان من أوعية العلم مات سنة أربع وخمسين وثلاثمائة بمدينة بست بضم الموحدة وسكون المهملة . (والحاكم) هو محمد بن عبد الله النيسابوري أبو عبد الله الحافظ ويعرف بابن البيهقي ولد سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة وصنف : المستدرک وتاريخ نيسابور وغيرهما ومات سنة خمس وأربعائة رحمهما الله تعالى

(٢) قوله (وللترمذی) وهو محمد بن عيسى بن سورة بفتح العين السلي أبو عيسى صاحب الجامع وأحد الأئمة الحفاظ ، كان ضريح البصر روى عن قتبية وهناد والبخاري وخلق ، مات سنة تسع وسبعين ومائتين

(٣) قوله (وحسنه) أى قال إنه حسن والحسن عند الترمذى ما تعددت طرقة وليس فيها متهم ولا خالفه أحد من الثقات قاله شيخ الإسلام رحمه الله

(٤) قوله (عن أنس بن مالك) بن النضر الأنصارى الخزرجى خادم رسول الله ﷺ خدمه عشر سنين ودعا له النبي ﷺ فقال اللهم أكرمه ماله وولده وأدخله الجنة ، مات سنة اثنتين وقيل ثلاث وتسعين وقد جاوز المائة رضى الله عنه ولم يمت حتى رأى من ولده وولد ولده زيادة عن المائة

آدم ، لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ، ثم لقيتني ، لا تشرك بي شيئا
لأتيتك بقرابها مغفرة (١) »

(١) قوله (قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : قال الله تعالى : يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة ،) وهذا الذي ذكره المصنف قطعة من حديث رواه الترمذي عن أنس قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : قال الله تعالى : يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي ، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ، يا ابن آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة ، وهذا هو الشاهد من الحديث للترجمة وقراب الأرض بضم القاف وقيل بكسرهما والضم أشهر ملؤها أو ما يقارب ملاها وقوله (ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا) شرط ثقیل في الوعد بحصول المغفرة وهو السلامة من الشرك كثيره وقليله صغيره وكبيره ، ولا يسلم من ذلك إلا من سلمه الله تعالى .

قال شيخ الإسلام : الشرك نوعان : أكبر وأصغر ، فمن خلص منها وجبت له الجنة ، ومن مات على الأكبر وجبت له النار ، ومن خلص من الأكبر وحصل له بعض الأصغر مع حسنات راجحة على ذنوبه دخل الجنة ، فإن تلك الحسنات توحيد كثير مع يسير من الشرك الأصغر ، ومن خلص من الأكبر ولكن كثير الأصغر حتى رجحت به سيئاته دخل النار ، فالشرك يؤاخذ به العبد إذا كان أكبر أو كان كثيرا أصغر والأصغر القليل في جانب الإخلاص الكثير لا يؤاخذ به انتهى . فإذا عرفت حديث أليس عرفت أن قوله في حديث عتيان : فإن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله ، أن ترك الشرك ليس قولها باللسان قاله المصنف رحمه الله وفيه سعة كرم الله وجوده حيث لو أتاه العبد بملء الأرض خطايا وقد مات على التوحيد أنه يقابله بالمغفرة لذنوبه

وفيه الرد على الخوارج الذين يكفرون المسلم بالذنوب ، وعلى المعتزلة الذين يقولون بالمنزلة بين المنزلتين ، وهي أنه ليس بمؤمن ولا كافر ويخلد في النار فيوافقون الخوارج في التخليد في النار ويخالفونهم في الاسم

٣ - باب

مَنْ حَقَّقَ التَّوْحِيدَ دَخَلَ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ^(١)

والصواب ما عليه أهل السنة أن لا يسلب عنه اسم الإيمان على الإطلاق ولا يعطاه على الإطلاق بل يقال هو مؤمن ناقص الإيمان أو مؤمن عاص أو مؤمن بإيمانه ، فاسق بكبريته ، وعلى هذا يدل الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة (١) قوله (باب من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب) أى ولا عذاب لأن العذاب نتيجة الحساب فإذا لم يحاسب لا يعذب

وتحقيق التوحيد تخليصه وتصفيته من شوائب الشرك والبدع والمعاصى فلا يعمل شركا يحبطه ، ولا بدعة تقدر فيه ، ولا معصية تنقصه . وتحقيق التوحيد عزيز في الأمة لا يوجد إلا في أهل الإيمان الخالص الذين أخلصهم الله واصطفاهم من خلقه .

وما أحسن ما قال العلامة ابن القيم رحمه الله :

وحقيقة الإخلاص توحيد المراد	د فلا يراحمه مراد ثانى
لكن مراد العبد يبقى واحدا	ما فيه تفريق لدى الإنسان
إن كان ربك واحداً سبحانه	فاخصمه بالتوحيد مع إحسان
أو كان ربك واحداً أنشاك لم	يشركه إذا أنشاك رب ثانى
فكذلك أيضاً وحده فاعبده لا	تعبد سواه يا أخا العرفان
والصدق توحيد الإرادة وهو بذل	الجهد لا كسلا ولا متوانى
والسنة المثلى لسالكها فتو	حيد الطريق الأعظم السلطانى
فلو أحدكن واحداً فى واحد	أعنى سبيل الحق والإيمان
هذى ثلاث مسعدات للذى	قد نالها والفضل للمنان

ومعنى قوله فلو أحد أراد توحيد المراد بالإخلاص ، كن واحداً والمراد توحيد الإرادة بالصدق ، فى واحد وهو توحيد الطريق باتباع الحق - وقوله هذى ، ثلاث مسعدات يعنى أن هذه الثلاث هى أسباب السعادة لمن نالها ، والفضل للبنان جل وعلا الذى يمن بها على من يشاء من عباده

وقول الله تعالى ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾^(١)

قال شيخ الإسلام : دين الإسلام مبني على أصليين وهما : تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، أن لا تجعل مع الله إلهاً آخر فلا تحب مخلوقاً كما تحب الله ولا ترجوه كما ترجو الله ولا تخشاه كما تخشى الله ، فن سوي بين المخلوق والمخالق في شيء من ذلك فقد عدل بالله ، وهو من الذين هم بربهم يعدلون

والأصل الثاني أن يعبد به بما شرع على السنة رسله لا تعبد به إلا بواجب أو مستحب ، والمباح إذا قصد به الطاعة دخل في ذلك

(١) قوله : وقول الله تعالى ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ ، أثبت تعالى على خليله إبراهيم عليه السلام بهذه الصفات التي هي الغاية في تحقيق التوحيد ، الأولى أنه كان أمة ، أي قدرة وإماماً يقتدى به ومعلماً للخير . روى معناه عن ابن مسعود ، وقال مجاهد كان إبراهيم أمة أي مؤمناً وحده والناس كلهم كفار إذ ذاك . الثانية أنه كان قانتاً لله ، أي خاشعاً مطيعاً لربه دائماً على طاعته وعبادته ، قال شيخ الإسلام القنوت في اللغة دوام الطاعة والمصلحة إذا أطال قيامه وركوعه وسجوده فهو قانت ، قال تعالى ﴿ أَمِنْ هُوَ قَانِتٌ آتَاءَ اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِماً يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ﴾ الثالثة كونه حنيفاً أي مائلاً منحرفاً عن الشرك قصداً إلى التوحيد

قال ابن القيم رحمه الله : الحنيف المقبل على الله المعرض عما سواه . قال تعالى عن خليله إبراهيم ﴿ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾

وقال المصنف على قوله ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً ﴾ لئلا يستوحش سالك الطريق من قلة السالكين ﴿ قَانِتًا لِلَّهِ ﴾ لا للبلوك ولا للتجار المترفين ﴿ حَنِيفًا ﴾ لا يميل يميناً ولا شمالاً كفعل العلماء المفتوين ﴿ وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ خلافاً لمن كثر سوادهم وزعم أنه من المسلمين ، انتهى

وقال ﴿والذين هم بربهم لا يشركون﴾^(١)

عن حصين بن عبد الرحمن^(٢) قال : كنتُ عند سعيد بن جبير^(٣)

قال في قرة العيون : فقد فارق المشركين بالقلب واللسان والاركان وأنكر ما كانوا عليه من الشرك بالله في عبادته وكسر الأصنام وصبر على ما أصابه في ذات الله وهذا هو تحقيق التوحيد انتهى

قال في الشرح ومناسبة الآية للترجمة أن الله تعالى وصف إبراهيم عليه السلام بهذه الصفات الجليلة ترغيباً في اتباعه في التوحيد وتحقيق العبودية باتباع الأوامر واجتناب النواهي

(١) وقوله تعالى ﴿والذين هم بربهم لا يشركون﴾ هذا من جملة صفات المؤمنين المذكورين في قوله ﴿إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون﴾ أى مع إحسانهم وعملهم مصالح مشفقون من الله وجلون خائفون من مكره بهم كما قال الحسن البصرى : المؤمن من جمع إحساناً وشفقاً ، والمنافق من جمع إساءة وأماناً ، ثم قال ﴿والذين هم بآيات ربهم يؤمنون﴾ أى يؤمنون بآيات الله الكونية والشرعية . قال شيخ الإسلام : فالآيات الكونية هي التي استعاذ بها النبي ﷺ في قوله «أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن برئ ولا فاجر» والسكون كله داخل تحت هذه الكلمات . والكلمات الشرعية هي القرآن وشرح الله الذي بعث به رسوله وهى أمره ونهيهِ ، ثم قال ﴿والذين هم بربهم لا يشركون﴾ أى لا يعبدون مع الله غيره فأنتى عليهم بذلك الصفات التي أعظمها سلامتهم من الشرك أكبره وأصغره ، قاله المصنف رحمه الله تعالى . وهذا هو الشاهد من الآية للترجمة

(٢) قوله (عن حصين بن عبد الرحمن) السلى أبو الهزيل الكوفي ثقة من تابعي التابعين مات سنة ست وثلاثين ومائة وله ثلاث وتسعون سنة

(٣) قال (كنت عند سعيد بن جبير) الوالى الإمام الفقيه من جملة أصحاب ابن عباس كوفى مولى لبنى أسد قتل بين يدي الحجاج سنة خمس وتسعين ولم يكمل الحسين فما أمهله الله بعده (فقال) أى سعيد بن جبير (أيكم رأى الكوكب) أى الشهاب (الذى انتض الباردة) أى رعى به ، والبارحة يقال لليلة الماضية إذا =

فقال : أيكم رأى الكوكب الذى انقضَّ البارحة ؟ فقلت : أنا .
قلت : أما إنى لم أكن فى صلاة ولمكنى لدغت^(١) . قال : فما صنعت ؟
قلت : ارتقيت قال : فما حملك على ذلك ؟ قلت : حديث حدثناهُ
الشَّعْبِي ، قال : وما حدثكم ؟ قلت : حدثنا عن بُرَيْدَةَ بنِ الْحُصَيْبِ^(٢)
أنه قال : لا رُقِيَةَ إِلَّا مِنْ عَيْنٍ أَوْ حَمَةٍ . قال قد أحسن من انتهى
إلى ما سمع^(٣) . ولكن حدثنا ابنُ عباس عن النبي ﷺ أنه قال :

== زالت الشمس ، مشتقة من برح إذا زال ، وأما قبل الزوال فيقال الليلة (فقلت
أنا) : أى أنا رأيته (ثم قلت أما إنى لم أكن فى صلاة) قال ذلك لثلاث يظن أنه
قام يصلى فى ذلك الوقت فما أشد حذر السلف من الشرك . وفيه بعد السلف عن
مدح الإنسان بما ليس فيه ، قاله المصنف رحمه الله

(١) قوله (ولمكنى لدغت) أى لدغته عقر ب أو نحوها (قال فما صنعت
قلت ارتقيت) لفظ مسلم استرقيت أى طلبت من يرقينى (قال فما حملك على ذلك)
فيه طلب الحجة على صحة المذهب وأن من فعل شيئاً سئل عن مستنده فى فعله ومن
لم يكن معه حجة فرعية فلا عذر له فيما فعله (قلت حديث حدثناهُ الشعبي) وهو
عاصم بن شراحيل الهمداني يسكنون الميم الحيرى ولد فى خلافة عمر وهو من ثقات
التابعين وحفظهم وفنهم مات سنة ثلاث ومائة

(٢) قوله (وما حدثكم قلت حدثنا عن بريدة) بضم أوله وفتح ثانيه
نصغير بردة (بن الحصيب) بضم الحاء وفتح الصاد المهملة بن الحارث الأسلمى
حجابه شهر مات سنة ثلاث وستين ، قاله ابن سعد (أنه قال لا رُقِيَةَ إِلَّا مِنْ عَيْنٍ
أَوْ حَمَةٍ) هكذا روى موقوفاً وقد رواه أحمد وابن ماجه عنه مرفوعاً ورواه أحمد
وأبو داود والترمذى عن عمران بن حصين به موقوفاً . قال الهيثمى رجال أحمد
ثقات والعين هى إصابة العائن غيره بعينه ، والخمة بضم المهملة وتخفيف الميم سم
العقرب وشبهها ، ومعنى الحديث لا رُقِيَةَ أَشْيَ وَأولى من رُقِيَةَ العين والخمة ، قال
الخطابى : وفيه الرخصة فى الرُقِيَةِ من العين والخمة . قاله المصنف رحمه الله تعالى
(٣) قوله (قال : قد أحسن من انتهى إلى ما سمع) أى من أخذ بما بلغه ==

«عُرِضَتْ عَلَى الْأَمَمِ ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ ، وَمَعَهُ الرَّهْطُ^(١)» ، وَالنَّبِيُّ وَمَعَهُ
الرجل والرجلان ، وَالنَّبِيُّ وَلَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ^(٢) ، إِذْ رُفِعَ لِي سَوَادٌ
عَظِيمٌ^(٣) فَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ أُمَّتِي ، فَقِيلَ لِي : هَذَا مُوسَى وَقُوَّةُ^(٤) ، فَظَنَرْتُ
فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ ، فَقِيلَ لِي : هَذِهِ أُمَّتُكَ وَمَعَهُمْ سَبْعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ

== من العلم وعمل به فقد أحسن ، بخلاف من يعمل بجمل أو لا يعمل بما علم فإن
موسى آثم وفيه عقم علم السلف لقوله : قد أحسن من انتهى إلى ما سمع (ولكن
حدثنا ابن عباس فعلم أن الحديث الأول لا يخالف الثاني قاله المصنف رحمه الله .
وفيه فضيلة علم السلف وحسن أدبهم في تبليغ العلم وإرشاد من أخذ بشيء
من العلم إلى الأفضل . وابن عباس هو عبد الله بن عباس بن عبد المطالب الهاشمي
ابن عم النبي ﷺ حبر الأمة وترجمان القرآن ، دعا له النبي ﷺ فقال اللهم فقهه
في الدين وعلمه التأويل ، فكان آية في ذلك ، مات بالطائف سنة ثمان وستين .
(عن النبي ﷺ قال : عرضت على الأمم) في رواية الترمذي والنسائي من رواية
عبيد بن القاسم عن حصين بن عبد الرحمن أن ذلك كان ليلة الإسراء ولفظه : لما
أسرى بالنبي ﷺ جعل يمر بالنبي ومعه الرهط .

(١) قَوْلُهُ (فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّهْطُ) قَالَ النَّوَوِيُّ الرَّهْطُ الْجَمَاعَةُ دُونَ الْعَشْرَةِ
(٢) قَوْلُهُ (وَالنَّبِيُّ وَمَعَهُ الرَّجُلُ وَالرَّجُلَانِ ، وَالنَّبِيُّ وَلَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ) فِيهِ الرَّدُّ
عَلَى مَنْ اِحْتَجَّ بِالْكَثْرَةِ ، وَفِيهِ عَرْضُ الْأَمَمِ عَلَيْهِ - عَلَيْهِ السَّلَام - وَأَنْ كُلَّ أُمَّةٍ
تَحْشُرُ وَحْدَهَا مَعَ ذِيهَا وَقَلَّةٍ مِنْ اسْتِجَابِ لِلْأَنْبِيَاءِ وَأَنْ مَنْ لَمْ يَجِبْ أَحَدٌ يَأْتِي وَحْدَهُ
وَنُفْرَةً هَذَا الْعِلْمُ وَهُوَ عَدَمُ الْاِغْتِرَارِ بِالْكَثْرَةِ وَعَدَمُ الزَّهْدِ فِي الْقَلَّةِ قَالَهُ الْمَصْنَفُ
رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى

(٣) قَوْلُهُ (إِذْ رُفِعَ لِي سَوَادٌ عَظِيمٌ) وَالْمُرَادُ الْأَشْخَاصَ الَّتِي تَرَى فِي الْأَفَاقِ
لَا يَدْرِكُ مِنْهَا إِلَّا الصَّوْرَةُ

(٤) قَوْلُهُ (فَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ أُمَّتِي ، فَقِيلَ لِي هَذَا مُوسَى وَقُوَّةُ) . وَفِيهِ فَضِيلَةُ
أَصْحَابِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَام . قَالَهُ الْمَصْنَفُ رَحِمَهُ اللَّهُ

الجنة بغير حساب ولا عذاب^(١) . ثم نهض فدخل منزله ، فحاض الناس في أولئك^(٢) ، فقال بعضهم : فلعلمهم الذين صحبوا رسول الله ﷺ ، وقال بعضهم : فلعلمهم الذين ولدوا في الإسلام فلم يشركوا بالله شيئاً ، وذكروا أشياء . فخرج عليهم رسول الله ﷺ فأخبروه ،

قوله (ثم نظرت) وفي صحيح مسلم . د ولكن انظر إلى الأفق ، ولم يذكره المصنف فلعله سقط من الأصل الذي نقل الحديث منه والله أعلم .

(١) قوله (فنظرت فإذا سواء عظيم) وفي رواية قد سد الأفق ، (ففيل لي هذه أمثك ومعهم - أي من جملتهم - سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب) لتحقيق التوحيد . وهذا هو الشاهد من الحديث للترجمة ، وفي حديث أبي هريرة في الصحيحين وصفه السبعين ألفاً بأنهم تقوى وجوههم لإضاءة القمر ليلة البدر ، وفيهما عنه مرفوعاً ، أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر والذين على آفأهم كأحسن كوكب درى في السماء إضاءة ، وفي رواية أحمد والبيهقى في البعث ، فاستزدت وبى فزادنى مع كل ألف سبعون ألفاً ، قال الحافظ ابن حجر وعنده جيد

وفيه فضيلة هذه الأمة بالكمية والكيفية قال المصنف رحمه الله تعالى :
فالكيفية العدد والكيفية فضيلتهم هم

قوله (ثم نهض) أى قام النبي ﷺ (فدخل منزله)

(٢) قوله (فحاض الناس في أولئك) بالخاء والضاد المعجمتين أى في الأعمال التى اقتضت دخولهم الجنة بلا حساب ولا عذاب (فقال بعضهم فلعلمهم الذين صحبوا رسول الله ﷺ) لمزية الصحبة وفضلها (وقال بعضهم فلعلمهم الذين ولدوا في الإسلام فلم يشركوا بالله شيئاً وذكروا أشياء)

وفيه عمق علم الصحابة بمعرفتهم أنهم لم ينالوا ذلك إلا بعمل وحرصهم على الخير قاله المصنف رحمه الله تعالى

وفيه إباحة المناظرة في العلم والمباحثة في لصوص الشرع على جهة الاستفادة =

فقال « ثم الذين لا يَسْتَرْقُونَ^(١) ولا يَسْكَنُونَ^(٢) ولا يَنْطَيِّرُونَ^(٣) ،

= وإظهار الحق قاله النووي وفيه جواز الاجتهاد فيما لم يعلم فيه دليل لأنهم قالوا ما قالوا اجتهاداً منهم ولم ينكر ﷺ ذلك عليهم لكن المجتهد لا يجوز له أن يحزم بصواب قوله بل يقول لعل الحكم كذا وكذا كقول الصحابة قاله في قرعة العيون (١) قوله (خرج عليهم رسول الله ﷺ فأخبروه ، فقال : هم الذين لا يسترقون) هكذا أثبت في الصحيحين ، وكذا هو في حديث ابن مسعود ، وفي مسند أحمد . وفي رواية مسلم : « ولا يرقون » ، قال شيخ الإسلام : هذه الزيادة وهم من الراوى . لم يقل النبي ﷺ لا يرقون لأن الراقى محسن إلى أخيه وقدرى النبي ﷺ أصحابه ورقاه جبريل ، والفرق بين الراقى والمسترق أن المسترق سائل مستعطف ملتفت إلى غير الله بقلبه ، والراقى محسن وإنما المراد وصف السبعين الآلاف بتمام التوكل فلا يسألون غيرهم أن يرقهم ولا يكويهم استسلاماً للقضاء وتلذذاً بالبلاء .

(٢) قوله (ولا يسكنون) أعم من أن يسألوا ذلك ، ويفعل ذلك باختيارهم قاله في فتح المجيد وأما السكنى في نفسه فجاز لما في الصحيح عن جابر بن عبد الله أن النبي ﷺ بعث إلى أبي بن كعب طبيباً فقطع له عرقاً وكواه ، وفي صحيح البخارى عن أنس رضى الله عنه أنه كوى من فات الجنب ، والنبي ﷺ حى ، وروى الترمذى وغيره عن أنس أن النبي ﷺ كوى أسعد بن زرارة من الشوكة . وفي صحيح البخارى عن ابن عباس : مرفوعاً « الشفاء في ثلاث : شربة عسل ، وشرطة محجم ، وكية نار . وأنا أنهى عن الكى » ، وفي لفظه ما أحب أن أكتوى ، قال ابن القيم رحمه الله تعالى : تضمنت أحاديث السكنى أربعة أنواع : أحدها فعله ، الثانى عدم محبته له ، الثالث الثناء على من تركه ، الرابع النهى عنه . ولا تعارض بينها بحمد الله ، فإن فعله يدل على جوازه وعدم محبته لا يدل على المنع منه ، وأما الثناء على من تركه فيدل على أن تركه أفضل ، وأما النهى عنه فعلى سبيل الاختيار والكرامة انتهى

(٣) قوله (ولا يتطيرون) أى لا يتشاءمون بالطيور ونحوها وسيأتى الكلام على الطيرة في بابها إن شاء الله تعالى

(١) قوله (وعلى ربهم يتوكلون) أى يعتمدون فى أمورهم . وفيه معرفة مراتب الناس فى التوحيد وما معنى تحقيقه وأن ترك الرقية والسحر من تحقيق التوحيد وأن الجامع لتلك الخصال هو التوكل . قاله المصنف رحمه الله تعالى . ولا يدل الحديث على ترك مباشرة الأسباب فإن مباشرة الأسباب فى الجملة أمر فطرى ضرورى لا انفكاك لأحد عنه . بل نفس التوكل مباشرة لأعظم الأسباب فإنه سبب لوقاية الله وكفايته كما قال تعالى : ﴿ ومن يتوكل على الله فهو حسبه ﴾ أى كافيهِ ، وإنما يدل على أنهم يتركون الأسباب المكروهة مع حاجتهم إليها توكل على الله ، وأما مباشرة الأسباب والتداوى على وجه لا كراهة فيه فغير قاذح فى التوكل لما فى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه مرفوعاً : ما أنزل الله من داء إلا أنزل له شفاء علمه من علمه وجهله من جهله ، وعن أسامة بن شريك قال : كنت عند النبي ﷺ وجاءت الأعراب فقالوا : يا رسول الله أنتدأوى ؟ قال : نعم يا عباد الله ، تداؤوا فإن الله عز وجل لم يضع داء إلا وضع له شفاء غير داء واحد ، قالوا : وما هو ؟ قال : داء الهرم ، رواه أحمد . قال ابن القيم رحمه الله تعالى : وقد تضمنت هذه الأحاديث لإثبات الأسباب والمسببات وإبطال قول من أنكرها والأمر بالتداوى وأنه لا ينافى التوكل كما لا ينافى دفع ألم الجوع والعطش والحر والبرد بأضدادها ، بل لا تتم حقيقة التوكل إلا بمباشرة الأسباب التى نصبها الله مقتضية لمسيباتها قدراً وشرعاً وأن تعطيلها بقدرح فى نفس التوكل كما يقدرح فى الأمر والحكمة ويضعفه فى حيث يظن معطلها أن تركها أقوى فى التوكل فإن تركها عجز ينافى التوكل الذى هو اعتماد القلب على الله فى حصول ما ينفع العبد فى دينه ودنياه ودفع ما يضره فى دينه ودنياه ، ولا بد مع هذا الاعتماد من مباشرة الأسباب وإلا كان معطلاً للحكمة والشرع فلا يجعل العبد عجزه توكلاً ولا توكله عجزاً ، وقد اختلف العلماء فى التداوى هل هو مباح وتركه أفضل ، أو مستحب ، أو واجب . فالمشهور عن أحمد الأول لهذا الحديث وما فى معناه ، والمشهور عن الشافعى الثانى حتى ذكر النووى فى شرح مسلم أنه مذهبهم ومذهب جمهور السلف وعامة الخلف ، واختاره الوزير أبو المظفر بن هبيرة قال : ومذهب أبى حنيفة أنه مؤكد حتى يدانى به الوجوب ، قال ومذهب مالك أنه يستوى فعله وتركه فإنه =

فقام عكاشة^(١) بن محصن فقال : ادعُ الله أن يجعلني منهم^(٢) . قال
« أنتَ منهم » . ثم قام رجل آخر فقال : ادعُ الله أن يجعلني منهم ،
فقال سبقك بها عكاشة^(٣) »

== قال : لا بأس بالتداوى ولا بأس بتركه ، وقال شيخ الإسلام : ليس بواجب
عند جماهير العلماء وإنما أوجبه طائفة قليلة من أصحاب الشافعي وأحمد .

(١) قوله (فقام عكاشة) بضم العين وتشديد الكاف ويجوز تخفيفها (ابن
محسن) بكسر الميم وسكون الحاء وفتح الصاد المهملتين ، الأسدي من بني أسد بن
خزيمة كان من السابقين إلى الإسلام هاجر وشهد بدرا وقاتل فيها قال ابن القيم
انقطع يوم بدر سيف عكاشة بن محسن فأعطاه النبي ﷺ جذلا من حطب فقال :
دونك هذا ، فلما أخذه عكاشة وهزه عاد في يده سيفاً طويلاً شديداً أبيض فلم يزل
عنده يقاتل به حتى قتل في الردة أيام أبي بكر . قال ابن إسحق : وبلغني أن النبي ﷺ
قال : خير فارس في العرب عكاشة بن محسن ، استشهد في قتال الردة مع خالد بن
الوليد بيد طليحة الأسدي سنة اثنتي عشرة ثم أسلم طليحة بعد ذلك ، جاهد الفرس
يوم القادسية مع سعد بن أبي وقاص واستشهد في وقعة الجسر المشهورة .

(٢) قوله (فقال يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم) أى من السبعين
الآلف . وفيه طلب الدعاء من أهل الصلاح ، وأن النبي ﷺ لا يملك لأحد نفعاً
ولا ضرراً إلا بالدعاء (فقال أنتَ منهم) وفي رواية البخاري فقال : اللهم اجعله
منهم ، وكذلك في حديث أبي هريرة عند البخاري مثله ، وفي بعض الروايات : أمنهم
أنا يا رسول الله قال : نعم ، قال الحافظ ابن حجر ويجمع بين الأحاديث بأنه
سأل الدعاء أولاً فدعاه له ، ثم استفهم هل أجيب فأخبره .

وقوله : (أنتَ منهم) علم من أعلام النبوة . وفيه فضيلة عكاشة ، قاله المصنف
رحمه الله

(٣) قوله (ثم قام رجل آخر فقال : ادع الله أن يجعلني منهم ؟ فقال :
سبقك بها عكاشة) . قال بعضهم أى سبقك إلى إحراز هذه الصفات ، أى التوكل
وما ذكر معه . وقال القرطبي لم يكن عند الثاني من الأحوال ما كان عند عكاشة ==

٤ - باب

الخوف من الشرك^(١)

== فلذا لم يجبه إذ لو أجابه لجاز أن يطلب ذلك من كان حاضراً فيتسلسل الأمر فسد الباب بذلك . وفيه استعمال المعارض ، وحسن خلقه ﷺ ، قاله المصنف رحمه الله تعالى . أورد المصنف هذا الحديث غير معزو ، وقد رواه البخاري مختصراً ومطولاً ، ومسلم واللفظ له وللترمذي والنسائي

(١) قوله (باب الخوف من الشرك) لما كان الشرك أعظم الذنوب عند الله لانه هضم لجناب الربوبية وتنقص للإلهية وسوء ظن برب العالمين سبحانه ، رتب عليه من عقوبات الدنيا والآخرة ما لم يرتب على ذنب سواه من إباحة دماء أهله وأموالهم وسبي نسائهم وأولادهم وعدم مغفرته من بين الذنوب إلا بالتوبة منه والإفلاع عنه ، فنية المصنف رحمه الله بهذه الترجمة على أنه ينبغي للدوحد أن يخاف منه ويحذره ويعرف أسبابه ووسائله وأنواعه لئلا يقع فيه وهو لا يشعر ، ولذا قال حذيفة بن اليمان : كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن أقع فيه . رواه البخاري لأن من لا يعرف الشر إما أن يقع فيه وإما أن لا ينكره ، ولهذا قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : إنما تنقض عرى الإسلام عروة عروة إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية . قال شيخ الإسلام : وهو كما قال عمر . فإن كمال الإسلام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتتمام ذلك الجهاد في سبيل الله . ومن نشأ في المعروف فلم يعرف غيره فقد لا يكون عنده من العلم بالمنكر وضرره ما عند من علمه ، ولا يكون عنده من الجهاد لأهله ما عند الخبير بهم ، ولهذا كان الصحابة أعظم إيماناً وجهاداً من بعدهم لكمال معرفتهم بالخير والشر وكال محبتهم للخير وبغضهم للشر انتهى ملخصاً . وقال أيضاً والمشركون الذين وصفهم الله بالشرك أصلهم صنفان : قوم نوح وقوم إبراهيم ، فقوم نوح أصل شركهم العكوف على قبور الصالحين ثم صوروا تماثيلهم ثم عبدوهم . وقوم إبراهيم كان أصل شركهم عبادة الكواكب والشمس والقمر وكل من هؤلاء إنما يعبدون الجن وقد يعتقدون أنهم يعبدون الملائكة ، كما قال ==

وقول الله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾^(١). وقال الخليل عليه السلام ﴿وَاجْتَنِبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾^(٢). وفي الحديث : أَخْرَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكَ الشِّرْكَ

= تعالى ﴿وَيَوْمَ يُعْزِرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهْؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ؟ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيِّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ وَالْمَلَائِكَةَ لَا تَعْلَمُهُمْ عَلَى الشِّرْكَ وَلَا يَرْضُونَ بِذَلِكَ وَلَسَكِنَّ الشَّيَاطِينَ قَدْ تَعْلَمُهُمْ وَتَتَوَصَّرُ لَهُمْ فِي صُورِ الْآدَمِيِّينَ فَيَرُونَهُمْ بِأَعْيُنِهِمْ وَيَقُولُ أَحَدُهُمْ أَنَا إِبْرَاهِيمُ أَنَا الْمَسِيحُ أَنَا الْحَضَرُ. وَالْجِنَّ كَالْإِنْسِ مِنْهُمْ الْكَافِرُ وَمِنْهُمْ الْعَاسِقُ وَمِنْهُمْ الْعَاصِي وَفِيهِمُ الْعَابِدُ الْجَاهِلُ أَنْتَهَى

(١) قوله (وقول الله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾) أخبر تعالى أنه لا يغفر لعبد لقيه وهو مشرك به ، وهذا هو الشاهد من الآية للترجمة ويغفر ما دون ذلك أى ما دون الشرك من الذنوب لمن يشاء من عباده . وفي الآية رد على الخوارج المكفرين بالذنوب وعلى المعتزلة أصحاب المنزلة بين المنزلتين ، فإن الله جعل مغفرة ما دون الشرك من الذنوب معاقبة بالمشيئة . قال شيخ الإسلام : ولا يجوز أن يحمل هذا على التائب ، فإن التائب لا فرق في حقه بين الشرك وغيره ، كما قال تعالى ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذَّنُوبَ جَمِيعًا﴾ فهذا ععم وأطلق لأن المراد به التائب وهناك خص وعلق لأن المراد من لم يتب . انتهى

(٢) قوله (وقول الخليل عليه السلام ﴿وَاجْتَنِبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾) والصنم ما كان منحوتاً على صورة ، والوثن ما كان موضوعاً على غير ذلك ، ذكره الطبري عن مجاهد وقد يسمى الصنم وثناً لقوله ﴿لَمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا﴾ فالوثن أعم من الصنم والأصنام تسمى أوثاناً كما أن القبور التي تعبد من دون الله تسمى أوثاناً . قال النبي ﷺ : اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثْنًا يُعْبَدُ . . ومعنى قوله ﴿وَاجْتَنِبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ أى اجعلاني وبني في جانب عن عبادة الأصنام ، وباعد بيننا وبينها . فاشتد خوفه على نفسه وعلى بنيهِ لما رأى كثيراً من الناس قد افتتنوا بها ، ولذا قال (رب إنهم أضلن كثيراً من الناس) وفيه =

الأصغر ، فسُئِلَ عنه فقال « الرياء » ^(١) . وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « مَنْ مات وهو يدعو لله نِدَاءً دخلَ

= المسئلة العظيمة سؤال الخليل له ولبنيه وقاية عبادة الأصنام واعتباره بحال الأكثر لقرله (رب إني أضلن كثيراً من الناس) قاله المصنف رحمه الله ، وهذا مما يوجب الخوف من الشرك يكسر الأصنام بيده ويسأل الله أن ينجبه عبادتها . وهذا هو الشاهد من الآية للترجمة ، وقد استجاب الله دعاءه . وجعل بذه أنبياء وجنهم عبادة الأصنام . قال إبراهيم التيمي : ومن يأمن البلاء بعد إبراهيم والذي عافه إبراهيم عليه السلام قد وقع فيه أكثر الأمة بعد القرون المفضلة ، فبغيت المساجد والمشاهد على القبور لها العبادات والتذورات واتخذوا ذلك ديناً وهي أو ثلث كأصنام قوم نوح وأصنام العرب فمن تدبر القرآن ورزقه الله فهماً ونوراً عرف أحوال الخلق وما وقموا به من الشرك الذي بعث الله رسوله بالنبى عنه

(١) قوله (وفي الحديث : أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر ، قالوا : وما للشرك الأصغر ؟ قال : الرياء) هذا الحديث ذكره المصنف غير معرو ، وقد رواه الإمام أحمد والطبراني والبيهقي عن محمود بن لبيد أن رسول الله ﷺ قال : أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر ، قالوا : وما الشرك الأصغر ؟ قال : الرياء ، يقول الله تعالى يوم القيامة إذا جزي الناس بأعمالهم : « اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤن في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء ؟ » قال المنذرى ومحمود بن لبيد رأى النبي ﷺ ولم يصح له سماع فيما أرى ، وذكر ابن أبي حاتم أن البخاري قال : له صحبة ، ورجحه ابن عبد البر والحافظ ابن حجر ، وقد رواه الطبراني بأسانيد جيدة عن محمود بن لبيد عن رافع بن خديج مات محمود سنة ست وتسعين وقيل سنة سبع وتسعين وله تسع وتسعون سنة ، فإذا خاف النبي ﷺ الشرك على أصحابه الذين وحدوا الله وهاجروا وجاهدوا من كفر به وعرفوا ما أنزله الله في كتابه من الإخلاص والبراءة من الشرك فكيف لا يخافه من لا لبسة له بهم في علم ولا عمل ، وهذا هو الشاهد من الحديث للترجمة . وفيه : الخوف من الشرك وأن الرياء من الشرك وأنه من الشرك الأصغر وأنه أخوف ما يخاف منه على الصالحين ، قاله المصنف رحمه الله تعالى . وإذا كان الشرك الأصغر غفوا على الصحابة =

النار» رواه البخاري (١) . ولمسلم عن

== مع كال إيمانهم فينبغي لك أن تخاف من الأكبر مع ضعف الإيمان قاله في إبطال التنديد وقد أخبر النبي ﷺ عن وقوع الشرك الأكبر في أمته بقوله في حديث ثوبان : ولا تقوم الساعة حتى يلحق حي من أمي بالمشركين وحتى من أمي الاوثان ، وقد وقع ما أخبر به ﷺ وعمت به البلوى في أكثر الأمصار حتى اتخذوه ديناً ، فلا حول ولا قوة إلا بالله

(١) قوله (وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : من مات وهو يدعو من دون الله نداً دخل النار ، رواه البخاري) . قال ابن القيم رحمه الله تعالى : الند : الشبيه . يقال فلان ند فلان أى مثله وشبهه ، قال تعالى ﴿ فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون ﴾ أنه لا ند له . واعلم أن اتخاذ الند على قسمين : أكبر وأصغر فالشرك الأكبر بوجوب الخلود في النار ولا يغفر إلا بالتوبة منه فمن دعا ميتاً أو غائباً وأقبل إليه بوجهه وقلبه رغبة إليه ورغبة منه سواء سأل أو لم يسأله فهذا هو الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله . والأصغر كيسير الرياء ، وقول الرجل لصاحبه ما شاء الله وشئت ، وقوله مالى إلا الله وأنت ، ونحو ذلك . ولهذا لما قال رجل للنبي ﷺ : ما شاء الله وشئت قال : أ جعلتني لله نداً ؟ بل : ما شاء الله وحده ، رواه أحمد وابن أبي شيبة والبخاري في الأدب المفرد والنسائي وابن ماجه ، فهذا لا يكفر إلا برجحان ، السيئات بالحسنات انتهى

وقال ابن القيم في الكافية الشافية :

والشرك فأحذره فشرک ظاهر	ذا القسم ليس بقابل الغفران
وهو اتخاذ الند للرحمن أيا كان	من حجر ومن إسان
يدعوه أو يرجوه ثم يخافه	ويحبه كحبة الديان
والله ما ساووه بالله في	خلق ولا رزق ولا إحسان
لكنهم ساووه بالله في	حب وتعظيم وفي إيمان
جعلوا محبتهم مع الرحمن ما	جعلوا المحبة قط للرحمن
لو كان حبه لاجل الله ما	عادوا أحبته على الإيمان
ولما أحبوا سخطه وتجنبوا	محبوبه ومواقع الرضوان =

جابر^(١) رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « مَنْ لَقِيَ اللَّهَ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً دَخَلَ الْجَنَّةَ ، وَمَنْ لَقِيَهِ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً دَخَلَ النَّارَ » .

= شرط المحبة أن توافق من تحب على محبته بلا عصيان
فاذا ادعيت له المحبة مع خلافتك ما يجب فأنت ذو بهتان
أحب أعداء الحبيب وتدعى حباً له ما ذاك في إمكان
وكذا تعادى جاهداً أحبابه أين المحبة يا أبا الشيطان

(١) قوله (ولمسلم عن جابر) بن عبد الله بن حرام الأنصارى ثم السلى بفتحين صحابي ابن صحابي مكثر له ولأبيه مناقب مشهورة رضى الله عنهما ، مات بالمدينة بعد السبعين ، وقد كف بصره وله أربع وتسعون سنة (أن رسول الله ﷺ قال « مَنْ لَقِيَ اللَّهَ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً دَخَلَ الْجَنَّةَ ، وَمَنْ لَقِيَهِ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً دَخَلَ النَّارَ ») وهذا هو الشاهد من الحديث للترجمة . قال القرطبي : على قوله (من لقي الله) أى من لم يتخذ مع الله شريكاً فى الإلهية ولا فى الخلق ولا فى العبادة ، ومن المعلوم المجمع عليه عند أهل السنة أن من مات على ذلك فلا بد له من دخول الجنة وإن جرت عليه قبل ذلك أنواع من العذاب والمحنة ، وأن من مات على الشرك لا يدخل الجنة ولا يناله من الله رحمة ويخلد فى النار أبداً الآباد من غير انقطاع عذاب ولا تصرف آماد وهذا معلوم ضرورة من الدين يجمع عليه بين المسلمين انتهى . وقال النووى : أما دخول المشرك النار فهو على عمومته فيدخلها ويخلد فيها ولا فرق بين الكتابى اليهودى والنصرانى وبين عبدة الأوثان وسائر الكفار ولا فرق عند أهل الحق بين الكافر عنادا وغيره ، ولا بين من خالف ملة الإسلام وبين من انتسب إليها ثم حكم بكفره بجهده وغير ذلك . وأما دخول من مات غير مشرك الجنة فهو مقطوع به ، لكن إن لم يكن صاحب كبيرة مات مصرأ عليها فهو تحت المشيئة فإن عفى عنه دخل الجنة أو لا وإلا عذب ثم أخرج فيدخل الجنة . وقال غيره : قوله (من لقي الله لا يشرك به شيئا) اقتصر على نفي الشرك لاستدعائه التوحيد بالاقتضاء والرسالة بالزوم ، إذ من كذب رسل الله فقد كذب الله ، ومن كذب الله فهو مشرك . وهو كقولك من توفضاً صحت صلاته أى مع سائر الظروف فالمراد من مات حال كونه مؤمناً بجميع ما يجب الإيمان به إجمالاً فى الإجمالى =

٥ - باب

الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله^(١)

وقول الله تعالى ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ ﴾
الآية^(٢) عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ لما بعث

== وتفصيلا في التفصيل انتهى . وفيه قرب الجنة والنار والجمع بين قربهما في حديث واحد ، وأنه من لقيه لا يشرك به شيئا دخل الجنة ، ومن لقيه يشرك به شيئا دخل النار ولو كان من أعبد الناس . وفيه تفسير لا إله إلا الله كما ذكره البخارى ، وفضيلة من سلم من الشرك ، قاله المصنف رحمه الله تعالى .

(١) قوله (باب الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله) لما ذكر المصنف التوحيد وفضله وثواب من حققه وما يوجب الخوف من ضده وهو الشرك ، ذكر في هذه الترجمة أنه لا ينبغي لمن عرف ذلك أن يقتصر على نفسه بل يجب عليه أن يدعو الى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة كما هو سبيل المرسلين وأتباعهم كما قال الحسن البصرى لما تلى قوله تعالى ﴿ ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال إننى من المسلمين ﴾ فقال: هذا حبيب الله هذا ولي الله ، هذا صفوة الله ، هذا خيرة الله ، هذا أحب أهل الارض الى الله ، أجاب الله في دعوته ، ودعا الناس الى ما أجاب الله فيه من دعوته وعمل صالحا في إجابته ﴿ وقال إننى من المسلمين ﴾ هذا خليفة الله

(٢) قوله (وقول الله تعالى ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَمَّا وَمَنِ اتَّبَعْنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾) قال ابن جرير : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ : قل يا محمد هذه الدعوة التى أدعو إليها والطريقة التى أنا عليها من الدعاء إلى توحيد الله وإخلاص العباد له دون الآلهة والأوثان والانتهاى إلى طاعته وترك معصيته ، سبيل وطريقى ودعوتى أدعو إلى الله وحده لا شريك له على بصيرة بذلك ويقين علم منى به أنا ويدعو اليه على بصيرة أيضا من اتبعنى وصدقنى وآمن بى . قلت وهذا هو الشاهد من الآية للترجمة ، وسبحان الله . قال ابن جرير : يقول تعالى ذكره : (وقُلْ) - تنزيها لله تعالى وتعظيما له من أن يكون له شريك فى ملكه أو معبود سواه فى سلطانه - ﴿ وما أنا من المشركين ﴾ ==

مُعَاذًا إِلَى الْيَمِينِ^(١) قَالَ ٤

== يقول أنابرى من أهل الشرك به لست منهم ولا هم منى انتهى . قال ابن القيم رحمه الله تعالى : البصيرة التي تكون نسبة المعلوم فيها إلى القلب كنسبة المرتى إلى البصر هي الخصيصة التي اختص بها الصحابة عن سائر الامة وهي أعلى درجات العلماء ، قال الله تعالى (قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني) أى أنا واتباعى على بصيره . وقيل من اتبعني : عطف على المرفوع فى أدعو ، أى أنا أدعو إلى الله على بصيرة ومن اتبعني كذلك يدعو الى الله على بصيرة وعلى القولين ، فالآية تدل على أن أتباعه هم أهل البصائر الداعون إلى الله تعالى على بصيرة ، ومن ليس منهم فليس من أتباعه على الحقيقة والموافقة وإن كان من أتباعه على الانتساب والدعوى . وفيه أن الدعوة الى الله طريق من اتبع رسول الله ﷺ والتنبيه على الإخلاص لأن كثيراً لو دعا إلى الحق فهو يدعو إلى نفسه ، وأن البصيرة من الفرائض وأن من دلائل حسن التوحيد أنه تنزيهه عن المسبة وإن من قبح الشرك كونه مسبة لله وفيه - وهي أهمها - إبعاد المسلم عن المشركين لا يصير منهم ولو لم يشرك قاله المصنف رحمه الله . وقال ابن القيم على قوله (أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة) الآية ، ذكر سبحانه مراتب الدعوة وجعلها ثلاثة أقسام بحسب حال المدعو فإنه : إما أن يكون طالباً للحق محباً له مؤثراً له على غيره إذا عرفه ، فهذا يدعى بالحكمة ولا يحتاج إلى موعظة وجدال ، وإما أن يكون مشتغلاً بضد الحق لكن لو عرفه آثره واتبعه فهذا يحتاج إلى الموعظة بالترغيب والترهيب ، وإما أن يكون معانداً معارضاً فهذا يحتاج إلى الجلال إن أمكن انتهى .

(١) قوله (وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ لما بعث معاذاً إلى اليمن) قال الحافظ ابن حجر : كان بعث معاذ إلى اليمن سنة عشر قبل حج النبي ﷺ كما ذكره البخارى فى آخر المغازى . وقيل كان فى آخر سنة تسع عند منصرفه من تبوك ، وحكى ابن سعد أنه كان فى ربيع الاول سنة عشر ، واتفقوا على أنه لم يزل على اليمن إلى أن قدم فى عهد أبى بكر الصديق ثم توجه إلى الشام فات بها . واختلف هل كان والياً أو قاضياً ؟ فجزم ابن عبد البر بالثانى ، ==

« إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب »^(١) ، فليكن أول ما تدعوهم إليه
شم _____ ادة أن لا إله إلا الله^(٢) .

== والنسائي بالاول . والظاهر انه كان واليا قاضيا قاله في الشرح . وقال شيخ الإسلام :
ومن فضائل معاذ رضي الله عنه أنه عليه السلام بعثه إلى الذين مبلغا عنه ومفقه ما ومعلما وحاكما .
(١) قوله (قال : « إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب ») قال القرطبي يعنى
من اليهود والنصارى ، لأنهم كانوا باليمن أكثر من مشركي العرب أو أغلب ، وإنما
نبهه على هذا ليتنبأ لمناظرتهم . قال الحافظ ابن حجر هو كالتوطئة للصيغة ليجمع
همته عليها . وفيه كشف العالم الشبهة عن المتعلم . قاله المصنف رحمه الله . وفيه أن
مخاطبة العالم ليست كمخاطبة الجاهل . والتنبيه على الاحتراز من الشبهة والحرص على
طلب العلم قاله في الشرح

(٢) قوله (فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله) بنصب
(أول) على أنه خبر يكن مقدما و (شهادة) اسمها مؤخرا ويجوز العكس . وهذا هو
الشاهد من الحديث للترجمة . قال في قررة العميون وكانوا يقولونها لسكنهم جهلوا
معناها الذي دلت عليه من إخلاص العبادة لله وحده وترك عبادة ما سواه ، فكان
قولهم (لا إله إلا الله) لا ينفعهم لجهلهم بمعنى هذه الكلمة العظيمة كحال أكثر
المتأخرين من هذه الأمة فإنهم كانوا يقولونها مع ما كانوا يفعلونه من الشرك
بعبادة الأموات والغائبين والطواغيت والمشاهد فيشبتون ما نفقته من الشرك
باعتمادهم وقولهم وفعلهم وينفون ما أثبتته من الإخلاص كذلك وظنوا أن معناها
القدرة على الاختراع تقليداً للمتكلمين من الأشاعرة وغيرهم . وأما قول المتكلمين إن
أول واجب معرفة الله بالنظر والاستدلال ، فذلك أمر فطرى فطر الله عليه عباده
ولهذا كان مفتتح دعوة الرسل أمهم إلى أفراد الله تعالى بالعبادة . ولما قالوا (إنا كفرنا
بما أرسلتم به ، وإنا لنفي شك بما تدعوننا إليه مريب) قالت الرسل (أفى الله شك)
فاطر السموات والأرض (قال ابن كثير وهو يحتمل وجهين أحدهما : أفى وجوده
شك فإن الفطر شهادة بوجوده ومجبولة على الإقرار به . والثاني : أفى لإلهيته
وتقرده بوجوب العبادة له شك) وهو الخالق لجميع الموجودات فلا يستحق
العبادة إلا هو وحده لا شريك له انتهى ملخصا . وهذا الاحتمال الثاني يتضمن
الاول قاله في قررة العميون

وفي رواية: إلى أن يُوحّدوا الله^(١)، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة^(٢)؛ فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ

(١) قوله (وفي رواية إلى أن يوحّدوا الله) ذكر هذه الرواية البخارى في التوحيد فأوردتها المصنف ليعين أن معنى شهادة أن لا إله إلا الله أن يوحّدوا الله بالعبادة وترك عبادة ما سواه وفي رواية د فاليكن أول ما ندعوه اليه عبادة الله ، وذلك هو الكفر بالطاغوت والإيمان بالله وفي رواية للبخارى فقال د أدعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله . قال في فتح المجيد : لا بد في شهادة أن لا إله إلا الله من سبعة شروط ، لا تنفع قائمها إلا باجتماعها . أحدها : العلم المنافي للجهل . الثانى : اليقين المنافي للشك . الثالث : القبول المنافي للرد . الرابع : الانقياد المنافي للترك . الخامس : الإخلاص المنافي للشرك . السادس : الصدق المنافي للكذب السابع : المحبة المنافية لصدّها . قال شيخ الإسلام : وقد علم بالاضطرار من دين الرسول ﷺ وانفقت عليه الأمة : أن أصل الإسلام وأول ما يؤمن به الخلق شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، فبذلك يصير الكافر مسلماً ، والعدو ولياً ، والمباح دمه معصوم الدم والمال . ثم إن كان ذلك من قلبه ، فقد دخل في الإيمان وإن قاله بلسانه دون قلبه فهو في ظاهر الإسلام دون باطن الإيمان . قال : وأما إذا لم يتكلم بها مع القدرة فهو كافر وباتفاق المسلمين باطناً وظاهراً عند سلف الأمة وأئمتها وجهامير العلماء انتهى . وفيه كون التوحيد أول واجب ، وأنه يبدّ به قبل كل شيء حتى الصلاة ، وأن معنى يوحّدوا الله معنى شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن الإنسان قد يكون من أهل الكتاب ، يعنى عالماً وهو لا يعرفها أو يعرفها ولا يعمل بها . والتنبيه على التعليم بالتدرّج والبداة بالآهم فالأهم ، قاله المصنف رحمه الله تعالى

(٢) قوله (فإن هم أطاعوك لذلك) أى شهدوا وانقادوا لذلك (فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة) فيه أن الصلاة أعظم =

من أغنيائهم قُتِرْدُ على فقرائهم^(١) فإن هم أطاعوك لذلك فإياك وكرائم أموالهم^(٢) ، واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب^(٣)

= واجب بعد الشهادتين . وفيه دليل على أن المشرك لا يطالب بفعل الصلاة إلا بعد الإسلام ، ولا يلزم من ذلك أن لا يكونوا مخاطبين بفروع الشريعة المأمور به والمنهى عنه . ويزاد في عذابهم بسببها في الآخرة ، وهذا قول الأكثرين ، قاله النووي . وفيه أن الوتر غير واجب لأن هذا كان آخر الأمر

(١) قوله (فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم) . فيه دليل على أن الزكاة أوجب الأركان بعد الصلاة وأن الإمام هو الذى يتولى قبضها وصرفها إما بنفسه أو نائبه ، وأنها تؤخذ من الأغنياء وتصرف إلى الفقراء ، وإنما خص النبي ﷺ الفقراء لأن حقهم أكد من حقوق بقية الأصناف الثمانية ، وأنه يسكنى إخراج الزكاة فى صنف واحد كما هو مذهب مالك وأحمد ، وأنه لا يجوز دفعها إلى غنى ولا إلا كافر غير المؤلف ، وأن الزكاة واجبة فى مال الصبي والمجنون كما هو قول الجمهور لعموم الحديث ، وأن الفقير إذا أفرد فى اللفظ تناول المسكين وبالعكس كظايره كما قرره شيخ الإسلام . وأن الفقير لا زكاة عليه ، وأن من ملك نصيباً لا يعطى من الزكاة من حيث أنه جمل المأخوذ منه غنيا وقابله بالفقير ، ومن ملك نصيباً فالزكاة مأخوذة منه فهو غنى

(٢) قوله (فإن هم أطاعوك لذلك فإياك وكرائم أموالهم) ينصب كرائم على التحذير جمع كريمة قال صاحب المطالع ، وهى الجامعة للسكرال الممكن فى حقها من غرارة ابن وجمال صورة وكثرة لحم وصوف ذكره النووي . وفيه النهى عن كرائم الأموال ، قاله المصنف رحمه الله تعالى

(٣) قوله (واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب) . أى احذر دعوة المظلوم واجعل بينك وبينها وقاية بالعدل وترك الظلم . وفيه التحذير من الظلم مطلقاً واتقاء دعوة المظلوم والإخبار بأنها لا تحجب قال المصنف رحمه الله : فعلى العامل أن لا يأخذ زيادة على الحق ولا يحابى بترك شيء منه

أخرجاه^(١) . ولهما عن سهل بن سعد^(٢) رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر «لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله

(١) قوله (أخرجاه) ، أى البخارى ومسلم واعلم أنه لم يذكر فى الحديث الصوم والحج فأشكك ذلك على كثير من العلماء . قال شيخ الإسلام : أجاب بعضهم أن بعض الرواة اختصر الحديث وليس كذلك ، فإن هذا طعن فى الرواة لأن ذلك إنما يقع فى الحديث الواحد مثل حديث وفد عبد القيس حيث ذكر بعضهم الصيام وبعضهم لم يذكره . فأما الحديثان المنفصلان فليس الأمر فيهما كذلك ولكن عن هذا جوابان : أحدهما أن ذلك بحسب نزول الفرائض ، وأول ما فرض الشهادتان ثم الصلاة فإنه أمر بالصلاة فى أول أوقات الوحى ، ولهذا لم يذكر وجوب الحج كعادة الأحاديث إنما جاء فى الأحاديث المتأخرة . الجواب الثانى أنه كان يذكر فى كل مقام ما يناسبه فيذكر تارة الفرائض التى يقاقل عليها كالصلاة والزكاة ويذكر تارة الصلاة لمن لم يكن عليه زكاة ويذكر تارة الصلاة والزكاة والصوم فيما أن يكون قبل فرض الحج ، وإما أن يكون المخاطب بذلك لاحق عليه ، وأما الصلاة والزكاة فلهما شأن ليس لسائر الفرائض ، ولهذا ذكر الله تعالى فى كتابه القتال عليهما لأنهما عبادتان ظاهرتان بخلاف الصوم فإنه أمر باطن من جنس الوضوء والاعتسال من الجنابة ونحو ذلك مما يؤتمن عليه العبد ، فإن الإنسان يمكنه أن لا ينوى الصوم وأن يأكل سراً كما يمكنه أن يكتم حذمه وجنابته ، وهو ﷺ يذكر فى الأعمال الظاهرة التى يقاقل الناس عليها ويصيرون مسلمين بفعلها فلماذا علق ذلك بالصلاة والزكاة دون الصوم ولأنه كان واجبا ، كما فى آيتى براءة نزلت بعد فرض الصيام باتفاق الناس ، وكذلك لما بعث معاذاً إلى اليمن لم يذكر فى حديثه الصوم لأنه تبع وهو باطن ولا ذكر الحج لأن وجوبه خاص ليس بعام ولا يجب فى العمر إلا مرة . انتهى بمعناه ، قاله فى فتح المجد

(٢) قوله (ولهما) - أى البخارى ومسلم - عن سهل بن سعد (بن مالك بن خالد الأنصارى الخزرجى (الساعدى) أبى العباس صحابى شهير وأبوه صحابى أيضاً ، مات سنة ثمان وثمانين وقد جاوز المائة) أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر : «لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح»

وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ (١)

== الله على يديه ، فبات الناس يدعون ليطلبهم أيهم يعطاها فلما أصبحوا غدوا على رسول الله ﷺ كلهم يرجون أن يعطاها فقال : أين على بن أبي طالب ، فقيل هو يشتكي عينيه ، فأرسلوا إليه فأتى به فبصق في عينيه ودعا له فبرأ ، كأن لم يكن به وجع ، فأعطاه الراية وقال : انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه فوالله لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم . . يدعون أي يخوضون وفي الصحيحين عن سلمة من الأكواع قال : كان على رضى الله عنه قد تخلف عن النبي ﷺ يوم خيبر فقال : أنا أنخلف عن رسول الله ﷺ فخرج فلحق بالنبي ﷺ فلما كان مساء الليلة التي فتحها الله عز وجل في صباحها قال النبي ﷺ : لا عطين الراية - أو ليأخذ الراية - غدأ رجل يحب الله ورسوله - أو قال - يحبه الله ورسوله ، يفتح الله على يديه ، فإذا نحن بعلى وما نرجوه فقالوا : هذا على فأعطاه رسول الله ﷺ الراية ففتح الله عليه . والراية بمعنى اللواء وهو العلم الذى يحمل فى الحرب يعرف به موضع صاحب الجيش وقد يحمله أمير الجيش وقد يدفعه لمقدم العسكر . وقد صرح جماعة من أهل اللغة بترادفهما لكن روى الإمام أحمد والترمذى من حديث ابن عباس : كانت راية رسول الله ﷺ سوداء ولواؤه أبيض ومثله عند الطبراني عن بريدة وعند ابن عدى عن أبي هريرة رضى الله عنه ، وزاد : مكتوب فيه لا إله إلا الله محمد رسول الله ، وهو ظاهر فى التباير وأهل التفرقة بينهما عرقية قاله فى الشرح

(١) قوله (يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله) فيه فضيلة على رضى الله عنه قاله المصنف . وقال شيخ الإسلام ليس هذا الوصف مختصا بعلى ولا بالائمة فان الله ورسوله يحب كل مؤمن تقى يحب الله ورسوله ، ولكن هذا الحديث من أحسن ما يحتاج به على النواصب الذين لا يتولونه أو يكفرونه أو يفسقونه كالخوارج ، لكن هذا الاحتجاج لا يتم على قول الرافضة الذين يجعلون النصوص الدالة على فضائل الصحابة كانت قبل ردتهم فإن الخوارج تقول فى على مثل ذلك لكن هذا باطل فان الله ورسوله لا يطلق مثل هذا المدح على من يعلم الله أنه ==

يُفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ» ^(١) فَبَاتَ النَّاسُ يُدْوِكُونَ لِيَلْتَمَهُمْ ^(٢) أَهْلُهُمْ
يُعْطَاهَا ^(٣) ، فَلَمَّا أَصْبَحُوا غَدَوْا ^(٤) عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، كَلَّمَهُمْ يَرْجُو
أَنْ يُعْطَاهَا ، فَقَالَ « أَيْنَ عَلَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ ^(٥) ؟ » فَقِيلَ : هُوَ يَشْتَكِي

= يموت كافراً . فَإِنْ قِيلَ إِذَا كَانَ هَذَا لَيْسَ مِنْ خَصَائِصٍ عَلَى فَلَمْ تَمْنِ بِبَعْضِ الصَّحَابَةِ
أَنْ يَكُونَ لَهُ ذَلِكَ ؟ أَجَابَ شَيْخُ الْإِسْلَامُ بِأَنَّهُ إِذَا شَهِدَ النَّبِيُّ ﷺ لِمَعِينٍ بِشَهَادَةٍ أَوْ
دَعَا لَهُ بِدَعَاءٍ أَحَبَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ أَنْ يَكُونَ لَهُ مِثْلُ تِلْكَ الشَّهَادَةِ ، وَمِثْلُ ذَلِكَ
الدَّعَاءِ . وَإِنْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَشْهَدُ بِذَلِكَ لَخَلْقٍ كَثِيرٍ وَيَدْعُو لَخَلْقٍ كَثِيرٍ وَهَذَا كَالشَّهَادَةِ
بِالْجَنَّةِ لِثَابِتِ بْنِ قَيْسٍ وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ ، وَإِنْ كَانَ قَدْ شَهِدَ بِالْجَنَّةِ لِآخَرِينَ ،
وَالشَّهَادَةُ بِمَحَبَّةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ الَّذِي ضَرَبَ فِي الْحَرِّ ، وَكَانَ تَمَيُّزُهُ لَذَلِكَ الْمَعِينِ مِنْ
أَعْظَمِ فَضَائِلِهِ وَمُنَاقِبِهِ . وَفِيهِ إِثْبَاتُ الْمَحَبَّةِ خِلَافاً لِلْجَهْمِيَّةِ وَمَنْ أَخَذَ عَنْهُمْ
(١) قَوْلُهُ (يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ) صَرِيحٌ فِي الْبَشَارَةِ بِمَحْصُولِ الْفَتْحِ فَهُوَ عِلْمٌ مِنْ
أَعْلَامِ النُّبُوَّةِ

(٢) قَوْلُهُ (فَبَاتَ النَّاسُ يُدْوِكُونَ لِيَلْتَمَهُمْ) بِنَصْبِ لَيْلَةٍ ، وَيَدْوِكُونَ قَالَ
الْمُصَنِّفُ : يَخَوْضُونَ . أَيْ فَيَمْنُ يَدْفَعُهَا إِلَيْهِ . وَفِيهِ : حَرَصَ الصَّحَابَةُ عَلَى الْخَيْرِ
وِاهْتِمَامُهُمْ بِهِ وَعُلُوُّ مَرْتَبَتِهِمْ فِي الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ . وَفِيهِ : فَضَّلَ الصَّحَابَةُ فِي دَوْكِهِمْ
تِلْكَ اللَّيْلَةَ وَشَغْلَهُمْ عَنْ بَشَارَةِ الْفَتْحِ ، قَالَ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ
(٣) قَوْلُهُ (أَهْلُهُمْ يُعْطَاهَا) هُوَ بَرَفَعِ أَيْ عَلَى الْبِنَاءِ لِإِضَافَتِهَا وَحَذْفِ صَدْرِ
صَلَتِهَا .

(٤) قَوْلُهُ (فَلَمَّا أَصْبَحُوا غَدَوْا) عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كَلَّمَهُمْ يَرْجُوا أَنْ يُعْطَاهَا
وَفِي رِوَايَةِ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ أَنَّ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : مَا أَحْبَبْتُ الْإِمَارَةَ
إِلَّا بِوَسْئِلَتِهِ

(٥) قَوْلُهُ (فَقَالَ أَيْنَ عَلَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ) فِيهِ سَوْالُ الْإِمَامِ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَتَفَقُّدِ
أَحْوَالِهِمْ وَشَهَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ لِعَلَى بِإِيمَانِهِ بَاطِنًا وَظَاهِرًا وَإِثْبَاتِ مَوَالَاتِهِ لِلَّهِ تَعَالَى
وَرَسُولِهِ وَوُجُوبِ مَوَالَاةِ الْمُؤْمِنِينَ لَهُ

عينه^(١)، فأرسلوا إليه فأثنى به فبصق في عينيه ودعا له^(٢)، فبرأ^(٣) كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية^(٤) فقال « انفذ على ريسك^(٥) حتى تنزل بساحتهم^(٦) ». ثم ادعهم إلى الإسلام^(٧) وأخبرهم بما يجب

(١) قوله (فبصق) هو يشتكي عينيه (أى من الرمد) (فأرسل اليه) مبنى للفاعل أى النبي ﷺ ويحتمل أن يكون مبنيًا لما لم يسم فاعله، وفي صحيح مسلم أن الذى جاء به سعد بن أبي وقاص، ولمسلم من طريق إياس بن سلمة بن الأكوع عن أبيه قال: فأرسلنى إلى على فجئت به أقوده أرمده

(٢) قوله (فبصق) بفتح الصاد أى تفل (في عينيه ودعا له)

(٣) قوله (فبرأ) - هو بفتح الراء والهمزة - أى عوفى في الحال عافية كاملة كأن لم يكن به وجع من رمد ولا ضعف بصر، وعند الطبرانى من حديث على: فأرمدت ولا صدعت منذ دفع النبي ﷺ إلى الراية. وفيه أن من أدلة التوحيد ما جرى على سيد المرسلين وسادات الأولياء من المشقة والجوع والوباء

وقوله (لأعطين الراية غداً) علم من أعلام النبوة، وتقله في عينيه علم من أعلامها أيضاً قاله المصنف

(٤) قوله (فأعطاه الراية) وفيه الإيمان بالقدر لحصولها، لمن لم يسع لها ومنعها عن سعى، قاله المصنف رحمه الله تعالى. وفيه: أن فعل الأسباب المباحة أو الواجبة أو المستحبة لا ينافى التوكل، قاله في فتح المجيد

(٥) قوله (وقال: انفذ على ريسك) بضم الفاء، أى امض، ورسلك بكسر الراء وسكون السين أى على رفئك أمره أن يسير اليهم على رفق من غير عجلة. وفيه الأدب في قوله: على ريسك، قاله المصنف رحمه الله

(٦) قوله (حتى تنزل بساحتهم) ساحتهم ما قرب من حصونهم

(٧) قوله (ثم ادعهم إلى الإسلام) بزيادة ثم كما وقع في حديث بريدة في صحيح مسلم، وذكرها يوم الابتداء بغير الدعوة إلى الإسلام، والصواب إسقاطها كما روى أبو داود وأبو عبيد في كتاب الأموال، وكما جاء مصرحاً بذلك في حديث ابن عباس الذى في الصحيحين المذكور أول الباب أن النبي ﷺ لما بعث معاذاً إلى =

عليهم من حق الله تعالى فيه ^(١) ، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً

== البين قال ، إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب فاليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله ، وهذا هو الشاهد من الحديث للترجمة . وهكذا ينبغي لأهل الإسلام أن يكون قصدهم بالجهد هداية الخلق إلى الإسلام والدخول فيه ، وينبغي لولاة الأمر أن يكون هذا معتمد ومراهم ونيتهم . وفيه الدعوة إلى الإسلام قبل القتال وأنه مشروع لمن دعوا قبل ذلك وقوتلوا ، قاله المصنف رحمه الله ، لكن إن كانوا قد بلغتهم الدعوة جاز قتالهم ابتداء لأن النبي ﷺ أغار على بني المصطلق وهم غادون ، قاله في فتح المجيد

قال شيخ الإسلام : والإسلام هو الاستسلام لله وهو الخضوع له والعبودية له ، كذا قال أهل اللغة ، وقال دين الإسلام الذي ارتضاه الله وبعث به رسله هو الاستسلام لله وحده فأصله في القلب والخضوع لله وحده بعبادته دون ما سواه فمن عبده وعبد معه إلهاً آخر لم يكن مسلماً ، ومن استكبر عن عبادته لم يكن مسلماً . وأما الإيمان فأصله تصديق القلب وإقراره ومعرفته فهو من باب قول القلب المتضمن عمل القلب انتهى

(١) قوله (وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه) ، أى في الإسلام كالصلاة والزكاة وغيرهما مما أمر الله به وشرعه من حقوق لا إله إلا الله . وفيه الدعوة بالحكمة لقوله أخبرهم بما يجب عليهم ومعرفة حق الله في الإسلام ، قاله المصنف رحمه الله . وهذا مما يدل على أن الأعمال من الإيمان خلافاً للأشاعة والمرجئة في قولهم أنه القول ، وزعموا أن الإيمان بمجرد التصديق . وفي حديث أبي هريرة رضى الله عنه ، فإذا فعلوا ذلك فقد عصموا منك دماءهم وأموالهم إلا بحقها . ولما قاتل أبو بكر الصديق مانعي الزكاة وهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، قال له عمر : كيف تقاتلهم وقد قال رسول الله ﷺ : أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها ، قال أبو بكر : إن الزكاة حق المال ، والله لو منعوني عناقاً كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها . فدل على أن التطق يكتمى الشهادة دليل العصمة لا أنه عصمة ، أو يقال هو العصمة لكن بشرط العمل

واحداً خيراً لك من حُرِّ النِّعم^(١) ، يَدُّوكون : أى يخوضون

٦ - باب

تفسير التوحيد ، وشهادة أن لا إله إلا الله^(٢)

وقول الله تعالى ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ
الْوَسِيلَةَ^(٣) أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ الآية ، وقوله ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ

(١) قوله (فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خيراً لك من حُرِّ النعم)
بضم الحاء وسكون الميم ، والنعم بفتح النون والعين المهملة وهى أنفس الاموال عند
العرب . وفيه الحلف على الفتيا وثواب من اهتدى على يديه رجل واحد ، قاله
المصنف رحمه الله تعالى . وفيه تشبيه أمور الآخرة بأموال الدنيا للتقريب إلى
الافهام وإلا فذرة من الآخرة خير من الدنيا وأمثالها ، قاله النووى

(٢) قوله باب (تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله) عطف الشهادة
على التوحيد من عطف الدال على المدلول ، لأن التوحيد هو مقتضى هذه الكلمة
العظيمة الذى دلت عليه

(٣) قوله (وقول الله تعالى ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ
الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ الآية)
أخبر تعالى فى هذه الآيات أن الذين يدعونهم من الملائكة والأنبياء والصالحين
لا يملكون كشف الضر عن دعاءهم - أى إزالته - بالسكينة ولا تحويله من مكان
إلى مكان ولا من صفة إلى صفة ، وتحويلاً : نسكرة نعم جميع أنواع التحويل ،
وأنهم ﴿يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾
والذى يدعوهم قد عكس الأمر وطلب منهم ما لا قدرة لهم عليه ، وهذا هو
الشاهد من الآية للترجمة . وروى البخارى عن ابن مسعود رضى الله عنه قال :
كان ناس من الإنس يعبدون ناساً من الجن فأسلم الجن وتمسك هؤلاء بدينهم .
وقال السدى عن أبى صالح عن ابن عباس قال : عيسى وأمه وعزير والشمس
والقمر . وقال مجاهد : عيسى وعزير والملائكة

وقومه إني براء بما تعبدون إلا الذى فطرنى ﴿ الآية (١) ﴾ وقوله ﴿ اتخذوا أجبازهم ورهبانهم أرباباً من دون الله ﴾ الآية (٢) ، وقوله :

== قال شيخ الإسلام : وهذه الأقوال كلها حق ، فإن الآية نعم كل من كان معبوده عابداً لله سواء كان من الملائكة أو من الجن أو البشر ، والسلف يذكرون فى تفسيرهم جفس المراد بالآية على نوع التمثيل كما يقول الترجمان لمن سأل عن معنى الحزب فيريه رغيفا فيقول هذا فالإشارة إلى نوعه لا إلى عينه ، وليس مرادهم بذلك تخصيص نوع دون نوع مع شمول الآية للنوعين ، فالآية خطاب لكل من دعا من دون الله مدعواً وذلك المدعو يبتغى إلى الله الوسيلة ويرجو رحمته ويخاف عذابه انتهى وفى هذه الآية الرد على من بدعو صالحاً ويقول أنا لا أشرك بالله شيئاً ، الشرك عبادة الأصنام

(١) قوله (وقول الله تعالى) ولما قال إبراهيم لأبيه وقومه إني براء بما تعبدون إلا الذى فطرنى فإنه سيهدى وجعلها كلمة باقية فى عقبه لعلمهم يرجعون) يخبر تعالى عن عبده ورسوله وخليله إبراهيم إمام الخفاء أنه تبرأ من أبيه وقومه فى عبادتهم الأوثان ، فقال : إني براء بما تعبدون إلا الذى فطرنى فعبء عن هذه الكلمة العظيمة لا إله إلا الله بمعناها الذى دلت عليه ووضعت له من البراءة من كل ما يعبد من دون الله كالسكواكب والأصنام والأوثان والانداد التى يعبدونها المشركون ، فعبء عن المنفى بها بقوله إني براء بما تعبدون ، وعبر عما أثبتته بقوله إلا الذى فطرنى ، فلم يستثن فى المعبودات إلا الذى فطره . وهذا هو الشاهد من الآية للترجمة

وقوله (فإنه سيهدى) لدينه

قوله (وجعلها) يعنى كلمة التوحيد لا إله إلا الله كلمة باقية فى عقبه أى فى ذريته ، قال قتادة : لا يزال فى ذريته من يعبد الله ويوحده اعلمهم يرجعون إليها ، وقال السدى : لعلمهم يتوبون ويرجعون إلى طاعة الله عز وجل

(٢) وقوله (تعالى) اتخذوا أجبازهم ورهبانهم أرباباً من دون الله ﴿ الآية ﴾ الأجباز : هم العلماء ، والرهبان : هم العباد ، أى اتخذوا علماءهم وعبادهم أرباباً من دون الله فى اتباعهم فى تحريم ما أحل الله ، وتحليل ما حرم . وهذه الآية قد فسرها رسول الله ﷺ لعدى بن حاتم ، وكان عدى من متنصرة العرب . فإن ==

(وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ) (١)

== العرب قبل مبعث النبي ﷺ منهم من تقصر ، ومنهم من تهود ، ومنهم من تمجس ، ومنهم من بقى على وثنيته ، فكان عدى من متصرة العرب ، ولما جاء مسليما دخل على رسول الله ﷺ فقرأ عليه هذه الآية ، قال : فقلت : إنهم لم يعبدوه . قال : بلا إنهم حرموا عليهم الحلال وحلوا لهم الحرام ، فاتبعوهم فذلك عبادتهم لإيام ، رواه أحمد والترمذى وحسنه ، قال السدى استنصحووا الرجال وبذوا كتاب الله وراء ظهورهم . قال شيخ الإسلام : وهؤلاء الذين اتخذوا أجبازهم وربانهم أربابا حيث أطاعوهم في تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله ، يكونون على وجهين ، أحدهما : أن يعلبوا أنهم بدلوا دين الله فيتبعونهم على هذا التبدل فيعتقدون تحليل ما حرم الله أو تحريم ما أحل الله اتباعا لرؤسائهم مع علمهم أنهم خالفوا دين الرسل فهذا كفر ، وقد جعله الله ورسوله شركا وإن لم يكونوا يصلون لهم ويسجدون لهم ، فكان من اتبع غيره في خلاف الدين مع علمه أنه خلاف الدين واعتقد ما قاله ذلك دون ما قاله الله ورسوله مشركا مثل هؤلاء . الثانى : أن يكون اعتقادهم وإيمانهم بتحريم الحرام وتحليل الحلال ثابتا لكنهم أطاعوهم في معصية الله كما يفعل المسلم ما يفعله من المعاصى التى يعتقد أنها معاصى فهؤلاء لهم حكم أمثالهم من أهل الذنوب كما قد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال : إنما الطاعة فى المعروف ، انتهى

قوله (والمسيح بن مريم) أى اتخذوه رباً بعبادتهم له من دون الله ، ولهذا قال تعالى (وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون) فيسمى الله طاعتهم فى معصيته عبادة لهم وسماهم أربابا . وهذا هو الشاهد من الآية للترجمة قال تعالى (ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً أيا أمركم بالكفر بعد إذ أنتم مسلمون ؟) وقد عظمت الفتنة بالشرك المنافى للتوحيد لما حدث الغلو فى الأموات وتعظيمهم بالعبادة حتى عاد المعروف منكراً والمنكر معروفاً والبدعة سنة والسنة بدعة ، نشأ على هذا الصغير وهم عليه الكبير ، كما جاء فى الحديث : بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء الذين يصلحون إذا فسد الناس - وفى رواية - يصلحون ما أفسد الناس ، (١) قوله تعالى (ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم) ==

الآية.

= كعب الله ، والذين آمنوا أشد حبا لله (الآية) الانداد : الامثال والنظراء :
قاله غير واحد من المفسرين قال العباد ابن كثير رحمه الله يذكر تعالى حال
المشركين به في الدنيا وما لهم في الدار الآخرة حيث جعلوا الله أندادا أى أمثالا
ونظراء يعبدونهم معه ويحبونهم كحبه وهو الله لا إله إلا هو ولا صنوه ولا
ند له ولا شريك له . وفي الصحيحين عن ابن مسعود رضى الله عنه قلت : يا رسول
الله أى الذنب أعظم ؟ قال : د أن تجعل لله نداً وهو خلقك ، قلت : ثم أى ؟
قال : د أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك ، الحديث

وقوله (يحبونهم كحب الله) قال شيخ الإسلام في قوله (يحبونهم كحب
الله) قولان أحدهما : أنهم يحبونهم كما يحبون الله فيكون قد أثبت لهم حبة
الله ، ولكنها حبة أشركوا فيها مع الله أندادهم . والثاني : أن المعنى يحبون
أندادهم كما يحب المؤمنون الله ، وهذا متناقض وهو باطل ، فان المشركين
لا يحبون الانداد مثل حبة المؤمنين الله . ثم بين تعالى أن حبة المؤمنين لله أشد
من حبة أصحاب الانداد لاندادهم وإنما ذموا بأن شركوا بين الله وبين أندادهم
في المحبة ولم يخلصوها لله كحبة المؤمنين له ، كما أخبر الله عنهم وهم في النار ، أنهم
يقولون لآلهتهم وأندادهم وهى محضرة معهم في العذاب : (تالله إن كنا لفي ضلال
مبين إذ نسويكم رب العالمين) ومعلوم أنهم ما سووهم به في الخلق والربوبية
ولأنما سووهم به في المحبة والتعظيم . وهذا هو الشاهد من الآية للترجمة . قال ابن
القيم في الكافية الشافية :

والله ما ساووه بالله في خلق ولا رزق ولا إحسان
لكنهم ساووه بالله في حب وتعظيم وفي إيمان
جعلوا محبتهم مع الرحمن ما جعلوا المحبة قط للرحمن

قوله (ولو يرى الذين ظلموا) والمراد بالظلم هنا الشرك كقوله (الذين
آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم)

وقوله (إذ يرون العذاب أن القوة لله جميعا) قال بعضهم تقدير الكلام لو
عابوا العذاب لعلموا حينئذ أن القوة لله جميعا أى أن الحكم له وحده لا شريك =

في الصحيح^(١) عن النبي ﷺ أنه قال « مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ^(٢) حَرَّمَ مَالُهُ وَدَمُهُ ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ

= له فان جميع الاشياء تحت قهره وغلبته وسلطانه وإن الله شديد العذاب ، كما قال تعالى (فيومئذ لا يعذب عذابه أحد ولا يوثق وثاقه أحد)

وقوله (إذ تبرا الذين اتبعوا من الذين اتبعوا) كما قال تعالى (وقال الذين حق عليهم القول - يعنى الشياطين والمردة والدعاة إلى الكفر - ربنا هؤلاء الذين أغوينا أغويناهم كما غوينا برأنا إليك ما كانوا إلبانا يعبدون) فشهدوا عليهم أنهم أغوهم ثم تبرأوا من عبادتهم

(١) قوله (في الصحيح) أى صحيح مسلم عن أبى مالك الأشجعى واسمه سعد بن طارق كوفي فقد مات في حدود الأربعين عن أبيه طارق بن أشيم بالمعجمة والمثناة التحتية وزن أحر ، ابن مسعود الأشجعى صحابى له أحاديث قال مسلم لم يرو عنه غير ابنه . (عن النبي ﷺ) أنه قال ، من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله عز وجل ، ورواه الإمام أحمد من طريق يزيد بن هرون ، قال : أخبرنا أبو مالك الأشجعى عن أبيه ، ورواه أحمد عن عبد الله بن إدريس قال : سمعت أبا مالك قال : قلت لأبى الحديث . ورواية الحديث بهذا اللفظ تفسر لا إله إلا الله

(٢) قوله (من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله) اعلم أن النبي ﷺ علق عصمة المال والدم في هذا الحديث بأمرين ، الأول : قول لا إله إلا الله عن علم ويقين كما هو قيد في قولها في غير ما حديث كما تقدم . الثاني : الكفر بما يعبد من دون الله ، فلم يكسف باللفظ المجرد عن المعنى بل لابد من قولها والعمل بها . وفيه معنى (فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها) قاله في فتح المجيد . وفيه أكبر المسائل وأهمها وهو تفسير التوحيد وتفسير الشهادة وبينها بأمور واضحة . منها آية الاسرى ، بين فيها الرد على المشركين الذين يدعون الصالحين ، ففيها بيان أن هذا هو الشرك الأكبر . ومنها آية براءة ، بين فيها أن أهل الكتاب اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من =

« عز وجل »

= دون الله وبين أنهم لم يؤمروا إلا ليعبدوا إلها واحداً مع أن تفسيرها الذى لا إشكال فيه طاعة العلماء والعباد فى المعصية لا دعائهم لإياهم . ومنها قول الخليل عليه السلام للكفار : (إننى براء بما تعبدون إلا الذى فطرنى) فاستثنى من المعبودين ربه ، وذكر سبحانه أن هذه البراءة وهذه الموالاتة هى تفسير شهادة أن لا إله إلا الله ، فقال : (وجعلها كلمة باقية فى عقبه لعلهم يرجعون) . ومنها آية الكفار الذين قال الله فيهم (وما هم بخارجين من النار) ذكر أنهم يحبون أندادهم كحب الله ، فدل على أنهم يحبون الله حبا عظيماً ولم يدخلهم فى الإسلام فكيف بمن أحب الند أكبر من حب الله فكيف بمن لم يحب إلا الند وحده ولم يجب الله . ومنها قوله ﷺ : من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله ، وهذا من أعظم ما يبين معنى لا إله إلا الله ، فانه لم يجعل التلفظ بها عاصماً للدم والمال ، بل ولا معرفة معناها مع لفظها ، بل ولا الإقرار بذلك ، بل ولا كونه لا يدعو إلا الله وحده لا شريك له ، بل لا يحرم ماله ودمه حتى يضيف إلى ذلك الكفر بما يعبد من دون الله فإن شك أو توقف لم يحرم ماله ودمه . فإياها من مشكلة ما أعظمها وأجلها ، وباله من بيان ما أوضحه وحجة ما أقطعها للنزاع قاله المصنف رحمه الله تعالى

قال شيخ الإسلام كل طائفة امتنعت عن بعض الصلوات المفروضات أو الزكاة أو الصيام أو الحج أو عن تحريم الدماء والأموال أو الخور أو الميسر أو نكاح ذوات المحارم أو عن التزام جهاد الكفار أو غير ذلك من واجبات الدين أو محرماته التى يكفر الواحد بمجردها تقاتل وإن كانت مقرة بها ، هذا عما لا أعلم فيه خلافاً بين العلماء وهؤلاء . عند المحققين ليسوا بمنزلة البغاة بل هم خارجون عن الإسلام ، انتهى ملخصاً . وقد أجمع العلماء على أن من قال لا إله إلا الله ولم يعتقد معناها ولم يعمل بمقتضاها أنه يقاتل حتى يعمل بما دلت عليه من النفي والإثبات . قال أبو سليمان الخطابي فى قوله : أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، معلوم أن المراد بهذا أهل عبادة الأوثان دون أهل الكتاب لأنهم يقولون لا إله إلا الله ثم يقاتلون ، ولا يرفع عنهم السيف وقال القاضى =

٧ - باب

مِنَ الشَّرِكِ لُبْسُ الْخَلْقَةِ وَالْخَيْطِ وَنَحْوَهُمَا لِرَفْعِ الْبَلَاءِ أَوْ
دفعه (١)

وقول الله تعالى ﴿ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ

== عياض : اختصاص عصمة المال والنفس بمن قال لا إله إلا الله تعبير عن الإجابة إلى الإيمان ، وأن المراد بذلك مشركو العرب من أهل الأوثان فأما غيرهم ممن يقر بالتوحيد فلا يسكتني في عصمته بقول لا إله إلا الله إذ كان يقولها في كفره ، انتهى ملخصا .

قوله (وحسابه على الله عز وجل) أى الله تعالى هو الذى يتولى حسابه فإن كان صادقا جازاه ببجئات النعم وإن كان منافقا عذبه بالعذاب الاليم . وأما فى الدنيا فالحكم على الظاهر

قوله (وشرح هذه الترجمة ما بعدها من الأبواب . وذلك أن ما بعدها من الأبواب فيه بيان التوحيد وما يوضح معنى لا إله إلا الله ، وبيان أشياء كثيرة من الشرك الأكبر والأصغر وما يوصل إلى ذلك من الغلو والبدع مما تركه من مضمون لا إله إلا الله ، فن عرف ذلك وتحققه تبين له معنى لا إله إلا الله وما دلت عليه من الإخلاص ونفى الشرك انتهى

(١) قوله باب (من الشرك لبس الخلقة والخيط ونحوهما) كالخرز والودع (لرفع البلاء) بعد نزوله (أو دفعه) قبل أن ينزل به ، فن تعلق قلبه بشئ من هذه الأمور فهذا شرك بالله ، لأنه سبحانه هو الذى يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ، لا إله غيره ، ومن هنا بدأ المصنف رحمه الله فى بيان ما وعد به فى قوله وشرح هذه الترجمة ما بعدها من الأبواب فذكر شيئا فإيضاد التوحيد من أنواع الشرك الأكبر وما ينا فى كاله من الشرك الأصغر وما يوصل إلى ذلك من الغلو والبدع مما تركه من مضمون لا إله إلا الله فبدأ بالشرك الأصغر الاعتقادى فقال :

أَرَادَنِي اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ مِنْهُ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ ^(١) ﴿الآية

عن عمران بن حصين رضي الله عنه أن النبي ﷺ رأى رجلاً في يده حلقة من صُفْرٍ فقال « ماهذه » ؟ قال : من الواهنة . فقال : « انزعها فإنها لا تزيدك إلا وهناً ، فإنك لو مُتَّ وهى عليك ما أَفْلَحْتَ أَب. _____ دأ ^(٢) »

(١) وقول الله تعالى (قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر) أى مرض أو فقر أو بلاء أو شدة (هل من كاشفات ضره) أى لا يستطيعون ذلك (قل حسبي الله) أى الله كافيني (عليه يتوكل المتوكلون) قال مقاتل فسالهم النبي ﷺ فسكتوا لأنهم لا يعتقدون ذلك فيها بل يعلمون أن القادر على ذلك هو الله وحده كما قال تعالى (ما يفتح الله الله الناس في رحمة فلا يمسك لها ، وما يمسك فلا يرسل له من بعده) وهذا شأن كل من يدعى من دون الله من الملائكة والأنبياء والصالحين لا يملك أحد منهم كشف ضر ولا إمساك رحمة فبطلت دعوتهم ودعوة غيرهم في الأصنام والآله أبطال لأنها جماد ولا تعقل شيئاً . ومن هذا القبيل لبس الحلقة والخيط ونحوهما ، لا تستطيع دفع البلاء ولا رفعه فاستدل المصنف رحمه الله تعالى بالآية التي نزلت في الشرك الأكبر على الأصغر ، كما فعل حذيفة لما رأى رجلاً في يده خيط من الحمى فقطعه ، وتلا قوله تعالى (وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون) . وهذا هو الشاهد من الآية للترجمة

(٢) قوله (وعن عمران بن حصين) بن عبيد بن خلف الخزاعي أبو نجيد ، بنون وجيم مصغر ، صحابي ابن صحابي ، أسلم عام خيبر ومات سنة اثنين وخمسين بالبصرة (أن النبي ﷺ رأى رجلاً في يده حلقة من صفر هو عمران بن حصين راوى الحديث ، كما رواه الحاكم قال : دخلت على رسول الله ﷺ وفي يدي (حلقة من صفر فقال ماهذه ؟) يحتمل أن يكون الاستفهام للاستفصال عن سبب لبسها ، ويحتمل أن يكون للإسكار وهو أظهر (قال من الواهنة) وهى عرق يأخذ =

رواه أحمد بسند لا بأس به^(١)، وله عن عُمَيَّة بن عامر رضى الله عنه

بالمشك وفي اليد كلها فيرقى منها، وقيل هو مرض يأخذ في العضد وربما علق عليها جنس من الخرز يقال له خرز الواهنة وهي تأخذ الرجال دون النساء (فقال النبي ﷺ انزعها) فأمره بنزعها. والنزع الجذب بقوة (فإنها لا تزيدك إلا وهناً) لأن المشرك يعامل بنقيض قصده (فإنك لو مت وهي عليك ما أفلحت أبداً) والفلاح الفوز والظفر والسعادة. أى ما فزت ولا ظفرت ولا سعدت. وفيه التغليظ في لبس الحلقة والخيط ونحوهما لمثل ذلك، وأن الصحابي لو مات وهي عليه ما أفلح أبداً. وفيه شاهد لكلام بعض الصحابة أن الشرك الأصغر أكبر من الكبائر، وأنه لم يعذر بالجهالة، وأنها لا تنفع في العاجل بل تضر، لقوله لا تزيدك إلا وهناً، والإنكار بالتغليظ على من فعل مثل ذلك والتصريح بأن من تعلق شيئاً وكل إليه، قاله المصنف رحمه الله

قلت: ومن هذا القبيل ما يسمى بالمعضد الذى يؤق به من الخارج ويلبس في الشمال عن الروماتزم. ومنه أيضاً الحلق الذى يتخذ من الذهب أو الفضة ويميل به أحد الزوجين الآخر ليلة الزفاف لثلاث تقع بينهما فرقة ويسمونه بالشبكة أو الدبلة. ومن التطعيم الذى يستعمل لبعض الأمراض كالجدري والكليxa وغيرهما لدفعها لا تقع فيجب النهى عن ذلك كله لأنه من أنواع الشرك الأصغر الاعتقادى وهو أكبر من الكبائر

(١) وقوله (رواه الإمام أحمد بسند لا بأس به) الإمام أحمد: وهو أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل إمام أهل عصره وأعلمهم بالفقه وأشدهم ورعاً ومتابعة للسنن، يقول في حقه بعض أهل السنة عن الدنيا ما كان أصبره، وبالماضين ما كان أشبهه، أتمته الدنيا فأباها، والشبه فنفاها. ولد ببغداد سنة أربع وستين ومائة في شهر ربيع الأول، وطلب العلم سنة وفاة مالك وهي سنة تسع وسبعين فسمع من هشيم وجرير بن عبد الحميد وسفيان بن عيينة ويحيى بن سعيد القطان ومحمد بن إدريس الشافعى ويزيد بن هرون وعبد الرزاق وعبد الرحمن بن مهدي وخلق لا يحصون بمسكة والبصرة والكوفة وبغداد واليمن وغيرها من البلاد، وروى عنه إبنه صالح وعبد الله، والبخارى ومسلم وأبو داود وإبراهيم الحارثي =

مرفوعا « من تعلق تيممة فلا أتم الله له ، ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له »^(١). وفي رواية « من تعلق تيممة فقد أشرك »^(٢) ولابن

= وأبو زرعة الرازي وأبو زرعة الدمشقي وابن أبي الدنيا وأبو بكر الأثرم وعثمان ابن سعيد الدارمي وأبو القاسم البغوي وهو آخر من حدث عنه ، وروى عنه من شيوخه عبد الرحمن بن مهدي والأسود بن عامر ، ومن أقرانه علي بن المديني ويحيى ابن معين . قال البخاري . مرض أحمد ليلتين خلطنا من ربيع الأول ومات يوم الجمعة لاثنى عشرة خلت منه . وقال حنبل مات يوم الجمعة في ربيع الأول سنة إحدى وأربعين ومائتين وله سبع وسبعون سنة . وقال ابن عبد الله بن الفضل بن زياد . مات ثاني عشر ربيع الآخر رحمه الله ورضي عنه

قوله (وله - أي الإمام أحمد - عن عقبة بن عامر وهو صحابي مشهور فقيه فاضل ، ولي إمارة مصر لمعاوية ثلاث سنين ومات قريبا في الستين .

(١) قوله (مرفوعا - أي إلى النبي ﷺ -) من تعلق تيممة فلا أتم الله له ، ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له ، (رواه أيضاً أبو يعلى والحاكم ، وقال صحيح الإسناد وأقره الذهبي

والتيممة جمعها تمام ، وهي خرزات كانت العرب تعلقها على أولادها يتقون بها العين على زعمهم

وقوله : (فلا أتم الله له) مقصوده : ومن تعلق ودعة ، بفتح الواو وسكون الدال المهملة قال في مسند الفردوس شيء يخرج من البحر يشبه الصدف يتقون به العين

قوله (فلا ودع الله له) أي لا جعله في دعة ولا سكون ، وقيل لا خفف الله عنه ما يجده ، ولا أمنه مما يخافه . وهذا دعاء عليه

(٢) قوله (وفي رواية : من تعلق تيممة فقد أشرك) رواه أحمد أيضا فقال : حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث ، حدثنا عبد العزيز بن مسلم ، حدثنا يزيد بن أبي منصور عن دجين الحجري عن عقبة بن عامر الجهني أن رسول الله ﷺ أقبل إليه رهط فبايع تسعة وأمسك عن واحد ، فقالوا يا رسول الله بايعت تسعة وأمسكت عن هذا ، فقال : إن عليه تيممة ، فأدخل يده فقطعها فبايعه . =

أبي حاتم عن حذيفة رضى الله عنه أنه رأى رجلاً في يده خيطٌ من الحمى فقطعه وتلا قوله تعالى ﴿ وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون ﴾ (١)

== وقال د من تعلق تيممة فقد أشرك ، ورواه الحاكم بنحوه ، ورواه ثقات (ولابن أبي حاتم) وهو الإمام أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي التيمي الحنظلي صاحب الجرح والتعديل والتفسير وغيرهما ، مات سنة سبع وعشرين وثلاثمائة . (عن حذيفة) بن اليمان واسمه حسيل بمهملتين مصغراً ويقال حسل بكسر ثم سكنون ، العيسى بالموحدة ، حليف الأوصار صحابي جليل من السابقين ، ويقال له صاحب السر ، وأبوه أيضاً صحابي . مات حذيفة في أول خلافة علي رضى الله عنه سنة ست وثلاثين

(١) قوله (أنه رأى رجلاً في يده خيط من الحمى) أى من أجل الحمى . وكان الجهال يعلقون التائم والخيط ونحوهما لدفع الحمى ، فروى وكيع عن حذيفة أنه دخل على مريض يعود فلبس عنقه فإذا فيه خيط ، فقال : ما هذا ؟ قال : شيء رقى لي فيه (فقطعه) حذيفة وقال : لو مت وهو عليك بما صيلت عليك . وفيه إنكار مثل هذا وإن كان يعتقد أنه سبب ، فالأسباب لا يجوز منها إلا ما أباحه الله ورسوله مع عدم الاعتماد عليها ، وأما التائم والخيط والحروز والطلاسم ونحو ذلك مما يعلقه الجهال فهو شرك يجب إنكاره وإزالته بالقول والفعل وإن لم يأذن فيه صاحبه (وتلى - حذيفة - قوله تعالى ﴿ وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون ﴾ . ففيه الاستدلال على الشرك الأصغر بما أنزل الله في الشرك الأكبر لشمول الآية له ودخوله في مسمى الشرك . وفيه التصريح بأن من تعلق تيممة فقد أشرك ، وأن تعليق الخيط عن الحمى من ذلك وتلاوة حذيفة الآية دليل على أن الصحابة يستدلون بالآيات التي في الشرك الأكبر على الأصغر ، كما ذكر ابن عباس في آية البقرة ، وأن تعليق الودع عن العين من ذلك ، والدعاء على من تعلق تيممة أن الله لا يتم له ، ومن تعلق ودعة فلا ودع الله له ، أى ترك له . قاله المصنف رحمه الله تعالى

٨ - باب

ما جاء في الرقي والتائم^(١)

في الصحيح عن أبي بشير الأنصاري^(٢) رضى الله عنه أنه كان مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره فأرسل رسولا أن لا يبقين^(٣) في رقبة بعير قلادة من وتر أو قلادة إلا قطعت^(٤). وعن ابن مسعود

(١) قوله (باب ما جاء في الرقي والتائم) أى من النهى عن التائم وما لا يجوز من الرقي

(٢) قوله (في الصحيح عن أبي بشير) بفتح الموحدة وكسر المعجمة ، (الأنصاري) واسمه قيس بن عبيد ، قاله ابن سعد ، وقال ابن عبد البر لا يوقف له على اسم صحيح وهو صحابي شهد الخندق ومات بعد الستين ، ويقال إنه جاوز المائة رضى الله عنه (أنه كان مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره) قال الحافظ ابن حجر لم أقف على تعيينه (فأرسل رسولا) هو زيد بن حارثة ، روى ذلك الحارث بن أبي أسامة في مسنده . قاله الحافظ ابن حجر

(٣) قوله (أن لا يبقين) بفتح الياء والقاف ويحتمل أن يكون بضم الياء المثناة وكسر القاف (في رقبة بعير قلادة من وتر) بفتحيتين واحد أوتار القوس . وكان أهل الجاهلية إذا اخولق الوتر أبدلوه بغيره وقلدوا به الدواب اعتقاداً منهم أنه يدفع عن الدابة العين ، فأمر النبي ﷺ بقطع الأوتار التي علقت على الإبل لما كان أهل الجاهلية يعتقدونه فيها

(٤) قوله (أو قلادة إلا قطعت) يحتمل أن ذلك شك من الراوى ، ولا بد داود ولا قلادة ، بغير شك ، فعلى هذه الرواية تكون د أو ، بمعنى الواو ، قال البغوى في شرح السنة : تأول مالك أمره عليه السلام بقطع القلائد على أنه من أجل العين ، وذلك أنهم كانوا يشدون تلك الأوتار والتائم والقلائد ويعلمون عليها العوذ يظنون أنها تعصمهم من الآفات فهانم النبي ﷺ عنها وأعلمهم أن الأوتار لا ترد من أمر الله شيئاً

=

رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « إن الرقي والتائم
والتولة شرك » رواه أحمد _____ د وأبو داود ^(١) .

== قلت : ومن هذا ما يفعله بعض الجهال من وضع رأس حمار ميت على باب
بستانه أو شجرة صبار أو نعل قديمة على باب بيته لدفع العين ، وما يفعله بعض
النساء من وضع رسم صليب على جبهة ولدها ، وهذا كله من الشرك الأصغر
الاعتقادي المحرم ، ولا يرد من قدر الله شيئا

(١) قوله (وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ
يقول : « إن الرقي والتائم والتولة شرك » رواه أحمد وأبو داود) وفيه قصة
ولفظ أبي داود عن زينب امرأة عبد الله بن مسعود أن عبد الله رأى في عنق
خيطة فقال : ما هذا ؟ قلت : خيط رقى لى فيه . قالت : فأخذه فقطعه ثم قال :
أنتم آل عبد الله الأغنياء عن الشرك ! سمعت رسول الله ﷺ يقول « إن الرقي
والتائم والتولة شرك » فقلت : لقد كانت عيني تقذف ، وكنت أخترف إلى فلان
اليهودى فإذا رقاها سكنت ، فقال عبد الله : إنما ذلك الشيطان كان ينفسها بيده
فإذا رقى كف عنها ، إنما كان يكفيك أن تقولى كما كان رسول الله ﷺ يقول
أذهب البأس رب الناس ، اشف أنت الشافى لا شفاء إلا شفاؤك شفاء لا يغادر
سقما ، ورواه ابن ماجه وابن حبان والحاكم وقال صحيح ، وأقره الذهبى . فالرقى
الموصوفة بكونها شركا هي الرقى التي فيها شرك من دعاء غير الله أو الاستغاثة
أو الاستعاذة به وكالرقى بأسماء الملائكة والأنبياء والأولياء والجن ونحو ذلك

وقال شيخ الإسلام : حصول الغرض ببعض الأمور لا يدل على إباحته وإن
كان الغرض مباحا فإن ذلك الفعل قد يكون فيه مفسدة راجعة على مصلحته
والشرعية جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل المفاسد وتقليلها وإلّا لجميع
المحرمات من الشرك والخمر والميسر والفواحش والظلم قد يحصل لصاحبه به منافع
ومقاصد ، لكن لما كانت مفسدها راجعة على مصالحها نهى الله ورسوله عنها كما
أن كثيرا من الأمور كالعبادات والجهاد وإنفاق الأموال قد تكون فيه مضرة
لكن لما كانت مصلحته راجعة على مفسدته أمر به الشارع انتهى

قوله (والرقى هي التي تسمى العزائم ، وخص منه الدليل ما خلا من الشرك ، فقد رخص فيه رسول الله ﷺ من العين والحة) كالرقى بالقرآن وأسماء الله وصفاته ودعائه والاستغاثه به وحده لا شريك له فليست بمنوعة بل جائزة أو مستحبة ، كما في صحيح مسلم عن عوف بن مالك قال : كنا نرقى في الجاهلية ، فقلنا يا رسول الله كيف ترى في ذلك ؟ فقال : اعرضوا على رقام لا بأس بالرقى ما لم يكن فيها شرك ، وفيه عن أس رضى الله عنه قال : رخص رسول الله ﷺ في الرقية من العين والحة والثلة ، وقد رقى جبريل النبي ﷺ ، ورقى النبي أصحابه . قال الخطابي : وكان عليه السلام قد رقى ورقى وأمر بها وأجازها فإذا كانت بالقرآن أو بأسماء الله تعالى فهي مباحة أو مأمور بها وإنما جاءت الكراهة والمنع فيما كان منها بغير لسان العرب فإنه ربما كان كفرأ أو قولا يدخله الشرك ، قال : ويحتمل أن يكون الذي يكره منها ما كان على مذاهب الجاهلية التي يتعاطونها وأنها تدفع عنهم الآفات ، ويعتقدون ذلك من قبل الجن ومعونتهم انتهى . ولذا قال على رضى الله عنه : إن كثيرا من هذه الرقى والتائم شرك فاجتنبوه . رواه وكيع وقال ابن التين : الرقى بالمعوذات وغيرها من أسماء الله تعالى هو الطب الرباني فإذا كان على لسان الأبرار من الخلق حصل الشفاء بإذن الله تعالى . فلما عفى عن هذا النوع فزع الناس إلى الطب الجسماني وتلك الرقى المنهى عنها التي يستعملها المعزم وغيره ممن يدعى تسخير الجن له فيأتى بأمور مشتبهة مركبة من حق وباطل يجمع إلى ذكر الله تعالى وأسمائه ما يشوبه من ذكر الشياطين والاستعاذة بهم والتعوذ بمردتهم ، ويقال إن الحية لعداوتها للإنسان بالطبع تصادق الشياطين لكونهم أعداء بنى آدم ، فإذا عزم على الحية بأسماء الشياطين أجابت وخرجت من مكانها ، وكذلك اللديغ إذا رقى بتلك الاسماء سالت سموها من بدن الإنسان ، ولذلك تكره الرقى ما لم تكن بآيات الله وأسمائه خاصة وباللسان العربي الذي يعرب معناه ليكون بريئا من شوب الشرك انتهى

وقال شيخ الإسلام : كل اسم مجهول فليس لأحد أن يرقى به فضلا عن أن يدعو به ولو عرف معناه لأنه يكره الدعاء بغير العربية وإنما يرخص لمن لا يعرف العربية فأما جعل الالفاظ الاعجمية شعارا فليس من دين الإسلام انتهى . وسئل ==

== ابن عبد السلام : عن الحروف المقطعة فنع منها ما لا يعرف لثلاث يكون فيه كفر . وقال السيوطي : أجمع العلماء على جواز الرق عند اجتماع ثلاثة شروط : أن تكون بكلام الله أو بأسمائه وصفاته وباللسان العربي وبما يعرف معناه وأن يعتقد أن الرقية لا تؤثر بذاتها بل بتقدير الله تعالى

قوله (والتمايم شيء) يعلق على الأولاد عن العين) وهذا في الغالب وإلا فلا فرق بين تعليقها على الأولاد أو الرجال أو النساء أو الدواب أو البيوت أو البساتين ولا فرق في الشيء المعلق بين أن يكون حلقاً أو خيوطاً أو ردهاً أو خرزاً أو غير ذلك مما اعتيد تعليقته عن العين وكل هذا ونحوه من التمايم محرم لا يجوز لأنه من الشرك الأصغر الاعتقادي وهو أكبر من الكبائر

قوله (لكن إذا كان المعلق من القرآن فرخص فيه بعض السلف) وهو قول عبد الله بن عمرو بن العاص . وظاهر ما روى عن عائشة رضي الله عنها ، وبه قال أبو جعفر الباقر ، وأحمد في رواية ، وحلوا الحديث على التمايم الشركية وهو ظاهر اختيار ابن القيم (وبعضهم لم يرخص فيه ويجعله من المنهى عنه منهم ابن مسعود) وابن عباس وهو ظاهر قول حذيفة وعقبة بن عامر وابن عسكيم رضي الله عنهم ، وبه قال جماعة من التابعين منهم أصحاب عبد الله بن مسعود وأحمد في رواية اختارها كثير من أصحابه ، وجزم بها المتأخرون واحتجوا بالحديث وما في معناه فإن ظاهره العموم لم يفرق النبي ﷺ بين التي من القرآن وغيرها ، بخلاف الرق فقد فرق فيها . قال في فتح المجيد : هذا هو الصحيح لوجوه ثلاثة تظهر للتأمل

الأول : عموم النهي ، ولا يخص للعموم

الثاني : سد الذريعة ، فانه يقضى إلى تعليق ما ليس كذلك

والثالث : أنه إذا علق فلا بد أن يمتنه المعلق بحمله معه في حال قضاء الحاجة والاستنجاء ونحو ذلك انتهى . وإذا كان هذا اختلاف العلماء في تعليق القرآن وأسماء الله وصفاته ، فما ظنك بما حدث من تعليق أسماء الشياطين والتعلق عليهم والاستعاذة بهم والذبح لهم وسؤالهم كشف الضر وجلب النفع بما هو شرك أكبر محض ، فأنه المستعان

وعن عبد الله بن عكيم مرفوعاً « مَنْ تعلق شيئاً وكل إليه »
رواه أحمد والترمذي^(١)

قوله (والتولة) بكسر المثناة وفتح الواو مخففة ، شيء يصنعونه يزعمون أنه
يجب المرأة إلى زوجها والرجل إلى امرأته ، بهذا فسرهما ابن مسعود راوى
الحديث وهو ضرب من السحر
وقوله (شرك) هنا خبر إن ، وإنما كانت هذه الأمور شركاً لأنهم أرادوا بها
دفع المقادير المكتوبة ودفع الضر وجلب النفع من غير الله تعالى ، وهذا شرك
أصغر يتنافى كمال التوحيد وهو أكبر من الكبائر
قوله (رواه أحمد) وتقدمت ترجمته وأبو داود : وهو سليمان بن الأشعث بن
إسحق الأزدي المسجستاني صاحب الإمام أحمد ومصنف السنن والمراسيل وغيرهما ،
ثقة إمام حافظ من كبار العلماء مات سنة خمس وسبعين ومائتين رحمه الله
تعالى ورضي عنه

(١) قوله (وعن عبد الله بن عكيم) بضم العين المهملة وفتح الكاف مصفراً
يكنى أبا سعيد الجهمي ، قال البخاري : أدرك النبي ﷺ ولم يعرف له سماع صحيح
وكذا قال أبو حاتم ، قال الخطيب سكن الكوفة وقدم المدائن في حياة حذيفة
وكان ثقة ، وذكر ابن سعد عن غيره أنه مات في ولاية الحجاج

قوله (مرفوعاً - أي إلى النبي ﷺ - من تعلق شيئاً وكل إليه ، رواه أحمد
والترمذي) أي وكله الله إلى ذلك الشيء الذي تعلقه . والتعلق يسكون بالقلب
وينشأ عنه القول والفعل وهو التفات القلب عن الله إلى شيء يعتقد أنه ينفعه أو
يدفع عنه ، قاله في قرّة العيون ، فمن تعلق بالله وأنزل حوائجه به والتجأ إليه وفرض
أمره إليه كفاه ويسر له كل عسير ، ومن تعلق بغيره أو سكن إلى رأيه وعقله
وتمايمه وكله الله إلى ذلك وخذله ، وروى الإمام أحمد عن سمع غطاء الخراساني
قال : لقيت وهب بن منبه وهو بطوف بالبيت فقلت حدثني حديثاً أحفظه عنك
في مقامى هذا وأوجز ، قال : نعم أوحى الله تبارك وتعالى إلى داود ، يا داود أما
وعزتي وعظمتي لا يعتمى بعباد من عبادي دون خلقي أعرف ذلك من بينه
فسيكده السموات السبع ومن فيهن والأرضون السبع ومن فيهن إلا جعلت له
من بينهن مخرجاً ، أما وعزتي وعظمتي لا يعتمى بعباد من عبادي بمخلوق دوني =

وروى أحمد عن رُوَيْفَعٍ^(١) قال : قال لي رسول الله ﷺ :
« يا رُوَيْفَعُ ، لعلَّ الحياة تطول بك ، فأخبر الناس^(٢) أن من عقدَ

= أعرف ذلك من فيته إلا قطعت أسباب السماء من يديه وأسخت الأرض من
تحت قدميه ثم لا أبالي بأى أوديتها هلك ،

(١) قوله (وروى الإمام أحمد عن رُوَيْفَعِ) بن ثابت بن السكن بن عدى
ابن الحارث الأنصاري نزل مصر وولى برقة ، قال عبد الغنى ولى طرابلس وافتتح
أفريقية سنة سبع وأربعين ، وقال يونس توفى ببرقة سنة ست وخمسين وله ثمانية
أحاديث (قال : قال لي رسول الله ﷺ يا رُوَيْفَعُ لعلَّ الحياة ستطول بك) فيه علم
من أعلام النبوة ، فإن رُوَيْفَعاً طالت حياته إلى سنة ست وخمسين فأت ببرقة من
أعمال مصر أميراً عليها وهو من الأنصار ، وقيل مات سنة ثلاث وخمسين

(٢) قوله (فأخبر الناس) دليل على وجوب إخبار الناس وليس هذا
مختصاً برُوَيْفَعِ بل كل من كان عنده علم ليس عند غيره مما يحتاج إليه الناس وجب
إعلامهم به فإن اشترك هو وغيره في علم ذلك فالتبليغ فرض كفاية ، قاله أبو
زرعة

قوله (أن من عقد لحيته) بكسر اللام لا غير . قال الخطابي : وأما نهي عن
عقد اللحية فإن ذلك يفسر على وجهين ، أحدهما : ما كانوا يفعلونه في الحرب ،
كانوا يعقدون لحاهم ، وذلك من زى بعض الأتاجم يفتلون بها ويعقدونها تكبراً
وعجباً . ثانيهما : أن معناه معالجة الشعر ليتعقد ويتجمد ، وذلك من فعل أهل
التأنيث . وقال أبو زرعة بن العراقي : الأولى حمله على عقد اللحية في الصلاة كما
دل عليه رواية محمد بن الربيع . وفيه أن من عقد لحيته في الصلاة أو تقلد وترأ
يريد تيمية ، فيه أنه شرك لما كانوا يقصدونه بتقليده

قوله (أو استنجدى برجميع دابة أو عظم فإن محمداً برى منه) أى من فعله ،
قاله النووي . وهذا خلاف الظاهر ، والنوى كثيراً ما يتناول الأحاديث بصرفها
عن ظاهرها فيخفف الله له ، قاله في فتح المجيد . وقد ورد النهى عن الاستنجاء
بالروث والعظام في أحاديث صحيحة : منها ما رواه مسلم عن ابن مسعود رضى
الله عنه مرفوعاً : لا تستنجوا بالروث والعظام فإنه زاد إخوانكم من الجن ، =

لحيته ، أو تقلد وترأ ، أو استنجد برَجِيع دَابَّةٍ أو عظم فإن محمداً
 يرى منه » . وعن سعيد بن جبير ^(١) قال « من قطع تيممة من إنسان
 كان كعدل رقة » رواه وكيع ^(٢) . وله عن إبراهيم قال : كانوا
 يكرهون التماس كلها ، من القرآن وغير القرآن

= ولما روى ابن خزيمة والدارقطني عن أبي هريرة رضى الله عنه ، نهى أن
 يستنجد بعظم أو روث ، وقال : إنها لا يطهران ،

(١) قوله (وعن سعيد بن جبير قال : من قطع تيممة من إنسان كان كعدل
 رقة ، رواه وكيع) هذا عند أهل العلم له حكم الرفع لأن مثل هذا لا يقال بالرأى
 فيكون هذا مرسل لأن سعيداً تابعى قوله في فتح المجيد . وتعقبه في إبطال التنديد
 بأن هذا الحكم عندهم لما أتى عن الصحابة على أن فيه خلافاً ، أما ما جاء عن
 التابعين من هذا فلم يقل بذلك إلا قليل ، ولا نقول على رسول الله ﷺ ما لم نعلم
 أنه قاله ، ولهذا لم يذكره السخاوى إلا عن ابن العربي ، قال في شرح الالقية :
 وقد ألحق ابن العربي بالصحابة في ذلك ما يجي عن التابعين مما لا مجال للاجتهاد
 فيه ، فنص على أنه يكون في حكم المرفوع وادعى أنه مذهب مالك انتهى .

(٢) وقوله (رواه وكيع) وهو ابن الجراح الكوفي ثقة إمام صاحب تصانيف
 منها الجامع وغيره ، روى عنه الإمام أحمد وطبقته ، مات سنة سبع وتسعين ومائة
 قوله (وله) أى لو كيع (عن إبراهيم) بن يزيد النخعي الكوفي ،
 يكنى أبا عمران ، ثقة من كبار الفقهاء ، قال الموى : دخل على عائشة ولم يثبت له
 سماع منها ، مات سنة ست وتسعين وله خمسون سنة أو نحوها

قوله (كانوا) يعنى أصحاب عبد الله بن مسعود كعلقة والأسود وأبي وائل
 والحارث بن سويد وعبيدة السلماني ومسروق والربيع بن خيثم وسويد بن غفلة
 وغيرهم من سادات التابعين في زمانهم (يكرهون التماس كلها من القرآن وغير
 القرآن) وهذه الصيغة يستعملها إبراهيم في حكاية أقوالهم . قلت : والكره
 عند السلف كراهة التحريم كما هو المعروف في نصوص الكتاب والسنة لا كراهة
 التنزيه المصطلح عليها عند متأخرى الفقهاء . وفيه معرفة تفسير الرقي والتماس =

٩ - باب

من تبرك بشجرة أو حجر أو نحوهما^(١)
وقول الله تعالى ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ﴾ الآيات^(٢)

== وتفسير التولة وأن هذه الثلاث كلها من الشرك من غير استثناء . وإن الرقية بالكلام الحسن من العين والجمه ليس من ذلك ، وأن التيممة إذا كانت من القرآن فقد اختلف فيها العلماء هل هي من ذلك أم لا . وأن تعليق الأوتار على الدواب عن العين من ذلك والوعيد الشديد على من تعلق وترأ وفضل ثواب من قطع تيممة من إنسان ، وأن كلام إبراهيم لا يخالف ما تقدم من الاختلاف لأن مراده أصحاب عبد الله بن مسعود ، قاله المصنف رحمه الله

(١) قوله (باب من تبرك بشجرة أو حجر ونحوهما) كبقعة وقبر ومشهد ونحو ذلك و(من) اسم شرط والجواب محذوف تقديره فقد أشرك . يقال : تبرك يتبرك تبركا إذا طلب البركة أو رجاها أو اعتقدها . والبركة نوعان : أحدهما : بركة هي وصف الرب تعالى تضاف إليه إضافة الرحمة والعزة والفعل ، منها تبارك قال تعالى ﴿ تبارك الله رب العالمين - تبارك الذي بيده الملك ﴾ . والثاني : بركة هي فعل الرب تعالى وتقدس ، والفعل منها بارك ويتعدى بنفسه تارة وبأداة على تارة وبأداة في تارة ، والمفعول منها مبارك وهو ما جعل منها كذلك ، وكان مباركا بجملة تعالى ، يقال : بارك يبارك بركة . قال تعالى ﴿ وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين ﴾ وقال ﴿ سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله ﴾ وقال الشاعر
ولست أبالي حين أقتل مسلما على أي شق كان في الله مصرعي
وذلك في ذات الإله وإن يشأ يبارك على أوصال شلو ممزع

(٢) قوله (وقول الله تعالى ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ﴾ ومناة الثالثة الأخرى) قال القرطبي : إن فيها حذف تقديره أفرايتم هذه الآلهة هل نفعت أو ضرت حتى تكون شركاء لله . والشاهد من الآيات للترجمة أن أهل الجاهلية إنما عبدوا هذه الأوثان وعظموها لما يعتقدونه ويرجونه ويؤمنونه من بركتهم وشفاعتها ، وهذا هو الذي يقصده مشركو أزماننا من عبوده سواء بسواء . فالتبرك بالمشايخ ==

== وقبور الصالحين كالنبرك باللات ، والتبرك بالاشجار كالنبرك بالعزى ، والتبرك
بالاحجار كالنبرك بمناة ، وهذه الاوثان الثلاثة من أعظم أوثان أهل الجاهلية
من أهل الحجاز ، فاللات كانت لأهل الطائف ومن حولهم من العرب ، والعزى
كانت لقريش وبنى كنانة . ومناة لبني هلال . وقال ابن هشام : كانت لهذيل
وخزاعة . واللات بتخفيف التاء فى قراءة الجمهور وقرأ ابن عباس وابن الزبير
وبجاهد وغيرهم بتشديد التاء فعلى الاول قل الاعمش سموا اللات من الإله ، والعزى
من العزير ، ومناة من المنان . واللات كانت صخرة بيضاء منقوشة عليها بيت بالطائف
له أستار وسدنة وهم بنو مغيث ، قاله ابن كثير ، وحوله فناء معظم عند أهل الطائف
وهم ثقيف يفتخرون بها على من عداهم من أحياء العرب بعد قريش ، قال ابن
هشام : وعلى قراءة التشديد كان رجلا يلبث السوق للحاج فأت ففكفوا على قبره ،
ذكره البخارى . وروى الفاكهى عن ابن عباس أن اللات لما مات قال لهم عمرو
ابن لحي إنه لم يمت ولكنه دخل فى الصخرة فعبدوها وبنو عليها بيتاً وكانت فى
موضع مسجد الطائف فلما أسلمت ثقيف بعث رسول الله ﷺ المغيرة بن شعبه
فهدمها وحرقها بالنار . وفيه أن أهل الجاهلية كانوا يعبدون الصالحين مع
عبادتهم الأصنام ، قاله فى فتح المجد . وأما العزى فقال ابن جرير : كانت شجرة
عليها بناء وأستار بنخله بين مكة والطائف كانت قريش يعظمونها وعن ابن
الطفيل قال : لما فتح رسول الله ﷺ مكة بعث خالد بن الوليد إلى نخلة وكانت بها
العزى فأناها خالد وكانت على ثلاث سمات فقطع السمات وهدم البيت الذى كان
عليها ثم أتى النبي ﷺ فأخبره فقال : ارجع فإنك لم تصنع شيئاً ، فرجع خالد ،
فلما أبصرته السدنة وهم حجبتها أمعنوا فى الجبل وهم يقولون يا عزى يا عزى
فأناها خالد فإذا امرأة ناشرة شعرها تحفن التراب على رأسها فعلاها خالد بالسيف
حتى قلبها ثم رجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره فقال : تلك العزى ، قال ابن هشام :
وكانوا يسمعون منها الصوت وكل هذا وما هو أعظم منه يقع فى هذه الأزمنة
عند ضرايح الاموات والمشاهد قاله فى فتح المجد . وأما مناة فكانت بالمشلل
عند قديد بين مكة والمدينة وكانت خزاعة والاوز والخزرج يعظمونها ويهلون
منها للحج إلى الكعبة ، وأصل اشتقاقها من اسم الله المنان ، وقيل سميت مناة =

عن أبي واقد الليثي^(١) قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين ونحنُ حُدَنَاءُ عهدٍ بكفر^(٢) ، وللمشركين سِدْرَةٌ يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم^(٣) ، يقال لها ذاتُ أنواط^(٤) ، فررنا بسدرة

= لكثرة ما يبنى أى يراق عندها من الدماء للتبرك بها قال البخارى فى حديث عروة عن عائشة رضى الله عنها أنها صنم بين مكة والمدينة ، قال ابن هشام فبعث رسول الله ﷺ عليا فهدمها عام الفتح . قال ابن إسحق : وكانت العرب اتخذت مع الكعبة طواغيت وهى بيوت تعظمها كتعظيم الكعبة ، لها سدنة وحجاب وتهدى لها كما يهدى للكعبة وتطوف بها وتنحر عندها . وفيه معرفة تفسير آية النجم قاله المصنف (١) قوله (عن أبي واقد الليثي) - وهو الحارث بن عوف - صحاب مشهور مات سنة ثمان وستين وله خمس وثمانون سنة رضى الله عنه قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين) اسم واد شرقى مكة معروف قاتل فيه رسول الله ﷺ هو اوازن

(٢) قوله (ونحن حُدَنَاءُ عهد بكفر) يشير إلى الذين خرجوا مع رسول الله ﷺ بمن قرب عهدهم بالإسلام من مسألة الفتح وكانوا ألفاً ونيفاً قوله (ونحن حُدَنَاءُ عهد بكفر) قيد أن غيرهم لا يجهل ذلك ، قاله المصنف رحمه الله تعالى

(٣) قوله (وللمشركين سدره يعكفون عندها) والعكوف هو الإقامة على الشيء بالمكان ولزومه ، ومنه (ما هذه التماثيل التى أنتم لها عاكفون) وعكفهم عندها تبركاً وتعظيماً لها لما يعتقدونه فيها من البركة

قوله (وينوطون بها أسلحتهم) أى يعلقونها عليها للبركة . وفى هذا بيان أن عبادتهم لها بالتعظيم والعكوف والتبرك ، وبهذه الامور الثلاثة عبدت الأشجار ونحوها ، قاله فى فتح المجيد

(٤) قوله (يقال لها ذات أنواط) جمع نوط وهو مصدر سمي به المنوط قوله (فررنا بسدرة فقلنا يا رسول الله : اجعل لنا ذات أنواط كما لهم =

فقلنا: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، فقال

رسول الله ﷺ : الله أكبر . إنما السنن (١)

(= ذات أنواط) فلما رآها رسول الله ﷺ عدل عنها في يوم صائف الظل هو أدنى منها، وقال (الله أكبر) وفي رواية الترمذى : سبحان الله ، كبر ربه وعظمه ونزهه عن أن يتقرب إليه بمثل هذا . وفيه أن المنتقل من الباطل الذى اعتاده قلبه لا يأمن أن يكون فى قلبه بقية من تلك العادة لقوله : ونحن حدباء عهد بكفر وأنه متقرر عندهم أن العبادات مبناهما على الأمر فصار فيه التنبيه على مسائل القبر ، أما من ربك فواضح ، وأما من بنيك فن إخباره بأبناء الغيب ، وأما ما دينك فن قولهم واجعل لنا . . إلى آخره . . وفيه التكبير عند التعجب خلافا لمن كرهه وسد الذرائع والنهى عن التشبه بأهل الجاهلية والغضب عند التعليم . وفيه معرفة صورة الأمر الذى طلبوا ، وكونهم لم يفعلوا وكونهم قصدوا التقرب إلى الله بذلك لظنهم أنه يحبهم وأنهم إذا جملوا هذا فغيرهم أولى بالجهل ، وأن لهم من الحسنات والوعود بالمغفرة ما ليس لغيرهم ، وأن النبي ﷺ لم يعذرهم بل رد عليها بقوله : الله أكبر ، إنما السنن لتتبعن سنن من كان قبلكم ، فغلظ الأمر بهذه الثلاث ، قاله المصنف رحمه الله

(١) قوله (إنما السنن) بضم السين أى الطرق أى ستفعل هذه الأمة ما فعلت الأمم قبلها من الشرك فما دونه كما فى حديث أبى سعيد : لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القعدة بالقعدة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه ، قالوا يا رسول الله : اليهود والنصارى ؟ قال : فن ، وفيه القاعدة الكلية لقوله : إنما السنن ، وأن هذا علم من أعلام النبوة لكونه وقع كما أخبر . وأن ما ذم الله به اليهود والنصارى فى القرآن أنه لنا ، يعنى إذا عملنا كعملهم . وأن سنة أهل الكتاب مذمومة كسنة المشركين قاله المصنف رحمه الله تعالى . قال شيخ الإسلام هذا خرج منه مخرج الخبر عن وقوع ذلك والذم لمن يفعله كما يخبر عما يفعله الناس بين يدي الساعة من الأشرار والأمور المحرمة ولا يقال إن كان الكتاب والسنة قد دلا على وقوع ذلك فما فائدة النهى عنه لأن الكتاب والسنة أيضا قد دلا على أنه =

قلتم والذي نفسى بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى ﴿ اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة ، قال إنكم قوم تجهلون ﴾ لتركبن سنن من كان قبلكم «
رواه الترمذى وصححه^(١)

= لا يزال في هذه الأمة طائفة متمسكة بالحق الذى بعث الله به محمداً ﷺ إلى قيام الساعة وأنها لا تجتمع على ضلالة ، فى النهى عن ذلك تكثير لهذه الطائفة المنصورة وتشبيها ، وزيادة إيمانها ففسأل الله المجيب أن يجعلنا منها . وأيضاً لو فرض أن الناس لا يترك أحد منهم هذه المشابهة المنكرة لكان فى العلم بها معرفة القبيح والإيمان بذلك فإن نفس العلم والإيمان بما كرهه الله خير وإن لم يعمل به ، بل فائدة العلم والإيمان أعظم من فائدة مجرد العمل الذى لم يقترن به علم ، ثم لو فرض أنما علمنا أن الناس لا يتركون المنكر ولا يعترفون بأنه منكر لم يكن ذلك مانعاً من إبلاغ الرسالة وبيان العلم بل ذلك لا يستتط وجوب الإبلاغ ولا وجوب الأمر والنهى فى إحدى الروايتين عن أحمد ، وهو قول كثير من أهل العلم ، انتهى ماخصاً

(١) قوله (قلتم والذي نفسى بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى : اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة ، قال : إنكم قوم تجهلون ، لتركبن سنن من كان قبلكم رواه الترمذى وصححه) وفيه الأمر الكبير أنه أخبر أن طلبتهم كطلبة بنى إسرائيل لما قالوا لموسى اجعل لنا إلهاً وأن نفى هذا من معنى لا إله إلا الله مع دقته وخفائه على أولئك وأنه حلف على الفتيا وهو لا يحلف إلا لمصلحة . وأن الشرك فيه أكبر وأصغر لأنهم لم يرددوا بهذا قاله المصنف . فإذا كان اتخاذ شجرة لتعليق الأسلحة والعكوف عندها كاتخاذ إله مع الله مع أنهم لا يدعونها ولا يستولونها فإذا يكون حكم ما حدث من عباد القبور من دعاء الأموات والاستغاثة بهم والذبح والنذر لهم والطواف بقبورهم وتقيلها وتقيل أعتابها وجدرانها والتسج بها ، والعكوف عندها وجعل السدنة والحجاب لها ، وأى نسبة بين هذا وبين تعليق الأسلحة على شجرة تبركا . انتهى من الشرح بتصرف . وفيه أن العبرة بالمعاني لا بالاسماء ، ولهذا جعل طلبتهم كطلبة بنى إسرائيل ، ولم يلتفت إلى كونهم سموها ذات =

== أنواط فالمشرك مشرك وإن سمي شركه ما سماه ، قاله في فتح المجدد . قلت وهذا كتسمية مشركي زماننا دعاء الاموات والغائبين توسلا ، قال الحافظ أبو محمد عبد الرحمن بن إسماعيل الشافعي المعروف بأبي شامة في كتاب البدع والحوادث : ومن هذا ما عم الابتلاء به من تزيين الشيطان للعامة تخليق بعض الحيطان وإسراج مواضع مخصوصة في كل بلد يحكى لهم حاك أنه رأى في منامه بها أحداً ممن شهد بالصلاح والولاية فيفعلون ذلك يحافظون عليه مع تضييعهم لفرائض الله تعالى وسننه ويظنون أنهم مقربون بذلك ثم يتجاوزون هذا إلى أن يعظم وقع تلك الاماكن في قلوبهم فيعظمونها ويرجون الشفاء لمرضاهم وقضاء حوائجهم بالذئذ لها وهي من عيون وشجر وحائط وحجر ، وفي مدينة دمشق من ذلك مواضع متعددة كميونة الحمى خارج باب توما والعمود المخلق داخل باب الصغير والشجرة الملعونة خارج باب النصر في نفس قارعة الطريق ، سهل الله قطعها واجتئاسها من أصلها ، فما أشبهها بذات أنواط الواردة في الحديث انتهى . قلت ومن هذا اقتتان بعض العوام بعين نجم التي في الاحساء فيقصدونها للاستشفاء لمرضاهم فما أشبهها بعويونة الحمى ، وكل هذا شرك وضلال فيجب النهي عنه . وفيه الخوف من الشرك وأن الإنسان قد يستحسن شيئاً يظن أنه يقربه إلى الله وهو عما يبعده من رحمته ويقربه من سخطه ، ولا يعرف هذا على الحقيقة إلا من عرف ما وقع في هذه الازمان من كثير من العلماء والعباد مع أرباب القبور من الغلو فيها وصرف حيل العبادة لها ويحسبون أنهم على شيء وهو الذنب الذي لا يغفره الله . تنبيه : ذكر بعض المتأخرين أن التبرك بآثار الصالحين مستحب كشراب سؤرهم والتسبح بهم أو بلبائهم وحمل المولود إلى أحدهم ليحسكه بثمره حتى يكون أول ما يدخل جوفه ريق الصالحين ، والتبرك بعرقيهم . وقد أكثر من ذلك النووي في شرح مسلم في الكلام على الأحاديث التي فيها أن الصحابة فعلوا ذلك مع النبي ﷺ وظن أن غير النبي ﷺ ممن يدعى صلاحه مثله ، وهذا خطأ صريح لوجوه : منها عدم المقاربة فضلاً عن المساواة للنبي ﷺ في الفضل ، ومنها عدم تحقق الصلاح ولا يتحقق ذلك إلا بصلاح القلب وهو أمر لا يمكن الاطلاع عليه إلا بنص . ومنها أن الصحابة لم يكونوا يفعلون ذلك مع غيره ﷺ لا في حياته ولا بعد

١٠ - باب

ما جاء في الذبح لغير الله^(١)

وقول الله تعالى ﴿ قُلْ إِنْ صَلَّاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ ﴾^(٢) الآية . وقوله ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ

= موته ، ولو كان خيرا لسبقونا اليه فيكون هذا من خصائص النبي ﷺ انتهى
مختصا من الشرح .

(١) قوله (باب ما جاء في الذبح لغير الله) أى من النهى الأكيد والوعيد الشديد ، وأنه شرك ينافى التوحيد

(٢) قوله (وقول الله تعالى : قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له) أى قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يعبدون غير الله ويذبحون لغيره : إن صلاتي يشمل الفرائض والنوافل والصلوات كلها عبادة وقد اشتملت الصلاة على نوعي الدعاء المسئلة ودعاء العبادة فما كان فيها من السؤال والطلب فهو دعاء مسئلة وما كان فيها من الحمد والثناء والتسبيح والركوع والسجود وغير ذلك من الأركان والواجبات ، فهو دعاء عبادة وهذا هو التحقيق في تسميتها صلاة لأنها اشتملت على نوعي الدعاء الذي هو صلاة لغة وشرعا ، قاله شيخ الإسلام رحمه الله تعالى

قوله (ونسكي) قال سعيد بن جبير ، ونسكي : أى ذبحي ، وقال مجاهد : النسك الذبح في الحج والعمرة

قوله (ومحياي ومماتي) أى ما آتني في حياتي وما أموت عليه من الإيمان والعمل الصالح (لله رب العالمين) خالصا لوجهه لا شريك له في شيء من ذلك ولا في غيره من أنواع العبادة . فالصلاة أجل العبادات البدنية ، والنسك أجل العبادات المالية

قوله (وأنا أول المسلمين) قال قتادة من هذه الأمة لأن إسلام كل نبي متقدم على إسلام أمته . ووجه مطابقة الآية لترجمة أن الله تعالى تعبد عباده بأن يتقربوا اليه بالنسك كما تعبدهم بالصلاة وغيرها من أنواع العبادات وأمرهم أن يخلصوا =

وانحر (١).

عن علي (٢) رضي الله عنه قال : حَدَّثَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِأَرْبَعِ

جميع ذلك له دون ما سواه ، فاذا تقربوا إلى غير الله بالذبح أو غيره من أنواع العبادة فقد جعلوا لله شريكا في عبادته وهو ظاهر في قوله : لا شريك له ، نفي أن يكون لله شريك في هذه العبادات وهو بحمد الله واضح قاله في فتح المجيد : وفيه معرفة تفسير : إن صلاتي ونسكي قاله المصنف رحمه الله

(١) وقوله (فصل لربك وانحر) قال شيخ الإسلام أمره الله أن يجمع بين هاتين العبادتين وهما : الصلاة والنسك الدالتان على التقرب والتواضع والافتقار وحسن الظن وقوة اليقين وطمأنينة القلب إلى الله وإلى عِدته ، عكس حال أهل الكبر والنفرة وأهل الفنى عن الله الذين لا حاجة لهم في صلاتهم إلى ربهم يستولونه إياها ، والذين لا ينحرون له خوفا من الفقر ، ولهذا جمع بينهما في قوله (فصل لربك وانحر) فانهما أجل ما مئتنقرب به إلى الله ، ولهذا أتى فيهما بالقاء الدالة على السبب لأن فعل ذلك سبب للقيام بشكر ما أعطاه الله من الكوثر وما يجتمع للعبد في الصلاة لا يجتمع له في غيرها كما عرفه أرباب القلوب الحية وما يجتمع له عند النحر إذا قارنه الإيمان والإخلاص من قوة اليقين وحسن الظن أمر عجيب وكان ﷺ كثير الصلاة كثير النحر انتهى . وفيه معرفة تفسير (فصل لربك وانحر) قاله المصنف رحمه الله تعالى

(٢) قوله (عن علي) وهو الإمام أبو الحسن علي بن أبي طالب الهاشمي ابن عم النبي ﷺ وزوج فاطمة الزهراء رضي الله عنها ، كان من السابقين الأولين ومن أهل بدر وبيعة الرضوان وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة ورابع الخلفاء الراشدين ، ومناقبه مشهورة قتله ابن ملجم الخارجي في رمضان سنة أربعين (قال حدثني رسول الله ﷺ بأربع كلمات لعن الله من ذبح لغير الله) أصل اللعن الطرد والإبعاد من الله ، ومن الخلق السب والدعاء قاله أبو السعادات ، وهذا هو الشاهد من الحديث للترجمة

قال شيخ الإسلام على قوله تعالى (وما أهل به لغير الله) ظاهره أنه ما ذبح لغير الله مثل أن يقال هذا ذبيحة لكذا وإذا كان هذا هو المقصود فسواء لفظ =

كلمات : « لَعَنَ اللَّهُ مَنْ ذَبَحَ لغيرِ الله ، لَعَنَ اللَّهُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَيْهِ » (١)

== به أو لم يلفظ وتحريم هذا ظهر من تحريم ما ذبح النصراني للحم وقال فيه باسم المسيح ونحوه كما أن ما ذبحناه متقربين به إلى الله تعالى أركى وأعظم مما ذبحناه للحم وقتلنا عليه باسم الله ، فإذا حرم ما قبل فيه باسم المسيح أو الزهرة فلأن يحرم ما قبل فيه لأجل المسيح أو الزهرة أو قصد به ذلك أولى ، فإن العبادة لغير الله أعظم كفراً من الاستعانة بغير الله ، فعلى هذا لو ذبح لغير الله متقرباً إليه يحرم وإن قال فيه باسم الله كما قد يفعله طائفة من منافق هذه الأمة الذين يتقربون إلى الكواكب بالذبح والبخور ونحو ذلك وإن كان هؤلاء مرتدين لانباح ذبيحتهم بحال ، لكن يجتمع في الذبيحة مانعان : الأول : أنها مما أهل به لغير الله . والثاني : أنها ذبيحة مرتدة . ومن هذا ما يفعله الجاهلون بمكة من الذبح للجن ولهذا يروى عن النبي ﷺ أنه نهى عن ذبائح الجن . قال الزمخشري كانوا إذا اشتروا داراً أو بنوها أو استخرجوا عينا ذبحوا ذبيحة خوفاً من أن تصيبهم الجن فأضيف إليهم الذبائح لذلك قال في الشرح : قال النووي وذكر الشيخ إبراهيم المروزي من أصحابنا أن ما ذبح عند استقبال السلطان تقرباً إليه أفق أهل بخارى بتحريمه لانه مما أهل به لغير الله . قال الرافعي : إنما يذبحونه استبشاراً بقدمه فهو كذبح العقيدة لولادة المولود قال في الشرح : إن كانوا إنما يذبحونه استبشاراً كما ذكر الرافعي فلا يدخل في ذلك وإن كانوا يذبحونه تقرباً إليه فهو داخل في الحديث انتهى . وإنى لأعجب من كلام الرافعي وقياسه الذبح للسلطان تقرباً إليه وتعظيماً له عند قدمه الذي هو شرك أكبر على العقيدة التي هي سنة نبوية وأعجب منه موافقة الشارح له على ذلك وهذا القياس إنما يصح لو كانت العقيدة مشروعة عند وضع المولود وهي إنما تشرع في اليوم السابع من الولادة فما بعده ، اللهم إنما نعوذ بك من سوء الفهم وانقلاب الحقائق

(١) قوله (لعن الله من لعن والديه) يعنى أباه وأمه وإن علوا ، وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ قال : من السكابر شتم الرجل والديه ، قالوا وهل يشتم الرجل والديه قال : نعم ، يسب أباً الرجل فيسب أباه ويسب أمه فيسب أمه ،

لَعَنَ اللَّهُ مَنْ آوَىٰ مُحَدِّثًا^(١)، لعن الله من غيّر منارَ الأرض^(٢) » رواه مسلم . وعن طارق بن شهاب^(٣) أن رسول الله ﷺ قال « دخل

(١) قوله (لعن الله من آوى محدثا) وهو بفتح الهمزة ممدودة إلى ضمه اليه ، وحماه . وأما محدثا فقال أبو السعادات يروى بكسر الدال وفتحها على الفاعل والمفعول فعنى الكسر من نصر جانبا وآواه وأجاره من خصمه وحال بينه وبين أن يقتص منه ، والفتح هو الأمر المبتدع نفسه ويكون معنى الإيواء فيه الرضى به والنصر فإنه إذا ارتضى بالبدعة وأقر فاعلها ولم ينكر عليه فقد آواه . قال ابن القيم : هذه الكبيرة تختلف مراتبها باختلاف مراتب الحدث في نفسه فكلما كان الحدث في نفسه أكبر كانت الكبيرة أعظم

(٢) قوله (لعن الله من غير منار الأرض بفتح الميم علامات حدودها وهي التي توضع لتمييز حق الشركاء إذا اقتسموا ما بينهم في الأرض والدور . قال المصنف : وهي المراسيم التي تفرق بين حقك وحق جارك فتغيرها بتقديم أو تأخير . قال في النهاية : منار الأرض معالمها وحدودها ، وفي الحديث : من ظلم شبرا من الأرض طوقه من سبع أرضين يوم القيامة . . ومن تغيير منار الأرض ما يفعله بعض فسقة الكتاب والمخامين من التلاعب في الحجج والسجلات وتغيير حدودها بزيادة أو نقص فيها أو إخفاء الحجج وعمل استحكامات بخلافها حتى يعود الوقف ملكا أو إخفاء شرط الواقف لإخراج مستحق وإدخال غيره ، كما هو جار كثير ألسأل الله العافية . وفيه البداءة بلعنة من ذبح لغير الله ولعن من لعن والديه . ومنه أن تلعن والدي الرجل فيلعن والديك ولعن من آوى محدثا وهو الرجل يحدث شيئا يجب فيه حق لله فيلتجىء إلى من يحججه من ذلك والفرق بين لعن المعين ولعن أصحاب المعاصي على سبيل العموم قاله المصنف رحمه الله تعالى وأما لعن الفاسق المعين ففيه قولان : أحدهما أنه جائز اختاره ابن الجوزي وغيره والثاني لا يجوز ، اختاره أبو بكر عبد العزيز : وشيخ الإسلام .

(٣) قوله (وعن طارق بن شهاب) البجلي الأحمسي أبو عبد الله رضى الله ، قال أبو داود : رأى النبي ﷺ ولم يسمع منه شيئا ، قال الحافظ إذا ثبت أنه لقي النبي ﷺ فهو صحابي وإذا ثبت أنه لم يسمع منه فروايته عنه مرسل صحابي وهو مقبول على الراجح ، وكانت وفاته على ما جزم به ابن حبان سنة ثلاث =

الجنة رجل في ذبابٍ ودخل النار رجل في ذبابٍ قالوا : ؟ وكيف ذلك يا رسول الله ؟ قال « مر رجلان على قوم لهم صنم لا يجوزه أحد حتى يقرب له شيئاً ، فقالوا لأحدهما : قرب . قال : ليس عندي شيء أقرب . قالوا له : قرب ولو ذباباً فقرب ذباباً فخلوا سبيله فدخل النار . وقالوا للآخر قرب فقال : ما كنت لأقرب لأحد شيئاً دون الله عز وجل ، فضربوا عنقه ، فدخل الجنة » (١)

رواه أحمد

== وثمانين (أن رسول الله ﷺ) قال : دخل الجنة رجل في ذبابٍ ودخل النار رجل في ذباب ، أى من أجله وبسببه ، قالوا : وكيف ذلك يا رسول الله ؟ كأنهم تقولون ذلك لأن الجنة لا يدخلها أحد إلا بالأعمال الصالحة والنار لا يدخلها أحد إلا بالأعمال السيئة واحتقروا الذباب فتعجبوا من ذلك فبين لهم النبي ﷺ ما صير هذا الأمر الحقير عظيماً يستحق هذا عليه الجنة ، ويستحق هذا عليه النار . (فقال : مر رجلان على قوم لهم صنم) والصنم ما كان منحوتاً على صورة ويعلق عليه الوثن

(١) قوله (لا يجوزه - أى لا يمر به - أحد حتى يقرب له شيئاً فقالوا لأحدهما قرب . قال : ليس عندي شيء أقرب . قالوا : قرب ولو ذباباً ، فقرب ذباباً فخلوا سبيله فدخل النار . وقالوا للآخر قرب . فقال : ما كنت لأقرب لأحد شيئاً دون الله عز وجل فضربوا عنقه ، فدخل الجنة) وفي هذه القصة العظيمة وهي قصة الذباب أنه دخل النار بسبب الذباب الذى لم يقصده بل فعله تخلصاً من شرهم وأنه مسلم قبل تقرب الذباب لأنه لو كان كافراً لم يقل دخل النار في ذباب ، وفيه أن عمل القلب هو المقصود الأعظم حتى عند عبدة الاوثان . قال المصنف رحمه الله : وفيه بيان عظم الشرك ولو في شيء يسير حقير فكيف بمن يستمن الإبل والبقر والغنم ويقربها لغير الله من ميت أو غائب أو طاغوت أو مشهد أو غير ذلك . وقد عمت البلوى بهذا في الأمصار وما هو أعظم منه ==

١١ - باب

لَا يُذَبِّحُ لِلَّهِ بِمَكَانٍ يُذَبِّحُ فِيهِ لغيرِ الله^(١)

وقول الله تعالى ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾ الآية^(٢)

== فلا حول ولا قوة إلا بالله . وفيه معرفة قدر الشرك في قلوب المؤمنين كيف صبر على القتل ولم يوافقهم على طلبتهم مع كونهم لم يطلبوا إلا العمل الظاهر . وفيه شاهد للحديث الصحيح : الجنة أقرب إلى أحدكم من شركاءه عليه والنار مثل ذلك ، ، قاله المصنف رحمه الله تعالى

(١) قوله (باب لا يذبح لله في مكان يذبح فيه لغير الله) لا نافية ويحتمل أنها للنهي وهو أظهر ، قاله في فتح المجيد . ذكر المصنف رحمه الله هذه الترجمة في النهي عن الذبح لله في المكان الذي يذبح فيه لغير الله لثلاث تقع مشابهة أهل الشرك في ذبحهم لطواغيتهم

(٢) قوله (وقول الله تعالى ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾ الآيات) هذا نهى من الله تعالى لئلا يقوم في مسجد الضرار الذي بناه المنافقون ضراراً وكفراً وتقريباً بين المؤمنين وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله والامة تبع له في ذلك . والشاهد من الآية للترجمة أن الله نهى رسوله أن يقوم في مسجد الضرار لأنه أسس على معصية الله ، مع أنه لا يقوم فيه إلا الله فكذلك المواضع التي أعدت للذبح لغير الله لا يجوز أن يذبح فيها الموحد لله لأنها قد أسست على معصية الله والشرك به . وقد كان سبب نزول هذه الآيات الكريمة أنه كان بالمدينة قبل مقدم رسول الله ﷺ رجل من الخوارج يقال له أبو عامر الراهب وكان قد تنصر في الجاهلية وكان له شرف في الخوارج كبير فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة واجتمع المسلمون عليه وأظهروا الله يوم بدر شرق اللعين بريقه وخرج إلى مكة فآلهم على حرب رسول الله ﷺ فاجتمعوا بمن وافقهم من أحياء العرب وقدموا عام أحد ، وكان من أمر المسلمين ما كان ، وامتحنهم الله عز وجل ، وكانت العاقبة للمتقين ، وكان هذا الفاسق قد حفر حفراً فيما بين الصفتين فوقع في إحداهن =

== رسول الله ﷺ وأصيب ذلك اليوم وجهه وكسرت ربايعيته النبي السفلى ،
وشج رأسه صلوات الله وسلامه عليه ، وتقدم أبو عامر في أول المبارزة إلى قوم
من الألبصار غخطهم واستمالهم إلى نصره ، فقالوا : لا أنعم الله بك عينايا فاسق ،
فرجع وهو يقول : والله لقد أصاب قوى بمدى شر ، وكان رسول الله ﷺ
قد دعاه قبل فراره وقرأ عليه القرآن فأبى أن يسلم وتمرد ، فدعا عليه رسول الله
ﷺ أن يموت بعيداً طريداً فقال له هذه الدعوة . وذلك أنه لما فرغ الناس من
أحد ورأى أمر رسول الله ﷺ في ارتفاع ذهب إلى هرقل ملك الروم يستنصره
على النبي ﷺ فوعده ومناه وأقام عنده وكتب إلى جماعة من قومه من أهل النفاق
يعدهم أنه سيقدم بجيش يقاتل به رسول الله ﷺ ، وأمرهم أن يتخذوا له معقلاً
لمن يقدم عليهم من عنده ، فشرعوا في بناء مسجد الضرار ، وذكروا أنهم بنوه
للضعفة وأهل العلة في الليلة الشاتية وطلبوا من النبي ﷺ أن يصلي فيه ولكن قد
تأهب للخروج إلى غزوة تبوك ، فقال : إذا رجعنا إن شاء الله تعالى ، فلما قفل
راجعا إلى المدينة ولم يبق بينه وبينها إلا يوم أو بعض يوم ، نزل عليه الوحي
ببحر المسجد ، فبعث إليه مالك بن الدخشم أخا بني سالم بن عوف ومعه بن عدى
أو أخاه عامر بن عدى فهدهما وحرماه ، وأنزل الله فيه ﴿ والذين اتخذوا مسجداً
ضراباً وكفراً وتفرقاً بين المؤمنين وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل
وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى ، والله يشهد إنهم لكاذبون . لا تقم فيه أبداً ،
لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه ، فيه رجال يحبون أن
يتطهروا ﴾ روى الإمام أحمد وابن خزيمة وغيرهما عن عويم بن ساعدة
الألبصري أن النبي ﷺ أتاهم في مسجد قباء فقال : إن الله أحسن عليكم الشاء
بالطهور في قصة مسجدكم ، فإذا الطهور ؟ ، فقالوا : والله يا رسول الله مانع
شيئاً إلا أنه كان لنا جيران من اليهود فكانوا يغسلون أديبارهم من الغائط ففلسنا
كما غسلوا . وفي رواية عن جابر وأنس ، هو ذاك فعليكوه ، رواه ابن ماجه
وابن أبي حاتم والدارقطني والحاكم

قوله ﴿ والله يحب المطهرين ﴾ قال أبو العالية : إن الطهور بالماء الحسن
ولكنهم المتطهرون من الذنوب . فنهى الله رسوله ﷺ عن الصلاة فيه وحته على
الصلاة في مسجد قباء الذي أسس من أول يوم بنى على التقوى وهي طاعة الله ==

عن ثابت بن الضحَّاك^(١) رضى الله عنه قال: نَذَرَ رجلٌ أن يَنَحَرَ

= ورسوله وجمعاً لكلمة المسلمين ومعقلاً للإسلام وأهله . قال ابن كثير : وفيه دليل على استحباب الصلاة مع الجماعة الصالحين المتزهدين عن ملابسة القاذورات ، المحافظين على إسباغ الوضوء . وفيه إثبات المحبة ، قاله في الشرح . وقد جاء في الصحيح أن رسول الله ﷺ كان يزور قباء راكباً وماشيأ ، وجاء فيه أيضاً أن رسول الله ﷺ قال : صلاة في مسجد قباء كعمرة . وقد ذهب جماعة من السلف منهم ابن عباس وعروة وعطية والشعبي وغيرهم إلى أن المسجد المذكور في الآية هو مسجد قباء ويؤيده قوله تعالى ﴿ فيه رجال يحبون أن يتطهروا ﴾ قاله في فتح المجيد . وقيل هو مسجد رسول الله ﷺ لحديث أبي سعيد الذي رواه مسلم قال تمارى رجلان في المسجد الذي أسس على التقوى من أول يوم ، فقال أحدهما : هو مسجد قباء ، وقال الآخر : هو مسجد رسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ : هو مسجدى هذا ، وهو قول عمر وابنه وزيد بن ثابت وغيرهم . قال ابن كثير : وهذا صحيح ولا منافاة بين الآية والحديث لأنه إذا كان مسجد قباء قد أسس على التقوى من أول يوم فمسجد رسول الله ﷺ بطريق الأولى انتهى .

وقال شيخ الإسلام : على قوله لا تقم فيه أبداً فإنه من أمكنة العذاب . قال سبحانه ﴿ أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار ﴾ فانهار به في نار جهنم وقد روى أنه لما هدم خرج منه دخان . وهذا كما أنه ندب إلى الصلاة في أمكنة الرحمة كالساجد الثلاثة ومسجد قباء ، فكذلك نهى عن الصلاة في أماكن العذاب . وأما أماكن الكفر التي لم يكن فيها عذاب ، إذا جعلت مكاناً للإيمان والطاعة فهذا حسن ، كما أمر النبي ﷺ أهل الطائف أن يجعلوا المسجد مكان طاعتهم ، وأمر أهل اليمامة أن يتخذوا المسجد مكان بيعة كانت عندهم انتهى . وفيه معرفة تفسير ﴿ لا تقم فيه أبداً ﴾ وأن المعصية قد تؤثر في الأرض وكذلك الطاعة ، قاله المصنف رحمه الله

(١) قوله (عن ثابت بن الضحَّاك) بن خليفة الأشجلى صحابي مشهور روى عنه أبو قلابة وغيره مات سنة أربع وستين (قال نذر رجل أن ينحز لمبلا بيوانة) بضم الموحدة وقيل بفتحها ، قال البغوى : موضع في أسفل مكة دون يلم ، وقال أبو =

إبلا بِبُؤَانَةٍ فَسَأَلَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ « هَلْ كَانَ فِيهَا وَثْنٌ مِنْ أَوْثَانِ الْجَاهِلِيَّةِ يُعْبَدُ » ؟ قَالُوا : لَا . قَالَ : « فَهَلْ كَانَ فِيهَا عِيدٌ مِنْ أَعْيَادِهِمْ » ؟ قَالُوا : لَا ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « أَوْفِ بِنَذْرِكَ » ^(١) ، فَإِنَّهُ لَا وَفَاءَ

= السعادات : هضبة من وراء ينبع (فسأل النبي ﷺ فقال هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد قالوا : لا) والوثن ما ليس منحوتاً على صورة ، والصنم ما كان منحوتاً على صورة ويطلق عليه أيضاً الوثن (فقال : هل كان فيها عيد من أعيادهم قالوا : لا) قال شيخ الإسلام : العيد اسم لما يعود من الاجتماع العام على وجه معتاد عائداً ما يعود السنة أو يعود الأسبوع أو الشهر ونحو ذلك والمراد هنا الاجتماع المعتاد من اجتماع أهل الجاهلية ، فالعيد يجمع أموراً منها يوم عائد ليوم الفطر ويوم الجمعة ومنها اجتماع فيه ومنها أعمال تتبع ذلك من العبادات والعبادات وقد يختص العيد بمكان وقد يكون مطلقاً ، وكل من هذه الأمور يسمى عيداً ، والزمان كقول النبي ﷺ في يوم الجمعة « إن هذا يوم جعله الله للمسلمين عيداً ، والاجتماع والأعمال كقول ابن عباس رضى الله عنهما : شهدت العيد مع رسول الله ﷺ ، والمكان كقول النبي ﷺ « لا تتخذوا قبري عيداً » ، وقد يكون لفظ العيد اسماً لمجموع اليوم والعمل وهو الغالب كقول النبي ﷺ للجارييتين اللتين تغنيان عند النبي ﷺ بما تناشدته الانصار يوم بعث « دعهما يا أبا بكر فإن لكل قوم عيداً ، وفيه رد المسئلة المشككة إلى المسئلة البينة ليزول الإشكال والاستفصال المتقى إذا احتاج إلى ذلك

(١) قوله (فقال : أوف بِنَذْرِكَ) حيث تحقق عدم المانع من الوفاء به (فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله) . وفيه أنه لا وفاء لنذر في معصية الله قاله المصنف رحمه الله وهذا يدل على تحريم الوفاء بنذر المعصية وهل تجب فيه كفارة يمين على قولين هما روايتان عن أحمد إحداهما : تجب ، وهى المذهب ، روى عن ابن عباس وابن مسعود ، وبه قال أبو حنيفة وأصحابه لحديث عائشة رضى الله عنها مرفوعاً لا نذر في معصية وكفارته كفارة يمين . . رواه أحمد وأهل السنن واحتج به أحمد وإسحق . والثاني لا تجب فيه كفارة يمين ، روى ذلك عن مسروق والشعبي والشافعي لحديث الباب

لنذر في معصية الله ، ولا فيما لا يملك ابن آدم » رواه أبو داود ،^(١)
وإسناده على شرطهما^(٢)

= قال شيخ الإسلام : وأما نذره لغير الله فهو بمنزلة أن يحلف بغير الله والحالف بالخلوقات لا وفاء عليه ولا الكفارة ، وكذلك الناذر للخلوقات ، فإن كليهما شرك ، والشرك ليس له حرمة بل عليه أن يستغفر الله من هذا العقد ، ويقول ما قال النبي ﷺ : من حلف باللات والعزى فاليقل لا إله إلا الله ، وفيه أن تخصيص البقعة بالنذر لا بأس به إذا خلا من الموانع ، والمنع منه إذا كان فيه وثن من أوثان الجاهلية ولو بعد زواله ، والمنع منه إذا كان فيه عيد من أعيادهم ولو بعد زواله ، وأنه لا يجوز الوفاء بما نذر في تلك البقعة لأنه نذر معصية والحذر من مشابهة المشركين في أعيادهم ولو لم يقصده قاله المصنف رحمه الله ، قال في قرّة العيون : وفيه المنع من اتخاذ آثار المشركين محلاً للعبادة لكونها صارت محلاً لحرم الله من الشرك والمعاصي ، والحديث وإن كان في النذر فيشمل كل ما كان عبادة فلا تفعل في هذه إلا ما كن الخبيثة التي اتخذت محلاً لما يسخط الله تعالى . فهذا صار الحديث شاهداً للترجمة ، والمصنف لم يرد التخصيص بالذبح وإنما ذكر الذبح كالمثال وقد استشكل جعل محل اللات بالطائف مسجداً انتهى . قلت : لا إشكال مع ما ذكرناه عن شيخ الإسلام فيما تقدم أول الباب

(١) قوله (ولا فيما لا يملك ابن آدم رواه أبو داود) ، يعني إذا أضاف النذر إلى معين لا يملكه بأن قال : إن شئني الله مريض فله على أن أعق عبد فلان ، فأما إذا ألزم في الذمة شيئاً لا يملكه كأن يقول : إن شئني الله مريض فله على أن أعق رقبة ، وهو في تلك الحال لا يملكها ولا قيمتها فيصح نذره ، وإذا شئني مريضه ثبت النذر في ذمته . وفيه أنه لا نذر فيما لا يملك ، قاله المصنف رحمه الله

(٢) قوله (وإسناده على شرطهما) أي البخاري ومسلم ، وشرط البخاري في صحة المعنعن التي مع المعاصرة وأما غير المعنعن فيكتفي فيه المعاصرة وبدونها مثل حدثنا لأنها صريحة في المشافهة وأما مسلم فاكفي بالمعاصرة مع إمكان التي =

١٢ - باب

مِنَ الشَّرْكِ النَّذْرُ لغيرِ الله ^(١)

وقول الله تعالى ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾ وقوله ﴿وَمَا أَنتَقِمُوا﴾
مِنَ نَفَقَةٍ أَوْ نَذْرٍ تَمَنَّى مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ ^(٢)

(١) قوله (باب من الشرك النذر لغير الله) تعالى أى لكونه عبادة يجب الوفاء به إذا نذره الله تعالى (وقول الله تعالى : يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا) قال ابن كثير أى يتمدون الله تعالى فيما أوجبه عليهم من فعل الطاعات الواجبة بأصل الشرع ، وما أوجبوه على أنفسهم بطريق النذر . والشاهد من الآية لترجمة أن الله مدح الموفين بالنذر ، والله لا يمدح إلا على فعل واجب أو مستحب أو ترك محرم وذلك هو العبادة ، فمن فعل شيئا من ذلك لغير الله متقربا به إليه فقد أشرك ، فالنذر لغير الله شرك أصغر كالحلف بغيره . وقال شيخ الإسلام : النذر أعظم من الحلف ، وقال ابن القيم رحمه الله : النذر عبادة يتقرب بها الناذر إلى المنتذور .

(٢) قوله (وقول الله تعالى : وما أنتقم من نفقة أو نذرتم من نذر فإن الله يعلمه) قال ابن كثير : يخبر تعالى بأنه عالم بجميع ما يعمله العاملون من النفقات والمندورات وتضمن ذلك مجازاته على ذلك أوفر الجزاء للعاملين به ابتغاء وجهه انتهى . وقال شيخ الإسلام : النذر لغير الله كالنذر للأصنام والشمس والقمر والقبور ونحو ذلك بمنزلة أن يحلف بغير الله من المخلوقات ، والحالف بالمخلوقات لا وقاء عليه ولا كفارة وكذلك الناذر للمخلوقات فإن كليهما شرك ، والشرك ليس له حرمة بل عليه أن يستغفر الله من هذا ويقول ما قال النبي ﷺ من حلف وقال في حلفه واللات والعزى ، فليقل لا إله إلا الله ، رواه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجة عن أبي هريرة رضى الله عنه . وقال فيمن نذر للقبور ونحوها دعاء لتنوسر به ويقول إنها تقبل النذر كما يفعله بعض المشركين فهذا النذر معصية باتفاق المسلمين لا يجوز الوفاء به ، وكذلك إذا نذر مالا للسدنة أو المجاورين لما كفين بتلك البقعة فإن فيهم شها من السدنة التى كانت عند اللات والعزى ومناة ، يأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله =

== والمجاورون هناك فيهم شبه من الذين قال فيهم الخليل عليه السلام ﴿ ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون ﴾ وفيهم شبه من النذر اسدنة الصليبان والمجاورين عندها أو لسدنة الابداد في الهند والمجاورين عندها . قال الرافعي في شرح المنهاج : وأما النذر الشاهد التي على قبرولي أو شيخ أو على اسم من حلها من الاولياء أو تردد في تلك البقعة أو المشهد أو الزاوية أو تعظيم من دفن بها أو نسبت اليه أو بنيت على اسمه ، فهذا النذر باطل غير منعقد فإن معتقدهم أن لهذه الاماكن خصوصيات ، ويرون أنها مما يدفع به البلاء أو يستجلب به النعماء أو يستشفى بالنذر لها من الادواء حتى إنهم لينذرون لبعض الاحجار لما قيل لهم إنه استند اليه عبد صالح وينذرون لبعض القبور السرج والشمع والزيت ويقولون القبر الفلاني يقبل النذر ويعنون بذلك أنه يحصل به الغرض المأمول من شفاء مريض وقدم غائب وسلامة مال وغير ذلك من أنواع نذر المجازات ، فهذا النذر على هذا الوجه باطل لاشك فيه بل نذر الزيت والشمع ونحوهما للقبور باطل ، ومن ذلك نذر الشموع الكثيرة العظيمة وغيرها لقبر إبراهيم الخليل عليه السلام ولقبر غيره تبركا وتعظيما ظاناً أن ذلك قرينة فهذا مما لا ريب في بطلانه والإيقاد المذكور محرم سواء اتفنع به متفنع أم لا . وقال الشيخ قاسم الحنفى في شرح درر البحار : النذر الذى يندره أكثر العوام على ما هو مشاهد كأن يكون للإنسان غائب أو مريض أو له حاجة فيأتى إلى بعض الصالحاء ويجعل على رأسه ستره ، ويقول : يا سيدى فلان إن رز الله غائبى أو قضيت حاجتى فلك من الذهب كذا أو من الفضة كذا أو من الطعام كذا أو من الماء كذا أو من الشمع والزيت كذا فهذا النذر باطل بالإجماع لوجوه : منها أنه نذر لمخلوق والنذر للمخلوق لا يجوز لأنه عبادة والعبادة لا تكون لمخلوق ، ومنها أن المنذور له ميت والميت لا يملك شيئاً ، ومنها أنه ظن أن الميت يتصرف فى الامور دون الله عز وجل واعتقاد ذلك كفر إلى أن قال : إذا علمت هذا فما يؤخذ من الدراهم والشمع والزيت وينقل إلى ضرائح الاولياء تقرباً اليهم خرام بإجماع المسلمين ، نقله عنه ابن نجيم فى البحر الرائق ونقله المرشدى فى تذكرته وغيرهما عنه ، وزاد : وقد ابتلى الناس بهذا لاسيما فى مولد البدوى انتهى

وفي الصحيح^(١) عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال « مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللَّهَ فَلْيُطِعهُ ، وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَ اللَّهَ فَلَا يَعْصِهِ »^(٢)

١٣ - باب

مِنْ الشَّرْكِ الِاسْتِعَاذَةُ بِغَيْرِ اللَّهِ^(٣)

(١) قَوْلُهُ (وفي الصحيح) أى صحيح البخارى (عن عائشة) زوج النبي ﷺ وابنة الصديق رضي الله عنها زوجها النبي ﷺ وهي ابنة سبع ودخل بها وهي ابنة تسع ، وكان الصحابة رضي الله عنهم بعد وفاة النبي ﷺ يرجعون اليها فيما أشكل عليهم من أحوال النبي ﷺ وحديثه صلوات الله وسلامه عليه ، توفيت عائشة رضي الله عنها سنة سبع وخمسين (أن رسول الله ﷺ قال « مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللَّهَ فَلْيُطِعهُ ») أى يجب عليه الوفاء بنذر الطاعة ، لأنه نذره لله خالصا فوجب عليه الوفاء به . وقد أجمع العلماء على أن من نذر طاعة لشرط يرجوه كإِنْ شِئِيَ اللَّهُ مَرِيضَى فَعَلَى أَنْ أَتَصَدَّقَ بِكَذَا وَنَحْوِهِ ، وجب عليه إِنْ حَصَلَ مَا عَلَّقَ نَذْرَهُ عَلَى حَصُولِهِ ، إِلَّا أَبَا حَنِيفَةَ قَالَ : لَا يَلْزِمُهُ الْوَفَاءُ إِلَّا بِمَا جَنَسَهُ وَاجِبٌ بِأَصْلِ الشَّرْعِ كَالصَّوْمِ ، وَأَمَّا مَا لَيْسَ كَذَلِكَ فَلَا يَرْجِبُ الْوَفَاءُ بِهِ كَالْاِعْتِكَافِ

(٢) قَوْلُهُ (ومن نذر أن يعصى الله فلا يعصه) زاد الطحاوى : وليكفر عن يمينه . وقد أجمع العلماء على أنه لا يجوز الوفاء بنذر المعصية . وفيه وجوب الوفاء بالنذر وإذا ثبت كونه عبادة فصرفه لغير الله شرك . وإن نذر المعصية لا يجوز الوفاء به . قاله المصنف رحمه الله تعالى

(٣) قَوْلُهُ (باب من الشرك الاستعاذة بغير الله) الاستعاذة : الالتجاء والاعتماد ، ولهذا يسمى المستعاذ به معاذاً وملجأً ووزراً ، وقد أمر الله عباده في كتابه بالاستعاذة به في عدة آيات فقال ﴿ وَإِنَّمَا يَنْزِعُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ﴾ وقال ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ وفي المعوذتين وغيرهما ، فالاستعاذة عبادة يجب إخلاصها لله ، وأن لا يستعاذ بغيره ، =

وقول الله تعالى ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ
بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾^(١)

== والمعياذ يكون لدفع الشر ، واللباذا لطلب الخير . قال بعض الشعراء في بعض
الملوك :

يا من ألوذ به فيما أومله ومن أعوذ به بما أحاذره
لا يجبر الناس عظمًا أنت كاسره ولا يهيضون عظمًا أنت جابره
وهذا لا ينبغي أن يقال إلا لله عز وجل ، ولهذا ذكر عن شيخ الإسلام رحمه
الله تعالى أنه كان يجعل هذين البيتين في دعائه لربه

(١) قوله (وقول الله تعالى : وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال
من الجن فزادهم رهقا) ذكر ابن جرير في تفسير هذه الآية عن ابن عباس
رضي الله عنهما قال : كان رجال من الإنس يبيت أحدهم بالوادي في الجاهلية
فيقول أعوذ بعزير هذا الوادي من سفهاء قومه ، فزادهم ذلك إثما وقال بعضهم
فواد الإنس الجن باستعاذتهم بعزيرهم جراءة عليهم وزادهم بذلك إثما . وقال
مجاهد فازداد الكفار طغياناً . وقال ابن زيد : وزادهم الجن خوفا انتهى . وفيه
معرفة تفسير سورة الجن وكون الاستعاذة بالجن من الشرك ، قاله المصنف رحمه
الله تعالى وقد قال تعالى ﴿ يا معشر الجن قد استكثرتم من الإنس ﴾ أى من
إغوائهم ﴿ وقال أولياؤهم من الإنس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا
الذى أجلت لنا ، قال النار مشواكم ﴾ فاستمتع الإنسى بالجنى في قضاء حوائجه
وامتثال أوامره وإخباره بشئ من المغيبات واستمتع الجنى بالإنسى تعظيمه
إياه واستعاذته به وخضوعه له . وفيه كون الشئ يحصل به منفعة دنيوية من
كف شر أو جلب نفع لا يدل على أنه ليس من الشرك ، قاله المصنف رحمه الله
تعالى . وقال ابن القيم رحمه الله تعالى : ومن ذبح للشيطان ودعاه واستعاذ به
وتقرب إليه بما يجب فقد عبده وإن لم يسم ذلك عبادة ويسميه استخداما ،
وصدق هو استخدام من الشيطان له ، فيصير من خدم الشيطان وعابديه وبذلك
يخدمه الشيطان لكن خدمة الشيطان له ليست خدمة عبادة فإن الشيطان لا يخضع
له ولا يعبده كما يفعل هو انتهى .

وعن خَوْلَةَ بِنْتِ حَكِيم^(١) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ « مَنْ نَزَلَ مِنْزِلًا فَقَالَ : أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ »^(٢) ، لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ حَتَّى يَرَحَلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ .
رواه مسلم

(١) قوله (وعن خولة بنت حكيم) بن أمية السلية ، يقال لها أم شريك ويقال إنها الواهبة ، وكانت قبل تحت عثمان بن مظعون ، قال ابن عبد البر : كانت صالحة فاضلة (قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول « من نزل منزلا - أى حضرا أو سفرا ، برا أو بحرا - فقال : أعوذ بكلمات الله التامات ،) قال القرطبي : قيل معناه : الكلمات التي لا يلحقها نقص ولا عيب كما يلحق كلام البشر ، وقيل : الشافية الكافية ، والكلمات هنا هي القرآن ، فإن الله أخبر عنه أنه هدى وشفاء ، وهذا الأمر على جهة الإرشاد إلى ما يدفع به الأذى فهذا الذى شرعه الله لأهل الإسلام أن يستعيذوا به لا كما يفعله أهل الجاهلية من الاستعاذة بالجن . قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى ، كلمات الله نوعان : كلمات كونية وكلمات دينية فكلمات الكونية هي التي استعاذ بها النبي ﷺ في قوله « أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر ، وقال سبحانه) إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون) وقال تعالى (وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا ، لا مبدل لكلماته) والكون كله داخل تحت هذه الكلمات . والنوع الثاني : الكلمات الدينية وهي القرآن وشرع الله الذي بعث به رسوله ، وهي أمره ونهيه وخبره وحظ العبد منها العلم بها والعمل والأمر بما أمر الله به كما أن حظ العبد عموما وخصوصا من الأولى العلم بالسكونيات والتأثير فيها أى بموجبها فالأولى قدرية كونية ، والثانية شرعية دينية ، وكشف الأولى العلم بالحوادث الكونية ، وكشف الثانية العلم بالمأمورات الشرعية ، وقدرة الأولى التأثير في السكونيات ، وقدرة الثانية التأثير في الشرعيات انتهى ملخصا . وقد نص الأئمة كأحمد وغيره على أنه لا تجوز الاستعاذة بمخلوق وردوا على الجهمية والمعتزلة في قولهم بخلق القرآن فلو كانت كلمات الله مخلوقة لم يأمر النبي ﷺ بالاستعاذة بها لأن الاستعاذة بالمخلوق شرك (٢) قوله (من شر ما خلق) أى من شر كل ذى شر فى أى مخلوق قام به الشر من حيوان أو غيره لفسيا أو جنيا أو هامة أو دابة أو ريحا أو صاعقة أى نوع =

١٤ - باب

مِنَ الشِّرْكِ أَنْ يَسْتَغِيثَ بِغَيْرِ اللَّهِ أَوْ يَدْعُوَ غَيْرَهُ^(١)

= كان من أنواع البلاء في الدنيا والآخرة قاله ابن القيم . قال : وما ههنا موصولة وليس المراد بها العموم الإطلاق بل المراد التقييد الوصفي والمعنى : من شر كل مخلوق فيه شر لا من شر ما خلقه الله ، فإن الجنة والملائكة والأنبياء ليس فيهم شر . والشر يقال على شيئين على الألم وعلى ما يفضى إليه

وقوله : (لم يضره شيء حتى يرتحل من منزله ذلك ، رواه مسلم) وفيه جواز الاستعاذة بكلمات الله والاستدلال على ذلك بالحديث لأن العلماء استدلوأ به على أن كلمات الله غير مخلوقة قالوا لأن الاستعاذة بالمخلوق شرك وفيه فضيلة هذا الدعاء مع اختصاره ، قاله المصنف رحمه الله تعالى

(١) قوله (باب : من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره) عطف الدعاء على الاستغاثة من عطف العام على الخاص ، قاله المصنف رحمه الله تعالى والمراد بالدعاء هنا دعاء المسئلة ، قاله في الشرح . والاستغاثة : طلب الفوت وهو إزالة الشدة كالاستنصار طلب النصر ، والاستعانة طلب العون . ومن أسمائه سبحانه : المغيث بمعنى المجيب ، ومعناه المدرك عباده في الشدائد إذا دعوه ومجيئهم ومخلصهم ، لكن الإغاثة أخص بالأفعال ، والإجابة أخص بالاقوال . والاستغاثة دعاء المسكروب والدعاء أعم منها لأنه يكون من المسكروب وغيره . قال شيخ الإسلام : والدعاء نوعان : دعاء مسئلة ودعاء عبادة ، فدعاء المسئلة هو طلب ما ينفع الداعي من جلب نفع أو دفع ضرر ، فالمعبود لا بد أن يكون مالكا للنفع والضرر ولهذا أنكر الله على من عبد من دونه ما لا يملك نفعاً ولا ضرراً ، وأما دعاء العبادة فهو عبادة الله بأنواع العبادات : من الصلاة والزكاة والذبح وغيرها خوفاً وطمعاً يرجوا رحمته ويخاف عذابه وإن لم يكن في ذلك صيغة سؤال وطلب وهما متلازمان فكل دعاء عبادة فهو مستلزم لدعاء المسئلة ، وكل دعاء مسئلة فهو متضمن لدعاء العبادة ويراد به في القرآن هذا تارة وهذا تارة ، ويراد به مجموعها وقد فسر قوله تعالى (أدعون أستجب لكم) =

== بالنوعين قيل أعبدونى وامثلوا أمرى أستجب لىكم ، وقيل سلونى أعطكم . وقد أجمع العلماء على أن من صرف شيئا من نوعى الدعاء لغير الله فقد أشرك ولو قال لا إله إلا الله محمد رسول الله وصلى وصام وزعم أنه مسلم ، انتهى ملخصا . وقال الشيخ صنع الله الحنفى فى كتابه فى الرد على من ادعى أن للأولياء تصرفات : قد ظهر الآن فيما بين المسلمين جماعات يدعون أن للأولياء تصرفات فى حياتهم وبعد مماتهم ويستغاث بهم فى الشدائد والبليات وبهم مهم تكشف الملمات ، فيأتون قبورهم وينادونهم فى قضاء الحاجات مستدلين أن ذلك منهم كرامات وجوزوا لهم المذابح والتذور وأثبتوا غيما الأجور . وهذا كلام فيه تفريط وإفراط بل فيه الهلاك الأبدى والعذاب السرمدى لما فيه من روائح الشرك المحقق ومصادمة الكتاب العزيز المصدق ومخالفته لعقائد الأئمة وما أجمعت عليه الأمة . فاما قولهم إن للأولياء تصرفات فى حياتهم وبعد الممات فيرده قوله تعالى ﴿ أله مع الله أله الخلق والأمر ﴾ ونحوها من الآيات الدالة على أنه المنفرد بالخلق والتدبير والتصرف والتقدير لا شىء لغيره فى شىء ما بوجه من الوجوه . وأما القول بالنصرف بعد الممات فهو أشنع من القول بالنصرف فى الحياة ، قال جل ذكره ﴿ إنك ميت وإنهم ميتون ﴾ الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت فى منامها فيمسك التى قضى عليها الموت ﴿ كل نفس بما كسبت رهينة ﴾ وفى الحديث : إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث . . . الحديث . لجميع ذلك وما هو نحوه دال على انقطاع الحس والحركة من الميت وأن أرواحهم ممسكة وأن أعمالهم منقطعة عن زيادة ونقصان ، فدل على أنه ليس للميت تصرف فى ذاته فضلا عن غيره . وأما اعتقادهم أن هذه التصرفات من السكرامة فهو من المغالطات لأن السكرامة شىء من عند الله يكرم به أولياء لا قصد لهم فيه ولا تحدى ولا قدرة ولا علم كما فى قصة مريم بنت عمران وأسيد بن حضير وأبى مسلم الخولانى يعنى قوله تعالى ﴿ كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا ، قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله ﴾ وروى البخارى تعليقا عن أنس بن مالك أن عباد بن بشر وأسيد بن حضير خرجا من عند النبي ﷺ فأضاعت عصاه أحدهما لها حتى مشيا فى ضوئها فلما افترقت بهما الطريق أضاعت للآخر عصاه حتى بلغ أهله . وأما أبو مسلم الخولانى واسمه عبد الله بن ثوب فروى البيهقى عن سليمان بن ==

وقول الله تعالى ﴿ وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ﴾^(١)، فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنْ الظَّالِمِينَ^(٢)؛ وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ ﴿ الآية^(٣) . وقوله ﴿ فَاذْعَبُوا عِنْدَ

= المغيرة أن أبا مسلم الخولاني جاء إلى دجلة وهي ترمى بالحشب من مدها فشى على الماء والتفت إلى أصحابه وقال هل تفقدون من متاعكم شيئاً فندعوا الله عز وجل قال البيهقي : هذا إسناد صحيح ، ذكر ذلك ابن كثير في البداية والنهاية . وأما قولهم فيستغاث بهم في الشدائد فهذا أقبح مما قبله لمصادمته قوله جل ذكره ﴿ أَمِنْ يَجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُ لَكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ إِلَهُ مَعَ اللَّهِ ﴾^(١) وقوله ﴿ قُلْ مَنْ يَنْجِيكُمْ مِنْ ظِلْمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً ﴾ إلى قوله ﴿ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ ﴾ فإنه جل ذكره الكاشف للضر والمنفرد بإجابة المضطر والمستغاث لذلك كله فإذا تعين هو جل ذكره خرج غيره من ملك وبني وولى . والاستغاثة تجوز في الأسباب والظاهرة العادية من الأمور الحسية في قتال عدو أو إدراك عدو أو سبغ أو نحوه . وأما الاستغاثة بالقوة والتأثير أو في الأمور المعنوية كالمرض وخوف الفرق والضيق والمقر وطلب الرزق ونحو ذلك فن خصائص الله لا يطلب فيها غيره فن اعتقد أن لغیر الله من نبي أو ولى أو روح أو غير ذلك في كشف كربة أو قضاء حاجة تأثيراً فقد وقع في وادی جهل خطير فهو على شفا حفرة من السعير ، انتهى ملخصاً .

(١) وقوله (ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك) وهذا أمر مشترك بين جميع المخلوقين سواء كانوا ملائكة أو أنبياء أو أولياء أو غيرهم مما يدعى من دون الله لا يقدر أحد منهم على نفع ولا ضرر

(٢) وقوله (فإن فعلت) أى دعوت غير ربك (فإنك إذا من الظالمين) أى المشركين . فالظلم هنا الشرك كما قال لقمان (يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم)

(٣) وقوله (وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو) أى هو القادر على ذلك دون ما سواه وإن يردك بخير فلا راد لفضله فإنه المنفرد بالملك =

الله الرزق^(١) واعبدوه^(٢) الآية^(٣) . وقوله ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾^(٤) الآيتين

= والعتاء والمنع والضر والنفع فيجب أن يكون هو المدعو المعبود وحده دون من لا يملك ضراً ولا نفعاً . وفيه معرفة تفسير ﴿ ولا تدع من دون الله مالا يفعلك ولا يضرك ﴾ وأن هذا هو الشرك الأكبر ، وإن أصلح الناس لو يفعله إرضاء لغيره صار من الظالمين وتفسير الآية التي بعدها وكون ذلك لا ينفع في الدنيا مع كونه كفر . قاله المصنف رحمه الله

(١) وقوله (تعالى عن خليله إبراهيم) مخاطبا قومه (إن الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عند الله الرزق) أى اطلبوا الرزق عنده لا عند غيره ولم يقل فابتغوا الرزق عند الله لأن تقديم الظرف يشعر بالاختصاص والحصر كأنه قال : لا تبتغوا الرزق إلا عند الله ، قاله شيخ الإسلام

(٢) وقوله (واعبدوه) أى اخلصوا له العبادة من عطف العام على الخاص فإن ابتغاء الرزق عنده من العبادة التى أمر بها ، واشكروا له على ما أنعم عليكم ، إليه ترجعون فيجازى كل عامل بعمله . وفيه معرفة تفسير : فابتغوا عند الله الرزق وأن الرزق لا يتبغى إلا من الله كما أن الجنة لا تطلب إلا منه ، قاله المصنف رحمه الله

(٣) وقوله تعالى (ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين) أخبر تعالى أن المدعو لا يستجيب لداعيه فى الدنيا كما قال تعالى (والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشئ) الآية . ولا يستجيب له أيضا فى الآخرة كما قال تعالى (وقيل ادعوا شركاءكم فدعوه فلم يستجيبوا لهم) وقال (ويوم يقول نادوا شركائى الذين زعمتم فدعوه فلم يستجيبوا لهم) فتناولت الآية كل داع وكل مدعو من دون الله ، قاله فى فتح المجيد . ففى الآية أنه لا أضل ممن دعى غير الله ، وأنه غافل عن دعاء الداعى لا يدرى عنه ، وأن تلك الدعوة سبب لبغض المدعو للداعى وعداوته له وتسمية تلك الدعوة عبادة للمدعو وكفر المدعو بتلك العبادة ، وأن هذه الأمور هى سبب كونه أضل الناس ، قاله المصنف رحمه الله تعالى

وقوله ﴿ أَمْ مَنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ ﴾^(١)
وروى الطبراني بإسناده^(٢) أنه كان في زمن النبي ﷺ منافق

(١) وقوله تعالى (أَمْ مَنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُ لَكُمْ خَلْفَاءَ الْأَرْضَ أَلَمْ يَكُنْ اللَّهُ قَلِيلًا مَا تَذْكُرُونَ) يحتاج تعالى على المشركين بما أقرؤا به من توحيد الربوبية على ما أشركوا فيه من توحيد الإلهية ، يقول إذا كنتم تقولون أنه لا إله مع الله يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء النازل بكم ويجعلكم خلفاء الأرض أى يستخلف في الأرض منكم بعد أمواتكم خلفاء أحياء يخلفونهم فلماذا عبدتم غيره ممن لا يستطيع شيئاً من ذلك (قليلاً ما تذكرون) أى قليلاً اتعاضكم فلذلك أشركتم بالله غيره في عبادته . وفيه معرفة تفسير (أَمْ مَنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ) والامر العجيب وهو إقرار عبدة الاوثان أنه لا يجيب المضطر إلا الله ولاجل هذا يدعونه في الشدائد مخلصين له الدين ، قاله المصنف رحمه الله

(٢) قوله (وروى الطبراني بإسناده) وهو الإمام الحافظ سليمان بن أحمد ابن أيوب اللخمي الطبراني صاحب المعاجم الثلاثة وغيرها ، روى عن النسائي وصالح بن إبراهيم الديري وخلق ، مات سنة ست وثلاثمائة عن عبادة ، هو ابن الصامت رضى الله عنه (أنه كان في زمن النبي ﷺ منافق يؤذى المؤمنين) وهذا المنافق هو عبد الله بن أبيّ كما جاء مصرحاً به في رواية ابن أبي حاتم ، وهذا شأن المنافقين في كل زمان ومكان طبعهم السعي في أذية المؤمنين بالقول والفعل ورميم بالعظائم لا سيما في هذا الزمن الذي ضُف فيه أمر الدين في قلوب الذين يرجى منهم نصرته وتأييده فلذا رفع المنافقون رؤوسهم وأظهروا نفاقهم ، قال حذيفة رضى الله عنه : المنافقون الذين فيكم اليوم شر من المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ ، قالوا : وكيف ذلك ؟ قال : أولئك يخفون نفاقهم وهؤلاء أعلنوه ، وإذا كان هذا قول حذيفة عن المنافقين الذين كانوا في آخر عصر الصحابة فكيف بمنافق الرابع عشر قرناً ؟ قاله المستعان

يُؤْذِي الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ بَعْضُهُمْ^(١) : قَوْمُوا بِنَا نَسْتَغِيثُ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ
مِنْ هَذَا الْمُنَافِقِ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ « إِنَّهُ لَا يُسْتَغَاثُ بِي ، وَإِنَّمَا
يُسْتَغَاثُ بِاللَّهِ^(٢) »

(١) قوله (فقال بعضهم) : أى الصحابة ، وهو أبو بكر الصديق رضى الله
عنه (قوموا بنا نستغيث برسول الله ﷺ من هذا المنافق) فى كف أذاه

(٢) قوله (فقال النبي ﷺ إنه لا يستغاث بى وإنما يستغاث بالله عز وجل)
أخبرهم النبي ﷺ أنه لا يستغاث به ومن دونه من باب أولى أن لا يستغاث به ،
كره ﷺ أن يستعملوا هذا اللفظ فى حقه وإن كان مما يقدر عليه فى حياته لجنب
التوحيد وسدأ لذرائع الشرك وأدباً وتواضعاً لربه وتحذيراً للأمة من وسائل
الشرك فى الأقوال والأفعال . فإذا كان هذا قوله فيما يقدر عليه فى حياته فكيف
تجوز الاستغاثة به بعد وفاته ويطلب منه أمور لا يقدر عليها إلا الله عز وجل ،
كما جرى على السنة كثير من الشعراء كالابوصيرى والبرعى وغيرهما من الاستغاثة
بمن لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ، والإعراض عن الاستغاثة بالرب العظيم القادر
على كل شئ لا إله غيره ولا رب سواه ، قاله فى فتح المجيد . وفيه حاية المصطفى
ﷺ حمى التوحيد ، والتأديب مع الله عز وجل . قاله المصنف رحمه الله تعالى .
وذكر شيخ الإسلام فى كتاب الاستغاثة عن بعض أهل زمانه أنه يجوز الاستغاثة
بالرسول ﷺ فى كل ما يستغاث فيه بالله وصنف فى ذلك مصنفا وكان يقول إن
النبي ﷺ يعلم ما يعلمه الله ويقدر على ما يقدر عليه الله ، وأن بعضهم قال فى قوله
(وتسبحوه بكرة وأصيلا) أن الرسول هو الذى يسبح ، ومنهم من قال : نحن
نعبد الله ورسوله . . إلى غير ذلك من الكفر الصريح ، والله يقول (قل لا يعلم
من فى السموات والأرض الغيب إلا الله) ويقول (قل لا أقول لكم عندى
خزان الله ولا أعلم الغيب) انتهى

١٥ - باب

قول الله تعالى ﴿أَيْشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئاً وَهُمْ يُخْلَقُونَ ،
وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرٌ﴾ ^(١) الآية ، وقوله ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ
مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾ الآية ^(٢)

(١) قوله (باب قول الله تعالى أيشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون
ولا يستطيعون لهم نصراً ولا أنفسهم ينصرون) وهذا توبيخ وتعنيف للشركيين
في عبادتهم مع الله تعالى ما لا يخلق شيئا وهو مخلوق والمخلوق لا يكون شريكا
للخالق في العبادة التي خلقهم لها وشيئا نكرة في سياق النفي تعم كل شئ . وإن قل
كما قال تعالى ﴿يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ، إن الذين تدعون من دون
الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ،
ضنف الطالب والمطلوب ، ما قدروا الله حق قدره ﴾ الآية : فذكر أنهم
لا يستطيعون لمن عبدتهم نصراً ولا أنفسهم ينصرون ، فنفى عنهم النصر القاصر
وهو نصرهم لأنفسهم والمتعدى وهو نصرهم لغيرهم فكيف يشركون مع الله في
عبادته من لا يستطيع نصر عابديه ولا نصر نفسه ؟ وهذا وصف كل مخلوق حتى
الملائكة والأنبياء والأولياء والصالحين

(٢) وقوله تعالى (والذين تدعون من دونه ما يملكون من قطمير) بعد
قوله ﴿ذلكم الله ربكم له الملك ﴾ يخبر تعالى أن الملك له وحده لا شريك له ، وأن
الذين يدعون من دونه من الملائكة والأنبياء والأولياء والأصنام وغيرها
ما يملكون لمن دعاهم من قطمير ، وهو اللقافة التي على ظهر نواة التمر ، قاله ابن
عباس وغيره أي لا يملكون قليلاً ولا كثيراً ، ثم قال تعالى ﴿إن تدعوهم
لا يسمعوا دعاءكم ﴾ ولو فرض أنهم سمعوا ما استجابوا لكم بل قد انتفت عنهم
الأسباب التي تكون في المدعو المعبود وهي الملك وسماع الدعاء وإجابة الداعي
فمن لم توجد فيه هذه الشروط بطلت دعوته وعبادته ، ثم قال ويوم القيامة
يكفرون بشركم أي يمحذون عبادتكم إياهم وينكرونها ، كما قال تعالى ﴿وقال =

وفي الصحيح^(١) عن أنس قال : شُجَّ النبي ﷺ يومَ أحدٍ

= شركاؤهم ما كنتم إيانا تعبدون فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم إن كنا عن عبادتكم لغافلين . وهذه الآية نص في أن دعاء غير الله شرك ولا يفتشك مثل خبير أى لا يخبرك بعواقب الأمور وما لها وما تصير إليه مثل خبير . قال قتادة : يعنى نفسه تبارك وتعالى . وفيه معرفة تفسير الآيتين ، قاله المصنف رحمه الله تعالى

(١) قوله (وفي الصحيح) أى الصحيحين علقه البخارى عن حميد عن أنس ، ووصله أحمد والترمذى والشافعى عن حميد (عن أنس بن مالك) خادم رسول الله ﷺ رضى الله عنه . (قال شج النبي ﷺ يوم أحد وكسرت رباعته) قال أبو السعادات الشج في الرأس خاصا في الأصل وهو أن يضربه بشئ فيجرحه فيه ويشقه ثم استعمل في غيره من الأعضاء وذكر ابن هشام من حديث أبي سعيد الخدرى أن عتبة بن أبي وقاص هو الذى كسر رباعية النبي ﷺ السفلى وأن عبد الله بن شهاب الزهري هو الذى شجه في جبهته ، وأن عبد الله بن قنينة جرحه في وجنته فدخلت حلقتان من حلق المغفر في وجنته وأن مالك بن سنان مص الدم من وجه رسول الله ﷺ ثم ازدردته فقال رسول الله ﷺ له : لن تمسك النار ، وروى الطبرانى من حديث أبي أمامة قال : رى عبد الله بن قنينة رسول الله ﷺ يوم أحد فشح وجهه وكسر رباعيته فقال خذها وأنا ابن قنينة فقال رسول الله ﷺ : مالك أقماك الله ، فسلط الله عليه نينس الجبل فلم يزل ينطحه حتى قطعه قطعة قطعة . قال القرطبي : الرباعية بفتح الراء وتخفيف الياء كل سن بعد ثنية . قال النووى : وللاإنسان أربع رباعيات . قال الحافظ ابن حجر : والمراد أنها كسرت فذهب منها فلفة ولم تقلع من أصلها . قال النووى : وفي هذا وقوع الاسقام والابتلاء بالانبياء صلوات الله وسلامه عليهم لنيالوا بذلك جزيل الاجر والثواب ولتعرف الامم ما أصابهم ويأتسوا بهم قال القرطبي . وليعلم أنهم من البشر تصيبهم عن الدنيا ويطرأ على أجسامهم ما يطرأ على أجسام البشر ليقين أنهم مخلوقون مربوبون ولا يفتتن بما ظهر على أيديهم من المعجزات ويلبس الشيطان من أمرهم ما لبسه على النصارى وغيرهم انتهى . يعنى من الغلو والعبادة قاله في فتح المجيد .

قوله يوم أحد : هو جبل شرق المدينة قال ﷺ : أحد جبل يحبنا ونحبه ، وكانت عنده الرقعة المشهورة فأضيفت إليه

وَكُسِّرَتْ رُبَاعِيَّتُهُ فَقَالَ : « كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ شَجَّوْا نَبِيَّهُمْ ^(١) » فنزلت
﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ^(٢) 》 . وفيه عن ابن عمر رضي الله عنهما ^(٣)
أنه سمع رسول الله ﷺ يقول إذا رفع رأسه من الركوع ^(٤) في الركعة
الآخيرة من الفجر « اللَّهُمَّ الْعَنْ فُلَانًا وَفُلَانًا » بعد ما يقول « سَمِعَ
اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ » فَأَنْزَلَ اللَّهُ : ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ

(١) قوله (فقال : كيف يفلح قوم شجوا نبيهم) زاد مسلم د وكسروا
رباعيته وأدموا وجهه ،

(٢) قوله (فَأَنْزَلَ اللَّهُ : لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ) قال ابن عطية : كان
النبي ﷺ لحقه في تلك الحال يائس من فلاح كفار قريش فقل له بسبب ذلك
﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ 》 أي عواقب الأمور بيد الله ، فامض أنت لشأنك
وادم على طاعة ربك . قال ابن إسحق : أي ليس لك من الحكم شيء في عبادي
إلا ما أمرتك به فيهم

(٣) قوله (وفيه أيضا) أي الصحيح (عن ابن عمر) بن الخطاب رضي الله
عنهما ، صحابي جليل شهد له رسول الله ﷺ بالصلاح . مات سنة ثلاث وسبعين
في آخرها أو في أول التي تليها

(٤) قوله (أنه سمع رسول الله ﷺ يقول إذا رفع رأسه من الركوع في
الركعة الآخيرة من الفجر ، اللهم العن فلانا وفلان ، بعد ما يقول) سمع الله لمن
حمده ربنا ولك الحمد (قال أبو السعادات أصل اللعن الطرد والإبعاد من الله ،
ومن الخلق السب والدعاء .

وقوله : فلانا وفلانا يعني صفوان بن أمية وسهيل بن عمرو والحارث بن
هشام كما بينه في الرواية الآتية . وفيه جواز الدعاء على المشركين بأعيانهم في الصلاة
وأن ذلك لا يضر في الصلاة

شيء « الآية . وفيه في رواية : يَدْعُو عَلَى صَفْوَانَ ^(١) بن أمية وسهيل

قوله : بعد ما يقول وسمع الله لمن حمده ، قال أبو السعادات : أى أجاب حمده وتقبله . قال السبيلي مفعول سمع محذوف لأن السمع متعلق بالأقوال والأصوات دون غيرها ، فاللام تؤخذ بمعنى زائد وهو الاستجابة للسمع فاجتمع في الكلمة الإيجاز والدلالة على الزائد وهو الاستجابة لمن حمده . وقال ابن القيم ما معناه : عدى سماع الله لمن حمده باللام المتضمنة معنى استجاب له ولا حذف هناك وإنما هو مضمن قوله : ربنا ولك الحمد في بعض روايات البخارى بإسقاط الواو . قال ابن دقيق العيد : كان إثباتها دال على معنى زائد لأنه يكون التقدير : ربنا استجب ولك الحمد فيشتمل على معنى الدعاء ومعنى الخير . قال شيخ الإسلام : والحمد ضد الذم ، والحمد يكون على محاسن المحمود مع المحبة له كما أن الذم يكون على مساوئه مع البغض له ، وفيه التصريح بأن الإمام يجمع بين التسميع والتحميد وهو قول الشافعى وأحمد وخالفه في ذلك مالك وأبو حنيفة وقالوا : يقتصر على سماع الله لمن حمده ^(١) قوله (وفي رواية : يدعو على صفوان بن أمية وسهيل بن عمرو

والحارث بن هشام) عنهم عليهم السلام لأنهم من أشد الناس عداوة له وهم السبب في غالب ما جرى عليه عليه السلام وعلى أصحابه هم وأبو سفيان ، ومع ذلك ما أجيب فيهم بل أنزل الله عليه (ليس لك من الأمر شيء) أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون) فتاب عليهم فآمنوا . فدل هذا على أنه عليه السلام لا يملك لأحد ضراً ولا نفعاً كما قال تعالى (قل إني لا أملك لكم ضراً ولا رشداً . قل إني لن ينجيني من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحداً إلا بلاغا من الله ورسالاته) بل لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً فضلاً عن غيره كما قال تعالى (قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون) وفيه : قنوت سيد المرسلين وخلفه سادات الأولياء يؤمنون في الصلاة ، وأن المدعو عليهم كفار ، وأنهم فعلوا أشياء ما فعلها غالب الكفار منها شجيم نديم وحرصهم على قتله ، ومنها التمثيل بالقتلى مع أنهم بنو عهم (فأنزل الله عليه في ذلك) ليس لك من الأمر شيء) أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون فتاب عليهم فآمنوا . والقنوت في التوازل وتسمية المدعو عليهم في الصلاة بأسمائهم وأسماء آبائهم ولعنة المعين في القنوت قاله المصنف رحمه الله

ابن عمرو والحارث بن هشام فنزلت ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ﴾ وفيه عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ حين أنزل عليه ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾^(١) . فقال : « يا معشر قريش^(٢) - أو كلمة نحوها^(٣) - اشترُوا أَنْفُسَكُمْ^(٤) . لا أَغْنَى عَنْكُمْ مِنَ

وقوله (وفي الصحيح) أى صحيح البخارى (عن أبي هريرة رضى الله عنه) واختلف فى اسمه على أكثر من ثلاثين قولاً ، وصحح الثنوى أن اسمه عبد الرحمن ابن صخر كما رواه الحاكم فى المستدرک عن أبي هريرة قال كان يسمى فى الجاهلية عبد شمس بن صخر فسميت فى الإسلام عبد الرحمن وروى الدولابى بإسناده عن أبي هريرة أن النبی ﷺ سماه عبد الله وهو دوسى من فضلاء الصحابة وحفاظهم رضى الله عنه حفظ عن النبی ﷺ أكثر مما حفظ غيره ، مات سنة سبع أو ثمان أو تسع وخمسين وهو ابن ثمان وسبعين سنة ولما حصل الخلاف بين علي ومعاوية رضى الله عنهما كان مقبلاً فى جبل مطل على الفريقين فإذا جاءت الصلاة نزل فصلى مع علي ، وإذا جاء وقت الأكل نزل فأكل مع معاوية ، فقتل له فى ذلك فقال : الصلاة وراء علي أتم ، وحفنة معاوية أدسم ، ورأس الجبل لاني هريرة أسلم

(١) قوله (قام رسول الله ﷺ حين أنزل عليه) وأنذر عشيرتك (الأقربين) ، والإندار هو الإعلام بأسباب المخافة والتحذير منها وهذه نذارة خاصة أمر فيها بإنذار عشيرته الأقربين . وعشيرة الرجل بنو أبيه الأدنون أو قبيلته . والأقربون الأقرب فالأقرب فأنذر بطون قريش وأنذر عمه وعمته وابنته وهم أقرب الناس إليه فعم وخص ، وأخبرهم أنه لا يغنى عنهم من الله شيئا إذا لم يؤمنوا به ويقبلوا ما جاء به من التوحيد وترك الشرك . وأما النذارة العامة ففى قوله تعالى (وأوحى إلى هذا القرآن لأنذرکم به ومن بلغ) وقوله (أكان للناس عجباً أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس) وغيرها من الآيات (١) قوله (فقال) يا معشر قريش ، المعشر : كسكن الجماعة ، وفى صحيح

البخارى يا بنى عبد مناف

(٢) قوله (أو كلمة نحوها) هو بنصب كلمة عطفا على ما قبله

(٣) وقوله (اشترُوا أَنْفُسَكُمْ) أى بتوحيد الله وإخلاص العبادة له وحده =

الله شيئاً^(١) ، يا عباسُ بنَ عبدِ المطلب^(٢) لا أغنى عنكَ من الله شيئاً ،
يا صفيّةُ عمة رسول الله ﷺ لا أغنى عنكَ من الله شيئاً ، ويا فاطمةُ
بنتَ محمد ، سَلِّني من مالي ما شئتَ^(٣) لا أغنى عنكَ من الله شيئاً ،

= لا شريك له وطاعته فيما أمر به والانتها عما نهى عنه . فان ذلك هو الذي
ينجى من عذاب الله ، لا الاعتماد على الاسباب والاحساب فان ذلك غير نافع عند
رب الارباب

(١) وقوله (لا أغنى عنكم من الله شيئاً) فيه حجة على من تعلق على الانبياء
والصالحين ليشفعوا له وينفعوه أو يدفعوا عنه . فإن هذا هو الشرك الذي حرمه الله
الله وأمر نبيه بالإنذار عنه ، قاله في فتح المجيد

(٢) قوله (يا عباس بن عبد المطلب) بنصب ابن ويجوز في عباس الرفع
والنصب وكذا في قوله (يا صفيّة عمة رسول الله ، ويا فاطمة بنت محمد)

(٣) قوله (سَلِّني من مالي ما شئت) أى الذى أنا أملكه (لا أغنى عنكَ
من الله شيئاً) بين ﷺ أنه لا ينجى من عذاب الله إلا الإيمان والعمل الصالح ،
وهذا نفي لما عسى أن يتوهموه من أنه يغنى عنهم من الله شيئاً بشفاعته ، فإذا كان
لا يملك لنفسه نفعا ولا ضراً كما أخبر الله عنه بقوله (قل لا أملك لنفسى نفعا
ولا ضراً إلا ما شاء الله) الآية . بل ولا يدفع عن نفسه عذاب الله لو عصاه
(قل لئن أخاب إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم) فكيف يملك لغيره نفعا
أو ضراً أو يدفع عنه عذاب الله ؟ وأما شفاعته في بعض العصاة فهو أمر من الله
له ابتداء فضلاً عليه وعليهم لا أنه يشفع من تلقاء نفسه فيمن يشاء . وفيه جده
ﷺ لما أنزل عليه (وأنذر عشيرتكَ الأقربين) بحيث فعل ما نسب بسببه إلى
الجنون وكذلك لو يفعله مسلم الآن وقوله للأبعد والأقرب ، لا أغنى عنكَ من الله
شيئاً ، فإذا صرح وهو سيد المرسلين أنه لا يغنى شيئاً عن سيدة نساء العالمين
وآمن الإنسان أنه لا يقول إلا الحق ثم نظر فيما وقع في قلوب خواص الناس
الآن تبين له التوحيد وغربة الدين ، قاله المصنف رحمه الله تعالى

١٦ - باب

قول الله تعالى ﴿ حتى إذا فُزِعَ عن قُلُوبِهِم قالوا : ماذا قال ربكم ؟ قالوا : الحق ، وهو العليُّ الكبير ﴾^(١)

(١) قوله (باب قول الله تعالى : حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم ؟ قالوا الحق وهو العلي الكبير) . أراد المصنف رحمه الله تعالى بالترجمة بهذه الآية بيان حال الملائكة الذين هم أقوى وأعظم من عبد من دون الله وأقربهم منه منزلة ، فإذا كانت هذه هيبتهم وخوفهم من الله عند سماعهم لكلامه فكيف يدعون من دونه وهم لا يملكون شيئاً لمن دعاهم ، وإذا كانوا لا يملكون شيئاً فغيرهم من الأنبياء والأولياء أولى أن لا يدعى ، ففيها رد على جميع فرق المشركين الذين يدعون من لا يداني الملائكة في صفة من صفاتهم ، وهذه الآية مرتبطة بما قبلها ، وهي قوله تعالى ﴿ قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له حتى إذا فزع عن قلوبهم - أى زال عنها الفزع قاله بن عباس وغيره - قالوا ماذا قال ربكم ﴾ الآية . قال أبو حيان تظاهرت الأحاديث عن رسول الله ﷺ أن قوله ﴿ حتى إذا فزع عن قلوبهم ﴾ إنما هي الملائكة إذا سمعوا الوحي إلى جبريل وأمر الله تعالى له سمعت كجر السلسلة الحديد على الصفوان فتفزع عند ذلك تعظيماً وحيية ، قال : وبهذا المعنى من ذكر الملائكة مشار إليهم من أول قوله ﴿ الذين زعمتم ﴾ لم تتصل له هذه الآية بما قبلها انتهى ، قال ابن جرير : قال بعضهم الذين فزع عن قلوبهم الملائكة ، قالوا : وإنما فزع عن قلوبهم من غشية تصيبهم عند سماع كلام الله عز وجل ، قال ابن كثير : وهو الحق الذي لا مرية فيه لصحة الأحاديث فيه والآثار ، انتهى . وفي الآية : الرد على من زعم أن كلام الله مخلوق وعلى القائلين بالكلام النفس . وقد كان المشركون يعبدون الملائكة ويؤمنون أنهم بنات الله تعالى وتقدس ، ويقولون نعبدكم ليقربونا إليه ويشفعوا لنا عنده كما أخبر الله عنهم في قوله ﴿ ويوم يحشرهم جميعاً ثم يقول الملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون ؟ قالوا سبحانك . =

== أنت ولينا من دونهم ، بل كانوا يعبدون الجن) وقال تعالى (وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً أشهدوا خلقهم سكتاب شهدتهم ويُسئلون) وقال تعالى (وقالوا اتخذ الرحمن ولداً سبحانه بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون ، يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون ، ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم ، كذلك نجزي الظالمين) . فلذا يقول تعالى : قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يدعون الملائكة (ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض) يستقلون به ، والذرة قيل إنها صغار النمل وقيل إنها الهباء الذي يرى في الكوة إذا زالت الشمس معها

وقوله وما لهم فيها من شرك ، أى لا يملكون مثقال ذرة يستقلون به ولا على طريق المشاركة

وقوله وما له منهم من ظهير ، والظهير : المعين

وقوله ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له . وهذه الآية تقطع عروق الشرك بأمر أربعة

الأول : أنهم لا يملكون مثقال ذرة مع الله والذي لا يملك مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض لا ينفع ولا يضر

الثاني : قوله وما لهم فيها من شرك . أى في السموات والأرض

الثالث : قوله وما له منهم من ظهير ، والظهير : المعين فليس له معين من خلقه بل هو الذى يعينهم على ما يتفهم لئلا يغال غناه عنهم وفقرهم اليه فيما قل وكثر من أمور دنياهم وأخراهم

الرابع : قوله ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له ، وفيه معرفة تفسير الآية وما فيها من الحجة على إبطال الشرك خصوصاً ما تعلق على الصالحين وهى الآية التى قيل إنها تقطع عروق شجرة الشرك من القلب ، قاله المصنف رحمه الله تعالى

في الصحيح^(١) عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال :
 « إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة^(٢) بأجنحتها خضعانا
 لقوله ، كأنه سلسلة على صفوان^(٣) ينفذهم ذلك^(٤) » (حتى إذا فرغ
 عن قلوبهم^(٥) قالوا : ماذا قال ربكم^(٦) ؟ قالوا الحق وهو
 العلي الكبير^(٧))

(١) قوله (في الصحيح) أى صحيح البخارى (عن أبي هريرة) رضى الله
 عنه (عن النبي ﷺ قال : « إذا قضى الله الأمر في السماء ») أى إذا تسلم بأمره
 الذى قضاة في السماء بما يكون

(٢) قوله (ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا) بفتحين من الخضوع وفي
 رواية خضعانا بضم أوله وسكون ثانيه مصدر أى خاضعين (لقوله) عز وجل
 (٣) قوله (كأنه سلسلة على صفوان) وهو الحجر الأملس وقد روى ابن
 مروية من حديث ابن مسعود رفعه « إذا تسلم الله بالوحى سمع أهل السموات
 صلصلة كصلصلة السلسلة على الصفوان ، الحديث

(٤) قوله (ينفذهم ذلك) بفتح التحتية وسكون النون وضم الفاء والذال
 المعجمة ، أى يمضى كلام الله الذى تسلم به وينفذ قلوب الملائكة حتى يفرغوا من
 ذلك وعند ابن مردويه من حديث ابن عباس « فلا ينزل على أهل سماء إلا صعقوا ،
 وعند أبي داود وغيره مرفوعا « إذا تسلم الله بالوحى سمع أهل السماء الدنيا
 صلصلة كجر السلسلة على الصفا فيصعقون ،

(٥) قوله (حتى إذا فرغ عن قلوبهم) أى زال عنها الفزع قال ابن عباس
 وغيره

(٦) قوله (قالوا : ماذا قال ربكم ؟) ولم يقولوا : ماذا خلق ربكم ؟ أى قال
 الملائكة بعضهم لبعض : ماذا قال ربكم ؟ ولو كان كلام الله مخلوقا لقالوا : ماذا
 خلق ربكم ؟

(٧) وقوله (قالوا الحق وهو العلي الكبير) أى قالوا : قال الله الحق ، علوا
 أن الله لا يقول إلا حقا

فيسمعها مُسْتَرَقُّ السَّمْعِ^(١) ، ومُسْتَرَقُّ السَّمْعِ هَكَذَا^(٢) بَعْضُهُ
فَوْقَ بَعْضٍ - وَصَفَهُ مَفْيَانٌ بِكَيْفِهِ خَرَفَهَا^(٣) وَبَدَّدَ^(٤) بَيْنَ أَصَابِعِهِ -

(١) قَوْلُهُ (فَيَسْمَعُهَا مُسْتَرَقُّ السَّمْعِ) أَيْ يَسْمَعُ السَّكْمَةَ الَّتِي قَضَاهَا اللَّهُ
وَسَمِعَهَا الْمَلَائِكَةُ وَتَحَدَّثُوا بِهَا وَمُسْتَرَقُّ السَّمْعِ هُمُ الشَّيَاطِينُ ، وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ
عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مَرْفُوعاً أَنَّ الْمَلَائِكَةَ تَنْزِلُ فِي الْعَنَانِ وَهُوَ السَّحَابُ فَتَذْكُرُ
الْأَمْرَ قَضَى فِي السَّمَاءِ فَتُسْتَرَقُّ الشَّيَاطِينُ السَّمْعَ فَتُسَمِعُهُ فَتُوصِلُهُ إِلَى السَّكْمَانِ
فَيَكْذِبُونَ مَعَهَا مِائَةَ كَذْبَةٍ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ ، فَظَاهِرٌ هَذَا أَنَّهُمْ لَا يَسْمَعُونَ كَلَامَ
الْمَلَائِكَةِ الَّذِينَ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا وَإِنَّمَا يَسْمَعُونَ كَلَامَ الْمَلَائِكَةِ الَّذِينَ فِي السَّحَابِ ،
قَالَ فِي الشَّرْحِ قَالَ : فِي إِبْطَالِ التَّنْذِيرِ وَلَيْسَ كَمَا قَالَ فَإِنَّ هَذَا الْحَدِيثَ إِنَّمَا دَلَّ عَلَى
أَنَّهُمْ يَسْمَعُونَ مِنَ الَّذِينَ فِي السَّحَابِ ، وَسَمَاعُهُمْ مِنْهُمْ لَا يَنْفِي سَمَاعَهُمْ مِنَ الَّذِينَ فِي
السَّمَاءِ الدُّنْيَا بَلْ سَمَاعُهُمْ مِنْهَا دَلَّ عَلَيْهِ دَلِيلٌ آخَرٌ ، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى ﴿ وَحَفِظْنَاهَا مِنْ
كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ﴾ إِلَّا مِنْ اسْتَرَقَّ السَّمْعَ فَاتَّبَعَهُ شَهَابٌ مُبِينٌ ﴿ وَقَالَ ﴾ إِلَّا مِنْ
خُطْفِ الْخُطْفَةِ فَاتَّبَعَهُ شَهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿ وَقَالَ تَعَالَى إِنْخَابَارًا عَنْهُمْ ﴾ وَأَنَا لَمُسْنَا السَّمَاءِ
فَوَجَدْنَاهَا مَلْتَمَسَاتٍ حَرَسًا شَدِيدًا وَشَهَابًا . وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ
يَسْمَعُ الْآنَ يَجِدُ لَهُ شَهَابًا رَصْدًا ﴿ . وَالشَّهْبُ إِنَّمَا يَرَى بِهَا مِنَ السَّمَاءِ لَا مِنَ
السَّحَابِ ، فَالْحَقُّ أَنَّ يُقَالُ إِنَّهُمْ كَمَا يَسْمَعُونَ مِنْ مَلَائِكَةِ السَّمَاءِ ، فَكَذَلِكَ يَسْمَعُونَ
مِنْ مَلَائِكَةِ السَّحَابِ وَلَا تَنَافٍ بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ ، انْتَهَى

(٢) قَوْلُهُ (وَمُسْتَرَقُّ السَّمْعِ هَكَذَا وَصَفَهُ مَفْيَانٌ بِكَيْفِهِ) أَيْ وَصَفَ
رُكُوبَ بَعْضِهِمْ فَوْقَ بَعْضٍ . وَسَفْيَانٌ هُوَ ابْنُ عَيْنَةَ الْهَلَالِيِّ أَبُو مُحَمَّدٍ السَّكُونِيُّ ثُمَّ
الْمُسْكِيُّ ثَمَّةٌ حَافِظٌ فُقِيهِ إِمَامٌ حُجَّةٌ إِلَّا أَنَّهُ تَغَيَّرَ حِفْظُهُ بِآخِرَةِ وَرَبَّمَا دَلَّسَ لَكِنْ عَنْ
الثَّقَاتِ . مَاتَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَتِسْعِينَ وَمِائَةً وَلَهُ إِحْدَى وَتِسْعُونَ سَنَةً

(٣) قَوْلُهُ (خَرَفَهَا) بِجَاءٍ مَهْمَلَةٍ وَرَاءَ مُشَدَّدَةٍ وَفَاءٍ

(٤) قَوْلُهُ (وَبَدَّدَ) أَيْ فَرَّقَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ

فَيَسْمَعُ الْكَلِمَةَ فَيُلْقِيهَا إِلَى مَنْ تَحْتَهُ^(١)، ثُمَّ يُأْقِيهَا الْآخَرُ إِلَى مَنْ تَحْتَهُ،
حَتَّى يُلْقِيَهَا عَلَى لِسَانِ السَّاحِرِ أَوِ السَّكَانِ، فَرَبَّمَا أَدْرَكَ الشَّهَابُ قَبْلَ أَنْ
يُلْقِيَهَا، وَرَبَّمَا أَلْقَاهَا قَبْلَ أَنْ يُدْرِكَ^(٢)، فَيَكْذِبُ مَعَهَا مِائَةَ كَذْبَةٍ^(٣)،

(١) قَوْلُهُ (فَيَسْمَعُ الْكَلِمَةَ فَيُلْقِيهَا إِلَى مَنْ تَحْتَهُ) أَيْ يُلْقِي الشَّيْطَانُ الْفَوْقَانِ
الْمُسْتَمِعَ الْكَلِمَةَ الَّتِي سَمِعَهَا إِلَى الشَّيْطَانِ الَّذِي تَحْتَهُ وَهَكَذَا (حَتَّى يُلْقِيَهَا آخِرُهُمْ عَلَى
لِسَانِ السَّاحِرِ أَوِ السَّكَانِ)

(٢) قَوْلُهُ (فَرَبَّمَا أَدْرَكَ الشَّهَابُ قَبْلَ أَنْ يُلْقِيَهَا وَرَبَّمَا أَلْقَاهَا قَبْلَ أَنْ
يُدْرِكَ) وَالشَّهَابُ النِّجْمُ الَّذِي يَرَى بِهِ مُسْتَرْقُ السَّمْعِ، وَهُوَ لَا يَقْتُلُهُ لَمَّا رَوَى ابْنُ
جُرَيْرٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: فَأَتْبَعَهُ شَهَابٌ ثَابِتٌ. قَالَ: لَا يَقْتُلُونَ بِشَهَابٍ وَلَا يَمُوتُونَ
وَلَكِنَّا تَحْرِقُهُمْ مِنْ غَيْرِ قَتْلٍ وَتَحْبِيلٍ وَتَحْدِجٍ مِنْ غَيْرِ قَتْلِ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ
الرَّجْمَ بِالنُّجُومِ كَانَ قَبْلَ الْمُبْعَثِ لَمَّا رَوَى أَحْمَدُ وَمُسْلِمٌ وَالتِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ عَنْ
مَعْمَرٍ عَنِ الزَّهْرِيِّ عَنْ عَلِيِّ بْنِ حُسَيْنٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ جَالِسًا فِي
قَفْرِ مِنْ أَصْحَابِهِ فَرَمَى بِنَجْمٍ فَاسْتَنَارَ فَقَالَ: مَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ إِذَا كَانَ هَذَا فِي
الْجَاهِلِيَّةِ؟ قَالُوا: نَقُولُ يُولَدُ عَظِيمٌ أَوْ يَمُوتُ عَظِيمٌ. فَقَالَ: إِنَّهَا لَا يَرَى بِهَا مَوْتَ
أَحَدٍ وَلَا حَيَاتِهِ وَلَكِنْ رَبَّنَا إِذَا قَضَى أَمْرًا سَبَّحَ حَمَلَةُ الْعَرْشِ ثُمَّ سَبَّحَ أَهْلُ
السَّمَاءِ الَّذِينَ يُلُونَ حَمَلَةَ الْعَرْشِ فَيَقُولُ الَّذِينَ يُلُونَ حَمَلَةَ الْعَرْشِ لِحَمَلَةِ الْعَرْشِ مَاذَا قَالَ
رَبُّكُمْ فَيُخْبِرُونَهُمْ وَيُخْبِرُ أَهْلَ كُلِّ سَمَاءٍ سَمَاءً حَتَّى يَنْتَهِيَ الْخَبَرُ إِلَى هَذِهِ السَّمَاءِ وَتُخْتَلَفُ
الْجَنُّ السَّمْعَ فَيَرْمُونَ، فَا جَاؤُوا بِهِ عَلَى وَجْهِهِ فَمَوْحٍ لِسُكْنَتِهِمْ يَحْرِفُونَهُ وَيَزِيدُونَ
فِيهِ، قَالَ مَعْمَرٌ، قُلْتُ لِلزَّهْرِيِّ: كَانَ يَرَى بِهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ؟ قَالَ: نَعَمْ، أَرَأَيْتَ
وَأَنَا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ السَّمْعِ فَمَنْ يَسْمَعُ الْآنَ يَجِدُ لَهُ شَهَابًا رَصْدًا، قَالَ:
غَلِظَتْ وَشَدَّدَ أَمْرَهَا حِينَ بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. وَفِيهِ الرَّدُّ عَلَى الْمُنْجِمِينَ الَّذِينَ
يُنْسِبُونَ الْحَوَادِثَ الَّتِي تَقَعُ فِي الْأَرْضِ إِلَى الْكَوَاكِبِ لَمَّا فِي الرَّمْيِ بِهَا مِنَ الدَّلَالَةِ
عَلَى أَنَّهَا مُسَخَّرَةٌ لِمَا خَلَقَتْ لَهُ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مَسْخَرَاتُ
بِأَمْرِهِ ﴾

(٣) قَوْلُهُ (فَيَكْذِبُ مَعَهَا مِائَةَ كَذْبَةٍ) بَفَتْحِ الْكَافِ وَسُكُونِ الدَّالِ الْمَعْجَمَةِ أَيْ
يَكْذِبُ السَّكَانُ أَوِ السَّاحِرُ مَعَ الْكَلِمَةِ الَّتِي أَلْقَاهَا إِلَيْهِ وَلِيهِ مِنَ الشَّيَاطِينِ مِائَةُ =

فيقال : أليس قد قال لنا يومَ كذا وكذا : كذا وكذا ؟ فيُصدَّقُ
بتلك الكلمة التي سُمِعَتْ من السماء «

وعن النّوّاس بن سيمان ^(٧) رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ

= كذبة أو يكذب الشيطان مع الكلمة التي استرقها مائة كذبة ويخبر بالجميع
وليه من الإلّس فيفتن الإلّس بالإلّس الساحر أو الكاهن ويفتنان بوليها من
الشياطين ويقبلون ما جاؤوا به من الصدق والكذب لكونهم قد يصدقون فيما
يأتون به من خبر السماء

(١) قوله (فيقال أليس قد قال لنا يومَ كذا وكذا : كذا وكذا) فيصدقون
بكونهم قد يصدقون بعض الاحيان كما في الصحيح عن عائشة رضى الله عنها ،
قلت : يا رسول الله إن الكهان كانوا يحدثونا بالشئ فنجد حقا . قال : تلك
الكلمة التي يخطفها الجن فيقذفها في أذن وليه ويزيد فيها مائة كذبة ، وفيه ذكر
استراق الشياطين وصفة ركوب بعضهم بعضا وإرسال الشهب ، وأنه تارة يدركه
الشهاب قبل أن يلقيها وتارة يلقيها في أذن وليه من الإلّس قبل أن يدركه ،
وكون الكاهن يصدق في بعض الاحيان وكونه يكذب معها مائة كذبة وأنه
لم يصدق كذبه (إلا بتلك الكلمة التي سمعت من السماء) وكونهم يتلقى بعضهم من
بعض تلك الكلمة ويحفظونها وفيه قبول النفوس للباطل كيف يتعلقون بواحدة
ولا يعتبرون بمائة كذبة ، قاله المصنف رحمه الله تعالى . وفيه أن الشئ إذا كان
فيه شئ من الحق فلا يدل على أنه كله حق فكثيراً ما يلبس أهل الضلال الحق
بالباطل ليكون أقبل لباطلهم ، قال تعالى ﴿ ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا
الحق وأنتم تعلمون ﴾ . وفي هذه الأحاديث وما بعدها وما في معناها إثبات علو
الله تعالى على خلقه على ما يليق بجلاله وعظمته خلافاً للأشاعة والجهمية ونفاة
المعتزلة ، قاله في فتح المجيد

(٢) قوله (وعن النّوّاس بن سيمان) - بكسر السين - بن خالد السكلابي ،
ويقال الأنصاري صحابي ، ويقال إن أباه صحابي أيضاً (قال : قال رسول الله ﷺ
« إذا أراد الله أن يوحى بالامر ») . والإرادة صفة من صفاته عز وجل =

« إذا أراد الله تعالى أن يوحى بالامر تكلم بالوحى ^(١) خذت السموات منه رجفة ^(٢) - أو قال رعدة - شديدة ^(٣) ، خوفاً من الله عز وجل ، فإذا سمع ذلك أهل السموات صَعِقُوا وَخَرُوا لَهِجَةً ^(٤) ، فيكون أول

= وهى نوعان : إرادة شرعية دينية ، فتسكون هى المحبة ، وإرادة كونية قدرية فتسكون هى المشيئة

(١) قوله (تكلم بالوحى) فيه التصریح بأن الله يتكلم بالوحى فيوحىه إلى جبريل عليه السلام ففيه الرد على الأشاعرة فى إنكارهم كلام الرب تعالى وزعمهم أن القرآن عبارة عن كلام الله

(٢) قوله (أخذت السموات منه رجفة) هو برفع رجفة على أنه فاعل ، أى أصاب السموات منه رجفة أى ارتجفت . كما روى ابن أبى حاتم عن عكرمة قال إذا قضى الله تبارك وتعالى أمراً رجفت السموات والأرض والجبال وخرت الملائكة كلهم سجداً

(٣) قوله (أو قال : رعدة شديدة) شك من الراوى هل قال النبى ﷺ رجفة أو قال رعدة ، وهو بفتح الراء : خوفاً من الله عز وجل . يعنى أن ارتجافها وارتعادها ناشئ عن خوفها من الله تعالى ، فالسموات تخاف الله بما جعل فيها من الإحساس ومعرفة من خلقها كما قال تعالى ﴿ تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن ، وإن من شئ إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليماً غفوراً ﴾ وفى البخارى عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل وفى حديث أبى ذر أن النبى ﷺ أخذ فى يده حصيات فسمع لمن تسبيح كحنين النحل وكذا فى يد أبى بكر وعمر وعثمان ، وهو حديث مشهور فى المسانيد

(٤) قوله (فإذا سمع ذلك أهل السموات صَعِقُوا وَخَرُوا لَهِجَةً) أى يحصل لهم الامران الصعق وهو الغشى والسجود هيبة وتعظيماً لربهم وخشية لما سمعوا من كلام الله تعالى وتقدس

من يرفع رأسه جبريل^(١)، فيكلمه الله من وحيه بما أراد^(٢)، ثم يمر جبريل على الملائكة كلما مر بسماء سألهم ملائكتها: ماذا قال ربنا يا جبريل؟ فيقول جبريل: قال الحق وهو العلي الكبير^(٣)، فيقولون كلهم مثل ما قال جبريل. فينتهي جبريل بالوحي إلى حيث أمره الله عز وجل^(٤) «

(١) قوله (فيكون أول من يرفع رأسه جبريل) لأنه ملك الوحي. وفيه فضيلة جبريل عليه السلام كما قال تعالى (إنه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين) قال أبو صالح في قوله (عند ذي العرش مكين) قال جبريل يدخل في سبعين حجبا من نور بغير إذن

(٢) قوله (فيكلمه الله من وحيه بما أراد) وفيه إثبات صفة الكلام والإرادة

(٣) قوله (ثم يمر جبريل على الملائكة كلما مر بسماء يسأله ملائكتها ماذا قال ربنا يا جبريل فيقول: قال الحق وهو العلي الكبير) فله العلو المطلق سبحانه علو القدر وعلو القهر وعلو الذات

(٤) قوله (فيقولون كلهم مثل ما قال جبريل فينتهي بالوحي إلى حيث أمره الله عز وجل) وتماه من السماء والأرض وقد بيض المصنف لتام الحديث ومن رواه. وقد رواه ابن جرير وابن أبي حاتم والطبراني قاله في الشرح. وفيه ارتجاف السموات لكلام الله عز وجل وأن تلك الرجفة والغشى خوفا من الله عز وجل وأن الغشى يعم أهل السموات كلهم وأنهم يخرون لله سجدا وأن أول من يرفع رأسه جبريل وسبب سؤال الملائكة وتفسير قوله: قال الحق وهو العلي الكبير، وأن جبريل ينتهي بالوحي إلى حيث أمره الله عز وجل، وأنه يجيب الملائكة بعد ذلك بقوله قال كذا وكذا وأنه يقول لأهل السموات كلهم وإثبات الصفات خلافا للأشعرية المعطلة، قاله المصنف رحمه الله تعالى والآيات المذكورة في هذا الباب والأحاديث تقرر التوحيد الذي هو مدلول شهادة أن لا إله إلا =

١٧ - باب

الشفاعة^(١)

== الله ، فإن الملك العظيم الذى تصفق الاملاك من كلامه خوفاً منه ومهابة وترجف منه المخلوقات ، الكامل فى ذاته وصفاته وعلوه وقدرته وملكوته وعزه وغناه عن جميع خلقه وافتقادهم جميعاً إليه ونفوذ تصرفه وقدره فيهم لعلوه وحكمته ، لا يجوز شرطاً ولا عقلاً أن يجعل له شريك من خلقه فى عبادته التى هى حقه عليهم ، فكيف يجعل المربوب رباً والعبد معبوداً أين ذهب عقول المشركين سبحان الله عما يصفون ، قاله فى فتح المجيد

(١) قوله (باب الشفاعة) : الشفاعة هى إعانة الطالب والمشفوع اليه فى المطلوب حتى يصير كل منهما معاً شفعاً بعد أن كان وترأ فكل من أعان غيره على أمر فقد شفعه فيه فإن أعنت على بر وتقوى كانت شفاعة حسنة وإن أعنت على إثم وعدوان كانت شفاعة سيئة . والبر ما أمرت به ، والإثم ما نهيت عنه . والله تعالى وتر لا يشفعه أحد فلا يشفع عنده أحد إلا بإذنه ، فالأمر كله اليه وحده لا شريك له بوجه . قال شيخ الإسلام رحمه الله قال : والشفاعة سبب من الأسباب التى يرحم الله بها من يرحم من عباده ، وأحق الناس برحمته أهل التوحيد والإخلاص له ، فكل من كان أكمل فى تحقيق إخلاص لا إله إلا الله علماً وعقيدة وعملاً وبراءة وموالاتة ومعاداة كان أحق بالرحمة . قال : وأحاديث الشفاعة كثيرة متواترة فى الصحيحين والسنن والمسانيد انتهى . وشروطها : إذنه تعالى للشافع ورضاه عن المشفوع فيه ، وامتناعه : الشرك بالله ، ومستحقها الموحد ، والمالك لها : هو الله عز وجل . وأنواعها ستة فيما ذكر العلامة ابن القيم رحمه الله . الاول : الشفاعة الكبرى التى يتأخر عنها أولى العزم من الرسل حتى تنتهى إلى النبي ﷺ وهى الشفاعة لإراحتهم من موقف القيامة وهذه خاصة بالنبي ﷺ لا يشرك فيها أحد . الثانى : شفاعة لاهل الجنة فى دخولها . الثالث : شفاعة لقوم من العصاة من أمته قد استوجبوا النار فيشفع لهم أن لا يدخلوها . الرابع : شفاعة فى العصاة من أهل التوحيد الذين يدخلون النار بذنوبهم أن يخرجوا منها . والاحاديث بها متواترة ، وقد أجمع عليها الصحابة وأهل السنة قاطبة وبدعوا من ==

وقول الله تعالى ﴿ وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُخْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ ﴾^(١) ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع ﴿ وقوله ﴿ قُلْ لِلَّهِ الشِّفَاءُ ﴾^(٢) جميعاً ﴿

== أنكرها أى لسببهم إلى البدعة. الخامس : شفاعته لقوم من أهل الجنة في زيادة ثوابهم ورفع درجاتهم وهذه لم ينزع فيها أحد وكلها مختصة بأهل الإخلاص . السادس : شفاعته في بعض الكفار من أهل النار - حق يخفف عنهم العذاب وهذه خاصة بأبي طالب وحده انتهى .

(١) قوله (وقول الله تعالى : وأنذر به الذين يخافون أن يخشروا إلى ربهم) يقول تعالى : وأنذر يا محمد به - أى بالقرآن - قاله ابن عباس : الذين يخافون أن يخشروا إلى ربهم وهم أهل الإخلاص الذين لم يتخذوا من دون الله شفيماً بل أخلصوا قسدهم وطلبهم وجميع أعمالهم لله وحده ولم ياتفتوا إلى أحد سواه فيما يرجونه أو يخافونه . والإنذار هو الإعلام بأسباب الخفاة والتحذير منها وهذه نذارة خاصة أمره الله تعالى أن ينذر الذين يخافون أن يخشروا إلى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع ، أى ليس لهم من دونه ولي يتولاهم ولا شفيع من عذابه يوم القيامة لعلمهم يتقون في هذه الدار فيعملون عملاً ينجيهم الله به من عذاب يوم القيامة . والتقوى : أن تجعل بينك وبين النار وقاية بأن تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو ثواب الله ، وأن تترك معصية الله على نور من الله تخاف عقاب الله . وأما النذارة العامة ففي قوله تعالى ﴿ وأوحى إلى هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ ﴾ وغيرها

(٢) قوله (وقول الله تعالى : قل لله الشفاعة جميعاً) بعد قوله ﴿ أم اتخذوا من دون الله شفعاء ﴾ قل يا محمد أو لو كان الشفعاء الذين اتخذوهم لا يملكون شيئاً ولا يعقلون ؟ وشيئاً : نكرة في سياق النفي تعم كل شئ أى لا يملكون شفاعته ولا غيرها ولا يعقلون لأنهم إما أموات غير أحياء وما يشعرون أيان يبعثون ، أو جماد لا تعلم شيئاً ولا تعقل ، ثم قال ﴿ قل لله الشفاعة جميعاً ﴾ أى هو المالك لها ، وهذا إنكار منه تعالى على المشركين في اتخاذهم الشفعاء من ==

وقوله ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ﴾ (١) وقوله ﴿ وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يُأْذَنَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى ﴾ (٢) وقوله ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ

== دونه مع كونهم لا يملكون شفاعاة ولا غيرها فليس لمن يطلبونها منه شيء منها وإنما تطلب ممن يملكها وهو الله جل وعلا دون ما سواه

(١) وقوله تعالى (من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه) قال ابن جرير : نزلت لما قال الكفار : ما نعبد أوثاننا هذه إلا ليقربونا إلى الله زلفى ، فقال تعالى (له ما في السموات وما في الأرض من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه) والإذن نوعان : إذن بمعنى المشيئة والخلق ، وإذن بمعنى الإباحة والإجازة فن الأول قوله في السحر (وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله) أى بمشيئته وقدره وإلا فهو لم يبيع السحر ، وكذا قوله (وما أصابكم يوم التقى الجمعان) من القتل والجراح والتثيل والحرمة فيأذن الله فهو خالق أفعال الكفار والمؤمنين . والنوع الثاني : قوله (إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه) وقوله (ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله) فإن هذا يتضمن إباحته لذلك وإجازته ورفع الحرج عن فاعله مع كونه بمشيئته وقضائه فقوله (من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه) هو هذا الإذن الكائن بقدره وشرعه ، ولم يرد بمجرد المشيئة والقدر انتهى ملخصاً من كلام شيخ الإسلام رحمه الله

(٢) وقوله (وكم من ملك في السموات لا تغنى شفاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى) . قال أبو حيان ، كم ، خبرية ومعناها التكثير وهى فى موضع رفع بالابتداء والخبر ، لا تغنى ، وإذا كانت الملائكة لا تغنى شفاعتهم إلا بعد إذن الله ورضاه أى يرضاه أهلاً للشفاعة فكيف تشفع الأصنام لمن عبدها ؟ قال ابن كثير : وهذا من عظمته وجلاله وكبريائه عز وجل أنه لا يتجاسر أحد على أن يشفع لأحد عنده إلا بإذنه له فى الشفاعة ، كما جاء فى حديث الشفاعة ، آتى تحت العرش فأخر ساجداً فيدعى ما شاء الله أن يدعى ، ==

مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ﴿الآيتين﴾ .

قال أبو العباس^(١) :^(*) نفي الله عما سواه كل ما يتعلق به

== ثم يقال : ارفع رأسك وقل يسمع واشفع تشفع ، الحديث (وقول الله تعالى : قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وما لهم فيها من شرك وما له منهم من ظهير ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له) . وقد تقدم الكلام على هذه الآية في الباب الذي قبل هذا وفيه معرفة تفسير الآيات ، قاله المصنف رحمه الله تعالى

(١) قوله (قال أبو العباس) هو شيخ الإسلام وعلم الهداة الاعلام أحمد ابن تيمية رحمه الله ورضي عنه^(*) : نفي الله عما سواه كلما يتعلق به المشركون ، فنفي أن يكون لغيره ملك أو قسط منه أو يكون عوناً لله ولم يبق إلا الشفاعة فبين أنها لا تنفع إلا لمن أذن له الرب كما قال تعالى ﴿ ولا يشفعون إلا لمن ارتضى ﴾ فهذه الشفاعة التي يظنها المشركون هي منتفية يوم القيامة كما نفاها القرآن ، وأخبر النبي ﷺ أنه يأتي فيسجد لربه ويحمده لا يبدأ بالشفاعة أولاً ، ثم يقال له : ارفع رأسك وقل يسمع وسل تعط واشفع تشفع . وقال ابن القيم رحمه الله تعالى وقد قطع الله الأسباب التي يتعلق بها المشركون جميعها قطعاً يعلم من تأمله وعرفه أن من اتخذ من دون الله ولياً فشله كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً ، وإن أو هن البيوت لبيت العنكبوت ، فالشرك إنما يتخذ معبوده لما يحصل لديه من النفع ، والنفع لا يكون إلا بمن فيه خصلة من هذه الخصال الأربع ، إما مالكا لما يريد منه ، فإن لم يكن مالكا كان شريكاً للمالك ، فإن لم يكن شريكاً كان معيناً له وظهيراً ، فإن لم يكن معيناً له وظهيراً كان شافعاً عنده . فنفي سبحانه المراتب الأربع نفياً مرتباً منتقلاً من ==

(*) وهذا المقام لا يتسع لذكر ترجمة هذا الإمام ، ومن أراد الوقوف على تاريخ حياته فليراجع العقود الدررية في مناقب شيخ الإسلام الإمام أحمد بن تيمية لابن عبد الهادي وهي في مجلد ضخم .

المشركون ، فنفى أن يكون لغيره ملكٌ أو قسطن منه ، أو يكون عوناً لله ولم يبقَ إلا الشفاعة فبين أنها لا تنفع إلا لمن أذن له الرب كما قال ﴿ولا يشفعون إلا لمن ارتضى﴾ فهذه الشفاعة التي يظنها المشركون

= الأعلى إلى ما دونه فنفي الملك والشركة والمظاهرة والشفاعة التي يطلبها المشرك وأثبت شفاعة لا نصيب فيها لمشرك وهي الشفاعة بإذنه فهو الذي يأذن للشافع وإن لم يأذن له لم يتقدم بالشفاعة بين يديه ، وكفى بهذه الآية نوراً وبرهاناً وتجريداً للتوحيد قطعاً لأصول الشرك ومواده لمن عقلها . والقرآن يملؤه من أمثالها ونظائرها ولكن أكثر الناس لا يشعر بدخوله تحت الواقع وتضمنه له ويظنه في قوم قد خلوا ولم يعقبوا وارثاً ، وهذا الذي يحول بين القلب وبين فهم القرآن ولعمرك إن كان أولئك قد خلوا فقد ورثهم من هو مثلهم وشر منهم وتناول القرآن لهم كتابه لا أولئك ولكن الأمر كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : إنما تنقض عرى الإسلام عروة عروة إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية ، لأنه إذا لم يعرف الشرك وما عابه القرآن وذمه ، وقع فيه وأقره ودعا إليه وصوبه وحسنه وهو لا يعرف أنه الذي كان عليه أهل الجاهلية فنقض بذلك عرى الإسلام ويعود المعروف منكراً والمنكر معروفاً ، والبدعة سنة والسنة بدعة ، ويكفر الرجل بمحض الإيمان وتجريد التوحيد ، ويبدع بتجريد متابعة الرسول ومن له بصيرة وقلب حي يرى ذلك عياناً ، فآله المستعان انتهى ملخصاً وقال أيضاً : ومن أنواع الشرك طلب الحوائج من المولى والاستغاثة بهم ، وهذا أصل شرك العالم فإن الميت قد انقطع عمله وهو لا يملك لنفسه نقعاً ولا ضراً فضلاً عن من استغاث به وسأله أن يشفع له ، وهذا من جهله بالشافع والمشفوع عنده فإنه لا يقدر أن يشفع له عند الله إلا بإذنه والله لم يجعل استغاثته وسؤاله سبباً لإذنه وإنما السبب كمال التوحيد فجاء هذا المشرك بسبب يمنع الإذن وهو بمنزلة من استعان في حاجته بما يمنع حصولها وهذه حالة كل مشرك فجمعوا بين الشرك بالمعبود وتغيير دينه ومعاداة أهل التوحيد ونسبة أهله إلى التنقص بالأموات وهم قد تنقصوا الخالق بالشرك وأوليائه الموحدين بذمهم وعييبهم ومعاداتهم وتنقصوا من أشركوا به غاية التنقص إذ ظنوا أنهم راضون منهم بهذا وأنهم =

هى منتفية يوم القيامة كما نفاها القرآن ، وأخبر النبى ﷺ أنه « يأتى
فيسجدُ لربه ويحمده - لا يبدأ بالشفاعة أو لا - ثم يقال له : ارفع

= أمرهم به وأنهم يوالونهم عليه وهؤلاء هم أعداء الرسل فى كل زمان ومكان
وما أكثر المستجيبين لهم وما نجا من شرك هذا الشرك الأكبر إلا من جرد
توحيد الله وعادى المشركين فى الله وتقرب بمقتهم إلى الله واتخذ الله وحده وليه
وإلامه ومعبوده فجرد حبه لله وخوفه لله ورجاءه لله وذله لله وتوكله على الله
واستعانه بالله والتجاءه إلى الله واستغاثته بالله وقصده الله متبعاً لأمره متطلباً
لمرضاته إذا سأل الله وإذا استعان استعان بالله وإذا عمل عمل الله فهو لله وبالله
ومع الله . انتهى كلامه رحمه الله

وقال شيخ الإسلام وهذا الموضع افترق الناس فيه ثلاث فرق : طرفان ووسط ،
فالمشركون ومن وافقهم من مبتدعة أهل الكتاب كالنصارى ومبتدعة هذه الأمة
أثبتوا الشفاعة التى نفاها القرآن ، والخوارج والمعتزلة أنكروا شفاعة نبيينا ﷺ
فى أهل الكبار من أمته بل أنكروا طائفة من أهل البدع انتفاع الإنسان بشفاعة
غيره ودعائه ، كما أنكروا انتفاع بصدقة غيره وصيامه فأنكروا الشفاعة بقوله
تعالى ﴿ من قبل أن يأتى يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة ﴾ وبقوله ﴿ ما للظالمين
من حميم ولا شفيع يطاع ﴾ وأما سلف الأمة وأئمتها ومن تبعهم من أهل
السنة والجماعة فثبتوا ما جاءت به السنة عن نبى الله ﷺ من شفاعته لأهل الكبار
من أمته وغير ذلك من أنواع شفاعاته وشفاعة غيره من النبيين والملائكة ،
وقالوا إنه لا يخلد فى النار من أهل التوحيد أحد وأقروا بما جاءت به السنة من انتفاع
الإنسان بدعاء غيره وشفاعته والصدقة عنه والصوم عنه فى أصح قولى العلماء كما
ثبتت به السنة الصحيحة وما كان فى معنى الصوم . وأما من علق قلبه بأحد المخلوقين
يرجوه ويخافه فهذا من أبعد الناس عن الشفاعة ، فشفاعة المخلوق عند المخلوق
تكون بإعانة الشافع للمشفوع له بغير إذن المشفوع عنده ، بل يشفع إما لحاجة
المشفوع عنده وإما لخوفه منه . فيحتاج أن يقبل شفاعته والله غنى عن العالمين
كلهم فما من شفيع إلا من بعد إذنه فله ﷺ شفاعات يختص بها لا يشرك فيها
أحد ، وشفاعات يشرك فيها غيره من الأنبياء والصالحين لكن ماله فيها أفضل =

رَأْسَكَ ، وَقُلْ يُسْمَعُ ، وَسَلْ تُنْطَقَ ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعَ » . وقال له أبو هريرة ^(١) : « مَنْ أَسْعَدَ النَّاسَ بِشَفَاعَتِكَ ؟ قَالَ : « مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ خَالِصاً مِنْ قَلْبِهِ » فَتِلْكَ الشَّفَاعَةُ لِأَهْلِ الْإِخْلَاصِ بِإِذْنِ اللَّهِ ^(٢) ، وَلَا تَكُونُ لِمَنْ أَشْرَكَ بِاللَّهِ ، وَحَقِيقَتُهُ أَنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ هُوَ الَّذِي يُتَفَضَّلُ عَلَى أَهْلِ الْإِخْلَاصِ فَيَغْفِرُ لَهُمْ بِوَاسِطَةِ دَعَاءِ مَنْ أَذِنَ لَهُ أَنْ يَشْفَعَ لِيُكْرِمَهُ وَيُنَالِ الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ . فَالشَّفَاعَةُ الَّتِي نَفَاها الْقُرْآنُ ^(٣) مَا كَانَ فِيهَا شَرِكٌ ،

== بما لغيره فإنه ﷺ أفضل الخلق وأكرمهم على ربه عز وجل وله من الفضائل التي ميزه بها على سائر النبيين ما يضيق هذا الموضع عن بسطه ومن ذلك المقام المحمود الذي يغبطه به الأولون والآخرون انتهى

(١) قوله (وقال أبو هريرة رضي الله عنه : من أسعد الناس بشفاعتك يا رسول الله ؟ قال : من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه ،) وهذا الحديث رواه البخاري والنسائي عن أبي هريرة ، ورواه الإمام أحمد وصححه ابن حبان . وفيه « وشفاعتي لمن قال لا إله إلا الله مخلصاً يصدق قلبه لسانه ولسانه قلبه ، وشاهده ما رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : لكل نبي دعوة مستجابة فتمجّل كل نبي دعوته وإنّي أختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة فهي نائلة إن شاء الله من مات لا يشرك بالله شيئاً ،

(٢) قوله (قال شيخ الإسلام : فتلك الشفاعة لأهل الإخلاص بإذن الله ولا تكون لمن أشرك بالله . وحقيقته : أن الله سبحانه هو الذي يتفضل على أهل الإخلاص فيغفر لهم بواسطة دعاء من أذن له أن يشفع ليكرمه وينال المقام المحمود)

(٣) قوله (فالشفاعة التي نفاها القرآن ما كان فيها شرك ، ولهذا أُميت الشفاعة بإذنه في مواضع وقد بين النبي ﷺ أنها لا تكون إلا لأهل التوحيد والإخلاص) انتهى كلامه رحمه الله . وقال أيضاً والإخلاص محبة الله وإرادة وجهه . وفيه : معرفة صفة الشفاعة المنفية ، والشفاعة المثبتة ، وذكر الشفاعة ==

ولهذا أثبت الشفاعة بإذنه في مواضع ، وقد بين النبي ﷺ أنها لا تكون إلا لأهل التوحيد والإخلاص . انتهى كلامه .

١٨ - باب

قول الله تعالى ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ الآية (١)

== الكبرى وهى المقام المحمود ، وصفة ما يفعله ﷺ وأنه لا يبدأ بالشفاعة أولا بل يسجد ، فإذا أذن له شفع ، ومن أسعد الناس بها ، وأنها لا تكون لمن أشرك بالله ، وبيان حقيقتها قاله المصنف رحمه الله تعالى

(١) قوله (باب قول الله تعالى إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ولكن الله يهدي من يشاء) أراد المصنف رحمه الله تعالى بهذه الترجمة الرد على عباد القبور الذين يعتقدون فى الأنبياء والأولياء أنهم ينفعون ويضرون فيسألونهم مغفرة الذنوب وتفريج الكروب وهداية القلوب ويعتقدون أن لهم التصرف بعد الموت على سبيل الكرامة ، فإذا عرف الإنسان معنى هذه الآية المترجم بها ومن نزات فيه تبين له أن رسول الله ﷺ الذى هو أفضل الخلق عند الله وأعظمهم جاها عنده حرص واجتهد فى هداية عمه أبى طالب فى حال حياته وعند موته فلم يستطع ذلك ولم يقدر عليه ثم استغفر له بعد موته فلم يغفر له بل نهاه الله عن ذلك . قال الزجاج : أجمع المسلمون على أن هذه الآية نزلت فى أبى طالب وذلك أن أباطالب قال عند موته : يا معشر بنى عبد مناف أطيعوا محمداً وصدقوه تفلحوا وترشدوا فقال عليه السلام : يا عم تأمرهم بالنصح لأنفسهم وتدعها لنفسك ؟ قال : فأتريد يا بن أخى ؟ قال : وأريد منك كلمة واحدة ، فإنك فى آخر يوم من أيام الدنيا أن تقول لا إله إلا الله أشهد لك بها عند الله تعالى ، قال : يا بن أخى قد علمت أنك صادق ولكنى أكره أن يقال جزع عند الموت ولولا أن يكون عليك وعلى بنى أبىك غضاضة ومسبة بعدى لقلتها ولأقررت بها عينك عند الفراق لما أرى من شدة وجدك ونصحك ، ولكنى سوف أموت على ملة الأشياخ عبد المطلب وهاشم وعبد مناف انتهى

في الصحيح^(١) عن ابن المسيب عن أبيه^(٢) قال : لما حَضَرَتْ أبا طالب الوفاة جاءه رسولُ الله ﷺ ، وعنده عبدُ الله بن أبي أمية وأبو جهل فقال له « يا عم^(٣) ، قل لا إله إلا الله^(٤) ، كلمة أحاجُّ لك بها عند الله^(٥) »

(١) قوله (في الصحيح) أى الصحيحين (عن ابن المسيب) وهو سعيد بن المسيب المخزومي القرشي أحد العلماء الأثبات والفقهاء الكبار الحفاظ العباد ، اتفقوا على أن مراسيله أصح المراسيل . قال ابن المديني : لا أعلم في التابعين أوسع علما منه ، مات بعد التسعين وقد فاهز الثمانين

(٢) قوله (عن أبيه) ، وأبوه المسيب صحابي ، وكذا جده حزن صحابي ، استشهد باليامة . (قال لما حضرت أبا طالب الوفاة) أى ظهرت عليه علامات الموت (جاءه رسول الله ﷺ) وعنده عبد الله بن أبي أمية وأبو جهل (يحتمل أن يكون المسيب حضر هذه القصة فإن المذكورين من بني مخزوم وهو أيضا مخزومي وكانوا يومئذ كفاراً فأت أبو جهل على الكفر وأسلم الآخرون . وفي هذا جواز عيادة المشرك إذا رجع إسلامه ، وجواز حمل العلم إذا كان فيه مصلحة راجحة على عدمه

(٣) قوله (فقال النبي ﷺ : « يا عم ، ») منادى مضاف يجوز فيه إثبات الياء وحذفها . قاله في الشرح

(٤) قوله (« قل لا إله إلا الله كلمة أحاجُّ لك بها عند الله ، ») أى قل هذه الكلمة لأنه يعرف معناها وما دلت عليه من البراءة من كل معبود سوى الله ، فلو قالها في تلك الحال لفقته لأنه لا يقولها إلا عن اعتقاد لمعناها وما دلت عليه وفيه معرفة تفسير قوله « قل لا إله إلا الله » بخلاف ما عليه من يدعى العلم وأن أبا جهل ومن معه يعرفون مراد النبي ﷺ إذا قال للرجل : قل لا إله إلا الله ففصح الله من أبو جهل أعلم منه بأصل الإسلام قاله المصنف رحمه الله

وقوله (كلمة) بالنصب على أنه بدل من لا إله إلا الله ويجوز رفعها على احتمال لمبتدأ قاله القرطبي

(٥) قوله (أحاجُّ لك بها عند الله) هو بتشديد الجيم من الحاجة جواب =

فقال له ^(١) : أترغبُ عن ملة عبد المطلب ؟ فأعاد عليه النبي ﷺ ، فأعاد ، فكان آخر ما قال هو على ملة عبد المطلب وأبى أن يقول لا إله إلا الله . فقال النبي ﷺ : « لا مستغفرنَّ لك ما لم أُنْهَ عنك ^(٢) »
فأنزل الله عز وجل ﴿ ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا ^(٣) »

= الأمر أى أشهد لك بها عند الله . وفيه دليل على أن الأعمال بالحوادث لم تكن فلو قالها نفعته وإن لم يعمل شيئا غير ذلك

(١) قوله (فقال له) أى أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية (أترغب عن ملة عبد المطلب) ذكره الحجة الملعونة التى يتعلق بها المشركون الأولون والآخرون وهى تقليد الآباء والكبراء ، وأخرجنا الكلام مخوج الاستفهام مبالغة فى الإنكار لعظمة هذه الحجة عندهم ، ولذا اكتفيا بها فى المجادلة مع مبالغته ﷺ وتكراره فلاجل وضوحها عندهم اقتصرنا عليها ، قاله المصنف رحمه الله وملة عبد المطلب هى عبادة الأوثان والشرك بالله فى إلهيته (فأعاد عليه النبي ﷺ فأعاد) فكان آخر ما قال (الأحسن فيه الرفع على أنه اسم ، كان ، وجلة ، هو ، وما بعدها الخبر (هو على ملة عبد المطلب) وقد رواه الإمام أحمد بلفظ : أنا على ملة عبد المطلب فغيره الراوى استباحاً للفظ المذكور لأنه لو حكاها بلفظه لأوهم عود الضمير إلى المتكلم وهو من النصرفات الحسنة ، قاله الحافظ ابن حجر

قوله : وأبى أن يقول لا إله إلا الله ، قال الحافظ ابن حجر هذا تأكيد من الراوى فى نفي وقوع ذلك من أبي طالب . وفيه الرد على من زعم لإسلام عبد المطلب وأسلافه مضرة أصحاب السوء على الإنسان ومضرة تعظيم الأسلاف ، قاله المصنف رحمه الله تعالى

(٢) قوله (فقال النبي ﷺ : لا مستغفرنَّ لك ما لم أُنْهَ عنك) وفى رواية مسلم ، أما والله لا مستغفرنَّ لك . قال النووى : وفيه جواز الحلف من غير استحلاف ، والحلف هنا لتأكيد العزم على الاستغفار

(٣) قوله (فأنزل الله) (ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين) الآية .) أى ما ينبغي لهم ذلك وهو خبر بمعنى النهى . والظاهر أن هذه الآية =

للمشركين ﴿ وَأَنْزَلَ فِي أَبِي طَالِبٍ ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ،
ولكنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾ ^(١)

= نزلت في أبي طالب ، فإن الإتيان بالفاء المفيدة للترتيب في قوله فأنزل الله بعد قوله ، لاستغفرن لك ما لم أنه عنك ، يفيد ذلك . وقد ذكر العلماء لنزول هذه الآية أسبابا أخر فلا منافاة لأن أسباب النزول قد تعدد ، وقد روى الطبراني عن عمرو بن دينار قال : قال رسولا الله ﷺ ، استغفر إبراهيم لآبيه وهو مشرك فلا أزال أستغفر لأبي طالب حتى نهاني عنه ربي ، فقال أصحابه نستغفر لآبائنا كما استغفر نبينا لعمه فنزلت ﴿ ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربي من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم . وما كان استغفار إبراهيم لآبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه ﴾ . قال الحافظ ابن حجر : ويظهر أن الآية المتعلقة بالاستغفار نزلت بعد أبي طالب بمدة وهي عامة في حقه وحق غيره ، يوضح ذلك ما يأتي في التفسير ، فأنزل الله بعد ذلك ﴿ ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ﴾ الآية . ونزل في أبي طالب ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾ محله ظاهر في أنه مات على غير الإسلام . ويضعف ما ذكره السهيلي أنه رأى في بعض كتب المسعودي أنه أسلم لأن مثل ذلك لا يعارض ما في الصحيحين ، انتهى وفيه تحريم الاستغفار للمشركين وموالاتهم ومحبتهم ، لأنه إذا حرم الاستغفار لهم فموالاتهم ومحبتهم أولى ، قاله الحافظ ابن حجر

(١) قوله (وَأَنْزَلَ فِي أَبِي طَالِبٍ : إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ) قال ابن كثير ، يقول تعالى لرسوله محمد ﷺ : إِنَّكَ يَا مُحَمَّدُ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ، أَيْ لَيْسَ ذَلِكَ إِلَيْكَ إِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ، وَالْمَنْفَى هُنَا هِدَايَةُ التَّوْفِيقِ وَالْقَبُولِ فَإِنَّ أَمْرَ ذَلِكَ إِلَى اللَّهِ وَحْدَهُ وَهُوَ الْقَادِرُ عَلَيْهِ فَفَتَى عَنْ هَذِهِ الْهِدَايَةِ وَأَثْبَتَ لَهُ هِدَايَةَ الدَّعْوَةِ وَالْبَيَانِ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ . وفيه جده ﷺ ومبالغته في إسلام عمه وكونه استغفر له فلم يغفر له بل نهى عن ذلك ، قاله المصنف رحمه الله . وكانت وفاة أبي طالب بمكة قبل الهجرة بقليل ، قال ابن فارس : مات أبو طالب ورسول الله ﷺ تسع =

= وأربعون سنة وثمانية أشهر وأحد عشر يوما ، وتوفيت خديجة رضى الله عنها بعد موت أبي طالب بثمانية أيام ، ومن حكمة الرب تبارك وتعالى في عدم هداية أبي طالب إلى الإسلام ليبين لعباده أن ذلك إليه وهو القادر عليه دون ما سواه فلو كان عند النبي ﷺ الذى هو أفضل خلقه وأكرمهم عليه من هداية القلوب وتفريج الكروب ومغفرة الذنوب والنجاة من المذاب ونحو ذلك شئ لكان أحق الناس بذلك وأولاهم به عمه الذى كان يحوطه ويحميه ويؤويه ، وناله بسببه من الأذى ما ناله ، وحصر في الشعب سنوات وقاطعته قریش من أجله وكان ينشد الأشعار في الذب عنه ومدحه والثناء عليه وعلى دينه الذى يدعو إليه ، ومن ذلك قوله في قصيدته اللامية المشهورة :

ولما رأيت القوم لا ودّ فيهم—وا	وقد قطعوا كل العرى والوسائل
وقد صارحونا بالعداوة والأذى	وقد طأعوا أمر العدو المزابل
صبرت لهم نفسى بسمراء سمحة	وابيض غضب من تراث المقاتل
وأحضرت عند البيت رهطى وإخوتى	وأمسكت من أثوابه بالوصلات
قياما معا مستقبلين رتاجه	لدى حيث يقضى حلفه كل تافل
كذبتهم وبيت الله نترك مسكة	ونظمن إلا أمركم فى بلابل
كذبتهم وبيت الله نبزى محمدا	ولما نطاعن دونه وتناضل
ولسلمه حتى نصرع حوله	ونذهل عن أبنائنا والحلائل

إلى أن قال :

لعمرى لقد كلفت وجدا بأحمد	وإخوته دأب المحب المواصل
وأبيض يستسقى الغمام بوجهه	ثمال اليتامى عصمة للأرامل
فلا زال فى الدنيا جمالا لأهلها	وزينألمن والاه رب المشاكل
فن مثله فى الناس أى مؤمل	إذا قاسه الحكماء عند التفاضل
حليم رشيد عادل غير طائش	يوالى إلأها ليس عنه يتافل
فوالله لولا أن أجيء بسبة	تجر على أشياخنا فى المحافل
لكننا اتبعناه على أى حالة	من الدهر جدا غير قول التهازل

فأصبح فينا أحمد فى أرومة تقصر عنه سورة المتطاول =

١٩ - باب

ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم

هو الغلو في الصالحين (١)

وقول الله عز وجل (يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم) (٢)

= حديث بنفسى دونه وحيته ودافعت عنه بالذرى والسلاكل
فأيده رب العباد بنصره وأظهر ديناً حقه غير باطل

وفي قصته وفاة أبي طالب المروية في الصحيحين وحرص النبي ﷺ على إسلامه فلم يسلم بل مات على ملة عبد المطلب التي هي عبادة الأوثان والشرك بالله ونزل في حقه (إنك لا تهدي من أحببت) واستغفار النبي ﷺ له فلم يغفر له بل نهى عن ذلك وأنزل الله في النهي عنه قوله تعالى (ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قرى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم) الرد على الرافضة الذين يزعمون إسلام أبي طالب وعلى الشيخ أحمد زيني دحلان الذي ألف لهم كتاباً في إسلامه سماه أسنى المطالب في إسلام أبي طالب ، مع ما ورد في قصة وفاته وما نزل في ذلك من الآيات وما تظاهرت به الأحاديث من أن له نعلان من نار يغلي منهما دماغه كما يغلي المرجل ، لسأل الله السلامة والعافية بمنه وكرمه ونعوذ به من زيع القلوب ورين الذنوب وعمى البصائر

(١) قوله (باب ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين) . أراد المصنف رحمه الله تعالى بهذه الترجمة أن يبين أن الغلو في الصالحين يكون سبباً للخروج من الدين ، فإن الشيطان يخرج الغلو فيهم في قالب محبتهم وأنه من الدين الذي يقربهم إلى الله تعالى ، ويشابون عليه وهو يجر إلى أعظم الذنوب وهو الشرك بالله وعبادة من غلوفيه

(٢) قوله (وقول الله تعالى : يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم) أهل الكتاب هم اليهود والنصارى والغلو هو الإفراط في التعظيم بالقول والفعل والاعتقاد ، أى لا تجاوزوا الأمر المشروع في الدين ولا ترفعوا المخلوق عن =

في الصحيح^(١) عن ابن عباس رضى الله عنهما في قول الله تعالى ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ قال : هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح ، فلما

= منزله التي أنزل الله وهي العبودية إلى المنزلة التي لا تنبغي إلا لله . والخطاب ، وإن كان لأهل الكتاب فإنه عام يتناول جميع الأمة تحذيراً لهم أن يفعلوا كفعل اليهود والنصارى ، وبسبب الغلو وقع الشرك في العبادة في هذه الأمة . قال شيخ الإسلام رحمه الله : ومن تشبه من هذه الأمة باليهود والنصارى وغلا في الدين بإفراط فيه أو تفريط فقد شابههم ، قال : وعلى رضى الله عنه حرق الغالية من الرافضة ، فأمر بأخاديد خدت لهم عند باب كندة فدفنهم فيها وقال :

لما رأيت الأمر أمراً منكراً أجيئت ناري ودعوت قنبراً

يعنى مولى ليساعده على دفنهم في النار

وانفق الصحابة على قتلهم لكن ابن عباس مذهبه أن يقتلوا بالسيف من غير تحريق وهو قول أكثر العلماء . قال ابن عباس كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الإسلام ثم ظهر الشرك بسبب تعظيم قبور صالحهم

(١) قوله (وفي الصحيح) - أى صحيح البخارى - عن ابن عباس رضى الله عنهما في قول الله تعالى ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ قال هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصباً وسموها بأسمائهم ففعلوا ولم تعبد حتى إذا هلك أولئك ونسى العلم عبادت هذا الأثر اختصره المصنف والذي في البخارى عن ابن عباس صارت الأوثان التي في قوم نوح في العرب بعد . أما ود فكانت لكلب بدومة الجندل ، وأما سواع فكانت لهذيل ، وأما يغوث فكانت لمрад ثم لبنى غطيف بالجرى عند سبأ ، وأما يعوق فكانت لهمدان ، وأما نسر فكانت لحير لآل ذى الكلاع أسماء رجال صالحين من قوم نوح ، وكان لهم أتباع يقتدون بهم ، فلما ماتوا قال أصحابهم الذين كانوا يقتدون بهم لو صورناهم كان أشوق لنا إلى العبادة إذا =

هَلَكُوا أَوْحَى الشَّيْطَانُ إِلَى قَوْمِهِمْ أَنْ أَنْصِبُوا إِلَى مَجَالِسِهِمُ الَّتِي كَانُوا
يَجْلِسُونَ فِيهَا أَنْصَابًا وَسَمَّوْهَا بِأَسْمَائِهِمْ ، فَفَعَلُوا ، وَلَمْ تُعْبَدَ . حَتَّى إِذَا
هَلَكَ أَوْلَئِكَ وَنُسِيَ الْعِلْمُ ، عُبِدَتْ

= ذكرناهم فصوروهم ، فلما ماتوا وجاء آخرون دب إليهم إبليس فقال إنما
كانوا يعبدونهم وبهم يسقون المطر فعبدوهم وكانوا يتبركون بدعائهم ، وكلما مات
منهم أحد مثلوا صورته وتمسحوا بها ، فعبدوهم بتدريج الشيطان لهم ثم صارت
سنة في العرب في الجاهلية . قال القرطبي : وإنما صور أوائلهم الصور ليستأنسوا
بهم ويتذكروا أفعالهم الصالحة فيجتهدوا كاجتهادهم ، ثم خلفهم قوم جهلوا
مرادهم فوسوس لهم الشيطان أن أسلافهم كانوا يعبدون هذه الصور ويعظمونها
انتهى . وروى الفاكهي عن ابن الكلبي قال : كان لعمر بن ربيعة رثى من الجن
فأناء فقال : أجب أبا تامة ودخل بلا ملامة ثم أت سيف جده تجدها أصناماً
معدة ثم أوردتها تامة ، ولا تمب ثم ادع العرب إلى عبادتها تجب . قال فأتى عمرو
ساحل جدة فوجد بها ودأ وسواعاً ويغوثاً ويعوقاً ولسراً وهى الأصنام التى
عبدت على عهد نوح وإدريس ، ثم إن الطوفان طرحها هناك فسقى عليها الرمل
فاستثارها عمرو وخرج بها إلى تامة وحضر الموسم ودعى إلى عبادتها فأجيب .
وعمر بن ربيعة هو عمرو بن لحي وكانت العرب قبله على دين إبراهيم عليه
السلام حتى نشأ فيهم عمرو فأحدث الشرك . روى ابن جرير عن أبي هريرة رضى
الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول لا كنتم بن الجون ، يا أكنم رأيت عمرو
ابن لحي بن قثم بن خندق يجر قصبه فى النار فما رأيت رجلاً أشبه برجل منك به
ولا به منك ، فقال أكنم : أتخشى أن يضرقى شبهه يا رسول الله ؟ فقال رسول الله
ﷺ : إنك مؤمن وهو كافر ، إنه أول من غير دين إبراهيم ، وبحر البهيرة
وسيب السائبية وحى الحامى ، إسناده حسن . والأصنام : المراد بها الأصنام
المصورة على صورهم المنصوبة فى مجالسهم .

وقوله (حتى إذا هلك أولئك) أى الذين نصبوها ليكون أشوق لهم إلى العبادة
وليتذكروا برؤيتها أفعالهم .

قوله (ونسى العلم) أى المعرفة بحالها وما قصده من صورها وغلب الجهال =

وقال ابن القيم : قال غير واحد من السلف : لما ماتوا عكفوا على قبورهم ، ثم صوروا تماثيلهم ، ثم طال عليهم الأمد فعبدهم ^(١)

= الذين لا يميزون بين التوحيد والشرك ، وذهب العلماء الذين يعرفون ذلك عبدت وقالوا ما عظم أولونا هؤلاء إلا وهم يرجون شفاعتهم عند الله فعبدهم ، فهذا هو السبب في عبادة هؤلاء الصالحين وهو رجاء شفاعتهم عند الله

(١) قوله (وقال ابن القيم) هو العلامة المحقق محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي الدمشقي المعروف بابن قيم الجوزية ، قال السخاوي العلامة الحجة المتقدم في سعة العلم ومعرفة الخلاف وقوة الجنان المجمع عليه بين الموافق والمخالف صاحب التصانيف السائرة والمحاسن الجمة : مات سنة إحدى وخمسين وسبعماية . قال غير واحد من السلف لما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم ثم طال عليهم الأمد فعبدهم) فنبين أن مبدأ الشرك بالصالحين هو الغلو فيهم وهو أول شرك حدث في الأرض . قال شيخ الإسلام : الغلو في الأمة وقع في طائفتين : طائفة من ضلال الشيعة الذين يعتقدون في الأنبياء والآئمة من أهل البيت الألوهية وطائفة من جهال المتصوفة يعتقدون نحو ذلك في الأنبياء والصالحين . وقال العلامة ابن القيم رحمه الله : فالغلو في الصالحين هو الذي أوحاه الشيطان إلى عباد القبور في هذه الأزمان فإنه ألقي إليهم أن البناء على القبور والعكوف عندها من محبة الصالحين وتعظيمهم وأن الدعاء عندها أرجى في الإجابة من الدعاء في المسجد الحرام والمساجد فاعتادوها لذلك ، (فإذا تقرر) ذلك عندهم نقلهم إلى الدعاء به والإقسام على الله به وهذا أعظم من الذي قبله ، فإن شأن الله أعظم من أن يقسم عليه أو يسأل بأحد من خلقه . فإذا تقرر ذلك عندهم نقلهم منه إلى دعاء الناس إلى عبادته واتخاذ عيدا ومنسكا ، فإذا تقرر ذلك عندهم نقلهم منه إلى أن من نبى عن ذلك فقد تنقص أهل الرتب العالية وحطم عن منزلتهم وزعم أنه لا حرمة لهم ولا قدر ، وغضب المشركون واشتأزت قلوبهم كما قال تعالى ﴿ وإذا ذكر الله وحده اشتأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة وإذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون ﴾ وسرى ذلك نفوس كثير من الجهال والطغام وكثير =

== من ينسب إلى العلم والدين حتى عادوا أهل التوحيد ورموهم بالعظائم ونفروا الناس عنهم ووالوا أهل الشرك وعظموم وزعموا أنهم أولياء الله وأنصار دينه ورسوله ، ويأبى الله ذلك وما كانوا أولياءه إن أولياؤه إلا المتقون . فكل ما عبد من دون الله من قبر أو مشهد أو صنم أو طاغوت . فالأصل في عبادته هو الغلو كما لا يخفى على من له بصيرة في الدين (فالنظر) إلى ما يفعل في مصر عند أحمد البدوي وهو لا يعرف له أصل ولا فضل ولا علم ولا عبادة ومع هذا صار أعظم ألفتهم مع أنه لا يعرف إلا أنه دخل المسجد يوم الجمعة فبال فيه ثم خرج ولم يصل . ذكره السخاوي عن أبي حيان فزين لهم الشيطان عبادته فاعتقدوا أنه يتصرف في السكون ويطلق الحريق وينجي الفريق وصرفوا له أنواع العبادة من الدعاء والذبح والتذور واعتقدوا أنه يعلم الغيب وأنه يسمع من دعاء من الديار البعيدة ويستجيب له . وكذلك أهل الشام قد فتنوا بآبى عربي إمام أهل الوحدة الذين هم أكفر من اليهود والنصارى وجعلوا على قبره قبة وصاروا يطوفون به ويدبحون له التذور ويدعونه . وقد ألف السخاوي كتابا في ترجمته سماه القول المنبي عن ترجمة ابن عربي ذكر فيه أشياء من أقواله الشنيعة ، وما قاله أهل العلم فيه وفتاواهم بكفره ، وفيه يقول محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني :

وأكفر أهل الأرض من قال إنه	إله فإن الله جل عن النسد
مساه كل الكائنات جميعا	من السكب والخنزير والقرود والفهد
وإن عذاب النار عذب لأهلها	سواء عذاب النار أو جنة الخلد
وعباد عجل للسامري على هدى	ولا تهمهم في اللوم ليس على رشد
وتلشدنا عنه لصوص فصوصه	تنادى خذوا في النظم مكنون ما عندي
وكنتم امرءا من جند إبليس فارتمى	بي الدهر حتى صار إبليس من جندي
فلومات قبلي كنتم أدركت بعده	دقائق كفر ليس يدركها بعدي

وكذا أهل العراق ومن حولهم كأهل عمان يعتقدون في عبد القادر الجيلاني واعتقاد أهل مصر في البدوي . وجرى في نجد والحجاز واليمن وحضرموت وغيرها من عبادة الجن والطواغيت والأشجار والقبور ما عمت به البلوى ==

= ولكن الله أزال ذلك من نجد بسبب الدعوة المباركة التي قام بها الإمام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ورضي عنه وعن أئمة الهدى من آل سعود الذين أيدوه ونصروه . وبعد دخول الحكومة السعودية الحجاز زال كثير من الأوثان والطواغيت التي كانت تعبد من دون الله . فقد كان لقبر خديجة رضي الله عنها سدة ، وفي الليلة الحادية عشرة من كل شهر يذهب الناس إليها ينادونها يا صاحبة الليلة يا بنت خويلد هلمائهم وعامتهم ، فله الحمد والمنة على زوال ذلك ، ونسأله أن ينصر دينه ويعلى كلمته ويزيل الشرك وآثاره من سائر البلاد لأنه على كل شيء قدير وبالإجابة جدير ، ومن فهم هذا الباب وبابين بعده تبين له غربة الإسلام ورأى من قدرة الله وتقليبه للقلوب العجب ، وفيه معرفة أول شرك حدث في الأرض أنه بشبهة الصالحين ، وأول شيء غير به دين الأنبياء وما سبب ذلك مع معرفة أن الله أرسلهم ، وقبول النفوس للبدع مع كون الشرائع والفطر تردّها ، وأن سبب ذلك كله مزج الحق بالباطل ، فالأول محبة الصالحين والثاني فعل أناس من أهل العلم والدين شيئاً أرادوا به خيراً فظن من بعدهم أنهم أرادوا به غيره وفيه معرفة تفسير الآية التي في سورة نوح ومعرفة جبلة الإنسان في كون الحق ينقص في قلبه والباطل يزيد ، وفيه شاهد لما نقل عن السلف أن البدعة سبب الكفر ومعرفة الشيطان بما تؤول إليه البدعة ولو حسن قصد الفاعل وأنها أحب إلى الشيطان من المعصية لأن المعصية يثاب منها والبدعة لا يثاب منها ، ومضرة المكوف على القبر لاجل عمل صالح ومعرفة النهي عن التماثيل والحسكة في إزالتها ومعرفة عظم شأن هذه القصة وشدة الحاجة إليها مع الغفلة عنها ، ومنها - وهي أعجب - قراءتهم لإياها في كتب التفسير والحديث ومعرفتهم بمعنى الكلام وكون الله حال بينهم وبين قلوبهم حتى اعتقدوا أن فعل قوم نوح أفضل العبادات ، واعتقدوا أن ما نهى الله ورسوله عنه هو الكفر المبيح للدم والمال ، والتصريح بأنهم لم يريدوا إلا الشفاعة ، وظنهم أن العلماء الذين صوروا الصور أرادوا ذلك والتصريح بأنها لم تعبد حتى نسي العلم ، ففيها بيان معرفة قدر وجود العلم ومضرة فقدّه ، وأن سبب فقد العلم موت العلماء . قاله المصنف رحمه الله تعالى

وعن عمر^(١) أن رسول الله ﷺ قال : « لا تُطْرُونِي كما أَطَرَتِ
النصارى ابنَ مريم^(٢) ، إنما أنا عبد ، فقولوا عبدُ الله ورسوله^(٣) »
أخرجاه

(١) قوله (وعن عمر رضى الله عنه) وهو الخليفة الراشد عمر بن الخطاب
ابن نفيل العدوى أمير المؤمنين وأفضل الصحابة بعد أبي بكر الصديق رضى الله
عنه . وللى الخلافة عشر سنين ونصفاً فامتلات الدنيا عدلاً وفتحت في أيامه بمالك
كسرى وقيصر وأنفقت كنوزهما في سبيل الله ، كما أخبر بذلك الصادق المصدوق
الذى لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى . واستشهد في ذى الحجة سنة
ثلاث وعشرين من الهجرة

(٢) قوله (أن رسول الله ﷺ قال : « لا تطروني كما أطرت النصارى ابن
مريم ») ، الإطراء هو مجاوزة الحد في المدح والكذب فيه ، قاله أبو السعادات
(٣) وقوله (إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله) أخرجاه . أمرهم ﷺ
أن لا يتجاوزوا هذا القول ، أى صفوني بما وصفني به ربي في قوله ﴿ تبارك
الذى نزل الفرقان على عبده ﴾ وقوله ﴿ سبحان الذى أسمى بعبده ﴾ وقوله
﴿ وإن كنتم في شك مما نزلنا على عبدنا ﴾ فنزلة العبودية أخص أوصافه ﷺ .
وفيه البيان العظيم في قوله « لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم » ، فصلوات
الله وسلامه عليه فقد بلغ البلاغ المبين ، قاله المصنف رحمه الله تعالى . فأبى
المشركون إلا مخالفة أمره وارتكاب نهيه وعظموه بما نهاهم عنه وحذروهم منه
وناقضوه أعظم مناقضة وضاهوا النصارى في غلوهم وشركهم ووقعوا في المحذور
وجرى منهم من الغلو والشرك شراً ونثراً ما يطول عده . قاله في فتح المجيد ،
قلت ومن الإطراء قول الأبوصيرى :

دع ما ادعته النصارى في نبيهم واحكم بما شئت مدحاً فيه واحتمك
لو ناسبت قدره آياته عظماً أحي اسمه حين يدعى دارس الرمم
يقول : دع ما ادعته النصارى في نبيهم فلا تقل محمد هو الله ولا ابن الله ولا
ثالث ثلاثة واحكم بما شئت . قل : محمد يخلق ويرزق ويميت ، وقوله لو =

وقال : قال رسول الله ﷺ « إِيَّاكُمْ وَالْعُلُوَّ » ^(١) فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مِنْ
كَانَ قَبْلَكُمْ الْعُلُوَّ وَلِمَسْلَمَ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ ^(٢) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ
« هَلَاكَ الْمُنْتَظِعُونَ » قَالَهَا ثَلَاثًا

٣٠ - بَاب

مَا جَاءَ مِنَ التَّغْلِيظِ فِيمَنْ عَبْدَ اللَّهِ عِنْدَ قَبْرِ رَجُلٍ صَالِحٍ
فَكَيْفَ إِذَا عَبَدَهُ ^(٣)

== ناسب قدره آياته عظماً ، فيه نسبة الظلم إلى الله ، وأنه لم يعط بمجد آيات
تناسب قدره ولو أعطاه آيات تناسب قدره لأحيا الأموات إذا دعوته باسمه
(١) قوله (وعن ابن عباس) رضى الله عنهما (قال قال رسول الله ﷺ :
« إِيَّاكُمْ وَالْعُلُوَّ فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مِنْ كَانَ قَبْلَكُمْ الْعُلُوَّ ») هذا الحديث رواه الإمام أحمد
والترمذى وابن ماجه عن ابن عباس قال : قال لى رسول الله ﷺ غداة العقبة
وهو على ناقته ، ألقط لى حصى ، فلفطت له سبع حصيات من حصى الخذف
لجعل ينفذهن فى كفه ويقول ، أمثال هؤلاء فارموا وإيّاكم والعُلُوَّ ، الحديث قال
شيخ الإسلام : هذا عام فى جميع أنواع العُلُوَّ فى الاعتقادات والأقوال والأعمال
وفيه القاعدة الكلية وهى النهى عن العُلُوَّ ومعرفة ما يؤول إليه ، قاله المصنف
رحمه الله تعالى

(٢) قوله (ولمسلم عن ابن مسعود) رضى الله عنه (أن رسول الله ﷺ قال
« هَلَاكَ الْمُنْتَظِعُونَ ، قَالَهَا ثَلَاثًا ») قال : فى النهاية المنتظعون المتعمقون الغالون فى
الكلام المتكلمون بأقصى حلوهم . مأخوذ من النطع وهو الغار الأعلى من القم
ثم استعمل فى كل تعمق قولاً وفعلًا . قال النووى : فيه كراهة التعمق فى الكلام
بالتشديق وتكلف الفصاحة واستعمال وخشى اللغة ودقائق الإعراب فى مخاطبة
العوام ونحوهم

قوله : قَالَهَا ثَلَاثًا مبالغة فى التعليم والتحذير قاله المصنف رحمه الله تعالى
(٣) قوله (باب ما جاء من التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح
فكيف إذا عبده) أراد المصنف رحمه الله تعالى بهذه الترجمة أن يبين أنه إذا ==

في الصحيح عن ^(١) عائشة رضى الله عنها أن أم سلمة ذكرت
لرسول الله ﷺ ^(٢) كنيسة رأيتها بأرض الحبشة وما فيها من الصور
فقال «أولئك» ^(٣) إذا مات فيهم الرجل الصالح - أو العبد الصالح - ^(٤)
بنوا على قبره مسجداً ^(٥) وصوروا فيه تلك الصور، أولئك شرار
الخلق عند الله » ^(٦) فهؤلاء جمعوا بين الفتنين : فتنه القبور ،

= كانت عبادة الله عند القبور منياً عنها ومحرمه فكيف إذا عبد أصحاب القبور
فإن عبادتها هي الشرك الأكبر ، وعبادة الله عندها وسيلة إلى عبادتها ووسائل
الشرك محرمه لأنها تؤدي إلى الشرك

(١) قوله (في الصحيح) أى الصحيحين (عن عائشة رضى الله عنها أن أم
سلمة) وهى هند بنت أبي أمية بن المغيرة بن عمرو بن مخزوم القرشية المخزومية
تزوجها رسول الله ﷺ بعد أبي سلمة سنة أربع وقيل ثلاث وكانت قد هاجرت
مع أبي سلمة إلى أرض الحبشة ، وفى الصحيحين أن أم سلمة وأم حبيبة ذكرتا
ذلك لرسول الله ﷺ ، توفيت سنة اثنتين وستين .

(٢) قوله (ذكرت لرسول الله ﷺ) والكنيسة بفتح الكاف وكسر
النون معبد النصارى وما فيها من الصور

(٣) قوله (فقال : أولئك) بكسر الكاف خطاب للمرأة

(٤) قوله (إذا مات فيهم الرجل الصالح أو العبد الصالح) هذا والله أعلم
بشك من أحد رواة الحديث هل قال النبي ﷺ هذا أو هذا . وفيه التحرى في
الرواية والرواية بالمعنى قاله في الشرح

(٥) قوله (بنوا على قبره مسجداً) أى موضعاً للصلاة (وصوروا فيه تلك
الصور) والإشارة إلى ما ذكرت أم سلمة وأم حبيبة من التصاوير التى فى
الكنيسة .

(٦) قوله (أولئك شرار الخلق عند الله) وفيه ما ذكر الرسول ﷺ فيمن =

وفتنة التماثيل^(١)

ولها عنها^(٢) قالت: لما نزل برسول الله ﷺ طَفِقَ يَطْرَحُ خِيصَةَ

= بنى مسجد أمي عبد الله فيه عند قبر رجل صالح ، ولو صحت نية الفاعل والنهي عن التماثيل وغلط الأمر في ذلك ، قاله المصنف رحمه الله ، وهذا يقتضى تحريم بناء المساجد على القبور وتصوير الصور لا سيما وقد ثبت اللعن عليه . قال البيضاوى ولما كانت اليهود والنصارى يسجدون لقبور الأنبياء تعظيما لهم ويجعلونها قبلة يتوجهون في الصلاة نحوها واتخذوها أوثانا ، لعنهم النبي ﷺ ومنع المسلمين عن مثل ذلك وإنما كانوا شرار الخلق عند الله لبناء المساجد على القبور ، والتصوير لكونه ذريعة إلى عبادة من بنوا عليه المسجد وصوروا صورته

(١) قوله (فهؤلاء جمعوا بين الفتنتين : فتنة القبور ، وفتنة التماثيل) هذا من كلام شيخ الإسلام أحمد بن تيمية رحمه الله ذكره المصنف تنبيها على ما وقع من شدة الفتنة بالقبور والتماثيل ، فإن الفتنة بالقبور كالفتنة بالأصنام أو أشد ، قاله في فتح المجيد . قال شيخ الإسلام : وهذه العلة التي لأجلها نهى الشارع ﷺ عن اتخاذ المساجد على القبور هي التي أوقعت كثيرا من الأمم إما في الشرك الأكبر أو فيما دونه من الشرك ، فإن النفوس قد أشركت بتماثيل الصالحين وتماثيل يزعمون أنها طلسم الكواكب ونحو ذلك ، فإن الشرك بقبر الرجل الذي يعتقد صلاحه أقرب إلى النفوس من الشرك بخشبة أو حجر ، ولهذا تجدد أهل الشرك يتضرعون عندها ويخشعون ويعبدون بقلوبهم عبادة لا يفعلونها في بيوت الله ولا وقت السحر ، ومنهم من يسجد لها وأكثرهم يرجون من بركة الصلاة عندها والدعاء ما لا يرجونه في المساجد ، فلأجل هذه المفسدة حرم النبي ﷺ مادتها حتى نهى عن الصلاة في المقبرة مطلقا وإن لم يقصد المصلى بركة البقعة بصلاته . وأما إذا قصد الرجل الصلاة عند القبور متبركا بالصلاة في تلك البقعة ، فهذا عين المحادة لله ولرسوله ، والمخالفة لدينه ، وابتداع دين لم يأذن به الله . انتهى ملخصا

(٢) قوله (ولها) أى البخارى ومسلم (عنها) أى عن عائشة رضى الله عنها قالت لما نزل برسول الله ﷺ بضم النون وكسر الزاى أى نزل به ملك الموت =

له على وجهه فإذا اغتمَّ بها كَشَفَهَا ، فقال وهو كذلك « لعنةُ الله على اليهود والنصارى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ ^(١) » يُحَذِّرُ مَا صَنَعُوا ^(٢) ، ولولا ذلك أَبْرَزَ قَبْرُهُ ^(٣) ، غير أنه خُشِيَ أَنْ يُتَّخَذَ مَسْجِدًا ^(٤) أخرجاه .

= والملائكة السكرام لقبض روحه الشريفة (طفق) بكسر الفاء أى جعل (بطرح خميصه له على وجهه) والخميصه كساء له أعلام فإذا اغتم بها كشفها عن وجهه) . وفيه ما بلى به ﷺ من شدة النزع . قاله المصنف .

(١) قَوْلُهُ (فقال وهو كذلك لعنة الله على اليهود والنصارى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ) وهذا هو الشاهد من الحديث للترجمة وهذا يبين أن من فعل مثل ذلك حل عليه من اللعنة ما حل على اليهود والنصارى

(٢) وَقَوْلُهُ (يحذر ما صنعوا) والظاهر أن هذا مدرج في الحديث من كلام عائشة رضى الله عنها لأنها فهمت من قول النبي ﷺ ذلك تحذير أمته عن أن يفعلوا هذا الصنيع الذى كانت تفعله اليهود والنصارى معه ومع الصالحين من أمته . وهذا الذى لعن رسول الله ﷺ فاعله تحذيراً لأمته أن يفعلوه معه ومع الصالحين من أمته قد فعله الخلق الكثير من متأخري هذه الأمة واعتقدوه قربة من القربات ، وهو من أعظم السيئات والمنكرات وما شعروا أن ذلك محادة لله ورسوله

(٣) قَوْلُهُ (ولولا ذلك) أى ما كان يحذر من اتَّخَذَ قَبْرَهُ مَسْجِدًا (لا بَرَزَ قَبْرُهُ) وجعل مع قبور أصحابه في البقيع

(٤) قَوْلُهُ (غير أنه خُشِيَ أَنْ يُتَّخَذَ مَسْجِدًا) بفتح الحاء وضمها فعلى الفتح يكون هو الذى خُشِيَ ذلك ﷺ وأمرهم أن يدفنوه فى المكان الذى قبض فيه وعلى رواية الضم يحتمل أن يكون الصحابة هم الذين خافوا أن يقع ذلك من بعض الأمة فلم يبرزوا قبره

ولمسلم عن جُنْدَبٍ ^(١) بن عبد الله قال : سمعتُ النبي ﷺ قبل أن يموتَ بخمسيٍّ وهو يقول « إني أبرأ إلى الله أن يكونَ لي منكم خليلٌ فإنَّ اللهَ قد اتخذني خليلًا كما اتخذ إبراهيمَ خليلًا ، ولو كنتُ متَّخذًا من أمتي خليلًا لاتَّخذتُ أبا بكرٍ خليلًا ^(٢) »

(١) قوله (ولمسلم عن جندب) بن سفيان البجلي وينسب إلى جمده صحابي مشهور مات بعد الستين رضى الله عنه (قال سمعت رسول الله ﷺ قبل أن يموت بخمسي) أى خمس ليال (وهو يقول ، إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل فإن الله قد اتخذني خليلًا كما اتخذ إبراهيم خليلًا) ، والخليل هو المحبوب غاية المحبة . قال في النهاية : الخلّة بالضم الصداقة والمحبة التى تخلّت القلب فصارت فى خلالة أى فى باطنه . والخليل الصديق فعيل بمعنى مفاعل وقد يكون بمعنى مفعول وإنما قال ذلك لأن خلته كانت مقصورة على حب الله تعالى فليس لغيره فيها متسع . قال ابن القيم رحمه الله تعالى : الخلّة توحيد المحبة ، فالخليل هو الذى توحده حبه لمحبه وهى رتبة لا تقبل المشاركة ، ولهذا اختص بها فى العالم الخليلان إبراهيم ومحمد صلوات الله وسلامه عليهما . وأما ما يظنه بعض الغافلين من أن المحبة أكل من الخلّة وأن إبراهيم خليل الله ومحمد حبيب الله فن جهله ، فإن المحبة عامة والخلّة خاصة وهى نهاية المحبة ، وقد أخبر النبي ﷺ أن الله اتخذ خليلًا ونبيًا أن يكون له خليل غير ربه مع إخباره بحبه لعائشة ولأبيها ولعمرو ابن الخطاب رضى الله عنهم ، وأيضاً فإن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ويحب الصابرين وخلته خاصة بالخليلين . وفيه ما أكرم به ﷺ من الخلّة والتصريح بأنها أعلى من المحبة . قاله المصنف رحمه الله تعالى

(٢) قوله (ولو كنت متخذًا من أمتي خليلًا لاتخذت أبا بكر خليلًا) ، وهو عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب الصديق خليفة رسول الله ﷺ وأفضل أصحابه بإجماع من يعتد بقوله من أهل العلم ، مات سنة ثلاث عشرة وله ثلاث وستون سنة رضى الله عنه وأرضاه ، وفيه التصريح بأن الصديق أفضل الصحابة والإشارة إلى خلافته لأن من كانت محبته لشخص أشد كان أولى به من =

ألا (١) وإن من كان قبلكم (٢) كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد ،

= غيره ، وقد استخلفه في الصلاة بالناس وغضب لما قيل يصلي بهم عمرى مرضه الذى توفى فيه ، وفيه الرد على الرافضة الذين يبخسون الصديق حقه ، قاله المصنف رحمه الله تعالى ، وهم أعظم المنتسبين إلى القبلة إشراكا بعبادة على وغيره من البشر قاله شيخ الإسلام ، وقد استنبط الإمام مالك رحمه الله كفر الرافضة من القرآن من قوله تعالى في سورة الفتح (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم ، تراهم ركعاً سجداً يذبحون فضلاً من الله ورضواناً ، سيأثم في وجوههم من أثر السجود ، ذلك مثابهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوية يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار) قال من غاظ أصحاب رسول الله ﷺ فهو كافر ذكره ابن كثير في تفسيره . قال : وقد وافقه طائفة من العلماء . وفيه ذكره قبل موته بخمس ، الرد على الطائفتين اللتين هما من شرار أهل البدع بل أخرجهما بعض أهل العلم من الثنتين والسبعين فرقة ، وهم الرافضة والجهمية . وبسبب الرافضة حدث الشرك وعبادة القبور وهم أول من بنى عليهما المساجد ، قاله المصنف رحمه الله تعالى

(١) قوله (ألا) حرف استفتاح

(٢) قوله (وإن من كان قبلكم) يعنى اليهود والنصارى (كانوا يتخذون القبور مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك) . قال بعض أهل العلم : وإنكار النبي ﷺ صنيعهم هذا يخرج على وجهين : أحدهما أنهم كانوا يسجدون لقبور الأنبياء تعظيماً لهم ، والثاني أنهم يجوزون الصلاة في مدافن الأنبياء والسجود في مقابرهم والتوجه إليها حال الصلاة وعبادة الله مبالغة في تعظيم الأنبياء ، والاول هو الشرك الجلى ، والثاني الحق . فلذلك استحقوا اللعن . انتهى ، وقال شيخ الإسلام : أما بناء المساجد على القبور فقد صرح عامة الطوائف بالنهى عنه الأحاديث في ذلك إلى أن قال : وهذه المساجد المبنية على قبور الأنبياء والصالحين والملوك وغيرهم تعين إزالتها بهدم أو غيره ، هذا =

أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ ، فَإِنِ أَنهَآ كُمْ عَنْ ذَلِكَ « فَقَدْ نَهَى عَنْهُ
فِي آخِرِ حَيَاتِهِ ^(١) ثُمَّ إِنَّهُ لَعَنَ - وَهُوَ فِي السِّيَاقِ - مَنْ فَعَلَهُ .
وَالصَّلَاةُ عِنْدَهَا مِنْ ذَلِكَ . وَإِن لَمْ يُبَيِّنْ مَسْجِدٌ ، وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِهَا
« خَشِيَ أَنْ يُتَّخَذَ مَسْجِدًا » ، فَإِنَّ الصَّحَابَةَ لَمْ يَكُونُوا لِيَبْنُوا حَوْلَ
قَبْرِهِ مَسْجِدًا ، وَكُلِّ مَوْضِعٍ قُصِدَتِ الصَّلَاةُ فِيهِ فَقَدْ أُتِّخِذَ

== بما لا أعلم فيه خلافاً بين العلماء المعروفين . وقال ابن القيم رحمه الله : يجب هدم
هذه القباب التي بنيت على القبور لأنها أسست على معصية الرسول ﷺ . وقد
أفتى جماعة من الصافعية بهدم ما في القرافة من الابنية منهم ابن الجيزي والظهير
الترميني وغيرهما

(١) قَوْلُهُ (فَقَدْ نَهَى عَنْهُ فِي آخِرِ حَيَاتِهِ) كما في حديث جندب من قوله :
« أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ ، فَإِنِ أَنهَآ كُمْ عَنْ ذَلِكَ ، » (ثُمَّ إِنَّهُ لَعَنَ وَهُوَ
فِي السِّيَاقِ مِنْ فَعَلَهُ) كما في حديث عائشة من قوله « لعنة الله على اليهود والنصارى
اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ، والصلاة عندها من ذلك أى من اتخاذها مساجد
وإن لم يبين مسجد فيكون المصلى عندها داخلاً في اللعنة ، وهو معنى قولها خشي
أن يتخذ مسجداً ، فإن الصحابة لم يكونوا يبنيوا حول قبره مسجداً وكل موضع
قصدت الصلاة فيه فقد اتخذ مسجداً بل كل موضع يصلى فيه يسمى مسجداً كما
قال ﷺ « جعلت لى الأرض مسجداً وطهوراً ، قال البغوى في شرح السنة أراد
أن أهل الكتاب لم تبح لهم الصلاة إلا في بيعتهم وكنائسهم فأباح الله لهذه الأمة
الصلاة حيث كانوا تخفياً عليهم وتيسيراً ثم خص من جميع المواضع الحمام
والمقبرة والمسكان النجس انتهى . وفيه العبرة في مبالغة ﷺ كيف بين لهم هذا
أولاً ثم قبل موته بخمس قال ما قال ، ثم لما كان في السياق لم يكتم بما تقدم
ونبيه عن فعله عند قبره قبل أن يوجد القبر ، وأنه من سنن اليهود والنصارى في
قبور أنبيائهم ولعنه إياهم على ذلك وأن مراده تحذيره إيانا عن قبره وللعلة في
عدم إرازه وفي معنى اتخاذ مسجداً وأنه قرن بين من اتخذها مساجد وبين من ==

مسجداً . بل كلُّ موضعٍ يُصَلَّى فيه يُسَمَّى مسجداً ، كما قال ﷺ
« جُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِداً وَطَهُوراً » .

ولاحد بسندٍ جيّد^(١) عن ابن مسعود رضى الله عنه مرفوعاً
« إِنَّ مِنْ شِرَارِ النَّاسِ مَنْ تَذَرِكُهُمُ السَّاعَةُ وَهُمْ أَحْيَاءُ »^(٢) ؛ والذين
يَتَخَذُونَ الْقُبُورَ مَسَاجِدَ^(٣) . ورواه أبو حاتم في صحيحه .

= تقوم عليه الساعة فذكر الذريعة إلى الشرك قبل وقوعه مع خاتمته قاله المصنف رحمه الله تعالى . قال ابن القيم رحمه الله : وبالجملّة فن له معرفة بالشرك وأسبابه وذرائعه وفهم عن الرسول ﷺ مقاصده جزم جزماً لا يحتمل النقيض أن هذه المبالغة واللعن والنهي بصيغتيه ، صيغة لا تفعلوا ، وصيغة : إني أنأكم ، ليس لأجل النجاسة بل هو لأجل نجاسة الشرك اللاحقة من عصاه وارتكبه ما عنه نهاه واتبع هواه ولم يخش ربه ولا مولاه وقل نصيبه ، أو عدم من تحقيق : لا إله إلا الله فإن هذا وأمثاله من النبي ﷺ صيانة لحى التوحيد أن يلحقه الشرك ويفشاه وتجريد له وغضب له به أن يعدل به سواء فأبى المشركون إلا معصية لأمره وارتكاباً لنهيهم وغرم الشيطان بأن هذا تعظيم لقبور المشايخ والصالحين وكلما كنتم أشد لها تعظيماً وأشد فيهم غلوا كنتم بقربهم أسعد ومن أعدائهم أبعد ولعمرو الله من هذا الباب بعينه دخل الشيطان على عباد يغوث ويعوق ولسرا ودخل على عباد الأصنام منذ كانوا إلى يوم القيامة

(١) قوله (ولأحمد بسند جيد عن ابن مسعود رضى الله عنه مرفوعاً) إن من شرار الناس ، بكسر الشين جمع شرير

(٢) قوله (من تذرّكهم الساعة وهم أحياء) أى مقدماتها كخروج الدابة وطلوع الشمس من مغربها وبعد ذلك ينفخ في الصور نفخة الفزع

(٣) قوله (والذين يتخذون القبور مساجد) بالصلاة عندها وإليها وبناء المساجد عليها (وراه أبو حاتم في صحيحه)

٢١ - باب

ما جاء أن الغلو في قبور الصالحين

يُصَيِّرُهَا أَوْثَانًا تُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ^(١)

(١) قوله (باب ما جاء أن الغلو في قبور الصالحين يصيرها أوثاناً تعبد من دون الله) الغلو هو مجاوزة الحد في التعظيم بالقول والفعل والاعتقاد (روى مالك في الموطأ أن رسول الله ﷺ قال: اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد،) مالك هو الإمام أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك الأصمعي المدني إمام دار الهجرة وأحد الأئمة الأربعة وأحد المتفنين للحديث حتى قال البخاري أصبح الأسانيد مالك عن نافع عن ابن عمر. حكى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية لإجماع أهل الإسلام الخاص منهم والعام على تعظيمه وقال: بل لم يكن في وقته مثله، وقد روى الترمذي وغيره عن النبي ﷺ أنه قال: يوشك أن يضرب الناس من أكباد الإبل في طلب العلم فلا يجدون أعلم من عالم المدينة، قال غير واحد كانوا يرونه مالك بن أنس مات سنة تسع وسبعين ومائة، وكان مولده سنة ثلاث وتسعين وقيل أربع وتسعين، قال الواقدي بلغ تسعين سنة. وهذا الحديث رواه مالك في الموطأ مرسلًا عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار، ورواه ابن أبي شيبة في مصنفه عن ابن عجلان عن زيد بن أسلم به ولم يذكر عطاء، ورواه البزار عن زيد عن عطاء عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً وله شاهد عند الإمام أحمد بسنده عن سبيل بن أبي صالح عن أبي هريرة رفعه: اللهم لا تجعل قبري وثناً، لعن الله قوماً اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، وفي القرى للطبري المالكي عن مالك أنه كره أن يقول زرت قبر النبي ﷺ وعلل ذلك بقوله ﷺ: اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد، الحديث. كره إضافة هذا اللفظ إلى القبر لئلا يقع التشبه بفعل أولئك سداً للذريعة، وقد ذكروا في أسباب كراهته لذلك أن هذا اللفظ قد صار كثير من الناس يريدون به الزيارة البدعية الشركية وهي قصد الميت لسؤاله ودعائه والرغبة إليه في قضاء الحاجات وغير ذلك مما يفعله كثير من الناس، فهم يعنون بلفظ الزيارة مثل هذا وهذا ليس بمشروع

رَوَى مَالِكٌ فِي الْمَوْطَأِ : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : « اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلَ قَبْرِي وَثْنًا يُعْبَدُ » (١) اشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَى قَوْمٍ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ «

(١) قَوْلُهُ ﷺ اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلَ قَبْرِي وَثْنًا يُعْبَدُ ، قَدْ بَالِغَ النَّبِيِّ ﷺ فِي النَّهْيِ وَتَحْذِيرِ أُمَّتِهِ عَنِ اتِّخَاذِ الْقُبُورِ مَسَاجِدَ ، وَأَخْبَرَ أَنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى عَلَى اتِّخَاذِ قُبُورِ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ وَقَالَ : أَلَا وَإِنْ مِنْ كَانَ قَبْلَكُمْ - يَعْنِي الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى - كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ . أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ فَإِنِّي أَنَا كَمْ عَنْ ذَلِكَ . . وَدَعَا اللَّهَ بِأَنْ لَا يَجْعَلَ قَبْرَهُ وَثْنًا يُعْبَدُ ، وَدَلَّ الْحَدِيثَ عَلَى أَنَّ قَبْرَ النَّبِيِّ ﷺ لَوْ عُبِدَ لَكَانَ وَثْنًا ، وَدَلَّ عَلَى أَنَّ الْوَتْنَ هُوَ مَا يَبَاسِرُهُ الْعَابِدُ مِنَ الْقُبُورِ وَالتَّوَابِيتِ الَّتِي عَلَيْهَا . قَالَ الْقُرْطُبِيُّ وَلِهَذَا بَالِغُ الْمُسْلِمُونَ فِي سَدِّ الذَّرِيمَةِ فِي قَبْرِ النَّبِيِّ ﷺ فَأَعْلَوْا حِيطَانِ تَرْبَتِهِ وَسَدُّوا الْمُدَاخِلَ إِلَيْهَا وَجَعَلُوهَا مَحْدَقَةً بِقَبْرِهِ ﷺ ثُمَّ خَافُوا أَنْ يَتَّخِذَ مَوْضِعَ قَبْرِهِ قَبْلَةً إِذَا كَانَ مُسْتَقْبَلَ الْمُصَلِّينَ فَتَصُورُ الصَّلَاةُ إِلَيْهِ بِصُورَةِ الْعِبَادَةِ فَبَنَوْا جُدَارَيْنِ مِنْ رُكْنَيْ الْقَبْرِ الشَّمَالَيْنِ وَحَرَفُوهُمَا حَتَّى التَّقِيَا عَلَى زَاوِيَةٍ مِثْلَةٍ مِنْ نَاحِيَةِ الشَّمَالِ حَتَّى لَا يَتِمَكَّنَ أَحَدٌ مِنْ اسْتِقْبَالِ قَبْرِهِ أَنْتَهَى ، وَإِلَى هَذَا أَشَارَ الْعَلَامَةُ ابْنُ الْقَيِّمِ بِقَوْلِهِ

وَدَعَى بِأَنْ لَا يَجْعَلَ الْقَبْرَ الَّذِي قَدْ ضَمَّهُ وَثْنًا مِنَ الْاَوْثَانِ
فَأَجَابَ رَبُّ الْعَالَمِينَ دَعَاءَهُ وَأَحَاطَهُ بِثَلَاثَةِ الْجُدُرَانِ
حَتَّى غَدَّتْ أَرْجَاؤُهُ بِدَعَائِهِ فِي عِزَّةٍ وَحِمَايَةٍ وَصِيَانِ

وقوله (اشْتَدَّ غَضَبُ اللَّهِ عَلَى قَوْمٍ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ) هَذَا الْوَعِيدُ يَدُلُّ عَلَى تَحْرِيمِ الْبِنَاءِ عَلَى الْقُبُورِ وَتَحْرِيمِ الصَّلَاةِ عِنْدَهَا وَأَنَّ ذَلِكَ مِنَ الْكِبَايَرِ . وَفِي الْحَدِيثِ تَفْسِيرُ الْاَوْثَانِ وَتَفْسِيرُ الْعِبَادَةِ وَأَنَّهُ ﷺ لَمْ يَسْتَعِذْ إِلَّا بِمَا يَخَافُ وَقَوَّعَهُ وَقَرَنَ بِهَذَا اتِّخَاذَ قُبُورِ الْأَنْبِيَاءِ مَسَاجِدَ وَذَكَرَ شِدَّةَ الْغَضَبِ مِنَ اللَّهِ ، قَالَ الْمُسَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ . وَقَدْ عَظُمَتِ الْفِتْنَةُ بِتَعْظِيمِ الْقُبُورِ وَعِبَادَتِهَا كَمَا قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ : كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا لَبَسْتُمْ فِتْنَةَ يَهْرَمُ فِيهَا الْكَبِيرُ وَيَنْشَأُ فِيهَا الصَّغِيرُ ، تَجْرَى عَلَى النَّاسِ يَتَّخِذُونَهَا سَنَةً إِذَا غَيِّرَتْ قِيلَ غَيْرَتِ السَّنَةُ ، وَلِخَوْفِ الْفِتْنَةِ نَهَى عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ =

ولابن جرير بسنده عن صفية (١)

== عن تتبع آثار النبي ﷺ قال ابن وضاح سمعت عيسى بن يونس يقول: أمر عمر رضى الله عنه بقطع الشجرة التي ببيع تحتها النبي ﷺ لأن الناس كانوا يذهبون فيصلون تحتها يخاف عليهم الفتنة ، وقال المعمر بن سويد : صليت مع عمر رضى الله عنه بطريق مكة صلاة الصبح ثم رأى الناس يذهبون مذاهب فقال : أين يذهب هؤلاء ؟ فقيل : يا أمير المؤمنين مسجد صلى فيه رسول الله ﷺ فهم يصلون فيه ، فقال : إنما هلك من كان قبلكم بمثل هذا ، كانوا يتبعون آثار أنبيائهم ويتخذونها كنائس وبيع ، فن أدركته الصلاة في هذه المساجد فليصل ومن لا فالبيض ولا يتعمدها . وفي مغازي ابن اسحق من زبادات يونس بن بكير عن أبي خلدة خالد بن دينار حدثنا أبو العالية قال : لما فتحنا تستر وجدنا في بيت مال الهرمزان سريراً عليه رجل ميت عند رأسه مصحف فأخذنا المصحف فحملناه إلى عمر فدعى كعباً فنسخه بالعربية فأنا أول رجل قرأه من العرب قرأه مثل ما قرأ القرآن ، فقلت لأبي العالية : ما كان فيه ؟ قال : سريتم وأموركم ولحون كلامكم وما هو كائن بعد . قلت : فما صنعتم بالرجل ؟ قال : حفرنا له بالإنهار ثلاثة عشر قبراً متفرقة فلما كان الليل دفناه وسوينا القبور كلها لنعميه على الناس لا ينبشونه قلت : وما يرجون منه ؟ قال : كانت السماء إذا حبست عنهم برزوا بسريره فيمطرون ، فقلت : من كنتم تظنون الرجل ؟ قال : رجل يقال له دانيال ، فقلت : منذ كم وجدتموه مات ؟ قال : منذ ثلاثمائة سنة . قلت : ما كان تغير منه شيء ؟ فقال : لا ، إلا شعيرات من قفاه ، إن لحوم الأنبياء لا تبليها الأرض . قال ابن القيم رحمه الله تعالى ففى هذه القصة ما فعله المهاجرون والانصار رضى الله عنهم من تعمية قبره لئلا يفتتن به ولم يبرزوه الدعاء عنده والتبرك به ولو ظفر به المتأخرون لجالدوا عليه بالسيف ولعبدوه من دون الله

قوله (ولابن جرير) وهو إمام المفسرين محمد بن جرير بن يزيد الطبري أبو جعفر صاحب التفسير والتاريخ وتفسيره أجل التفاسير وأحسنها ، قال ابن خزيمة لا أعلم على الأرض أعلم منه ، ولد سنة مائتين وأربعة وعشرين ومات ليومين بقيا من شوال سنة ثلاثمائة وعشر

(١) قوله (بسنده عن صفيان) الظاهر أنه ابن سعيد الثوري أبو عبد الله ==

عن منصور^(١) عن مجاهد^(٢) ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ﴾^(٣) . قال :
كان يَلْتُ لَهْمُ السَّوِيقِ ، فمات ، فَعَكفُوا على قبرِهِ . وكذا قال
أبو الجوزاء^(٤) عن ابن عباس^(٥) : كان يَلْتُ السَّوِيقِ للحاج

= السكوني ثقة حافظ فقيه إمام عابد كان له أتباع يتفقون على مذهبه ، مات سنة
إحدى وستين ومائة وله أربع وستون سنة

(١) قوله (عن منصور) هو ابن المعتز بن عبد الله السلي ثقة ثبت فقيه
مات سنة اثنتين وثلاثين ومائة

(٢) قوله (عن مجاهد) وهو ابن جبر بالجيم والموحدة ، أبو الحجاج الخزومي
مولاهم المشي ثقة إمام في التفسير أخذ عن ابن عباس وغيره رضى الله عنهم ،
مات سنة أربع ومائة ، قاله يحيى القطان ، وقال ابن حبان مات سنة اثنتين أو
ثلاث ومائة وهو ساجد وولد سنة إحدى وعشرين في خلافة عمر رضى الله عنه
(٣) قوله (أفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ) قال كان يَلْتُ لَهْمُ السَّوِيقِ فمات فعكفوا
على قبره (وفي رواية فيطعم من يمر به من الناس فلما مات عبدوه ، وقالوا : هو
اللات ، رواه سعيد بن منصور . وقد قيل إنه صرمة بن غنم ، قاله في الشرح

(٤) قوله (وكذا قال أبو الجوزاء) وهو أوس بن عبد الله الربيعي ففتح
الراء والياء ، مات سنة ثلاث وثمانين (عن ابن عباس كان يَلْتُ السَّوِيقِ للحاج)
وهذا الآخر رواه البخاري في صحيحه . والشاهد منه الترجمة أنهم غلوا فيه لأجل
صلاحه واتخذوه وثنا بتعظيمه وعبادته وصار من أكبر أوثان أهل الجاهلية .
وفيه معرفة صفة عبادة اللات التي هي من أكبر الأوثان ، ومعرفة أنه قبر
رجل صالح ، وأنه اسم صاحب القبر ، وذكر معنى التسمية قاله المصنف رحمه
الله تعالى

(٥) قوله (وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : لعن رسول الله ﷺ
زائرات القبور) - أى من النساء - والمتخذين عليها المساجد والسرر ، رواه
أهل السنن (وهذا يدل على تحريم زيارة القبور عليهن كما هو مذهب أحمد وطائفة
وقيل في تعليل ذلك إنه يخرجها إلى الجزع والتدب والنياحة ، وحديث ابن عباس =

== هذا في إسناده أبو صالح مولى أم هانئ وقد ضعفه بعضهم ووثقه بعضهم ، قال
 هلى بن المديني عن يحيى القطان : لم أر أحداً من أصحابنا ترك أبا صالح مولى أم هانئ
 وما سمعت أحداً من الناس يقول فيه شيئاً ولم يتركه شعبة ولا زائدة ولا عبد
 الله بن عثمان ، قال ابن معين لا بأس به ولهذا أخرجه ابن السكن في صحيحه ،
 انتهى ، من الذهب الإبريز عن الحافظ المزي . وقال شيخ الإسلام : وقد جاء
 عن النبي ﷺ من طريقين : فعن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ لعن
 زوارات القبور ، وذكر حديث ابن عباس ثم قال : رجال هذا ليس رجال هذا
 فلم يأخذه أحدهما عن الآخر ، وليس في الإسنادين من يتهم بالكذب ، ومثل
 هذا حجة بلا ريب وهذا من أجود الحسن الذى شرطه الترمذى ، فإنه جعل
 الحسن ما تعددت طرقه وليس فيها متهم ولا خالنه أحد من الثقات ، هذا لو كان
 عن صاحب واحد ، فكيف إذا كان هذا رواه عن صاحب وذاك عن آخر ،
 ويكفى في الاحتجاج به رواية أهل السنن له ، ولم يذكر أحد منهم له علة ولا
 معارض له . وقال أيضاً : وما علمنا أحداً من الأئمة استحب لمن زيارة القبور ،
 ولا كان النساء على عهد النبي ﷺ وخلفائه الراشدين يخرجن إلى زيارة القبور ،
 ويؤيده ما فى الصحيحين أنه نهى النساء عن اتباع الجنائز . والذين رخصوا فى
 الزيارة اعتمدوا على ما روى عن عائشة رضى الله عنها أنها زارت قبر أخيها
 عبد الرحمن وقالت لو شهدتك ما زرتك . وهذا يدل على أن الزيارة ليست
 مستحبة للنساء كما تستحب للرجال ، ولو كانت كذلك لاستحبت زيارته سواء
 شهدت أم لا . وهذا لا حجة فيه لمن قال بالرخصة وهذا السياق لحديث عائشة .
 رواه الترمذى من رواية عبد الله بن أبي مليكة عنها يخالف سياق الاثر له عن
 عبد الله بن أبي مليكة أيضاً أن عائشة رضى الله عنها أقبلت ذات يوم من المقابر
 فقلت لها يا أم المؤمنين أليس نهى رسول الله ﷺ عن زيارة القبور ؟ قالت :
 نعم ، نهى عن زيارة القبور . ثم أمر بزيارتها . ولا حجة فى حديث عائشة فإن
 المحتج عليها احتج بالنهى العام فدفعت بأن ذلك مفسوخ ولم يذكر لها المحتج عليها
 النهى الخاص بالنساء الذى فيه لعنن على الزيارة ، يبين ذلك قولها أمر بزيارتها ،
 فهذا يبين أنه أمر بها أمر يقتضى الاستحباب ، والاستحباب إنما هو ثابت ==

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
زَارَاتِ الْقُبُورِ وَالْمَتَّخِذِينَ عَلَيْهَا الْمَسَاجِدَ وَالشُّرُجَ . رواه أهل
السُّنَنِ (١) .

= للرجال خاصة ولو كانت تعتقد أن النساء مأمورات بزيارة القبور لمكانت تفعل ذلك كما يفعله الرجال ولم تقل لأخيها لما زرتك ، واللعن صريح في التحريم والخطاب بالاول في قوله : فزوروها لم يتناول النساء فلا يدخلن في الحكم الناسخ ، والعام إذا عرف أنه بعد الخاص لم يكن ناسخاً له عند جمهور العلماء ، وهو مذهب الشافعي وأحمد في أشهر الروايتين عنه وهو المعروف عند أصحابه فكيف إذا لم يعلم أن هذا العام بعد الخاص إذ قد يكون قوله لعن رسول الله ﷺ زوارات القبور بعد إذنه للرجال في الزيارة يدل على ذلك أنه قرنه بالمتخذين عليها المساجد والسرَج ، ومعلوم أن اتخاذ المساجد والسرَج المنهى عنه محكم كما دلت عليه الأحاديث الصحيحة وكذلك الآخر . ومن العلماء من يقول الذبيح كذلك ، ويحتج بقوله ﷺ « ارجعن مأزورات غير مأجورات ، فإنكن تفتن الحى وتؤذين الميت » ، وقوله لفاطمة « أما إنك لو بلغت معهم الكدلى لم تدخل الجنة ، ويؤيده ما فى الصحيحين ، أنه نهى النساء عن اتباع الجنائز وفى هذا الحديث لعن المتخذين على القبور المساجد والسرَج وهو من فعل أهل الكتاب . قال أبو محمد المقدسى : لو صح اتخاذ السرج عليها لم يلعن من فعله لأن فيه تضييعاً للبال فى غير فائدة وإفراطاً فى تعظيم القبور أشبه بتعظيم الأصنام ، وفيه لعنه ﷺ زوارات القبور ، ولعنه من أسرجها . قاله المصنف رحمه الله .

قوله (رواه أهل السنن) يعنى أبا داود والترمذى وابن ماجه ولم يروه النسائي قاله فى الشرح . قال ابن القيم رحمه الله : اتخاذها مساجد وإيقاد السرج عليها من الكبائر . وقال محمد بن إسماعيل الصنعانى فى تطهير الاعتقاد : فإن هذه القباب والمشاهد التى صارت أعظم ذريعة للشرك والإلحاد وأكبر وسيلة إلى هدم الإسلام وخراب بنيانه غالب بل كل من يعمرها هم الملوك والولاة والرؤساء والولاة إما على قريب لهم أو على من يحسنون الظن به من فاضل أو عالم أو صوفى =

٢٢ - باب

ما جاء في حماية المصطفى ﷺ جناب التوحيد

وسدّه كل طريق يُوصل إلى الشرك^(١)

وقول الله تعالى ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ^(٢)﴾

== أو فقير أو شيخ كبير ويزوره الناس الذين يعرفونه زيارة الاموات من دون توسل ولا هتف باسمه ، بل يدعون له ويستغفرون حتى ينقرض من يعرفه أو أكثرهم فيأتى من بعدهم فيجد قبراً قد شيد عليه البناء وسرجت عليه الشموع وفرش بالفراش الفاخر وأرخيت عليه الستور وألقيت عليه الاوراد والزهور فيعتقد أن ذلك لنفع أو دفع ضرر وتأتية المدنة يكذبون على الميت بأنه فعل وفعل ، وأنزل بفلان الضر و بفلان النفع حتى يفرسوا في جبلته كل باطل والامر ما ثبت في الاحاديث النبوية من امن من أسرج على القبور وكتب عليها وبني عليها ، وأحاديث ذلك واسعة معروفة ، فإن ذلك في نفسه منهي عنه ، ثم هو ذريعة إلى مفسدة عظيمة ، انتهى .

(١) قوله (باب ما جاء في حماية المصطفى ﷺ جناب التوحيد وسدّه كل طريق يوصل إلى الشرك) . الجناب هو الجانب ، قاله في الشرح ، ذكر الشيخ هذه الترجمة في بيان أن النبي ﷺ حى جناب التوحيد من شرك يبطله أو بدعة تقذح فيه أو معصية تنقضه حرصاً على أمته وخوفاً عليهم أن يقعوا فيها وقع فيه من قبلهم من الأمم ، فلم يترك طريقاً ولا وسيلة تؤدي إلى الشرك إلا نهى عنها وحذرهم منها ، منها تعظيم القبور والغلو في أصحابها وبناء المساجد عليها وإسراجها والعكوف والمجاورة عندها وتحري الصلاة والدعاء والصدقة عندها لا سيما قبره الشريف فصلوات الله وسلامه عليه .

(١) قوله (وقول الله تعالى : ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾) يقول تعالى ممثلاً على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم أى من جنسهم وعلى لغتهم كما قال إبراهيم عليه السلام ﴿ربنا وابعث فيهم رسولا منهم﴾ وقال تعالى ﴿لَقَدْ

عزيزه عليه ما عَنَّم ^(١) حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ ^(٢)) الآية عن أبي هريرة
رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « لا تجعلوا بيوتكم قبوراً ^(٣) »

= مَنْ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم . قال سفيان بن عيينة
عن جعفر بن محمد عن أبيه (لقد جاءكم رسول من أنفسكم) قال لم يصبه شيء
من ولادة الجاهلية .

(١) وقوله (عزيز عليه ما عَنَّم) أى يمز عليه الشيء الذى يعنت أمته ويشق
عليها ، ولذا جاء فى الحديث عنه ﷺ « بعثت بالحنيفية السمحة » وفى الصحيح
« إن هذا الدين يسر » .

(٢) وقوله (حريص عليكم) أى على هدايتكم ووصول النفع الدنيوى
والآخروى إليكم ، وهذا هو الشاهد من الآية للترجمة ، وروى الطبرانى بسند
جيد عن أبي ذر رضى الله عنه قال : تركنا رسول الله ﷺ وما طائر يقرب
جناحيه فى الهوى إلا وهو يذكر لنا فيه علماً ، وقال ﷺ « ما بقى شيء يقرب
من الجنة ويباعد من النار إلا وقد بينته لكم » .

وقوله (بالمؤمنين رؤوف رحيم) أى المؤمنين به ، فخرصه على الهداية عام
لجميع الأمة ، ورأفته ورحمته خاصة بالمؤمنين به ، قال أبو عبيدة : الرأفة أرق
الرحمة ، وفيه معرفة تفسير آية براءة وإبعاد أمته عن هذا الحمى غاية البعد ،
وذكر حرصه علينا ورأفته ورحمته قاله المصنف رحمه الله .

(٣) قوله (وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « لا
تجعلوا بيوتكم قبوراً ») . قال شيخ الإسلام أى لا تعطلوها من الصلاة فيها والدعاء
والقراءة فتسكون بمنزلة القبور ، فأمر بتحرى العبادة فى البيوت ونهى عن
تحرىها عند القبور عكس ما يفعله المشركون من النصارى ومن تشبه بهم من هذه
الأمة ممن يدعى الإسلام ، وفى الصحيحين عن ابن عمر رضى الله عنهما « لا تجعلوا
بيوتكم مقابر » فإن الشيطان يفر من البيت الذى يسمع سورة البقرة
تقرأ فيه ، وفيه الحث على النافلة فى البيت ، وأنه مقرر عندهم أنه لا يصلح فى
المقبرة ، قاله المصنف

ولا تجعلوا قبري عيداً^(١) ، وصلوا عليّ فإنّ صلاتكم تبلغني حيث كنتم^(٢) » رواه أبو داود بإسناد حسن ورواته ثقات .

(١) قوله (ولا تجعلوا قبري عيداً) وهذا هو الشاهد من الحديث للترجمة، وفيه نهي عن زيارة قبره على وجه مخصوص مع أن زيارته من أفضل الأعمال ، ونهي عن الإكثار من الزيارة وتعليه ذلك بأن صلاة الرجل وسلامه عليه يبلغه وإن بعد فلا حاجة إلى ما يتوهمه من أراد القرب ، وكونه تعرض عليه في البرزخ أعمال أمته في الصلاة والسلام عليه . قاله المصنف رحمه الله . قال شيخ الإسلام : العيد اسم لما يعود من الاجتماع العام على وجه معتاد عائد ، إما بعود السنة أو بعود الأسبوع أو الشهر ونحو ذلك . وقال ابن القيم : العيد ما يعتاد مجيئه وقصده من زمان ومكان مأخوذ من المعاودة والاعتیاد ، فإذا كان اسماً للكان فهو الذي يقصد فيه الاجتماع وانقيابه للعبادة أو لغيرها كما أن المسجد الحرام ومنى ومزدلفة وعرفة والمشاعر جعلها الله عيداً للحنفاء ومثابة كما جعل أيام العيد فيها عيداً ، وكان للمشركين أعياد زمانية ومكانية فلما جاء الله بالإسلام أبطلها وعوض الحنفاء منها عيد الفطر وعيد النحر وأيام منى ، كما عوضهم عن أعياد المشركين المسكانية بالسكبة ومنى ومزدلفة وعرفة والمشاعر

(٢) وقوله (وصلوا عليّ ، فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم) يشير إلى أن ما ينالني منكم من الصلاة والسلام يحصل مع قربكم من قبري وبعدكم فلا حاجة لكم إلى اتخاذه عيداً ، قاله شيخ الإسلام رحمه الله . وهذا الحديث رواه أبو داود وغيره من حديث عبد الله بن نافع الصائغ . قال أخبرني ابن أبي ذئب عن سعيد المقبري عن أبي هريرة فذكره (ورواته ثقات) مشاهير لكن عبد الله بن نافع قال فيه أبو حاتم ليس بالحافظ تعرف وتنكر ، وقال ابن معين هو ثقة ، وقال أبو زرعة لا بأس به ، قال شيخ الإسلام : ومثل هذا إذا كان لحديثه شواهد علم أن محفوظ وهذا له شواهد متعددة . وقال الحافظ محمد بن عبد الهادي : هو حديث حسن جيد الإسناد وله شواهد يرتقي بها إلى درجة الصحة .

وعن علي بن الحسين (١) أنه رأى رجلاً يجي إلى فرجة كانت عند قبر النبي ﷺ فيدخل فيها فيدعو ، فنهاه وقال : ألا أحدثكم حديثاً سمعته عن أبي عن جدّي عن رسول الله ﷺ قال : « لَا تَتَخَذُوا

(١) قوله (وعن علي بن الحسين) بن علي بن أبي طالب المعروف بزین العابدين أفضل التابعين من أهل بيته وأعلمهم رضي الله عنه ، مات سنة ثلاث وتسعين على الصحيح ، وأبوه الحسين سبط رسول الله ﷺ وريحانته ، حفظ عن النبي ﷺ واستشهد يوم عاشوراء ، سنة إحدى وستين وله ست وخمسون سنة رضي الله عنه (أنه) أي علي بن الحسين رأى رجلاً يجي إلى فرجة كانت عند قبر النبي ﷺ فيدخل فيها فيدعو ، فنهاه وقال : ألا أحدثكم حديثاً سمعته من أبي الحسين (عن جدّي علي بن أبي طالب) عن رسول الله ﷺ قال : « لَا تَتَخَذُوا قَبْرِ عِيداً وَلَا بِمَوْتِكُمْ قُبوراً ، وصلوا عليّ فإن تسليمكم يبلغني أين كنتم ، رواه في المختارة) هذا الحديث رواه أبو يعلى والقاضي إسماعيل والحافظ الضياء في المختارة . قال شيخ الإسلام : فانظر إلى هذه السنة كيف خرجها من أهل المدينة وأهل البيت الذين لهم في رسول الله ﷺ قرب النسب وقرب الدار لأنهم إلى ذلك أحوج من غيرهم وكانوا لها أضبط

قوله (إنه رأى رجلاً يجي إلى فرجة) بضم الفاء وسكون الراء وهي السكوة في الجدار والخوخة ونحوهما

قوله (فيدخل فيها فيدعو فنهاه) وهذا يدل على النهي عن قصد القبور والمشاهد لأجل الدعاء والصلاة عندها . وقال شيخ الإسلام : ما علمت أحداً رخص فيه لأن ذلك نوع من اتخاذ عيدا . ويدل أيضاً على أن قصد القبر للسلام إذا دخل المسجد للصلاة منهي عنه لأن ذلك لم يشرع ، وكره مالك لأهل المدينة كلها دخل الإنسان المسجد أن يأتي قبر النبي ﷺ لأن السلف لم يكونوا يفعلون ذلك ، قال : ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها . وكان الصحابة والتابعون رضي الله عنهم يأتون إلى مسجد النبي ﷺ فيصلون ، فإذا قضوا الصلاة قعدوا أو خرجوا ولم يكونوا يأتون القبر للسلام أهلهم أن الصلاة والسلام عليه =

قبرى عيداً ، ولا يُؤتوكم قبوراً ، وصلوا علىّ فإن تسليمكم يبلغنى »

= عند دخول المسجد هو السنة . وأما دخولهم عند قبره للصلاة والسلام عليه هناك أو للصلاة والدعاء فلم يشرعه لهم بل نهاهم عنه في قوله ، لا تتخذوا قبرى عيداً وصلوا علىّ فإن صلاتكم تبلغنى ، فبين أن الصلاة تصل إليه من بعد وكذلك السلام ، ولعن من اتخذ قبور الأنبياء مساجد . وكانت الحجرة في زمانهم يدخل إليها من الباب ، إذ كانت عائشة رضى الله عنها فيها وبعد ذلك إلى أن بنى الحائط الآخر ، وهم مع ذلك التكن من الوصول إلى قبره لا يدخلون عليه للسلام ولا للصلاة ولا للدعاء لأنفسهم ولا لغيرهم ولا لسؤال عن حديث أو علم ولا كان الشيطان يطمع فيهم حتى يسمعهم كلاماً أو سلاماً فيظنون أنه هو كلمهم وأفتاهم وبين لهم الأحاديث ، أو أنه قد رد عليهم السلام بصوت من خارج كما طمع الشيطان في غيرهم فأضلهم عند قبره وقبر غيره حتى ظنوا أن صاحب القبر يأمرهم وينهاهم ويحدثهم في الظاهر وأنه يخرج من القبر فيرويه خارجاً من القبر فيظنون أن نفس أبدان الموتى خرجت تكلمهم وأن أرواح الموتى تجسدت لهم فرأوها . وقال سعيد بن منصور في سننه : حدثنا عبد العزيز بن محمد أخبرني سهيل بن أبي سهيل قال : رأيت الحسن بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عند قبر النبي ﷺ فناداني وهو في بيت فاطمة يتعشى فقال : هلم إلى العشاء ، قلت : لا أريده ، قال : مالي رأيتك عند القبر ؟ فقلت : سالت على النبي ﷺ . فقال : إذا دخلت المسجد فسلم ، ثم قال لى : إن رسول الله ﷺ قال ، لا تتخذوا قبرى عيداً ولا تتخذوا بيوتكم قبوراً وصلوا علىّ فإن صلاتكم تبلغنى حيث كنتم ، لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ، ما أنتم ومن بالأندلس إلا سواء . والمقصود أن الصحابة رضى الله عنهم لم يكونوا يعتادون الصلاة والسلام عليه عند قبره كما يفعله من بعدهم من الخلف وإنما كان بعضهم يأتي من خارج فيسلم عليه إذا قدم من سفر كما كان ابن عمر يفعله ، قال عبيد الله بن عمر عن نافع : كان ابن عمر إذا قدم من سفر أتى قبر النبي ﷺ فقال : السلام عليك يا رسول الله السلام عليك يا أبا بكر السلام عليك يا أبا عبد الله ، ثم ينصرف . قال عبد الله : ما تعلم أجداً من أصحاب النبي ﷺ فعل ذلك إلا ابن عمر . وهذا يدل على أنه لا =

رواه في المختارة .

٢٣ - باب

ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان^(١)

== يقف عند القبر للدعاء إذا سلم كما يفعله كثير . قال شيخ الإسلام : لأن ذلك لم ينقل عن أحد من الصحابة فكان بدعة محضة وفي المبسوط ، قال مالك : لا أرى أن يقف عند قبر النبي ﷺ ولكن يسلم ويمضى ، ونص أحد أنه يستقبل القبلة ويجعل الحجرة عن يساره لئلا يستدبره ، وبالجملة فقد اتفق الأئمة على أنه إذا دعا لا يستقبل القبر ، وتنازعوا هل يستقبله عند السلام أم لا . وفي الحديث دليل على منع شد الرحال إلى قبره ﷺ وإلى غيره من القبور والمشاهد لأن ذلك من اتخاذها أعياداً ، ومن أعظم أسباب الإشراك بأصحابها . وعند أفق فيها شيخ الإسلام بمنع السفر لا مجرد زيارة قبور الأنبياء والصالحين ، ونقل فيها اختلاف العلماء ، فمن مبيح لذلك كالغزالي وأبي محمد المقدسي ، ومن مانع لذلك كابن بطة وابن عقيل وأبي محمد الجويني والقاضي عياض . وهو قول الجمهور ، نص عليه مالك ولم يخالفه أحد من الأئمة وهو الصواب لما في الصحيحين عن أبي سعيد عن النبي ﷺ قال : « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام . ومسجدي هذا والمسجد الأقصى ، فإما أن يكون نهياً ، وإما أنه يكون نفياً وجاء في رواية بصيغة النهي فتعين أن يكون للنهي فدخل في النهي شدّها لزيارة القبور والمشاهد

قوله (رواه في المختارة) لأبي عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي الحافظ ضياء الدين الحنبلي أحد الأعلام ، قال الذهبي : أفق عمره في هذا الشأن مع الدين المتين والورع والفضيلة التامة والإتقان . والمختارة كتاب جمع فيه الأحاديث الجياد الزائدة على الصحيحين وتصحيحه في مختارته خير من تصحيح الحاكم بلا ريب ، قاله شيخ الإسلام ، مات سنة ثلاث وأربعين وستمائة

(١) قوله (باب ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان) أراد المصنف

وقول الله تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ ﴾ إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يؤمنون بالجنت والطاغوت ﴿ وقوله تعالى ﴿ قُلْ هَلْ أَنْبِئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ ﴾ (٢) ، مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ

== رحمه الله تعالى بهذه الترجمة الرد على عباد القبور الذين يفعلون الشرك ويقولون : إنه لا يقع في هذه الأمة المحمدية شرك وهم يقولون لا إله إلا الله محمد رسول الله

(١) قوله (وقول الله تعالى ألم تر) يا محمد (إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب) أى أعطوا حظاً من العلم (يؤمنون بالجنت والطاغوت) قال عمر بن الخطاب : الجنت : السحر ، والطاغوت : الشيطان ، وكذا قال ابن عباس وأبو العالية ومجاهد والحسن وغيرهم ، وعن ابن عباس : الجنت الكاهن وعن مجاهد كعب ابن الأشرف قال الجوهرى : الجنت كلمة تقع على الصنم والكاهن والساحر ونحو ذلك

قوله : ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلاً . وروى الإمام أحمد عن ابن عباس قال لما قدم كعب بن الأشرف اليهودى مكة قالت قريش ألا ترى إلى هذا الصبي المنبتر من قومه يزعم أنه خير منا ونحن أهل الحجيج وأهل السدانة والسقاية قال : أتم خير . فنزل فيهم ﴿ إن شئتكم هو الأبر ﴾ ، ونزل ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أوتوا نصيباً من الكتاب ﴾ إلى قوله - نصيراً) وروى ابن أبى حاتم عن عكرمة نخوع ، وفيه معرفة تفسير آية النساء ومعرفة الإيمان بالجنت والطاغوت فى هذا الموضع هل هو اعتقاد قلب أو هو موافقة أصحابها مع بغضها ومعرفة بطلانها وقولهم : إن الكفار الذين يعرفون كفرهم أهدى سبيلاً من المؤمنين . ومنها وهى المقصود بالترجمة أن هذا لا بد أن يوجد فى هذه الأمة كما تقرر فى حديث أبى سعيد ، قاله المصنف رحمه الله . وهذا هو الشاهد من الآية للترجمة .

(٢) قوله (وقول الله تعالى : قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله) قال البغوى : قل يا محمد (هل أنبئكم) أخبركم (بشر من ذلك) يعنى قولهم ==

عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت^(١)) وقوله
(قال الذين غلبوا على أمرهم لننخذن عليهم مسجداً^(٢))

= لم نراهل دين أقل حظاً في الدنيا والآخرة منكم ولا ديناً شراً من دينكم ، فذكر
الجواب بلفظ الابتداء وإن لم يكن الابتداء شراً ، كقوله (قل أفنبشكم بشر من
ذلك ؟) النار !

وقوله (مشوبة) أى ثواباً وجزاء ، نصب على التفسير

قوله (عند الله ؟ من لعنه الله) أى هو من لعنه الله وغضب عليه يعنى
اليهود وجعل منهم القردة والخنازير ، فالقردة أصحاب السبت والخنازير كفار
مائدة عيسى ، وعن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أن المسخين كلاهما من
أصحاب السبت فشباهم مسخوا قردة وشيوخهم مسخوا خنازير . وعن ابن مسعود
رضي الله عنه قال : مثل رسول الله ﷺ عن القردة والخنازير هي مما مسخ الله
فقال إن الله لم يهلك أمة أو قال لم يمسح قوماً فجعل لهم لسلاً ، وإن القردة
والخنازير كانت قبل ذلك رواء مسلم

(١) قوله (وعبد الطاغوت) أى وجعل منهم من عبد الطاغوت أى أطاع
الشیطان فيما سول له ، وهذا هو الشاهد من الآية للترجمة ، وفيه معروفة تفسير
الآية ، قاله المصنف رحمه الله تعالى قال شيخ الإسلام في قوله : وعبد الطاغوت ،
الصواب أنه معطوف على ما قبله من الأفعال ، أى من لعنه الله وغضب عليه
وجعل منهم القردة والخنازير ، ومن عبد الطاغوت ، فهو فعل ماض معطوف على
ما قبله من الأفعال الماضية ، لكن الأفعال المتقدمة الفاعل فيها هو اسم الله
مظہراً ومضمراً ، وهنا الفاعل اسم من عبد الطاغوت وهو الضمير في عبد ، ولم
يعد سبحانه لفظاً من لأنه جعل هذه الأفعال كلها صفة لصنف واحد وهم اليهود

وقوله (أولئك شر مكاناً) مما تظنون بنا (وأضل عن سواء السبيل)

(٢) وقوله (قال الذين غلبوا على أمرهم لننخذن عليهم مسجداً) حكى ابن
جرير في القائلين ذلك قولين أحدهما أنهم المسلمون ، والثاني أنهم المشركون
وعلى القولين فهم مذمومون على ذلك لأن النبي ﷺ قال لعن الله اليهود والنصارى =

عن أبي سعيد^(١) رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :
لَتَتَّبِعُنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَذْوِ الْقُدَّةِ بِالْقُدَّةِ ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا
جُحْرَ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمُوهُ^(٢) » قالوا : يا رسول الله ، اليهود والنصارى^(٣)

== اتخذوا قبور أنبيائهم وصلحهم مساجد يحذر ما صنعوا ، رواه البخارى ومسلم .
ولما فعلته اليهود والنصارى جرم ذلك إلى الشرك ، وما فعلته اليهود والنصارى
ستفعله هذه الأمة . وهذا هو الشاهد من الآية للترجمة كما فى حديث أبى سعيد
الآتى وفيه معرفة تفسير الآية قاله المصنف

(١) قوله (عن أبى سعيد) سعد بن مالك بن سنان الانصارى رضى الله عنه
أن رسول الله ﷺ قال : لتتبعن من كان قبلكم ، (بفتح المهملة وقد تضم
والفتح أولى ، قاله المصنف أى : طريق من كان قبلكم (حذو القدّة بالقدّة)
بنصب حذو على المصدر ، والقدّة بضم القاف واحدة القذذ وهو ريش السهم ،
أى لتتبعن طريقهم فى كل ما فعلوه وتذهبهم فى ذلك كما تشبه قدّة السهم القدّة
الآخري ، وبهذا تظهر مناسبة الآيات للترجمة وقد وقع كما أخبر وهو علم من
أعلام النبوة

(٢) قوله (حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه) وفى حديث آخر : حتى لو
كان فيهم من يأتى أمه علانية لكان فى أمى من يفعل ذلك ،

(٣) قوله (قالوا يا رسول الله : اليهود والنصارى ؟ قال : فن ؟) هو برفع اليهود
خبر مبتدأ محذوف أى : أم اليهود والنصارى الذين تتبع سننهم ؟ ويجوز النصب
بفعل محذوف تقديره : تعنى

وقوله : فن ؟ استفهام إنكارى أى فن هم غير أولئك ؟ وفى رواية أبى
هريرة عند البخارى أنه فسرهم بفارص والروم والتفسير ببعض الالام لا ينقى
للتفسير بأمة أخرى إذ المقصود التمثيل لا الحصر ، قاله فى الشرح . قال شيخ
الإسلام : وهذا خرج مخرج الخبر والذم لمن يفعله كما كان يخبر عما يكون بين
بندى الساعة من الاشراط والامور المحرمة

قال : « فمن ؟ » أخرجاه ^(١) . ولمسلم عن ثوبان ^(٢) أن رسول الله

(١) قوله (أخرجاه) أى البخارى ومسلم واللفظ لمسلم ، أخبر ﷺ في هذا الحديث أن كل ما وقع من أهل الكتاب بما ذمهم الله به في هذه الآيات وغيرها لا بد أن يقع جميعه في هذه الامة ، وهذا هو الشاهد من الحديث للترجمة . وقد وقع كما أخبر ﷺ فاتبع كثير من أمته اليهود والنصارى وفارس والروم في ملابسم ومساكنهم ولغتهم وإقامة شعائرهم في الاديان والأعياد والعادات والحروب وزخرفة المساجد وتعظيم القبور وبناء المساجد عليها حتى عبدوا الأموات واتخذوا الاحبار والرهبان أربابا من دون الله وأعرضوا عن تدبر كتاب الله وسنة رسوله والعمل بهما وأقبلوا على كتب الإلحاد ومجلات الخلاعة والمجون والمصورات واستماع الأغاني الخليفة والملاحى وغير ذلك مما هو مشاهد بالبيان فلا حول ولا قوة إلا بالله

(٢) قوله (ولمسلم عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ) صحبه ولازمه ونزل الشام بعده ومات بحمص سنة أربع وخمسين رضى الله عنه (أن رسول الله ﷺ قال : « إن الله زوى لى الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وإن أمتى سيلبغ ملكبها ما زوى لى منها ، وأعطيت الكثرين الأحمر والأبيض وإنى سألت ربى لأمتى أن لا يهلكها بسنة بعامة وأن لا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم . وأن ربى قال : يا محمد إذا قضيت قضاء فانه لا يرد وإنى أعطيتك لأمتك أن لا أهلكها بسنة بعامة وأن لا أسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من بأقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضها ويسبي بعضهم بعضا ، ورواه البرقاني في صحيحه وزاد : « وإنما أخاف على أمتى الائمة المضلين وإذا وقع عليهم السيف لم يرفع إلى يوم القيامة ، ولا تقوم الساعة حتى يلحق حى من أمتى بالمشركين ، وحتى تعبدفأم من أمتى الاوثان ، وأنه سيكون فى أمتى ثلاثون كذابون كلهم يزعم أنه نبي وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدى ولا تزال طائفة من أمتى على الحق منصوره لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتى أمر الله تبارك وتعالى ») وهذا الحديث رواه أيضا أبو داود فى سننه وابن ماجه بالزيادة التى ذكرها المصنف قاله فى فتح المجيد

ﷺ قال « إِنَّ اللَّهَ زَوَى لِي الْأَرْضَ فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا ،
وإنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زَوَى لِي مِنْهَا . وَأَعْطَيْتُ الْكَنْزَيْنِ :
الْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ . وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لِأُمَّتِي أَنْ لَا يُهْلِكَهَا بَسَنَةً

قوله (إِنَّ اللَّهَ زَوَى لِي الْأَرْضَ) قال التوربشقي : زويت الشيء جمعته
وقبضته ، يريد تقريب البعيد منها حتى اطلع عليه اطلاعه على القريب ، وحاصله
أنه طوى له الأرض وجعلها مجموعة كهيئة كف في مرآة نظيرة ، قال الطيبي جمعا
لي حتى أبصرت ما تملكه أمتي من أقصى المشارق والمغارب منها

قوله (وإن ملك أمتي سيبلغ ما زوى لي منها) . قال القرطبي : وهذا الخبر
قد وجد مخبره كما قال ﷺ وكان ذلك من دلائل نبوته ، وذلك أن ملك أمته
اتسع إلى أن بلغ أقصى طنجة بالنون والجيم الذي هو منتهى عمارة المغرب إلى
أقصى المشرق مما وراء خراسان والنهر وكثير من بلاد السند والهند والصين ،
ولم يتسع ذلك الاتساع من جهة الجنوب والشمال ، ولذا لم يذكر عليه السلام
أنه أريه ولا أخبر أن ملك أمته يبلغه

قوله (ما زوى لي منها) يحتمل أن يكون مبنيا للفاعل وأن يكون مبنيا
للفعل . وفيه إخباره بأن الله زوى له المشارق والمغارب ، وأخبر بمعنى ذلك
فوقع كما أخبر بخلاف الجنوب والشمال قاله المصنف

قوله (وَأَعْطَيْتُ الْكَنْزَيْنِ الْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ) قال القرطبي ، يعني بهما
كنز كسرى وهو ملك الفرس وكنز قيصر وهو ملك الروم وقصورهما وبلادهما ،
وقد قال ﷺ ، والذي نفسى بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله ، وعبر بالأحمر
عن كنز قيصر لأن الغالب عندهم كان الذهب ، وبالأبيض عن كنز كسرى لأن
الغالب عندهم كان الجواهر والفضة . وفيه إخباره بأنه أعطى الكنزين فوقع كما
أخبر . قاله المصنف رحمه الله ، وقد وجد ذلك في خلافة عمر فإنه سيق إليه
تاج كسرى وحليته وما كان في بيوت أمواله وجميع ما حوته مملكته على سعتها
وعظمتها ، وكذلك فعل الله بقيصر . وكان النبي ﷺ في حياته قال لسراقة بن
مالك المدلجي ، كيف بك يا سراقة إذا وضع تاج كسرى على رأسك =

بِعَامَّةٍ ، وَأَنْ لَا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ مِوَى أَنْفُسِهِمْ ، فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ . وَإِنْ رَبِّي قَالَ : يَا مُحَمَّدُ ، إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءَ فَإِنَّهُ لَا يَرُدُّ ، وَإِنِّي أَعْطَيْتُكَ لَأَمَّتِكَ أَنْ لَا أَهْلِكَكُمْ بِسَنَةِ بَعَامَةٍ ، وَأَنْ لَا أَسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ مِوَى أَنْفُسِهِمْ فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ ، وَلَوْ اجْتَمَعَ

= وسواراه في يدك ، فلما جرى بها إلى عمر رضى الله عنه دعى سراقة فآلبسها إياه تصديقا لما أخبر به النبي ﷺ وقال : قل الحمد لله الذى نزع تاج كمرى من رأسه وسواريه من يديه وجعلها على أعرابى من بنى مدلج ، وذلك بهز الإسلام وقوته لا بحولنا ولا بقوتنا . ذكر ذلك السهيلي في الروض

قوله (وإني سألت ربى لآمتى أن لا يهلكها بسنة بعامة) هكذا ثبت في أصل المصنف بعامة بالباء وهى رواية صحيحة فى صحيح مسلم وفى بعضها بحذفها . قال القرطبي : كأنها زائدة لأن عامة صفة للسنة والسنة الجذب الذى يكون به الهلاك العام

قوله (وأن لا يسלט عليهم عدوا من سوى أنفسهم) أى من غيرهم من الكفار (فيستبيح بيضتهم) قال الجوهرى بيضة كل شئ حوزته ، وبيضة القوم ساحتهم فيكون معنى الحديث أن الله لا يسלט العدو على كافة المسلمين حتى يستبيح ما حازوه من البلاد والأرض ، وقيل بيضتهم معظمهم وجماعتهم وإن قلوا

قوله (وإن ربى قال يا محمد إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد) قال بعضهم إذا حكمت حكما مبرما نافذا لا يرد بشئ ولا يقدر أحد على رده ، كما قال ﷺ ، لا راد لما قضيت ،

قوله (وإني أعطيتك لآمتك أن لا أهلكها بسنة بعامة وأن لا أسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم أى من غيرهم من الكفار فيستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من بأقطارها) أى من بأقطار الأرض وهى جوانبها . وفيه إخباره بإجابة دعوته فى الإثنين وإخباره بأنه منع الثالثة قاله المصنف رحمه الله . قلت : الثالثة هى أن لا يجعل بأسهم بينهم ولم يذكرها المصنف فلعلها سقطت من النسخ .

عليهم من: بأقطارها ، حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً ويسبي بعضهم بعضاً . « . ورواه البرقاني في صحيحه ^(١) ، وزاد « وإنما أخافُ على أمتي الأئمة المضلِّين » .

وقوله (حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً ويسبي بعضهم بعضاً) . الظاهر أن حتى عاطفة أو تكون لانتها الغاية أى أن أمر أمتي ينتهي إلى أن يكون بعضهم يهلك بعضاً ويسبي بعضهم بعضاً فإذا وجدت هذه الاوصاف فقد يسلط الكفار على جماعتهم ومعظمهم كما وقع ، فإن هذه الامة لما جهل الله بأسها بينها تفرقت جماعتهم واشتغل بعضهم ببعض عن جهاد العدو فاستولى على كثير من بلاد المسلمين فلا حول ولا قوة إلا بالله . وفيه إخباره بإهلاك بعضهم بعضاً وسبي بعضهم بعضاً ، قاله المصنف رحمه الله تعالى

(١) قوله (ورواه البرقاني في صحيحه) وهو الحافظ أبو بكر أحمد بن محمد بن غالب الخوارزمي الشافعي ولد سنة ست وثلاثين وثلاثمائة ومات سنة خمس وعشرين وأربعمائة . قال الخطيب : كان ثبتاً ورعاً لم تر في شيوخنا أثبت منه ، عارفاً بالفقه كثير التصانيف صنف مسنداً ضمنه ما اشتمل عليه الصحيحان وجمع حديث الثوري وحديث شعبة وطائفة ، ورواه أيضاً أبو داود بتمامه عن أبي قلابة عن أبي أسماء عن ثوبان

قوله (وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين) وهم الامراء والعلماء والعباد فيحكمون فيهم بغير علم فيضلونهم كما قال تعالى (وقالوا ربنا إنما أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا) وقال (وإن كثيراً ليضلون بأهوائهم بغير علم) وفي الحديث عن النبي ﷺ أنه قال : إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من صدور الرجال ولكن يقبض العلم بموت العلماء ، حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا ، وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : إن أخوف ما أخاف على أمتي الأئمة المضلين ، رواه أبو داود الطيالسي ، وعن زياد بن حدير قال : قال لي عمر بن الخطاب رضي الله عنه : هل تعرف ما يهدم الإسلام ؟ قلت : لا ، قال : يهدمه زلة العالم وجدال =

وإذا وَقَعَ عليهمُ السيفُ لم يُرْفَع إلى يوم القيامة . ولا تقومُ الساعةُ حتى يلحقَ حَيٌّ من أمتي بالمشرِكين ، وحتى تعُبدَ فُتُامٌ من أمتي الاوثان

= المناق بالكتاب وحكم الأئمة المضلين . رواه الدارمي ، ولذا قال عبد الله ابن المبارك :

رأيت الذنوب تميمت القلوب وقد يورث النذل إدامتها
وترك الذنوب حياة القلوب وخير لنفسك عصيانها
وهل ، أفسد الدين إلا الملوك وأحبار سوء ورهبانها

وقال سفيان بن عيينة وغيره : من فسد من علمائنا فقيه شبه من اليهود ، ومن فسد من عبادنا فقيه شبه من النصارى . وسئل سعيد بن جبير : من أين يهلك الناس ؟ قال : من قبل علمائهم وروى ابن أبي الدنيا عن علي رضي الله عنه قال : يأتي على الناس زمان لا يبقى فيه من الإسلام إلا اسمه ولا من القرآن إلا رسمه ، مساجدهم يومئذ عامرة وهي خراب من الهدى ، علماءهم شر من تحت أديم السماء منهم خرجت الفتنة وفيهم تعود . وفيه حصره الخوف على أمته من الأئمة المضلين قاله المصنف رحمه الله

قوله (وإذا وقع عليهم السيف لم يرفع إلى يوم القيامة) وقد حصل ما أخبر به ﷺ ، فإن السيف وقع بقتل الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه ولم يرفع ، لكن قد يكثر تارة ويقل أخرى ويكون في جهة ويرتفع عن أخرى ، وقد يكون شرعاً كقتال أهل الإسلام لأهل الشرك ، وقد يكون ظلماً وبغياً وفيه إخباره بوقوع السيف وأنه لا يرفع إذا وقع ، قاله المصنف رحمه الله تعالى .

قوله (ولا تقوم الساعة حتى يلحق حَيٌّ من أمتي بالمشرِكين) الحَي واحد الاحياء وهي القبائل ، وفي رواية أبي داود : وحتى يلحق إقبال من أمتي بالمشرِكين . والمعنى أنهم يكونون معهم ويرتدون برغبتهم عن أهل الإسلام ويلحقون بأهل الشرك في السكنى والديانة

قوله (وحتى تعبد فُتُامٌ من أمتي الاوثان) بكسر الفاء مهموزا ، الجماعات =

الكثيرة قاله أبو السعادات ، وفي رواية أبي داود حتى تعبد قبائل من أمم الارثان والوثن يطلق على ما قصد بنوع من أنواع العبادة من القبور والمشاهد وغيرها لقول الحليل : (إنما تعبدون من دون الله أوثانا) . مع قوله : (قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين) وقوله (أتعبدون ما تحتون) وقول النبي ﷺ اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد ، فعلم بهذا أن الوثن يطلق على ما عبد من دون الله من القبور والمشاهد والأصنام وغيرها ، وهذا هو الشاهد من الحديث للترجمة . وفيه التصريح بوقوع عبادة الاوثان في هذه الامة في جموع كثيرة والنبيه على معنى عبادة الاوثان ، قاله المصنف رحمه الله تعالى . وفيه الرد على عباد القبور الذين ينكرون وقوع الشرك وعبادة الاوثان في هذه الامة لجهلهم بحقيقة التوحيد وما ينافيه من الشرك والتدبد ، وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضى الله عنه مرفوعاً ، لا تقوم الساعة حتى تضطرب أليات لساء دوس على ذى الخلصة ، قال : وذو الخلصة طاغية دوس التي كانوا يعبدونها في الجاهلية . وروى ابن حبان عن معمر قال : إن عليه الآن بيتا مبنيًا معلقًا ، وفي صحيح مسلم عن عائشة رضى الله عنها مرفوعاً ، لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى ، قال ابن القيم رحمه الله تعالى : المشاهد التي بنيت على القبور والتي اتخذت أوثانا تعبد من دون الله والاحجار التي تقصد للتبرك والتذرع لا يجوز إبقاء شيء منها على وجه الارض مع القدرة على إزالتها ، وكثير منها بمنزلة اللات والعزى ومناة أو أعظم شركا عندها وبها ، فاتبع هؤلاء سبيل من كان قبلهم ، وسلكوا سبيلهم حذو القذة بالقذة ، وغلب الشرك على أكثر النفوس لظهور الجهل وخفاء العلم ، وصار المعروف منكراً والمشكر معروفاً ، والسنة بدعة والبدعة سنة ، وطمست الاعلام ، واشتدت غربة الإسلام ، وقل العلماء ، وغلب السفهاء وتفاقم الأمر ، واشتد البأس ، وظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ، ولكن لا تزال طائفة من العصابة المحمدية بالحق قائمين ، ولاهل الشرك والبدع مجاهدين إلى أن يرث الله الارض ومن عليها وهو خير الوارثين ، انتهى ماخصا . وقد استحكمت الفتنة بعبادة الاوثان حتى إنه لا يعرف أحد في هذه القرون المتأخرة أنسكراً ما وقع من ذلك ، حتى أقام الله الإمام المجدد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله فأنسكراً =

وأنه سيكون في أمي كذابون ثلاثون كلهم يزعم أنه نبي ،

== ذلك ونهى عنه ودعا الناس إلى أن يعبدوا الله وحده لا شريك له ، فرماه الموك وأتباعهم من علماء الضلال بقوس العداوة ، فأظهره الله بالحجة وأعز أنصاره ، وبلغت دعوته مشارق الأرض ومغاربها ، وانتفع بدعوته الكثير من الناس ، فله الحمد على هذه النعمة العظيمة

قوله (وأنه سيكون في أمي كذابون ثلاثون كلهم يزعم أنه نبي) قال القرطبي : وقد جاء عددهم معينا في حديث حذيفة ، قال : قال رسول الله ﷺ : سيكون في أمي كذابون دجالون سبع وعشرون ، منهم أربع نسوة ، أخرجه أبو نعيم ، وقال : هذا حديث غريب تفرد به معاوية بن هشام ، وحديث ثوبان أصح ، قاله في فتح المجيد ، قال الحافظ ابن حجر : قد ظهر مصداق ذلك في زمن النبي ﷺ فخرج مسيلة الكذاب باليمامة والأسود العنسي باليمن ، ثم خرج في خلافة أبي بكر الصديق طليحة بن خويلد في بني أسد بن خزيمه ، وسجاح التيمية في بني تميم ، وقتل الأسود قبل أن يموت النبي ﷺ ، وقتل مسيلة الكذاب في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، ويقال إن سجاح ثابت ، ثم خرج المختار ابن أبي عبيد الثقفي وغلب على الكوفة في أول خلافة ابن الزبير وأظهر محبة أهل البيت ودعى الناس إلى طلب قتلة الحسين فقتل كثيرا ممن باشر ذلك وأعان عليه فأحبه الناس ثم ادعى النبوة وزعم أن جبريل عليه السلام يأتيه ، ومنهم الحارث الكذاب خرج في خلافة عبد الملك بن مروان فقتل ، وخرج في خلافة بني العباس جماعة وليس المراد بالحديث من ادعى النبوة مطلقا فإنهم لا يحصون كثرة لكون غالبيتهم تنشأ دعواه عن جنون أو سوداء ، وإنما المراد من قامت له شوكة وقد أهلك الله من وقع له منهم ذلك وبقي من يلحقه بأصحابه وآخرهم الدجال الأكبر . وفيه إخباره بظهور المنتهين في هذه الأمة فوقع كما أخبر ، والعجب العجيب خروج من يدعى النبوة مثل المختار مع تكلمه بالشهادتين وتصرّحه أنه من هذه الأمة وأن الرسول حق وأن القرآن حق ، وفيه أن محمدا خاتم النبيين ، ومع هذا يصدق في هذا كله مع التضاد الواضح ، وقد خرج المختار في آخر عصر الصحابة وتبعه فقام كثيرة ، قاله المصنف رحمه الله .

وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ ، لَا نَبِيَّ بَعْدِي ، وَلَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ
مَنْصُورَةً ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ

قوله (وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ) قال الحسن : الخاتم الذي ختم به ، يعنى آخر النبيين
قال تعالى (مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ)
وإنما ينزل عيسى بن مريم في آخر الزمان حاكما بشريعة محمد ﷺ مصليا إلى قبلته فهو
كأحد أئمة بل هو أفضل هذه الامة ، قال النبي ﷺ ، والذي نفسى بيده لينزل
فيكم ابن مريم حكما مقسطا فليكسرن الصليب وليقتلن الخنزير وليضعن الجزية .

قوله (وَلَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ مَنْصُورَةً لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ وَلَا
مِنْ خَالِفِهِمْ) قال يزيد بن هارون وأحمد بن حنبل : إن لم يكونوا أهل الحديث فلا
أدرى من هم قال ابن المبارك وعلى ابن المدينى وأحمد بن سنان والبخارى وغيرهم
أنهم أهل الحديث وعن ابن المدينى رواية هم العرب واستدل برواية من روى هم
أهل الغرب وفسر الغرب بالدلو العظيمة لأن العرب هم الذين يستقون بها . قال
الزوى يجوز أن تكون الطائفة جماعة متعددة من أنواع المؤمنين ما بين شجاع
وبصير بالحرب وفقهيه ومحدث ومفسر وقائم بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر
وزاهد وعابد ، ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين في بلد واحد ، بل يجوز اجتماعهم في
قطر واحد وافتراقهم في أقطار الأرض ، ويجوز أن يجتمعوا في البلد الواحد
وأن يكونوا في بعض دون بعض منه ، ويجوز إخلاء الأرض من بعضهم أولا
فأول إلى أن لا يبقى إلا فرقة واحدة ببلد واحد فإذا انقرضوا جاء أمر الله ،
انتهى ملخصا مع زيادة فيه ، قاله الحافظ ابن حجر . وفيه إخباره ببقاء الطائفة
المنصورة والشارة بأن الحق لا يزول بالكلية كما زال فيما مضى بل لا تزال عليه
طائفة ، والآية العظمى أنهم مع قلتهم لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم وأن
ذلك الشرط إلى قيام الساعة ، قاله المصنف رحمه الله تعالى . قال القرطبي : وفيه
دليل على أن الإجماع حجة لأن الامة إذا اجتمعت فقد دخل فيهم الطائفة
المنصورة ، واحتج به الإمام أحمد على أن الاجتهاد لا ينقطع ما دامت هذه
الطائفة موجودة

حتى يأتي أمر الله تبارك وتعالى»^(١)

(١) قوله (حتى يأتي أمر الله) الظاهر أن المراد به ما روى من قبض من بقي من المؤمنين بالريح الطيبة ، ووقوع الآيات العظام ، ثم لا يبقى إلا شرار الناس ، فعليهم تقوم الساعة . كما روى الحاكم : أن عبد الله بن عمرو قال : لا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق هم شر أهل الجاهلية ، فقال عقبة بن عامر لعبد الله : أعلم ما تقول ، وأما أنا فسمعت رسول الله ﷺ يقول : لا تزال عصاة من أمتي يقاتلون على أمر الله ظاهرين لا يضرهم من خالفهم حتى تأتيهم الساعة وهم على ذلك . قال عبد الله : ويبيع الله ريحاً ريح المسك ومسها من الحرير فلا تترك أحداً في قلبه مثقال ذرة من إيمان إلا قبضته ، ثم يبقى شرار الناس فعليهم تقوم الساعة . وعلى هذا فالمراد بقوله في حديث عقبة : وما أشبهه حتى تأتيهم الساعة ساعتهم وهي وقت موتهم بهبوب الريح . ذكره الحافظ ابن حجر . وقد اختلف في محل هذه الطائفة فقال بعضهم : لأنها تكون في بيت المقدس ، كما رواه الطبراني من حديث أبي أمامة : قيل يا رسول الله أين هم قال : بيت المقدس ، وقال معاذ بن جبل : هم بالشام وفي كلام الطبري ما يدل على أنه لا يجب أن تكون في الشام أو في بيت المقدس دائماً بل قد تكون في موضع آخر في بعض الأزمنة قال في الشرح وهذا هو الحق فإنه ليس في الشام منذ أزمان أحد بهذه الصفة بل ليس فيه إلا عباد القبور وأهل الفسق وأنواع الفواحش والمنكرات ، ويمتنع أن يكونوا هم الطائفة المنصورة وأيضاً فهم منذ أزمان لا يقاتلون أحداً من أهل الكفر وإنما بأسهم وقتلهم بينهم انتهى . قلت : ويشهد له الواقع وحال أهل الشام وأهل بيت المقدس فإنهم من أزمنة طويلة لا يعرف فيهم من قام بهذا الأمر بعد شيخ الإسلام ابن تيمية وأصحابه فإنهم كانوا في زمانهم على الحق يدعون إليه ويناضون عليه ويجاهدون فيه ، وقد يحى من أمثالهم بعد بالشام من يقوم مقامهم بالدعوة إلى الحق والتمسك بالسنة والله على كل شيء قدير ، قاله في فتح المجيد .

وقوله (تبارك وتعالى) جاء بناء تبارك على بناء تعالى الذي هو دال على كمال العلو ونهايته ، فكذلك تبارك دال على كمال بركته وعظمتها وسعتها ، وهذا معنى قول من قال من السلف : تبارك تعظم ، وقال ابن عباس رضي الله عنهما : جاء =

٢٤ - باب

ما جاء في السحر^(١)

== بكل بركة ، قاله ابن القيم رحمه الله تعالى . وهذا الحديث رواه ، أيضاً أبو داود في سننه وابن ماجه بالزيادة التي ذكرها المصنف رحمه الله . وكل جملة من هذا الحديث علم من أعلام النبوة ، فان كل ما أخبر به النبي ﷺ في هذا الحديث وقع كما أخبر ، قاله في فتح المجيد

(١) قوله (باب ما جاء في السحر) أى من الوعيد الشديد وأنه كفر . السحر لغة عبارة عما خفى ولطف سببه ، ولهذا جاء في الحديث ، إن من البيان لسحراً ، وسمى السحر سحراً لأنه يقع خفياً آخر الليل . وقال أبو محمد المقدسى في السكافى : السحر عزائم ورق وعقد يؤثر في القلوب والابدان فيمرض ويقتل ويفرق بين المرء وزوجه . قال ابن العربى منه ما يفرق بين المرء وزوجه ، ومنه ما يجمع بين المرء وزوجه ، ويسمى النولة وكلاهما كفر . وحقيقته يعنى السحر أنه كلام مؤلف يعظم به غير الله تعالى وتنسب اليه فيه المقادير والكائنات انتهى . ولذا جاء في الحديث ، ومن سحر فقد أشرك ، ولما كان السحر لا يتأتى بدون الشرك سواء كان الشرك أكبر أو أصغر فالأكبر ينافى التوحيد والأصغر ينافى كماله ذكره المصنف رحمه الله تعالى تحذيراً منه . وقد زعم قوم من المعتزلة وغيرهم أن السحر تخييل لا حقيقة له وهذا ليس بصحيح فإن التخييل إنما هو في نظر المسحور فهو ناشئ عن السحر لا نفس السحر ، ولولا أن للسحر حقيقة لم يأمر الله بالاستعاذة منه في قوله (ومن شر النفاثات في العقد) يعنى السواحر اللاتي يعقدن السحر وينفثن في عقدهن ، وعن عائشة رضی الله عنها أن النبي ﷺ سحر حتى إنه ليخيل اليه أنه يفعل الشيء وما يفعله وأنه قال لها ذات يوم ، أتأتى ملسكان يجلس أحدهما عند رأسى والآخر عند رجلى فقال : ما وجع الرجل ؟ قال : مطبوب . قال : ومن طبه ؟ قال : لبيد بن الأعصم في مشط ومشاقة وفي جف طلعة ذكر في برّ ذروان ، رواه البخارى فالتخييل الذى كان يراه النبي ﷺ ناشئ عن السحر الذى في المشط والمشاقة ، وليس هو نفس السحر ولذا لما استخرجه وأتلف ذهب عنه ما يحده من التخييل

وقول الله تعالى ﴿ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ ﴾^(١) وقوله ﴿ يُؤْمِنُونَ بِالْجَنَّةِ وَالطَّاغُوتِ ﴾^(٢) قال عمر الجَنَّة: السَّحَر ، والطَّاغُوت : الشَّيْطَان . وقال جابر : الطَّوَاغِيتُ^(٣) كَهَآنَ كَانَ يَنْزِلُ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ^(٤) ، فِي كُلِّ حَيٍّ وَاحِدٌ

(١) قوله (وقول الله تعالى ﴿ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ ، مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ ﴾) أى ولقد علم اليهود الذين استبدلوا السحر عن متابعة الرسل والإيمان بالله ما له في الآخرة من خلاق ، قال ابن عباس : من نصيب . وقال قتادة : وقد علم أهل الكتاب فيما عهد إليهم أن الساحر لا خلاق له في الآخرة . وقال الحسن : ليس له دين ، فدلّت الآية على تحريم السحر وهو كذلك محرم في جميع الشرائع لم يبح في ملة من الملل كما قال تعالى ﴿ وَلَا يَفْلَحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ﴾ قاله في الشرح . وفيه معرفة تفسير آية البقرة قاله المصنف رحمه الله . واختلفوا هل يكفر الساحر أم لا ؟ فذهب طائفة من السلف إلى أنه يكفر ، وبه قال مالك وأبو حنيفة وأحمد رحمهم الله تعالى ، قال أصحابه إلا أن يكون سحره بأدوية وتدخين وسقى شيء يضر فلا يكفر ، وقال الشافعي إذا تعلم السحر قلنا له صف لنا سحرَكَ فإن وصف ما يوجب الكفر مثل ما اعتقد أهل بابل من التقرب للكواكب السبعة وأنها تفعل ما يلتبس منها فهو كافر ، وإن كان لا يوجب الكفر فإن اعتقد لإباحته كفر انتهى

(٢) وقوله (تعالى ﴿ يُؤْمِنُونَ بِالْجَنَّةِ وَالطَّاغُوتِ ﴾) قال عمر : الجَنَّة السحر والطَّاغُوت الشَّيْطَان ، رواه ابن أبي حاتم وفيه أن السحر من الجَنَّة ، قاله المصنف وقال جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصاري ثم السلي بفتحيتين صحابي ابن صحابي رضى الله عنهما

(٣) قوله (الطَّوَاغِيت : كهان) أراد أن الكهان من الطَّوَاغِيت فهو من إفراد المعنى

(٤) قوله (كان ينزل عليهم الشَّيْطَان) أراد الجنس لا الشَّيْطَان الذي هو إبليس خاصة ، بل تنزل عليهم الشياطين ويخاطبونهم ويخبرونهم بما يسترقون من السمع (في) =

عن أبي هريرة رضى الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال :
« اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُؤَبَّاتِ » قالوا : يا رسول الله ، وما هن ؟ قال :

= كل حى واحد) قال وهب بن منبه : سألت جابر بن عبد الله عن الطواغيت التى
كانوا يتحاكون إليها فقال : إن فى جهنمة واحداً وفى أسلم واحداً وفى هلال واحداً
وفى كل حى واحد ، وهم كهان كانت تنزل عليهم الشياطين . رواه ابن أبي حاتم ،
والحى واحد الأحياء ، وهى القبائل أى فى كل قبيلة كاهن يتحاكون إليه ويستلونونه
عن الغيب ، وكذلك كان الأمر قبل مبعث النبي ﷺ فأبطل الله ذلك بالإسلام ،
وحرست السماء بكثرة الشهب . وفيه معرفة تفسير آية النساء وتفسير الجبت
والطاغوت والفرق بينهما ، وأن الطاغوت قد يكون من الجن وقد يكون من
الإنس . قاله المصنف رحمه الله تعالى . ومطابقة أثر جابر للترجمة من جهة أن
الساحر طاغوت من الطواغيت إذ كان هذا الاسم يطلق على السكاهن والساحر
أولى لأنه أشر وأخبث ، قاله فى الشرح

قوله (وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « اجتنبوا
السبع المؤبقات ، قالوا يا رسول الله : وما هن ؟ قال : الشرك بالله والسحر وقتل
النفس التى حرم الله إلا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولى يوم الزحف
وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات ،

فقوله (اجتنبوا) أبلغ فى النهى من قوله : اتركوا لأنه يتضمن الترك والتباعد
عنها

وقوله (السبع) لا ينفى ما زاد لأنه مفهوم عدد ، ومفهوم العدد إذ خالفه
منطوق قدم عليه وقد أخرج الطبرانى وإسماعيل الفاضل عن ابن عباس أنه قيل له :
الكبائر سبع ، قال : هن أكثر من سبع وسبع ، وفى رواية هى إلى السبعين
أقرب وفى رواية إلى السبعائة

وقوله (المؤبقات) أى المهلكات ، وسميت مؤبقات لأنها تهلك فاعلمنا فى
الدنيا بما يترتب عليها من العقوبات ، وفى الآخرة من العذاب

« الشُّرْكُ بالله ، والسَّحَرُ ، وقتلُ النفس التي حَرَّمَ اللهُ إلا بالحقِّ ،
وأكلُ الربَا ، وأكلُ مال اليتيم ، والتولَّى يومَ الزَّحْفِ ،

قوله (الشرك بالله) بداية من البداءة بالأهم ، وهو أن يجعل الله ندأ يدعو
أو يرجوه أو يخافه كما يخاف الله عز وجل ، وفي الصحيحين عن ابن مسعود
رضي الله عنه قال : قلت يا رسول الله : أى الذنب أعظم عند الله ؟ قال : « أن
تجعل لله ندأ وهو خلقك ، الحديث ، قال ابن القيم رحمه الله تعالى فى الكافية
الشافعية :

والشرك فاحذره فشرک ظاهر ذا القسم ليس بقابل الغفران
وهو اتخاذ الند للرحمن أيا كان من حجر ومن إنسان
يدعوه أو يرجوه ثم يخافه ويحبسه كحبة الديان

قوله (والسحر) وهذا هو الشاهد من الحديث للترجمة

قوله (وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق) بأن تفعل ما يوجب قتلها . قال
فى الشرح : كقتل المشرك المحارب . قلت : وهذه سبقة قلم من الشارح رحمه الله فان
قتل المشرك ليس من قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق لانه مباح الدم والمال
وليس محاربه أيضا شرطا فى قتله وإنما المراد قتل المسلم المعصوم الدم لقوله
ﷺ لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله إلا بإحدى
ثلاث : الثيب الزانى ، والنفس بالنفس ، والتارك لدينه المفارق للجماعة

قوله (وأكل الربا) أى تناوله بأى وجه كما قال تعالى ﴿ الذين يأكلون الربا
لا يقومون إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس ﴾ الآيات . قال ابن دقيق
العيد : وهو موجب لسوء الخاتمة

قوله (وأكل مال اليتيم) عبر بالاكل لانه أعم وجوه الانتفاع ، قال تعالى
﴿ إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون فى بطونهم نارا وسيصلون
سعيرا ﴾

قوله (والتولى يوم الزحف) أى الإدبار عن الكفار وقت التحام القتال ،
وإنما يكون كبيرة إذا فر إلى غير فئة أو غير متحرف لقتال ، كما قيد به فى قوله =

وَقَذَفَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ «

وعن جُنْدَبٍ مرفوعاً « حَدُّ السَّاحِرِ ضَرْبَةٌ بِالسَّيْفِ » ،
رواه الترمذى وقال : الصحيح أنه موقوف ^(١)

= (ومن يؤلمهم يومئذ دبره إلا متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة فتندباه بغضب من الله ﴿ الآية

قوله (وقذف المحصنات) بفتح الصاد المحفوظات من الزنا وبكسرها الحافظات فروجهن منه والمراد المفيقات بأن يرهين بزنا أو لواط ، والغافلات عما رمين به ، فهو كناية عن البريات ، لأن الغافل يرى عما يهت به والمؤمنات أى بالله تعالى احترازاً عن قذف الكافرات . قال الله تعالى ﴿ إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا فى الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم ﴾ . وهذا الحديث ذكره المصنف غير معزوف ، وقد رواه البخارى ومسلم . وفيه معرفة السبع الموبقات المخصوصات بالنهى ، قاله المصنف رحمه الله تعالى

(١) قوله (وعن جندب مرفوعاً) حد الساحر ضربه بالسيف ، رواه الترمذى . وقال الصحيح أنه موقوف (هذا الحديث رواه الطبرانى فى ترجمة جندب ابن عبد الله البجلي ، قال الحافظ ابن حجر : والصواب أنه غيره وقد رواه ابن قانع والحسن بن سفيان من وجهين عن الحسن عن جندب الخير أنه جاء إلى ساحر فضربه بالسيف حتى مات ، وقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول فذكره ، وجندب الخير هو جندب بن كعب

وقوله (ضربه) روى بالهاء وبالتاء وكلاهما صحيح ، وبهذا الحديث أخذ مالك وأحمد وأبو حنيفة فقالوا : يقتل الساحر ، وروى ذلك عن عمر وعثمان وابن عمر وحفصة وجندب بن عبد الله وجندب بن كعب وقيس بن سعد وعمر ابن عبد العزيز ولم ير الشافعى القتل عليه بمجرد السحر إلا إن عمل فى صحره ما يبلغ الكفر ، وبه قال ابن المنذر وهو رواية عن أحمد والاولى للحديث ولاثر عمر ، وعمل به الناس فى خلافته من غير تسكير

وفي صحيح البخارى عن بَجَالَةَ بن عَبْدَةَ^(١) قال : كتب عمرُ بن الخطاب رضى الله عنه أن اِقتلوا كل ساحرٍ وساحرة . قال : فقتلنا ثلاثَ سَوَاحِرَ . وصحَّ عن حَفْصَةَ^(٢) رضى الله عنها أنها أمرت بقتل جاريةٍ لها سحرَتها ، فقتلت وكذلك صحَّ عن جندب^(٣) .
قال أحمد : عن ثلاثة من أصحاب النبي ﷺ^(٤)

(١) قوله (وفي صحيح البخارى عن بَجَالَةَ) بفتح الموحدة بعدها جيم (ابن عبدة) بفتحين التيمى العنبرى بصرى ثقة (قال : كتب عمر بن الخطاب : أن اقتلوا كل ساحر وساحرة ، قال فقتلنا ثلاث سواحر) وهذا الاثر رواه البخارى كما قال المصنف لكن لم يذكر قتل السواحر فلعل المصنف أراد أصله لا لفظه قاله في الشرح . وفيه أن الساحر يكفر ووجود هذا في المسلمين على عهد عمر فكيف بعده ، قاله المصنف رحمه الله تعالى . وظاهر هذا أنه يقتل من غير استتابة ، قال المصنف : يقتل ولا يستتاب ، وهو المشهور عن أحمد وبه قال مالك لأن علم السحر لا يزول بالتوبة ، وعن أحمد يستتاب فإن تاب قبلت توبته ، وبه قال الشافعى لأن ذنبه لا يزيد عن الشرك والمشرک يستتاب وتقبل توبته ، ولذا صح إيمان سحرة فرعون وتوبتهم

(٢) قوله (وصح عن حفصة أنها أمرت بقتل جارية لها سحرَتها فقتلت) هذا الاثر رواه مالك في الموطأ . وحفصة هى أم المؤمنين بذت عمر بن الخطاب تزوجها النبي ﷺ بعد خيبر بن حذافة وماتت سنة خمس وأربعين رضى الله عنها
(٣) قوله (وكذا صح عن جندب) وأثر جندب هذا رواه البخارى في تاريخه عن أبى عثمان النهدي قال كان عند الوليد رجل يلعب فذبح إنسانا وأبان رأسه فعجبنا فأعاد رأسه فجاء جندب الأزدي فقتله ، ورواه البيهقي في الدلائل مطولا ، وفيه فأمر به الوليد فسجن فذكر القصة بتامها ، ولها طرق كثيرة

(٤) قوله (قال أحمد عن ثلاثة من أصحاب النبي ﷺ) أى صح قتل الساحر عن ثلاثة يعنى عمر وحفصة وجندب رضى الله عنهم

٢٥ - باب

بيان شيء من أنواع السحر^(١)

قال أحمد : حدثنا محمد بن جعفر^(٢) ، حدثنا عوف ، عن حيّان ابن العلاء ، حدثنا قطن بن قبيصة ، عن أبيه ، أنه سمع رسول الله ﷺ قال « إِنَّ الْعِيَافَةَ وَالطَّرْقَ وَالطَّيْرَةَ مِنَ الْجَبْتِ »^(٣) . قال عوف

(١) قوله (باب بيان شيء من أنواع السحر) لما ذكر المصنف السحر وما جاء فيه وأنه كفر وأنه يجب قتل الساحر ، فاسب أن يذكر شيئاً من أنواعه لكثرة وقوعها وخفائها ، حتى اعتقد كثير من الناس أن من صدرت منه هذه الأمور من الأولياء وعدوها من كرامات الأولياء ، وليس كل من جرى على يده شيء من خوارق العادة يكون ولياً لله ، لأن العادة تنخرق بفعل الساحر والمشعوذ وخبر المنجم والكاهن بشيء من الغيب مما يخبره به الشياطين المسترقون للسمع ، فأولياء الله هم المتبعون للرسول ﷺ باطناً وظاهراً ومن كان بخلاف ذلك فليس بمؤمن فضلاً عن أن يكون ولياً لله تعالى فلو أن الرجل طار في الهواء أو مشى على الماء لم يغتر به حتى ينظر متابعتة لرسول الله ﷺ وموافقة لأمره ونهيه .

(٢) قوله (قال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر) هو المشهور بفنذكر الهذلي البصري ثقة مشهور مات سنة ست ومائتين أو سبع وأربعين ومائتين وله ست وثمانون سنة عن عوف ، هو ابن أبي جميلة بفتح الجيم ، العبدى البصري المعروف بعوف الأعرابي ثقة مات سنة ست ومائتين (عن حيّان) بالمشاة التحنية (ابن العلاء) ويقال حيّان بن مخارق أبو العلاء البصري مقبول حدثنا قطن بفتحين أبو سهل البصري صدوق ابن قبيصة عن أبيه قبيصة بفتح أوله وكسر الموحدة ابن المخارق بضم الميم وتخفيف المعجمة أبو عبد الله الهلالى صحابي نزل البصرة

(٣) قوله (إنه سمع النبي ﷺ قال : « إِنَّ الْعِيَافَةَ وَالطَّرْقَ وَالطَّيْرَةَ مِنَ الْجَبْتِ ») قال عرف : العيافة : زجر الطير ، وفي النهاية : زجر الطير والتفاؤل =

العِياقةُ : زجرُ الطير ، والطَّرَقُ : الحُطُّ يُحْطُّ بالأرض ، والجَنبتُ^(١)
قال الحسن : رَنَّةُ الشَّيْطَانِ . إسناده جيد . ولأبي داود والنسائي وابن
حِبَّانٍ في صحيحه المُسَنَّدُ منه^(٢)

وعن ابن عباس رضى الله عنهما^(٣) قال : قال رسول الله ﷺ

= بأسمائها وأصواتها وبمرها . وهو من عادات العرب وهو كثير في أشعارهم .
يقال عاف يعيف عيفاً إذا زجر وحده وذن . وبنو أسد يذكرون بالعِياقة
ويوصفون بها (والطرق) قال عوف (الحُطُّ يحُطُّ بالأرض) وفي النهاية الطرق
الضرب بالحصى الذى يفعله النساء وقيل هو الحُطُّ فى الرمل .

(١) قوله (والجبت قال الحسن رنة الشيطان . إسناده جيد)

(٢) قوله (ولأبي داود والنسائي وابن حبان في صحيحه المسند منه) أى من
الحديث دون تفسير عوف ، وقد رواه أبو داود فى التفسير دون كلام الحسن
وذكر إبراهيم بن مفلح أن فى تفسير بقى بن مخلد أن إبليس رنَّ أربع رنات رنة
حين لحن ، ورنه حين أهبط ، ورنه حين ولد رسول الله ﷺ ، ورنه حين أنزلت
فاتحة الكتاب . وقال سعيد بن جبیر : لما لحن إبليس تغيرت صورته عن صور
الملائكة ، ورن رنة فكل رنة فى الدنيا منها إلى يوم القيامة ، رواه ابن أبى
حاتم ، وعن سعيد بن جبیر عن ابن عباس قال : لما فتح رسول الله ﷺ مكة
رن إبليس رنة اجتمعت إليه جنوده رواه الحافظ الضياء فى المختارة . والرنين
الصوت وقد رن رن رنيناً ، وبهذا يظهر معنى قول الحسن رحمه الله تعالى . وفيه
أن العِياقة والطرق والطيرة من الجبت ، ومعرفة تفسير العِياقة والطرق والطيرة
قاله المصنف

(٣) قوله (وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ ، من
اقتبس شعبة من النجوم) أى طائفة من علم النجوم ، قال فى النهاية : قبست العلم
واقبسته إذا علمته

« مَنْ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ النُّجُومِ فَقَدْ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ السَّحَرِ »^(١) ،
زاد ما زاد^(٢) » رواه أبو داود وإسناده صحيح .

وللنسائي^(٣) من حديث أبي هريرة « مَنْ عَقَدَ عُقْدَةً ثُمَّ نَفَثَ فِيهَا
فَقَدْ سَحَرَ ، وَمَنْ سَحَرَ فَقَدْ أَشْرَكَ »^(٤) ،

(١) قوله (فقد اقتبس شعبة من السحر) المحرم تعلمه ، قال شيخ الإسلام
فقد صرح رسول الله ﷺ بأن علم النجوم من السحر ، وقال تعالى (ولا يفتح
الساحر حيث أتى)

(٢) قوله (زاد ما زاد) رواه أبو داود وإسناده صحيح أى كلما زاد من
تعلم علم النجوم زاد فى الإثم الحاصل بزيادة الاقتباس من شعبه ، فإن ما يعتقد
فى النجوم من التأثير باطل كما أن تأثير السحر باطل ، قاله فى فتح المجيد . وفيه
أن علم النجوم من أنواع السحر ، قاله المصنف رحمه الله تعالى

(٣) قوله (وللنسائي) وهو الإمام الحافظ أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن
صاحب السنن وغيرها كان إليه المنتهى فى العلم بعلم الحديث مات سنة ثلاث
وثلاثمائة وله ثمان وثمانون سنة رحمه الله تعالى (من حديث أبي هريرة رضى الله
عنه ، من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر) . اعلم أن السحرة إذا أرادوا عمل
السحر عقدوا الخيوط ونفثوا فى كل عقدة حتى يعتقد ما يريدون من السحر ، قال
الله تعالى (ومن شر النفاثات فى العقد) يعنى السواحر اللاتي يفعلن ذلك ،
والنفث هو النفخ مع الريق وهو دون النقل ، والنفث فعل الساحر فاذا تسكيفت
نفسه بالخبث والشر الذى يريده بالمسحور ويستعين عليه بالارواح الخبيثة نفخ
فى تلك العقدة نفخاً مع ريق ممازج فيخرج من نفسه الخبيث نفس ممازج للشر
والاذى مقارن للريق الممازج لذلك وقد يساعد هو والروح الشيطانية على اذى
المسحور فيصيبه بإذن الله الكونى القدرى لا الشرعى ، قاله ابن القيم رحمه الله
تعالى ، وفيه أن العقد مع النفث من أنواع السحر ، قاله المصنف رحمه الله تعالى

(٤) قوله (ومن سحر فقد أشرك) نص فى أن الساحر مشرك ولا يتأتى
السحر بدون الشرك كما حكاه الحافظ ابن حجر عن بعضهم

ومن تعاق شيئاً وكل إليه^(١)»

وعن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال «ألا هل أنبئكم ما العضة؟ هي النيمة، القالة بين الناس». رواه مسلم^(٢)

(١) قوله (ومن تعلق شيئاً وكل إليه) أى من تعلق قلبه شيئاً بحيث يعتمد عليه وكله الله إلى ذلك الشيء، فمن تعلق على ربه وإلاّله وسيدّه ومولاه كفاه ووقاه وحفظه وتولاه، فنعّم المولى ونعم النصير، ومن تعلق على السحرة وشياطين وغيرهم من المخلوقين وكله الله إلى من تعلقه فهلك

(٢) قوله (وعن ابن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ألا أنبئكم ما العضة: هي النيمة القالة بين الناس» . رواه مسلم) والعضة بفتح المهملة وسكون المعجمة، قال أبو السعادات: هكذا يروى في كتب الحديث والذي في كتب الغريب «ألا أنبئكم ما العضة، بكسر العين وفتح الضاد، ومنه الحديث «لعن الله العاضة والمستعضة، قيل هي الساحرة والمستسحرة، وسمى السحر عضها لأنه كذب وتخيل لا حقيقة له، قال الزحشرى أصلها العضبة، فعلة من العضة وهو البهت فحذفت لامه كما حذفت من السنة والشفة ويجمع على عضين ثم فسرّه بقوله هي النيمة القالة بين الناس فأطلق عليها العضة لأنها لا تنفك عن الكذب والبهتان غالباً، ذكره القرطبي، وذكر ابن عبد البر عن يحيى بن أبي كثير قال: يفسد النمام والكذاب في ساعة ما لا يفسد الساحر في سنة. وقال أبو الخطاب في عيون المسائل: ومن السحر السعى بالنيمة والإفساد بين الناس. قال في الفروع ووجهه أن يقصد الأذى بكلامه وعمله على وجه المكر والحيلة أشبه السحر، وهذا يعرف بالعرف والعادة أنه يؤثر وينتج ما يعمله الساحر أو أكثر فيعطى حكمة تسوية بين المتأملين أو المتقاربين. لكن يقال: إن الساحر إنما يكفر لوصف السحر وهو أمر خاص ودليله خاص وهذا ليس بساحر وإنما يؤثر عمله ما يؤثره السحر فيعطى حكمة إلا فيما اختص به من الكفر وعدم قبول التوبة، انتهى ملخصاً، وبه يظهر مطابقة الحديث للترجمة قاله في =

ولهما عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال :
« إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا » ^(١)

== الشرح . وقال أبو محمد بن حزم : انفقوا على تحريم الغيبة والنميمة في غير النصيحة الواجبة ، وفيه دليل على أنها من الكبائر ، وفيه دليل على أنها من السحر . قاله المصنف رحمه الله تعالى

وقوله (القالة بين الناس) قال ابن الأثير : أى كثرة القول ، وإيقاع الخصومات بين الناس بما يحكى لبعضهم عن بعض ، ومنه الحديث « فشت القالة بين الناس »

(١) قوله (ولهما) - أى البخارى ومسلم - عن ابن عمر رضي الله عنهما (أن رسول الله ﷺ قال « إن من البيان لسحرا ») البيان : البلاغة والفصاحة . قال صهصعة بن صوحان : صدق نبي الله ، فإن الرجل يكون عليه الحق ، وهو ألحن بالحجج من صاحب الحق ، فيسحر القوم ببيانه فيذهب بالحق . وسبب قول النبي ﷺ هذا ما رواه أبو بكر الرازي عن محمد بن الزبير قال : قدم على النبي ﷺ الزبرقان بن بدر وعمرو بن الاعمى وقيس بن عاصم فقال لعمرؤ « أخبرني عن الزبرقان ؟ » قال فقال : مطاع في نأديه شديد العارضة مانع لما وراء ظهره ، فقال الزبرقان هو والله يعلم أني أفضل منه ، فقال عمرو : إنه ذم المروءة ضيق العطن حتى الالب لئيم الحال ، يا رسول الله صدقت فيهما ، أرضاني ، فقلت أحسن ما علمت ، وأسخطني فقلت أسوأ ما علمت ، فقال عليه السلام « إن من البيان لسحرا » انتهى . قال ابن عبد البر تأوله طائفة على الذم لأن السحر مذموم ، وذكر أهل العلم وجماعة أهل الأدب أنه على المدح لأن الله تعالى مدح البيان والاول أصح والمراد بالبيان الذي فيه تمويه على السامع وتلبيس وهذا من التشبيه البليغ ليكون ذلك يعمل عمل السحر فيجعل الحق في قالب الباطل ، والباطل في قالب الحق وفي الحديث « إن الله يبغيض البليغ من الرجال الذي يتخلل بلسانه كما تتخلل البقرة بلسانها » ، رواه أحمد وأبو داود . قال في النهاية : هو الذي يتشدد في الكلام ويفهم به لسانه ويلغظه كما تلف البقرة الكلا بلسانها =

٢٦ - باب

ما جاء في السكّهان ونحوهم^(١)

روى مسلم في صحيحه عن بعض أزواج النبي ﷺ^(٢) عن النبي ﷺ قال « مَنْ أَتَى عَرَفَا^(٣) فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ فَصَدَّقَهُ ، لَمْ تُقَبَّلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ يَوْمًا^(٤) »

= لَفًا ، انتهى . وأما البيان الذي يوضح الحق ويقرره ويبطل الباطل ويبينه فهذا هو الممدوح . وفيه أن بعض الفصاحة من السحر .

(١) قوله (باب ما جاء في السكّهان ونحوهم) قال في النهاية : السكّهان الذي يتعاطى الخبر عن الكائنات في مستقبل الزمان ويدعى معرفة الأسرار فمنهم من كان يزعم أن له تابعا من الجن ورثيا يلقي إليه الأخبار ، ومنهم من كان يزعم أنه يعرف الأمور بمقدمات أسباب يستدل بها على مواقعها من كلام من يسأله أو فعله أو حاله وهذا يخصونه بالعرف كالذي يدعى معرفة الشيء المسروق ومكان الضالة ونحوهما ، والسكّهان الذين يأخذون عن مسترق السمع موجودون اليوم لكنهم قليل بالنسبة لما كانوا عليه في الجاهلية لأن الله حرم السماء بالشهب ، قاله في الشرح . وأكثر ما يقع في هذه الأمة ما يخبر به الجن أولياءهم من الإلصاق عن الأشياء الغائبة مما يقع في الأرض من الأخبار فيظنه الجاهل كسفا وكرامة وقد أفتى بذلك كثير من الناس يظنون المخبر لهم بذلك عن الجن وليا لله وهو من أولياء الشيطان قاله في فتح المجيد

(٢) قوله (روى مسلم في صحيحه عن بعض أزواج النبي ﷺ) وهي حفصة بنت عمر بن الخطاب رضى الله عنهما ذكره أبو مسعود الثقة لأنه ذكر هذا الحديث في الأطراف في مستندهما

(٣) قوله (عن النبي ﷺ أنه قال ، من أتى عرفا) وسيأتى بيان العرف

(٤) قوله (فسأله عن شيء فصَدَّقَهُ لم تقبل له صلاة أربعين يوما) قال في =

وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال « مَنْ أَتَى كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ » ﷺ رواه أبو داود^(١)

الشرح ليس في رواية مسلم ، وصادقه ، وظاهر الحديث أن الوعيد مرتب على مجيئه وسؤاله سواء صدقه أو شك في خبره فإن في بعض روايات الصحيح ، من أتى عرافا فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة ، قال النووي وغيره معناه : لا ثواب له فيها وإن كانت مجزئة بسقوط الفرض عنه ، ولا بد من هذا التأويل في هذا الحديث ، فإن العلماء متفقون على أنه لا يلزم من أتى العراف إعادة صلاة أربعين ليلة . انتهى ملخصا ، قلت وفي هذا التأويل الذي ذكره لفظ ، لحديث عائشة عن النبي ﷺ أنه قال ، لا يقبل الله صلاة حائض إلا بخمار ، رواه أبو داود . والأصل في نفي القبول نفي الصحة إلا بدليل ، وإذا لم تكن صحيحة لم تكن مجزئة . وفي الحديث النهي عن إتيان الكهان ونحوهم . قال القرطبي : يجب على من قدر على ذلك من محتسب وغيره أن يقيم من يتعاطى شيئا من ذلك من الأسواق وينكر عليهم أشد النكير ، وعلى من يجيء إليهم ولا يفتقر بصدقهم في بعض الأمور ولا بكثرة من يجيء إليهم من ينسب إلى العلم فإنهم غير راسخين في العلم بل من الجهال بما في إتيانهم من المحذور

(١) قوله (وعن أبي هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال ، من أتى كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ ، رواه أبو داود) . وهذا الحديث اختصره المصنف واقتصر منه على ما يناسب الترجمة . قال في الشرح رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه بنحوه ، وقال الترمذي لا نعرفه إلا من حديث حكيم الأثرم ، وضعف محمد هذا الحديث من جهة إسناده ، وقال البغوي سنده ضعيف ، وقال الذهبي ليس إسناده بالقائم . وأطال أبو الفتح اليعمرى في بيان ضعفه وادعى أن منته منكر وأخطأ في ذلك فإن إتيان الكهان له شواهد صحيحة ، وكذا إتيان المرأة في الدبر له شواهد ، وغاية ما ينكر من منته إتيان الحائض ، والله أعلم

وللأربعة والحاكم وقال : صحيح على شرطهما عن [أبي هريرة]
« مَنْ أَتَى عَرَّافًا أَوْ كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ » وَاللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ^(١)

ولأبي يعلى ^(٢) بسند جيد عن ابن مسعود مثله موقوفاً ^(٣)

(١) قوله (وللأربعة والحاكم) ، وقال صحيح على شرطهما عن من أتى عرافاً أو كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ هكذا بيض المصنف لاسم الراوى ، وقد رواه الإمام أحمد والبيهقى والحاكم عن أبي هريرة رضى الله عنه مرفوعاً ، فعزو المصنف إلى الأربعة ليس كذلك فإن لم يروه أحد منهم وأظنه تبع فى ذلك الحافظ ابن حجر فإنه عزاه فى الفتح إلى أصحاب السنن والحاكم فوهم ، ولعله أراد الذى قبله قاله فى الشرح

وقوله (من أتى كاهناً) لا تعارض بين هذا وبين حديث « من أتى عرافاً فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلة » ، هذا على قول من يقول هو كفر دون كفر ، أما على قول من يقول بظاهر الحديث فيسأل عن وجه الجمع بين الحديثين . وظاهر الحديث أنه يكفر متى اعتقد صدقه بأى وجه كان ، قاله فى فتح المجيد . قال فى الشرح الذى فيه الوحيد بعدم قبول الصلاة أربعين ليلة ليس فيه ذكر تصديقه والأحاديث التى فيها إطلاق الكفر مقيدة بتصديقه

وقوله (فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ) . قال القرطبي . المراد بالمنزل على محمد الكتاب والسنة . انتهى ، وفيه أنه لا يجمع تصديق الكاهن مع الإيمان بالقرآن والتصريح بأنه كفر قاله المصنف رحمه الله ، وهل الكفر فى هذا الموضع كفر دون كفر ؟ أو يجب التوقف ولا يقال ينقل عن الملة أو لا ينقل عن الملة ، وهذا أشهر الروايتين عن أحمد رحمه الله تعالى

(٢) قوله (ولأبي يعلى) وهو أحمد بن على بن المثنى الموصلى الإمام صاحب التصانيف كالسند وغيره ، روى عن يحيى بن معين وأبي خيثمة وأبي بكر بن أبي شيبة وخلق ، وكان من الأئمة الحفاظ مات سنة سبع وثمانمائة

(٣) قوله (بسند جيد عن ابن مسعود مثله موقوفاً) ورواه أيضاً البزار =

وعن عمران بن حصين مرفوعاً^(١) « ليس منا من تطير أو
تطير له ، أو تكهن أو تكهن له ، أو سحر أو سحر له ، ومن أتى
كاهناً فصدقه بما يقول كفر بما أنزل على محمد ﷺ »^(٢) رواه البزار
بإسناد جيد^(٣) ، ورواه الطبراني في الأوسط بإسناد حسن من

== وإسناده على شرط مسلم ولفظه : من أتى كاهناً أو ساحراً فصدقه بما يقول فقد
كفر بما أنزل على محمد ﷺ . وفيه دليل على كفر الكاهن والساحر والمصدق لها
في ذلك ، لأنهما يدعيان لها علم الغيب وذلك كفر ، والمصدق لها يعتقد ذلك
ويرضى به وذلك كفر أيضاً ، قاله في الشرح

(١) قوله (وعن عمران بن حصين مرفوعاً) إلى النبي ﷺ ، ليس منا من تطير
أو تطير له ، أو تكهن أو تكهن له ، أو سحر أو سحر له ، فيه دليل على نفي الإيمان
الواجب ، وهذا لا ينافي ما تقدم من أن الطيرة شرك والكهانة كفر قاله في قرّة
العيون . وفيه وعيد شديد على أن هذه الأمور من الكبائر ، وتقدم أن
الكهانة والسحر كفر .

قوله (من تطير) أي فعل الطيرة - (أو تطير له) - أي عملت له الطيرة - (أو
تكهن) - أي عمل الكهانة - (أو تكهن له) - أي عملت له الكهانة - (أو
سحر) - أي عمل السحر - (أو سحر له) - أي عمل له السحر - فكل من فعل هذه
الأمور أو عملت له ، فقد برى منه رسول الله ﷺ لكونها إما شركاً كالطيرة أو
كفرًا كالكهانة والسحر ، فمن فعل ذلك أو فعل له ورضى به فهو كالفاعل
لقبوله الباطل واتباعه ، قاله في فتح المجيد

(٢) قوله (ومن أتى كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ)
والذي أنزل على محمد هو الكتاب والسنة

(٣) قوله (رواه البزار بإسناد جيد) والبزار هو أحمد بن عمر بن عبد الحاق
أبو بكر البزار البصري صاحب المسند الكبير . روى عن ابن بشار وابن المثنى
وخلق ، مات سنة اثنتين وتسعين ومائتين ، ورواه الطبراني في الأوسط بإسناد
حسن من حديث ابن عباس دون قوله : ومن أتى ، الخ قاله في الشرح

حديث ابن عباس دون قوله « وَمَنْ أَنَى » إلى آخره

قال البَغَوِيُّ^(١) : العَرَّافُ : الذى يَدْعَى معرفة الأمور بمقدمات
يُستدلُّ بها على المسروقِ ومكان الضَّالَّةِ^(٢) ونحو ذلك . وقيل : هو
الكاهن . والكاهن : هو الذى يخبر عن المغيبات فى المستقبل .
وقيل : الذى يخبرُ عما فى الضمير . وقال أبو العباس بن تيمية

(١) قوله (قال البغوى) بفتحين وهو الحسين بن مسعود الفراء الشافعى
صاحب التصانيف وعالم أهل خراسان ، كان ثقة فقيها زاهداً ، مات فى شوال
سنة ست عشرة وخمسمائة رحمه الله تعالى

(٢) قوله (العراف الذى يدعى معرفة الأمور بمقدمات يستدل بها على
المسروق ومكان الضالة ونحو ذلك . وقيل : هو الكاهن ، والكاهن الذى يخبر
عن المغيبات فى المستقبل . وقيل : الذى يخبر عما فى الضمير . وقال أبو العباس
أحمد) ابن عبد الحلیم بن عبد السلام (ابن تيمية) الإمام المشهور رحمه الله
ورضى عنه . (العراف : اسم الكاهن والمنجم والرمال ونحوهم ممن يتكلم فى
معرفة الأمور بهذه الطرق) كالحازى الذى يدعى الكشف . وقال أيضاً : والمنجم
يدخل فى اسم العراف ، وعند بعضهم هو معناه ، ويدخل فى اسم الكاهن عند
الخطابى وغيره من العلماء وحكى ذلك عن العرب ، وعند آخرين هو من جنس
الكاهن وأسوأ حالا منه فيلحق به من جهة المعنى ، وقال الإمام أحمد : العرافة
طرف من السحر والساحر أخبث وكل هذه الأمور يسمى صاحبها كاهناً وعرافاً
أو فى معناهما ، فمن أتاهم فصدقهم بما يقولون لحقه الوعيد ، وفيه معرفة الفرق
بين الكاهن والعراف . قاله المصنف رحمه الله ، وقد ورث هذه العلوم عنهم
أقوام فادعوا بها علم الغيب الذى استأثر الله بعلمه وادعوا أنهم أولياء وأن ذلك
كرامة ، ولا ريب أن من ادعى الولاية واستدل بإخباره ببعض المغيبات فهو من
أولياء الشيطان لا من أولياء الرحمن . إذ الكرامة أمر يجريه الله على يد عبده
المؤمن التقي إما بدعاء أو أعمال صالحة لا صنع للولى فيها ولا قدرة له عليها =

العراف اسم للسكان والمنجم والروال ونحوهم ، بمن يتكلم في معرفة
الأمور بهذه الطرق . وقال ابن عباس في قوم يكتبون « أبا جاد »^(١)
وينظرون في النجوم ما أرى من فعل ذلك له عند الله من
خلاق

== بخلاف من يدعى أنه ولي ويقول للناس اعلوا أنى أعلم الغيب ، وحسبك بحال
الصحابة والتابعين رضى الله عنهم وهم سادات الأولياء ، أفكان عندهم في هذه
الدعوى شيء ؟ حاشا وكلا ، ويكفيك في صفات الأولياء ما ذكره الله عنهم في
قوله تعالى (إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون والذين هم بآيات ربهم يؤمنون
والذين هم بربهم لا يشركون والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجة أنهم إلى
ربهم راجعون أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون) وغيرها من
الآيات ، فالمتصفون بتلك الصفات هم الأولياء الأصفياء لا أهل الدعوى
والكذب ومنازعة رب العالمين فيما اختص به من الكبرياء والعظمة وعلم الغيب
بل مجرد دعوى علم الغيب كفر فكيف يكون المدعى لذلك ولياً لله

(١) قوله (وقال ابن عباس في قوم يكتبون أبا جاد وينظرون في النجوم
ما أرى من فعل ذلك له عند الله من خلاق) هذا الاثر رواه الطبراني عن ابن
عباس مرفوعاً وإسناده ضعيف ولفظه : « رب متعلم حروف أبي جاد دارس في
النجوم ليس له عند الله خلاق يوم القيامة » ، ورواه حميد بن زنجويه عنه بلفظ
« رب ناظر في النجوم ومتعلم حروف أبي جاد وليس له عند الله خلاق » .

وقوله (ما أرى) يجوز بفتح الهمزة بمعنى لا أعلم ويجوز ضمها بمعنى لا أظن
وكتابة أبي جاد وتعلمها لمن يدعى بها علم الغيب هو الذى يسمى علم الحرف وهو
الذى جاء فيه الوعيد ، فأما تعلمها للنجى وحساب الجمل فلا بأس به

وقوله (وينظرون في النجوم ويعتقدون أن لها تأثيراً كما سيأتى في باب
النجيم . وفيه ذكر من تسكن له ، وذكر من تطير له ، وذكر من سحر له ،
وذكر من تعلم أبا جاد ، قاله المصنف رحمه الله تعالى

٢٧ - باب

ما جاء في النشرة^(١)

عن جابر^(٢) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سئلَ عن النشرة ، فقال :
« هِيَ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ » رواه أحمد بسند جيد ، وأبو داود وقال :
سئلَ أحمدُ عنها فقال : ابنُ مسعود يكره هذا كله
وفي البخاريّ عن قتادة^(٣) : قلتُ لابنِ المسيّب^(٤) :

(١) قوله (باب ما جاء في النشرة) النشرة بضم النون كما في القاموس ، قال في النهاية : النشرة ضرب من الاملاج والرقية يعالج به من يظن أن به مساً من الجن ، سميت نشرة لأنه ينشر بها عقد ما خاخره من الداء ، أى يكشف وي زال . قال الحسن : النشرة من السحر وقد لشرت عنه تفسيراً ، ومنه الحديث : لعل طبا أصابه ، ثم لشره بقل أعوذ برب الناس أى رقاها انتهى ، وقال ابن الجوزي : النشرة حل السحر عن المسحور ولا يكاد يقدر عليه إلا من يعرف السحر

(٢) قوله (عن جابر رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ سئل عن النشرة فقال : هِيَ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ، رواه أحمد بسند جيد وأبو داود) .
قوله (سئل عن النشرة) والالف واللام في النشرة للمعنى أى النشرة المعهودة التى كان أهل الجاهلية يصنعونها هِيَ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ، (وقال أبو داود : سئل أحمد عنها فقال ابن مسعود يكره هذا كله) أراد أحمد أن ابن مسعود يكره النشرة التى هِيَ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ كما يكره تعليق التائم مطلقاً قاله فى فتح المجيد . قلت : والكرامة فى عرف السلف كراهة التحريم . أما النشرة بالتعويذ والرقى بأسماء الله وكلامه من غير تعليق فلا أعلم أحداً كرهه ، قاله فى الشرح

(٣) قوله (والبخاري عن قتادة) وهو ابن دعامة بكسر الدال السدوسى ثقة فقيه من أحفظ التابعين ، قالوا إنه ولد أ كره ، مات سنة بضع عشرة ومائة
(٤) قوله (قلت لابن المسيب) وهو سعيد بن المسيب

رجل^(١) به طب^(٢) أو يؤخذ^(٣) عن امرأته، أي يحل عنه^(٤) أو يفش^(٥) ؟
قال : لا بأس به إنما يريدون به الإصلاح ، فأما ما ينفع فلم ينه عنه
اتهى .

وروى عن الحسن^(٦) أنه قال : لا يحل السحر إلا ساحر .
قال ابن القيم^(٧) : الفشرة حل السحر عن المسحور ، وهى نوعان :

(١) قوله (رجل به طب) بكسر الطاء أى سحر ، يقال : طب الرجل بالضم
إذا سحر ، ويقال كنوا عن السحر بالطب تفاؤلا كما يقال للدينغ سليم ، وقال
ابن الأنبارى : الطب من الاضداد ، يقال لمعالج الداء طب والسحر من الداء
يقال له طب

(٢) قوله (أو يؤخذ) بفتح الواو مهموزة وتشديد الحاء المعجمة
وبعدها ذال معجمة أى يحبس عن امرأته فلا يصل إلى جماعها ، والاخذة بضم
الهمزة الكلام الذى يقوله الساحر

(٣) قوله (أيحل عنه) بضم الياء وفتح الحاء مبنى للمفعول

(٤) قوله (أو ينشر) بتشديد المعجمة (قال لا بأس به) يعنى أن النشرة
لا بأس بها (لأنهم يريدون بها الإصلاح) أى إزالة السحر ولم ينه عما يراد به
الإصلاح ، وهذا من ابن المسيب يحمل على نوع من النشرة لا يعلم أنه سحر

(٥) قوله (وروى عن الحسن) وهو ابن أبى الحسن واسمه يسار بالنحنية
والمهمل البصرى الأنصارى مولاهم ثقة فقيه إمام من خيار التابعين ، مات سنة
عشر ومائة رحمه الله وقد قارب التسعين (أنه لا يحل السحر إلا ساحر) هذا
الأثر رواه ابن الجوزى فى جامع المسانيد

(٦) قوله (قال ابن القيم) رحمه الله تعالى (النشرة حل السحر عن المسحور ،
وهى نوعان : حل بسحر مثله وهو الذى من عمل الشيطان وعليه يحمل قول
الحسن فيتقرب الناشر والمنقشر إلى الشيطان بما يجب فيبطل عمله عن المسحور =

حَلٌّ بسحر مثله ، وهو الذى من عملِ الشيطان ، وعليه يُخْمَلُ قولُ
الحسن ، فيتقربُ الناشِرُ والمنتشرُ إلى الشيطان بما يحبُّ ، فيبطلُ
عمله عن المسحور . والثانى : النشرة بالرقية والتعوذات
والادوية والدعوات المباحة ، فهذا جائز

٢٨ - باب

ما جاء فى التطير^(١)

== والثانى : النشرة بالرقية والتعوذات والادوية والدعوات المباحة فهذا جائز .
وبما جاء فى صفة النشرة الجائزة ما رواه ابن ابي حاتم وأبو الشيخ عن ليث بن
أبي سليم قال : بلغنى أن هؤلاء الآيات شفاء من السحر بإذن الله تقرأ فى إناء ثم
يصب على رأس المسحور الآية التى فى سورة يونس ﴿ فلما ألقوا قال موسى
ما جئتم به السحر إن الله سيبيطله إن الله لا يصلح عمل المفسدين ويحق الله الحق
بكلماته ولو كره المجرمون ﴾ وقوله فى سورة الاعراف ﴿ وأوحينا إلى موسى
أن ألق عصاك فإذا هى تلقف ما يأفكون فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون
فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين وألقى السحرة ساجدين قالوا آمنا برب العالمين
رب موسى وهارون ﴾ ، وقوله فى سورة طه ﴿ وألق ما فى يمينك تلقف ما
صنعوا ، إنما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى ﴾ . وفى كتاب
وهب بن منبه أنه يؤخذ سبع ورقات من سدر أخضر فيدق بين حجرين ثم
يضر به بالماء ويقرأ فيه آية الكرسي والقواقل ثم يحسو منه ثلاث حسوات ثم
يغتسل به يذهب عنه كل ما به وهو جيد للرجل إذا حبس عن أهله . وفيه النهى
عن النشرة ، والفرق بين المنهى عنه والمرخص فيه مما يزيل الإشكال . قاله المصنف
رحمه الله تعالى

(١) قوله (باب ما جاء فى التطير) أى من النهى عنه والوعيد فيه . التطير
مصدر تطير يتطير تطيراً ، والطيرة بكسر الطاء وفتح الياء وقد تسكن اسم
مصدر من تطير طيرة كما يقال تخير خيرة ولم يحمى فى المصادر على هذه الرنة ==

وقول الله تعالى ﴿ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ ﴾ (١) وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿ وَقَوْلُهُ ﴿ قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ ﴾ (الآية ٢)

= غيرها ، وأصله التطير بالسوانح والبوارح من الطير والظباء وغيرهما ، وهو الشيء المسكوه من قول أو فعل أو مرئى قاله النوى ، وكان ذلك يصدم عن مقاصدهم ففناه الشارع وأبطله وأخبر أنه لا تأثير له في جلب نفع ولا دفع ضرر قال المدائني سألت رؤبة بن العجاج . قلت : ما السائح ؟ قال : ما ولاك ميامنه ، قلت : فما البارح ؟ قال : ما ولاك مياسره ، والذي يجيء من أمامك فهو الناطح والناطح والذي يجيء من خلفك فهو القاعد والقعيد . ولما كانت الطيرة من الشرك المنافي لكمال التوحيد الواجب لسكونها من إلقاء الشيطان ووسوسته وتخويفه ذكرها المصنف رحمه الله تعالى في كتاب التوحيد تحذيراً منها

(١) قوله (وقول الله تعالى : ﴿ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ ﴾) ذكر تعالى هذه الآية في سياق قوله عن آل فرعون ﴿ فَإِذَا جَاءَتْهُمْ الْحَسَنَةُ ﴾ أى الخصب والسعة والعامية كما فسرهم مجاهد وغيره - ﴿ قَالُوا إِنَّا هَذِهِ ﴾ أى نحن الجديرون والحقيقون بها ونحن أهلها ﴿ وَإِنْ تَصِيبُ سَيِّئَةٌ ﴾ أى بلاء وتخطئ ﴿ يَطِيرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ ﴾ فيقولون هذا بسبب موسى وأصحابه أصابنا شؤمهم فقال تعالى ﴿ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ ﴾ قال ابن عباس طائرهم ما قضى عليهم وقدر لهم ، وفي رواية : شؤمهم عند الله ومن قبله ، أى إنما جاءهم الشؤم من قبله بكفرهم وتكذيبهم بآياته ورسله ولكن أكثرهم لا يعلمون أى إن أكثرهم جهال لا يدرون ، ولو فهموا وعقلوا لعلموا أنه ليس فيما جاء به موسى عليه السلام إلا الخير والبركة والسعادة والفلاح لمن آمن به واتبعه

(١) وقوله تعالى (قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ) هذا خبر من الله تعالى عن المرسلين وما أجابوا به أصحاب القرية في قولهم ﴿ إِنَّا نَطِيرُكُمْ إِنَّمَا نَطِيرُكُمْ لَنُجْزِيَنَّكُمْ وَلَيْسَ بِنُجْزِيَنَّكُمْ مِمَّا تَعْبُدُونَ ﴾ أى إنما طائرهم معكم والمعنى والله أعلم : خطبكم وما نابكم من شر معكم بسبب كفركم ومخالفتكم الناصحين ليس هو من أجلنا ولا بسببنا بل ببغيتكم وعدوانكم وذلك بقضاء الله وقدره وحكمته وعدله . ويحتمل أن يكون المعنى طائرهم معكم أى راجع إليكم ، قال التطير الذى حصل لكم إنما يعود عليكم ، =

عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « لا
عدوى، ولا طيرة، ولا هامة، ولا صفر » أخرجاه^(١)

= (إن ذكرتم) أى من أجل أنا ذكرناكم وأمرناكم بتوحيد الله قابليتمونا بهذا
الكلام (بل أنتم قوم مسرفون) قال قتادة : إن ذكرناكم تطيرتم بنا . ومناسبة
الآيتين للترجمة أن التطير من عمل أهل الجاهلية والمشركين وقد ذمهم الله تعالى به
ومقتهم ، وقد نبى رسول الله ﷺ عن التطير وأخبر أنه شرك كما سيأتى فى
أحاديث الباب ، قاله فى فتح المجيد . وفيه : التنبيه على قوله ألا إنما طائرهم عند
الله مع قوله طائرهم معكم ، قاله المصنف رحمه الله تعالى

(١) قوله (وعن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « لا عدوى
ولا طيرة ولا هامة ولا صفر » أخرجاه) ، زاد مسلم « ولا نوء ولا غول » قال
أبو السعادات : العدوى اسم من الأعداء كالدعوى يقال : أعداء الداء يعديه
لإعداء إذا أصابه مثل ما بصاحب الداء ، وقال غيره : من عدوى هو اسم من
الإعداء وهو مجاوزة العلة من صاحبها إلى غيره والمنفى نفس سراية العلة أو
إضافتها أى السراية إلى العلة والاول هو الظاهر قاله فى فتح المجيد ، وفيما قاله نظر
فإن المنفى إضافة السراية إلى العلة على ما يعتقد أهل الجاهلية لا نفس سراية العلة
وفى رواية لمسلم أن أبا هريرة كان يحدث بحديث « لا عدوى » ويحدث عن النبي
ﷺ أنه قال « لا يورد ممرض على مصح » وأمسك عن حديث « لا عدوى »
فراجعوه ، وقالوا سمعناك تحدث به فأبى أن يعترف به ، وقد روى حديث « لا
عدوى » جماعة من الصحابة ألس بن مالك وجابر بن عبد الله والسائب بن يزيد
وابن عمر وغيرهم وفى بعض روايات هذا الحديث « وفر من المجذوم كما تفر من
الأسد » وقد اختلف العلماء فى ذلك وأحسن ما قيل فيه أن قوله : لا عدوى ،
على الوجه الذى يعتقد أهل الجاهلية من إضافة الفعل إلى غير الله تعالى وأن هذه
الأمور تعدى بطبعها وإلا فقد يجعل الله بمشيئته مخالطة الصحيح من به ثوى من
الأمراض سبباً لحدوث ذلك المرض ، ولهذا قال « فر من المجذوم كما تفر من
الأسد » وقال لا يورد ممرض على مصح ، وقال فى الطاعون « إذا سمعتم به فى
أرض فلا تقدموا عليه ، وكل ذلك بتقدير الله تعالى . ولاحمد والترمذى عن =

== ابن مسعود مرفوعاً ، لا يعدى شيء ، قالها ثلاثاً ، فقال أعرابي : يا رسول الله إن النقبة من الجرب تكون بمشفر البعير أو بذنبه في الإبل العظيمة فتجرب كلها فقال رسول الله ﷺ : فن أجرب الأول لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر خلق الله كل نفس وكتب حياتها ومصائبها ورزقها ، فأخبر ﷺ أن ذلك كله بقضاء الله وقدره . والعبد مأمور باتقاء أسباب الشر الظاهرة إذا كان في عافية منها كما أنه يؤمر أن لا يلقى نفسه في الماء وفي النار عما جرت العادة أنه يهلك أو يضر فكذلك اجتناب مقاربة المريض كالمجذوم والتقدم على بلد الطاعون فإن هذه كلها أسباب للمرض والتلف والله سبحانه وتعالى خالق الأسباب ومسبباتها لا خالق غيره ولا مقدر سواء . وأما ما خفي منها فلا يشرع اتقاؤه واجتنابه بل ذلك من الطيرة المحرمة فإنها سوء ظن بالله بغير سبب محقق ، وأما إذا قوى التوكل على الله والإيمان بقضائه وقدره فقويت النفس على مباشرة بعض هذه الأسباب اعتماداً على الله ورجاء منه أن لا يحصل به ضرر ففي هذه الحال تجوز مباشرة ذلك وعلى هذا يحمل الحديث الذي رواه أبو داود والترمذي أن النبي ﷺ أخذ بيد مجذوم فأدخلها معه في القصعة ثم قال : كل باسم الله ثقة بالله وتوكلاً عليه ، وقد أخذ به الإمام أحمد وروى ذلك عن عمر وابنه وسلمان رضى الله عنهم

قوله (ولا طيرة) قال ابن القيم يحتمل أن يكون نفيها أو نهياً أي لا تطيروا) والنفي في هذا أبلغ من النهي لأن النفي يدل على بطلان ذلك وعدم تأثيره والنهي إنما يدل على المنع منه وقد جاءت أحاديث ظن بعض الناس أنها تدل على جواز الطيرة كقوله ﷺ : الشؤم في ثلاث : في المرأة والدابة والدار ، ونحو هذا قال ابن القيم رحمه الله إخباره ﷺ بالشؤم في هذه الثلاث ليس فيه إثبات الطيرة التي تفاهى الله سبحانه وإلما غايته أن الله سبحانه يخلق منها أعياناً مشؤومة على من قاربها وساكنها ، وأعياناً مباركة لا يلحق من قاربها منها شؤم ولا شر ، وهذا كما يعطى سبحانه الوالدين ولداً مباركاً يريان الخير على وجهه ، ويعطى غيرهما ولداً مشؤوماً يريان الشر على وجهه فكذلك الدار والمرأة والفرس ، والله سبحانه خالق الخير والشر والسعد والنحوس لا خالق غيره ولا مقدر سواء .

قوله (ولا هامة) بتخفيف الميم على الصحيح قال الفراء الهامة طير من طير ==

زاد مسلم « ولا نوء » ، ولا غول

= الليل كأنه يعنى البومة قال ابن الأعرابي كانوا يتشاءمون بها إذا وقعت على بيت أحدهم يقول نعت إلى نفسى أو أحدا من أهل دارى لجاء الحديث بنى ذلك وإبطاله

قوله (ولا صفر) بفتح الفاء ، روى أبو عبيد فى غريب الحديث عن رؤية أنه قال هى حية تسكون فى البطن تصيب الماشية والناس وهى أعدى من الحرب عند العرب . وعن قال بهذا سفيان بن عيينة والإمام أحمد والبخارى وابن جرير وقال آخرون : المراد به شهر صفر ، والنفى لما كان أهل الجاهلية يفعلونه فى النسوة وكانوا يحلون المحرم ويحرمون صفر مكانه وهو قول مالك . وروى أبو داود عن محمد بن راشد عن من سمعه يقول : إن أهل الجاهلية يتشاءمون بصفر ويقولون إنه شهر مشؤوم فأبطل النبي ﷺ ذلك . قال ابن رجب : ولعل هذا أشبه الأقوال ، وفيه نفى العدوى والطيرة ونفى الهامة والصفر قاله المصنف رحمه الله تعالى ، وما زالت هذه العادات السيئة سارية فى الناس مثل التشاؤم بصفر وربما نهوا عن السفر فيه ، وحتى إن منهم من لا يكاد يذكر صفر إلا ويضيف إليه لفظة الخير نظراً لما قام بقلوبهم من هذه الأمور ، ومثل تشاؤمهم بشوال فى السكاح خاصة لما قيل من أن طاعوناً وقع فيه مات منه كثير من العرائس فتشاءوا به ، وقد صح عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت تزوجنى رسول الله ﷺ فى شوال وبني بى فى شوال ، فأى نساته كان أحظى عنده منى وكانت تستحب أن يدخل على نسايتها فى شوال وتزوج النبي ﷺ أم سلمة فى شوال أيضاً ، وهذا منه ﷺ مخالفة لما عليه أهل الجاهلية

قوله (زاد مسلم : ولا نوء) والنوء واحد الأنواء وهى منازل القمر وسيأتى الكلام عليه فى باب الاستسقاء بالأنواء

قوله (ولا غول) هو بالضم اسم وجمعه أغوال وغيلان ، قال أبو السعادات الغول واحد الغيلان وهو جنس من الجن والشياطين كانت العرب تزعم أن فى الغلاة تراءى للناس تتلون تلونا فى صور شتى وتفعلهم أى تضلهم عن الطريق وتهلكهم فنفاه النبي ﷺ وأبطله . فان قيل ما معنى النفى وقد قال النبي ﷺ إذا =

ولهما عن أنس^(١) قال : قال رسول الله ﷺ : « لا عدوى ولا
طيرة ، ويعجبني الفأل » قالوا : وما الفأل ؟ قال « الكلمة الطيبة »

== تقول الغيلان فبادروا بالأذان ، أجيب عنه بأن ذلك كان في الابتداء ثم دفعها
الله عن عباده ، أو يقال المنفى ليس وجود الغول بل ما يزعمه العرب من تصرفه
في نفسه ، أو يكون المعنى بقوله : لا غول ، أنها لا تستطيع أن تضل أحداً مع
ذكر الله والتوكل عليه وينسب له الحديث : لا غول ولكن السعالى سحرة الجن ،
أى ولكن فى الجن سحرة لهم إبليس وتخييل ومنه الحديث « إذا تقولت
الغيلان فبادروا بالأذان ، أى اذنعوا شرها بذكر الله وهذا يدل على أنه لم يرد
بنفيها عدمها ، ومنه حديث أبى أيوب « كان لى تمر فى سهرة فكانت الغول تجيء
فتأخذ ،

(١) قوله (ولهما) أى البخارى ومسلم (عن أنس بن مالك رضى الله عنه)
قال : قال رسول الله ﷺ : لا عدوى ولا طيرة ، وتقدم الكلام على العدوى
والطيرة أول الباب

قوله (ويعجبني الفأل) قالوا وما الفأل قال الكلمة الطيبة قال أبو السعادات
الفأل مهموز فيما يسر ويسوء ، والطيرة لا تكون إلا فيما يسوء وربما استعملت
فيما يسر يقال تفاليت بكذا وتفاولت على التحقيق والقلب وقد أولع الناس
بترك الهمة تخفيفاً قال الحلبي : وإنما كان يعجبه الفأل لأن التشاؤم سوء ظن
بالله بغير سبب محقق ، والتفاؤل حسن ظن بالله ، والمؤمن مأمور بحسن الظن بالله
على كل حال ، وقال ابن القيم رحمه الله تعالى : ليس فى الإعجاب بالفأل ومحبة شيء
من الشرك بل ذلك لإبانه عن مقتضى الطبيعة والفطرة الإنسانية التى تميل إلى
ما يوافقها ويلانمها والله سبحانه قد جعل فى غرائز الناس الإعجاب بسماع الاسم
الحسن ومحبة وميل نفوسهم اليه ، وكذلك جعل فيها الارتياح والاستبشار
والسرور باسم الفلاح والسلام والنجاح والتهنئة والبشرى والفوز والظفر ونحو
ذلك فإذا قرعت هذه الأسماء الأسماع استبشرب بها النفوس والشرح لها الصدر
وقوى بها القلب وإذا سمعت أصدادها أوجب لها ضد هذه الحالة فأحزنها ذلك
وأثار لها خوفاً وطيرة وانكماشاً وانقباضاً عما قصدت له وعزمت عليه فأورث
لها ضرراً فى الدنيا ونقصاً فى الإيمان ومقارفة للشرك

ولأبي داود بسند صحيح عن عُبَيْة بن عامر^(١) ، قال : ذُكِرَتْ
الطَّيْرَةُ عند رسول الله ﷺ فقال « أَحْسَنُهَا الْفَأَلُ ، وَلَا تَرُدُّ مُسْلِمًا^(٢) ،
فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مَا يَكْرَهُ فَلْيَقُلْ اللَّهُمَّ لَا يَأْتِي بِالْحَسَنَاتِ إِلَّا أَنْتَ ،
وَلَا يَدْفَعُ السَّيِّئَاتِ إِلَّا أَنْتَ^(٣) ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ^(٤) »

(١) قوله (ولأبي داود بسند صحيح عن عُبَيْة بن عامر) هكذا وقع في نسخ
التوحيد وصوابه عروة بن عامر كذا أخرجه أحمد وأبو داود وغيرهما وهو
مكي اختلف في نسبه فقال أحمد عروة بن عامر القرشي وقال غيره الجهمي واختلف
في صحبته أيضا فقال الماوردي له صحبة وذكره ابن حبان في ثقات التابعين وقال
المزني لا صحبة له تصح

(٢) قوله (ذكرت الطيرة عند رسول الله ﷺ فقال « أَحْسَنُهَا الْفَأَلُ وَلَا تَرُدُّ
مُسْلِمًا ») قال ابن القيم رحمه الله تعالى أخبر ﷺ أن الفأل من الطيرة وهو خيرها
فأبطل الطيرة وأخبر أن الفأل منها ففصل بين الطيرة والفأل لما بينهما من الامتياز
والضاد ونفع أحدهما ومضرة الآخر انتهى

وقوله ﷺ : « أَحْسَنُهَا الْفَأَلُ ، وَفِي رِوَايَةٍ خَيْرُهَا الْفَأَلُ ، مَعَ أَنَّ الطَّيْرَةَ كُلَّهَا
لَا خَيْرَ فِيهَا لِأَنَّ أَفْضَلَ التَّفْضِيلِ فِي ذَلِكَ إِنَّمَا هُوَ فِي الْقَدْرِ الْمَشْتَرَكِ بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ ،
وَالْقَدْرَ الْمَشْتَرَكِ بَيْنَ الطَّيْرَةِ وَالْفَأَلِ تَأْثِيرُ كُلِّ مَنِهَا فِيمَا هُوَ فِيهِ ، وَالْفَأَلُ فِي ذَلِكَ
أَبْلَغُ ، قَالَه الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ . وَفِيهِ أَنَّ الْفَأَلَ لَيْسَ مِنَ الطَّيْرِ بَلْ مُسْتَحَبٌّ ،
وَتَفْسِيرُ الْفَأَلِ قَالَه الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى

قوله (ولا ترد مسلما) وهذا تعريض بأن الكافر بخلافه

(٣) قوله (فإذا رأى أحدكم ما يكره فليقل : اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت
ولا يدفع السيئات إلا أنت) أى لا تأتي الطيرة بالحسنات ولا تدفع السيئات بل
أنت وحدك لا شريك لك الذى تأتي بالحسنات وتدفع السيئات ، والحسنات هنا :
النعم ، والسيئات : المصائب . ففيه نفى تعلق القلب بغير الله فى جلب نفع أو
دفع ضر وهو دعاء مناسب لمن وقع فى قلبه شيء من الطيرة

(٤) قوله (ولا حول ولا قوة إلا بك) والحول التحول والانتقال من حال =

وله من حديث ابن مسعود مرفوعاً^(١) «الطَّيْرَةُ شِرْكٌ، الطَّيْرَةُ شِرْكٌ، وَمَا مِثْلُهَا^(٢)... وَلَكِنَّ اللَّهَ يُذْهِبُهُ بِالتَّوَكُّلِ» رواه أبو داود

== إلى حال أى لا تحول من حال إلى حال ولا قوة على ذلك إلا بالله وحده ، ففيه التبرى من الحول والقوة إلا بالله سبحانه وهذا هو توحيد الربوبية وهو دليل على توحيد الإلهية الذى هو إفراد الله تعالى بجميع أنواع العبادة . وفيه ذكر ما يقوله من وجد شيئا من ذلك قاله المصنف رحمه الله

(١) قوله (وله) أى أبى داود عن (ابن مسعود رضى الله عنه مرفوعاً ، الطيرة شرك الطيرة شرك وما منا إلا ولكن الله يذهب بالتوكل . . . ورواه الترمذى وصححه وجعل آخره من قول ابن مسعود) ورواه ابن ماجه وابن حبان ولفظ أبى داود ، الطيرة شرك الطيرة شرك الطيرة شرك ، ثلاثاً وهذا صريح فى تحريمها وأنها من الشرك لما فيها من تعلق القلب على غير الله تعالى ، قال ابن حمدان : تكره الطيرة وكذا قال غير واحد من أصحاب أحمد وقال ابن مفلح الأولى القطع بتحريمها لأنها من الشرك وكيف يكون الشرك مكروها الكراهة الاصطلاحية ، قال ولعل مرادهم يعنى الأصحاب بالكراهة التحريم قلت وما قاله هو موجب النصوص والقواعد تقتضيه لأن الأحكام الخمسة لا تؤخذ إلا عن الله ورسوله وقد قام الدليل الموجب للتحريم فتعين القول به وحمل كلام من أطلق الكراهة عليه بلا تردد

(٢) قوله (وما منا إلا) قال أبو القاسم الأصهبانى والمنذرى : فى الحديث إضمار والتقدير وما منا إلا وقد وقع فى قلبه شيء من ذلك ، قال بعضهم حذف المستثنى لما يتضمنه من الحالة المكروهة وهذا من أدب الكلام ، ومنه الحديث ، ثلاث لا يسلّم أحد منهن : الطيرة والحسد والظن ، قيل فما نصنع ؟ قال ، إذا تطيرت فامض وإذا حسدت فلا تبغ وإذا ظننت فلا تحقق ،

قوله (ولكن الله يذهب بالتوكل) يعنى إذا خطر عارض التطير فتوكلنا على الله وسلمنا الأمر إليه ولم نعمل بذلك الخاطر غفره الله ولم يؤاخذنا به . وفيه أن الواقع فى القلب من ذلك مع كراهته لا يضر بل يذهب الله بالتوكل قاله ==

والترمذى وصححه ، وجعل آخره من قول ابن مسعود
ولاحد من حديث عبد الله بن عمرو^(١) « من رَدَّته الطيرةُ
عن حاجته^(٢) فقد أشرك » قالوا : فما كفارة ذلك ؟ قال « أن
يقول : اللهم لا خيرَ إلا خيرُك ، ولا طيرَ إلا طيرُك^(٣) ، ولا إلهَ
غيرُك^(٤) »

== المصنف رحمه الله . وفيه أن الطيرة من الشرك الأصغر لأنها لو كانت من الأكبر
لما أذهب إلا التوبة منه
قوله (وجعل آخره من قول ابن مسعود) قال ابن القيم وهو الصواب فإن
الطيرة نوع من الشرك

- (١) قوله (ولاحد من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل السهمي
أبو محمد وقيل أبو عبد الرحمن أحد السابقين المكثرين من الصحابة وأحد العبادة
الفقهاء . مات في ذى الحجة ليالى الحرة على الأصح بالطائف
- (٢) قوله (من رَدَّته الطيرة عن حاجته) فنعه ما رأى وما سمع عما أراده
(فقد أشرك) لأنه لم يخلص توكله على الله بالتفاته إلى غيره عما يخامر قلبه من
الخوف فيكون شركا بهذا الاعتبار
- (٣) قوله (قالوا فما كفارة ذلك قال أن تقول اللهم لاخير إلاخيرك ولا
طير إلا طيرك) . وفيه تفويض الأمور إلى الله تعالى تقديرا وتدبيراً وخلقاً والبراءة
عما فيه تعلق بغير الله تعالى
- (٤) قوله (ولا إله غيرك) أى لا معبود بحق سواك ، فإذا قال ذلك وأعرض
عما وقع في قلبه ولم يلتفت إليه واستمر على فعل ما عزم عليه توكلًا على الله
وتفويضًا إليه كفر الله عنه ما وقع في قلبه من ذلك ، وأما من لم يخلص توكله
على الله واسترسل مع الشيطان في ذلك فقد يعاقب بالوقوع فيما يكره وفيه
التصريح بأن الطيرة شرك وتفسير الطيرة المذمومة وذكر ما يقوله من وجد ذلك
قاله المصنف رحمه الله تعالى

وله ^(١) من حديث الفضل بن العباس « إنما الطيرة ما أمضاك أو ردك ^(٢) »

٣٩ - باب

ما جاء في التنجيم ^(٣)

(١) قوله (وله) أى الإمام أحمد من حديث الفضل بن عباس بن عبد المطلب ابن عم النبي ﷺ قال ابن معين قتل يوم اليرموك وقال غيره وقتل يوم مرج الصفر سنة ثلاث عشرة وهو ابن اثنتين وعشرين سنة رضى الله عنه . وقال أبو داود قتل بدمشق كان عليه درع النبي ﷺ

(٢) قوله (إنما الطيرة ما أمضاك أو ردك) هذا الحديث رواه الإمام أحمد من حديث الفضل بن عباس قال خرجت مع النبي ﷺ يوما فبرح ظي قال في شقة فاحتضته فقلت : يا رسول الله تطيرت فقال : إنما الطيرة ما أمضاك أو ردك ، وفي إسناده انقطاع بين مسددة راويه والفضل وهذا حد الطيرة المنهى عنها ، فمى ما يحمل الإنسان على المضى فيما أراده أو يمنعه منه . وأما الفأل الذى كان يحبه ﷺ فيه نوع بشارة فيسر به العبد ولا يعتمد عليه فافهم الفرق ، ومن شرط الفأل أن لا يقصده

(٣) قوله (باب ما جاء في التنجيم) التنجيم هو الاستدلال بالاحوال الفلكية على الحوادث الارضية قاله شيخ الإسلام أحمد بن تيمية رحمه الله تعالى . واعلم أن التنجيم مما ينافى التوحيد ويوقع في الشرك لأنه ينسب الحوادث إلى غير من أحدثها وهو الله سبحانه قاله في قرّة العيون . وقال الخطابي : علم التنجيم المنهى عنه هو ما يدعيه أهل التنجيم من علم الكائنات والحوادث التي لم تقع وستقع في مستقبل الزمان كأوقات هبوب الرياح وجمي المطر وتغير الاسعار وما في معنى ذلك من الامور التي يزعمون أنهم يدركون معرفتها بمسير الكواكب في مجاريها واجتماعها وافتراقها ويدعون أن لها تأثيراً في السفليات وأنها تجري على قضايا موجباتها وهذا منهم تحكم على الغيب وتعاط لعل قد استأثر الله به لا يعلمه =

قال البخارى فى صحيحه : قال قتادة : خالق الله هذه النجوم
ثلاث : زينة للسماء ورجوماً للشياطين ، وعلامات يهتدى بها . فمن
تأول فيها غير ذلك أخطأ وأضاع نصيبه وتكلف ما لا علم له به ^(١) .

== سواء انتهى . ولا ريب فى تحريم ذلك ، واختلف المتأخرون فى تكفير القائل
بذلك وينفى القطع بكفره لأنها دعوى لعلم الغيب الذى استأثر الله بعلمه بما
لا يدل عليه

(١) قوله (قال البخارى فى صحيحه قال قتادة : خلق الله هذه النجوم ثلاث :
زينة للسماء ورجوماً للشياطين وعلامات يهتدى بها . فمن تأول فيها غير ذلك أخطأ
وأضاع نصيبه وتكلف ما لا علم له به) هذا الاثر علقه البخارى فى صحيحه بصيغة
الجزم وأخرجه عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وغيرهم
وأخرجه الخطيب فى كتاب النجوم ، ونفذه : قال إنما جعل الله هذه النجوم
ثلاث خصال : جعلها زينة للسماء وجعلها يهتدى بها وجعلها رجوماً للشياطين
فمن تعاطى فيها غير ذلك فقد قال برأيه وأخطأ حظه وأضاع نصيبه وتكلف
ما لا علم له به ، وإن ناساً جملة بأمر الله قد أحدثوا فى هذه النجوم كهانة ، من
أعرس بنجم كذا وكذا كان كذا وكذا ، ومن سافر بنجم كذا وكذا كان
كذا وكذا ، ولعمري ما من نجم إلا يولد فيه الأحمر والأسود والطويل والقصير
والحسن والدميم وما علم هذه النجوم وهذه الدابة وهذا الطائر بشيء من الغيب
ولو أن أحداً علم الغيب لعلمه آدم الذى خلقه الله بيده . وأسجد له ملائكته وعلمه
أسماء كل شيء . انتهى ، قال فى قرة العيون : وقول قتادة هذا يدل على أن علم
التنجيم هذا قد حدث فى عصر فأوجب له إنكاره على من اعتقده . قلت بل علم
التنجيم كان معروفاً فى زمن الجاهلية يدل على هذا حديث أبى مالك الأشعرى أن
رسول الله ﷺ قال : أربع فى أمي من أمر الجاهلية ، وذكر منها الاستسقاء
بالنجوم أى نسبة المطر إلى النوء ، حديث زيد بن خالد الجهنى الذى فيه : أصبح
من عبادى مؤمن بى وكافره وحديث ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله
ﷺ : من اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد ، ==

== رواه أبو داود وإسناده صحيح . وقول ابن عباس في الذين يكتبون أبا جاد وينظرون في النجوم ما أرى من فعل ذلك له عند الله من خلاق

وقوله (خلق الله هذه النجوم لثلاث : زينة للسماء وبرجوماً للشياطين) كما قال تعالى ﴿ ولقد زيننا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوماً للشياطين ﴾ قال في فتح المجيد وفيه إشارة إلى أن النجوم في السماء الدنيا ، كما روى ابن مردويه عن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ ، أما السماء الدنيا فإن الله خلقها من دخان وجعل فيها سراجاً وقراً منيراً وزينها بمصابيح وجعلها رجوماً للشياطين وحفظاً من كل شيطان رجيم ، .

وقوله (وعلامات يهتدى بها) أي دلالات على الجهات لا على الحوادث كما قال تعالى ﴿ وعلامات وبالنجم هم يهتدون ﴾ وقال تعالى ﴿ هو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر ﴾ أي لتعرفوا بها جهة قصدكم ، وليس المراد أنه تهتدى بها في علم الغيب كما يزعمه أهل النجامة ، وقال تعالى ﴿ وألقي في الأرض رواسي أن تميد بكم وأنهاراً وسبلاً لعلكم تهتدون وعلامات وبالنجم هم يهتدون ﴾ روى ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله ﴿ وعلامات ﴾ معطوف على ما تقدم مما ذكره في الأرض ثم استأنف فقال ﴿ وبالنجم هم يهتدون ﴾ انتهى بمعنى .

وقوله (فن تأول فيها غير ذلك) أي زعم فيها غير ما ذكر الله في كتابه من هذه الثلاث فقد أخطأ حيث زعم شيئاً ما أنزل الله به من سلطان وأضاع نصيبه من كل خير لأنه شغل نفسه بما يضره ولا ينفعه ، وفيه الحكمة في خلق النجوم والرد على من زعم غير ذلك قاله المصنف رحمه الله تعالى . وقد جاءت الأحاديث عن النبي ﷺ بالإنهى عن التنجيم كحديث ابن عباس الذي رواه أبو داود أن النبي ﷺ قال : من اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد ، وعن رجاء بن حيوة أن النبي ﷺ قال : إنما أخاف على أمتي التصديق بالنجوم والتكذيب بالقدر وحيف الأئمة ، رواه عبد بن حميد ، وعن أبي عجين مرفوعاً : أخاف على أمتي ثلاثاً : ضيف الأئمة وإيماناً بالنجوم ==

اتهى وكره قتادة^(١) تعلم منازل القمر . ولم يرخص ابن عيينة فيه . ذكره حرب^(٢) عنهما . ورخص في تعلم المنازل أحمد وإسحاق وعن أبي م ————— وسى^(٣) قال :

== وتكذبا بالقدر ، رواه ابن عساكر وحسنه السيوطى ، وعن أنس رضى الله عنه مرفوعا ، أخاف على أمتى بعدى خصلتين : تكذبا بالقدر وإيمانا بالنجوم ، رواه أبو يعلى وابن عدى والخطابى فى كتاب النجوم وحسنه السيوطى أيضا

(١) قوله (وكره قتادة) وهو ابن دعامة السدوسى (تعلم منازل القمر ولم يرخص ابن عيينة فيذكره حرب عنهما) . وحرب : هو ابن اسمعيل الكرماني الفقيه من جلة أصحاب الإمام أحمد روى عن أحمد وإسحاق وابن المديني وابن معين وأبي خيثمة وابن أبي شيبة وغيرهم ، وله مصنفات جليلة منها كتاب المسائل التي سأل عنها أحمد وغيره ، مات سنة ثمان ومائتين . ومنازل القمر هي الثمانية والعشرون منزلة ينزل القمر كل ليلة منزلة منها كما قال تعالى ﴿ والقمر قدرناه منازل ﴾ يسقط في المغرب كل ثلاث عشرة ليلة منها منزلة مع طلوع الفجر وتطلع أخرى مقابلتها ذلك الوقت من المشرق (ورخص في تعلمها) لمعرفة الاوقات الإمام (أحمد وإسحق) بن إبراهيم بن مخلد أبو يعقوب الحنظلي النيسابوري المعروف بابن راهويه ، روى عن ابن المبارك وأبي أسامة وابن عيينة وطبقتهم ، قال الإمام أحمد : إسحق عندنا إمام من أئمة المسلمين روى عنه البخاري ومسلم وأبو داود وغيرهم ، وروى هو عن أحمد أيضا ، مات سنة تسع وثلاثين ومائتين وفيه ذكر الخلاف في تعلم المنازل قاله المصنف رحمه الله قال الخطابي أما علم النجوم الذي يدرك بطريق المشاهدة والخبر الذي يعرف به الزوال وتعلم به جهة القبلة فإنه غير داخل فيما نهى عنه ، وهذا علم يصح إدراكه بالمشاهدة إلا أن أهل هذه الصناعة قد دبروها بما اتخذوه من الآلات التي يستغنى بها الناظر فيها عن مراعاة مدته ومراصدته

(٢) قوله (وعن أبي موسى) عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار بفتح المهملة وتشديد الضاد الأشعري صحابي جليل مات سنة خمسين رضى الله عنه

قال رسول الله ﷺ « ثلاثة لا يدخلون الجنة » : مُدْمِنُ الخمر ^(٢) ، وقاطعُ الرحم ^(٣) ، ومُصدِّقُ بالسحر ^(٤) ، رواه أحمد وابن حبان في صحيحه .

٣٠ - باب

ما جاء في الاستسقاء بالأنواء ^(٥)

(١) قوله (قال رسول الله ﷺ ثلاثة لا يدخلون الجنة) ، هذا من لصوص الوعيد التي كره السلف تأويلها ، وقالوا أسروها كما جاءت ومن تأولها فهو على خطر من القول على الله بلا علم ، وأحسن ما يقال : إن كل عمل دون الشرك والكفر المخرج عن الملة فإنه يرجع إلى مشيئة الله فان عذبه فقد استوجب العذاب وإن غفر له فبفضله وعفوه ورحمته ، قاله في فتح المجيد . وكان المصنف رحمه الله يميل إلى هذا قاله في الشرح

(٢) قوله (مدمن الخمر) أى المداوم على شربها

(٣) قوله (وقاطع الرحم) يعنى القرابة ، قال الله تعالى (فهل عسىتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم) الآية

(٤) قوله (ومصدق بالسحر) أى مطلقا ومنه التنجيم لحديث « من اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد » وهذا وجه مطابقة الحديث للترجمة قال الذهبي في الكبائر : ويدخل فيه تعلم السيمياء وعملها انتهى . وفيه الوعيد فيمن صدق بشيء من السحر ولو عرف أنه باطل قاله المصنف رحمه الله تعالى وهذا الحديث رواه أحمد وابن حبان في صحيحه ، ورواه أيضا الطبراني والحاكم وقال صحيح ، وأقره الذهبي ، وتامه « ومن مات وهو مدمن الخمر سقاه الله من نهر الغوطة » نهر يجرى من فروج المومسات يؤذى أهل النار ريح فروجهن

(٥) قوله (باب ما جاء في الاستسقاء بالأنواء) أى من الوعيد ، والاستسقاء نسبة بجى المطر إلى الأنواء جمع نوء وهى منازل القمر الثمانية والعشرون منزلة =

وقول الله تعالى ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾

== ينزل القمر كل ليلة منها منزلة كما قال تعالى ﴿ والقمر قد راناه منازل ﴾ يسقط في المغرب كل ثلاث عشرة ليلة منها منزلة مع طلوع الفجر وتطلع أخرى مقابلتها في ذلك الوقت من المشرق ، ما خلا الجهة فإن لها أربعة عشر يوما فتتقضى جميعها مع انقضاء السنة ، قال شمر : وهى بالعريية فيما أخبرنى به ابن الأعرابي : الشيطان والبطين والنجم والديبران والحقعة والهنعة والذراع والنثرة والطرف والجهة والحريثان والعواء والسماك والففر والزبانا والإكيل والقلب والشولة والنعام والبلدة وسعد الذابج وسعد بلع وسعد السعود وسعد الأخبية وفرغ الدلو المقدم وفرغ الدلو المؤخر والحوت ، ولا تستنقى العرب بها كلها إنما تذكر بالأنواء بعضها وهى معروفة فى أشعارهم وكلامهم انتهى ، وإنما سمي نواء لأنه إذا سقط القارب ناء الطالع أى نهض وطلع وذلك النهوض هو النوء وبعضهم يجعل النوء السقوط كأنه من الأضداد ، وقال أبو عبيد ولم يسمع فى النوء أنه سقوط إلا فى هذا الموضع ، وكانت العرب تضيف الأمطار والرياح والحر والبرد إلى الساقط منها ، وقال الأصمعى إلى الطالع منها

(١) قوله ﴿ وقول الله تعالى ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾ ﴾ روى الإمام أحمد والترمذى وحسنه وابن جرير وابن أبى حاتم والضياء فى المختارة عن على رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ ﴿ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ ﴾ يقول شكركم ﴿ أَنْكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴾ تقولون مطرنا بنوء كذا وكذا وبنجم كذا وكذا وهذا أولى ما فسرته به الآية ، روى ذلك عن على وابن عباس وقتادة والضحاك وعطاء الخراسانى وغيرهم ، وهو قول جمهور المفسرين وبه يظهر وجه استدلال المصنف رحمه الله تعالى بالآية قاله فى الشرح . وقال ابن القيم رحمه الله أى تجعلون حظكم من هذا الرزق الذى به حياتكم التكذيب به يعنى القرآن . قال الحسن تجعلون حظكم ونصيبكم من القرآن أَنْكُمْ تُكَذِّبُونَ . قال وخسر عبد لا يكون حظه من القرآن إلا التكذيب . والآية تشمل المعنيين ، قاله فى الشرح ، وقال ابن القيم : وأظهر القولين أنه قسم بمواقع هذه النجوم التى فى السماء لأن اسم النجم عند الإطلاق ينصرف إليها ، وأنه لم تجر عاداته سبحانه باستعمال النجوم فى آيات القرآن ولا فى موضع واحد من كتابه حتى تحمل عليه هذه الآية ، وفيه معرفة تفسير آية الواقعة قاله المصنف رحمه الله

عن أبي مالك الأشعري^(١) "رضي الله عنه ؛ أن رسول الله ﷺ قال
« أربع من أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونها : الفخر بالحساب^(٢) ،
والطعن في الأنس^(٣) . » اب^(٤) ،

(١) قوله (وعن أبي مالك) الحارث بن الحارث (الأشعري) الشامي صحابي
تفرد بالرواية عند أبو سلام وفي الصحابة أبو مالك الأشعري اثنان غير هذا
(أن رسول الله ﷺ قال « أربع من أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونها ») أي
ستفعلها هذه الأمة مع العلم بتحريمها أو مع الجهل بذلك مع كونها من أعمال
الجاهلية المذمومة المحرمة فيجب على كل مسلم أن يجتنبها ، والمراد بالجاهلية هنا
ما قبل المبعث ، سموا بذلك لفرط جهلهم ، وكلما خالف ما جاءت به الأنبياء
والمرسلون فهو جاهلية ، قاله في الشرح . وقال شيخ الإسلام أخبر ﷺ أن بعض
أمر الجاهلية لا يتركه الناس كلهم ذما لمن لم يتركه وهذا يقتضي أن ما كان من أمر
الجاهلية وفعلهم فهو مذموم في دين الإسلام وإلا لم يكن في إضافة هذه المنكرات
إلى الجاهلية ذم لها ، ومعلوم أن إضافتها إلى الجاهلية خرج مخرج الذم وهذا
كقوله (ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى) وذلك يقتضي المنع من مشابهم في
الجملة انتهى . ولشيخنا رحمه الله مصنف لطيف فيما خالف فيه رسول الله ﷺ
أهل الجاهلية بلغ مائة وعشرين مسألة قاله في فتح المجيد

(٢) قوله (الفخر بالحساب) أي التعاضم على الناس بالآباء وماثرهم وذلك
جبل عظيم إذ لا كرم إلا بالتقوى ، قال تعالى (إن أكرمكم عند الله أتقاكم)
ولابن داود عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا ، إن الله قد أذهب عنكم
عبية الجاهلية ونخرها بالآباء إنما هو مؤمن تقى أو فاجر شقى الناس بنو
آدم وآدم وخلق من تراب ، ليدعن رجال نخرهم بأقوام إنما هم لحم من لحم جهنم
أو ليكون أهون على الله من الجعلان التي تدفع النتن بأنفها ،

(٣) قوله (والطعن في الأنساب) أي ذمها وعيها ، ولما عير أبو ذر رجلا
بأنه قال له النبي ﷺ « أعييرته بأمة إنك امرؤ فيك جاهلية » متفق عليه فدل على
أن الطعن في الأنساب من عمل الجاهلية ، وأن الرجل مع فضله وعلمه ودينه قد =

والاستسقاء بالنجوم،^(١) ، والنياحة^(٢) . وقال « النائحة إذا لم
تُتب قبـ_____ل موتها^(٣)

= يكون فيه بعض هذه الخصال المسماة بجاهلية ويهودية ونصرانية ولا يوجب ذلك
كفره ولا فسقه قاله شيخ الإسلام رحمه الله تعالى

(١) قوله (والاستسقاء بالنجوم) أى لسبة المطر إلى النوء وهو سقوط النجم
وهذا هو الشاهد من الحديث للترجمة فإن اعتقد أن للنجم تأثيراً في نزول المطر
فهذا شرك وكفر لنسبه المطر إلى غير من أنزله وهو الله وحده ، وأما إذا قال
مطرنا بنوء كذا مع اعتقاد أن الله هو الفاعل لذلك لكن أجرى العادة بنزول
المطر عند ظهور ذلك النجم فقد صرح ابن مفلح في الفروع بتحريمه وكذلك
صاحب الإيضاح ولم يذكر أخلاقاً ، وذلك أن القائل لذلك لسب ما هو من
فعل الله الذى لا يقدر عليه غيره إلى خلق مسخر لا ينفع ولا يضر ولا قدرة له على
شئ فيكون ذلك شركاً أصغر والله أعلم

(٢) قوله (والنياحة) أى رفع الصوت بالندب على الميت وضرب الحدود
وشق الجيوب لأنها تسخط لقضاء الله وذلك ينافى الصبر الواجب ، وهى من
الكبائر لشدة الوعيد الوارد فيها . وعن الأوزاعى أن عمر بن الخطاب سمع صوت
بكاء فدخل ومعه غرة فال عليهن ضرباً حتى بلغ النائحة فضرها حتى سقط
خمارها ، وقال أضرب فإنها نائحة ولا حرمة لها لأنها لا تبكى بشجوك إنما تهريق
دموعها لاخذ دراهمكم ، وإنما تؤذى موتاكم في قبورهم وأحياءكم في دورهم ،
لأنها تنهى عن الصبر وقد أمر الله به ، وتأمر بالجزع وقد نهى الله عنه وكان
أهل الجاهلية يوصون بذلك كما قال الشاعر :

إذا مت فاعمى بما أنا أهله وشقى على الجيب يا ابنة معبد

فأما البكاء من غير نياحة وندب وشق جيب لحسن ولا ينافى الرضاء بقضاء
الله ، قاله شيخ الإسلام

(٣) قوله (وقال : النائحة إذا لم تتب قبل موتها) فيه أن التوبة تسكف الذنب
وإن عظم ، وهذا يجمع عليه في الجملة ويكفر أيضاً بالحسنات الماحية والمصائب =

تُقَامُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ مِنْ قَطْرَانٍ، وَدِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ^(١)،

رواه مسلم

ولها ^(٢) عن زيد بن خالد رضي الله عنه قال: صَلَّى لنا رسولُ الله

صَلَاةُ الصُّبْحِ بِالْحُدَيْبِيَّةِ ^(٣) عَلَى إِفْرِ ^(٤) سَمَاءَ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلِ ^(٥) ،

فلما انصرف^(٦) أقبل على الناس^(٧) فقال: «هل تَدْرُونَ^(٨) ما ذا قال

== ودعاء المسلمين بعضهم لبعض وبالشفاععة بإذن الله وعفو الله عن من شاء من
لا يشرك به شيئاً

(١) قوله (تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب) قال القرطبي : السربال واحد السراويل وهي الثياب من سراويل أهل النار ، يعني يبلطن بالقطران حتى يكون اشتعال النار في أجسادهم أعظم ورائحتهم أفتن وروى عن ابن عباس أن القطران : النحاس المذاب ، والدرع : قيص المرأة وليكون ألهم بسبب الجرب أشد . وفيه معرفة الأربع التي من أمر الجاهلية وذكر الكفر في بعضها ، وأن من الكفر ما لا يخرج من الملة ووعيد الناعثة قاله المصنف رحمه الله تعالى

(٢) قوله (ولها) أى البخارى ومسلم (عن زيد بن خالد الجهنى) صحابى مشهور ، مات سنة ثمان وستين وقيل غير ذلك وله خمس وثمانون سنة قال (صلى لنا رسول الله ﷺ) أى صلى بنا قالام بمعنى الباء . وفيه إطلاق ذلك مجازاً وإنما الصلاة لله ، قاله الجافظ ابن حجر

(۳) قوله (صلاة الصبح بالحیة) بتخفيف يائها وقد نثقل

(٤) قوله (على إثر) بكسر الهمزة وسكون الثاء على المشهور وهو ما يعقب الشيء.

(۵) قوله (سما كانت من الليل) أى مطر ، والسما يطلق على كل ما ارتفع

(۶) قوله (فلما انصرف) من صلاته إلى المأمومين كما يدل عليه

(v) قوله (أقبل على الناس) ويحتمل أنه أراد السلام

(٨) قوله (فقال هل تدرون) لفظ استفهام ومعناه التنبيه ، وفي النساء : ألم =

رَبُّكُمْ؟ قالوا: اللهُ ورسوله أعلم^(١). قال: «قال: أصبح من عبادي مؤمنٌ بي وكافرٌ، فأما من قال مُطِرنا بفضل الله ورحمته^(٢) فذلك مؤمنٌ بي^(٣) وكافرٌ بالكوكب، وأما من قال مُطِرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافرٌ بي مؤمنٌ بالكوكب^(٤)»

= تسمعوا ما قال ربكم الليلة؟، وهذا من الأحاديث القدسية. وفيه إخراج العالم للتعلم المستلة بالاستفهام عنها لقوله: أتدرون (ماذا قال ربكم) قاله المصنف

(١) قوله (قالوا: الله ورسوله أعلم) وفيه حسن الأدب للمستول إذا سئل عما لا يعلم وجب عليه أن يكل العلم إلى طاله وذلك يجب

(٢) قوله (قال أصبح من عبادي) الإضافة هنا للعموم بدليل التقسيم إلى (مؤمن وكافر)

(٣) قوله (فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته) والفضل والرحمة صفتان لله تعالى، ومذهب أهل السنة والجماعة أن ما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله من صفات الذات كالحياة والعلم وصفات الأفعال كالرحمة التي يرحم بها عبادة، كلها صفات لله قائمة بذاته ليست قائمة بغيره، فتفطن لهذا فقد غلط فيه طوائف قاله في فتح المجيد

(٤) قوله (فذلك مؤمن بي) لأنه نسب الفعل إلى فاعله والنعمة إلى المنعم بها (كافر بالكوكب)

(٥) قوله (وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب) حيث جعل للنوء تأثيراً في إنزال المطر لأنه شرك في الربوبية، والمشرك كافر. وفيه معرفة قوله أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر بسبب نزول النعمة والتفطن للإيمان في هذا الموضع والتفطن للكفر في هذا الموضع قاله المصنف رحمه الله تعالى

ولها^(١) من حديث ابن عباس معناه . وفيه : قال بعضهم لقد صدق نوء كذا وكذا ، فأنزل الله هذه الآية ﴿ فَلَا أَقْسَمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴾ إلى قوله ﴿ تَكْذِبُونَ ﴾

(١) قوله (ولها) أى البخارى ومسلم (من حديث ابن عباس معناه ، وفيه قال بعضهم لقد صدق نوء كذا وكذا) وفيه التفظن لقوله لقد صدق نوء كذا وكذا . (فأنزل الله هذه الآية ﴿ فَلَا أَقْسَمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴾ إلى قوله .) وتكملوا رزقكم أنكم تكذبون ﴿) هذا قسم من الله عز وجل يقسم بما شاء من خلقه على ما شاء ، وجواب القسم ﴿ إنه لقرآن كريم ﴾ ؛ فتكون لأكيد النفى فتقدير الكلام : ليس الأمر كما زعمتم فى القرآن أنه سحر أو كهانة بل هو قرآن كريم ومواقع النجوم ، قال ابن عباس يعنى نجوم القرآن فإنه نزل جملة من السماء العليا إلى السماء الدنيا ثم نزل مفرقا فى السنين بعد ، ثم قرأ ابن عباس هذه الآية ، ومواقعها نزولها شيئا بعد شيء ، وقال مجاهد : مواقع النجوم مطالعها ومشارقها واختاره ابن جرير

وقوله ﴿ وإنه لقسم لو تعلمون عظيم ﴾ قال ابن كثير وإن هذا القسم الذى أقسمت به لقسم عظيم لو تعلمون عظمتة لمعظم المقسم به عليه

قوله ﴿ إنه لقرآن كريم ﴾ هذا هو المقسم عليه وهو القرآن أى إنه وحى الله وتنزيله وكلامه لا كما يقول الكفار إنه سحر أو كهانة أو شعر ، والكريم الهى الكثير الخير العظيم وهو من كل شيء أحسنه وأفضله . قال الأزهري : الكريم اسم جامع لما يحمد والله تعالى كريم جميل الفعال وإنه لقرآن كريم يحمد لما فيه من الهدى والبيان والعلم والحكمة

قوله ﴿ فى كتاب مكنون ﴾ أى معظم محفوظ موقر ، قاله ابن كثير . قال ابن القيم اختلف المفسرون فى هذا فقيل : هو اللوح المحفوظ ، والصحيح أنه الكتاب الذى بأيدي الملائكة وهو المذكور فى قوله ﴿ فى صحف مكرمة مرفوعة مطهرة بأيدي سفرة كرام برره ﴾ ويدل على هذا قوله ﴿ لا يمسه إلا المطهرون ﴾ فهذا يدل على أنه بأيديهم يمسونه . وقوله ﴿ لا يمسه إلا المطهرون ﴾ =

٣١ - باب

قول الله تعالى ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ الآية^(١)

= قال ابن عباس الكتاب الذى فى السماء ، وفى رواية : (لا يمس إلا المطهرون)
يعنى الملائكة ، وقال قتادة : لا يمس عند الله إلا المطهرون فأما فى الدنيا فإنه
يمس المجوسى النجس والمنافق الرجس ، واختار هذا القول كثيرون منهم ابن القيم
ورجحه وقال ابن زيد : زعمت قريش أن هذا القرآن نزلت به الشياطين فأخبر
الله تعالى أنه لا يمس إلا المطهرون ، كما قال تعالى ﴿ وما نزلت به الشياطين
وما ينبغى لهم وما يستطيعون إنهم عن السمع لمعزولون ﴾ قال ابن كثير : هذا
قول جيد وهو لا يخرج عن القول قبله ، وقال البخارى فى صحيحه : فى الآية
لا يجد طعمه إلا من آمن به . قال ابن القيم : هذا من إشارة الآية وتنبهها وهو
أنه لا يلتذ به وبقرائه وفهمه وتدبره إلا من يشهد أنه كلام الله تسكلم به حقاً
وأنزله على رسوله وحياً . وقال آخرون لا يمس إلا المطهرون من الجنابة والحدث
ولفظ الآية خبر ، ومعناه الطلب ، والمراد بالقرآن هنا المصحف ، واحتجوا
على ذلك بما رواه مالك فى الموطأ أن الكتاب الذى كتبه رسول الله ﷺ لعمرو
ابن حزم : أن لا يمس القرآن إلا طاهر

وقوله (تنزيل من رب العالمين) قال ابن كثير هذا القرآن منزل من الله رب
العالمين وليس كما يقولون إنه سحر أو كهانة أو شعر

(١) قوله (باب قول الله تعالى ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ الآية)
يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حباً لله (الآية) لما كانت محبة الله سبحانه
هى أصل دين الإسلام فبكمالها يكمل وبنقصها ينقص توحيد العبد ، نبه المصنف
رحمه الله على ذلك بهذه الترجمة بالآية ، قاله فى فتح المجيد . قال ابن كثير فى الآية :
يذكر تعالى حال المشركين فى الدنيا وما لهم فى الآخرة من العذاب والنكال حيث
جعلوا لله أنداداً أى أمثالا ونظراء يحبونهم كحب الله ، أى يساؤونهم بالله فى
المحبة والتعظيم انتهى . وهذا اختيار شيخ الإسلام فى الآية ، ثم بين تعالى أن محبة =

== المؤمنين لله أشد من حبة أصحاب الانداد لاندادهم وإنما ذموا بأن شركوا بين الله وبين أندادهم في المحبة ولم يخلصوها كحبة المؤمنين له كما أخبر الله عنهم وهم في النار ، وأنهم يقولون لآلهم وأندادهم وهي محضرة معهم في العذاب ﴿ قاله إن كنا لفي ضلال مبين إذ نسويكم برب العالمين ﴾ ، ومعلوم أنهم ما سويهم به في الخلق والربوبية ، وإنما سويهم به في المحبة والتعظيم . وقال تعالى ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ﴾ ، وهذه تسمى آية المحبة ، قال بعض السلف : ادعى قوم حبة الله فأنزل الله تعالى آية المحبة ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ﴾ إشارة إلى دليل المحبة وثمرتها وفائدتها ، فدليلها وعلامتها اتباع الرسول ﷺ وفائدتها وثمرتها حبة المرسل إليكم فإلم تحصل منكم المتابعة فحببتكم له غير حاصلة وحبته لكم متفية . ومن لازم حبة الله حبة أنبيائه ورسله وملائكته وكتبه والصالحين من عباده وكراهة ما يكرهه الله سبحانه ومعاداة أعدائه وموالاة أوليائه فلا تحصل كال حبة الله الواجبة إلا بكمال ذلك وإيثاره على ما تنهوا النفوس ، فمن ادعى حبة الرسول بدون متابعتة وتقديم قوله فقد كذب . وذكر أبو بكر السكتاني أن الأسباب الجالبة لحبة الله عشرة : أحدها قراءة القرآن بالتدبر والتفهم لمعانيه وما أريد به . الثاني التقرب إلى الله تعالى بالنوافل بعد الفرائض . الثالث دوام ذكره على كل حال باللسان والقلب والعمل والحال فنصيبه من المحبة على قدر هذا . الرابع إثبات محابه على محابك عند غلبة الهوى . الخامس مطالعة القلب لأسمائه وصفاته ومشاهدتها وتقلبه في رياض هذه المعرفة وميادينها . السادس مشاهدة بره وإحسانه وذممه الظاهرة والباطنة . السابع وهو أعجبها انكسار القلب بين يديه . الثامن الخلوة وقت النزول الإلهي وتلاوة كتابه ثم ختم ذلك بالاستغفار والتوبة . التاسع بحالة المحبين الصادقين والتقاط أطيب ثمرات كلامهم ولا تتكلم إلا إذا ترجعت مصلحة الكلام وعلت أن فيه مزيداً لحالك ومنفعة لغيرك . العاشر مباعدة كل سبب يحول بين القلب وبين الله عز وجل ، فن هذه الأسباب العشرة وصل المحبون إلى منازل المحبة ودخلوا على الحبيب . وفيه معرفة تفسير آية البقرة وأن من اتخذ نداء تساوى محبته حبة الله فهو الشرك الأكبر ، وإن من المشركين من يحب الله حباً شديداً ، قاله المصنف رحمه الله تعالى

وقوله ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ - إِلَى قَوْلِهِ - أَحَبُّ إِلَيْكُمْ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ^(١) ﴾ الآية .

عن أنس ^(٢) ، أن رسول الله ﷺ قال « لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ » أخرجه

(١) قوله : وقول الله تعالى ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبُّ إِلَيْكُمْ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ . قال ابن كثير : أى إن كانت هذه الأشياء أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا أى انتظروا ما ذا يحل بكم من عقابه ، روى الإمام أحمد وأبو داود واللفظ له من حديث عبد الرحمن السلمي عن عطاء الخراساني عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : إذا تبايعتم بالعينة وأخذتم أذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه عنكم حتى تراجعوا دينكم . وفيه معرفة تفسير آية براءة والوعيد على من كانت الثمانية أحب إليه من دينه ، قاله المصنف رحمه الله تعالى

(٢) قوله (وعن أنس رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ، أخرجه البخارى ومسلم

وقوله (لَا يُؤْمِنُ) أى لا يكون آتياً بالإيمان الواجب عليه ، فدل على أن من لم يكن الرسول أحب إليه من ولده ووالده بل ومن نفسه فهو من أصحاب الكبرائر إن لم يكن كافراً . قال شيخ الإسلام فإنه لا يعمد فى اسم مسمى أمر الله به ورسوله إلا إذا ترك بعض واجباته ، فإذا كان الفعل مستحباً فى العبادة لم ينتفها لا انتفاء المستحب ولو صلح هذا النقي عن جمهور المؤمنين اسم الإيمان والصلاة ونحو ذلك وهذا لا يقوله عاقل ، فمن قال إنه نقي السكال فإن أراد المستحب فهذا لم يقع قط فى كلام الله ورسوله ، انتهى ما نخصا . وفيه أن الأعمال من الإيمان لأن المحبة عمل القلب وأن محبة الرسول ﷺ واجبة تابعة لمحبة الله لازماً لها =

ولهما^(١) عنه قال: قال رسول الله ﷺ «ثلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَوةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا اللَّهَ، وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ

== فأنها محبة لله ولاجله تزيد بزيادة محبة الله في قلب المؤمن وتنقص بنقصها . وفيه وجوب تقديم محبته ﷺ على النفس والأهل والمال وأن نفى الإيمان لا يدل على الخروج من الإسلام ، قاله المصنف رحمه الله . قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى : وعامة الناس إذا أسلموا بعد كفر وولدوا على الإسلام والتزموا شرائعه وكانوا من أهل الطاعة لله ورسوله فهم مسلمون ومعهم إيمان بجمل لكن دخول حقيقة الإيمان إلى قلوبهم يحصل شيئا فشيئا إن أعطاهم الله ذلك وإلا فكثير من الناس لا يصلون إلى اليقين ولا إلى الجهاد ولو شككوا لشكوا ولو أمروا بالجهاد لما جاهدوا إذ ليس عندهم من علم اليقين ما يدرأ الريب ولا عندهم من قوة الحب لله ورسوله ما يقدمونه على الأهل والمال فهو لاء إن عوفوا من المحنة وماتوا دخلوا الجنة ، وإن ابتلوا بمن يدخل عليهم شبهات توجب ريبة فإن لم ينعم الله عليهم بما يزيل الريب وإلا صاروا مرتابين وانتقلوا إلى نوع من التفات انتهى

(١) قوله (ولهما) أى البخارى ومسلم (عن ألس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما) ثنى الضمير لتلازم المحبتين (وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار ،) قال شيخ الإسلام : أخبر ﷺ أن هذه الثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان فحلاوة الإيمان المنضمنة للذة والفرح تتبع كمال محبة العبد لله وذلك بثلاثة أمور تكميل هذه المحبة وتقريبها ودفع ضدها فتكميلها أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما فإن محبة الله ورسوله لا يكتفى فيها بأصل الحب ، بل لابد أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وتقريبها : أن يحب المرء لا يحبه إلا الله ، ودفع ضدها : أن يكره ضد الإيمان كما يكره أن يقذف في النار انتهى . ويجب معرفة الفرق بين المحبة لله والمحبة مع الله فنأحب ==

أَتَقَدَّهَ اللَّهُ مِنْهُ كَمَا يَكُونُ أَنْ يُقَدَّفَ فِي النَّارِ ، وَفِي رَوَايَةٍ « لَا يَجِدُ أَحَدٌ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ حَتَّى » إِلَى آخِرِهِ ^(١)

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ^(٢) قَالَ : مَنْ أَحَبَّ فِي اللَّهِ ، وَأَبْغَضَ فِي اللَّهِ ، وَوَالَى فِي اللَّهِ وَعَادَى فِي اللَّهِ ، فَإِنَّمَا تَنَالُ وَلَايَةَ اللَّهِ بِذَلِكَ ، وَلَنْ يَجِدَ

== مخلوقا كما يحب الله فقد جعله نداء الله وهذه المحبة تضره ولا تنفعه ، وأما من كان الله أحب إليه مما سواه وأحب أنبيائه وعباده الصالحين له فحبه لله هو أنفع الأشياء والفرق بين هذين من أعظم الأمور . قال يحيى بن معاذ : حقيقة الحب في الله أن لا يزيد بالبر ولا ينقص بالجفاء

(١) قَوْلُهُ (وَفِي رَوَايَةٍ لَا يَجِدُ أَحَدٌ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ حَتَّى ، إِلَى آخِرِهِ) هَذِهِ الرِّوَايَةُ ذَكَرَهَا الْبُخَارِيُّ فِي الْأَدَبِ الْمَفْرُودِ مِنْ صَحِيحِهِ وَلَفْظُهُ لَا يَجِدُ أَحَدٌ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ قَالَ النَّوَوِيُّ مَعْنَى حَلَاوَةِ الْإِيمَانِ اسْتِلْذَاذُ الطَّاعَاتِ وَتَحَمُّلُ الْمَشَاقِّ وَإِثَارُ ذَلِكَ عَلَى أَغْرَاضِ الدُّنْيَا . وَفِيهِ أَنْ لِلْإِيمَانِ حَلَاوَةً قَدْ يَجِدُهَا الْإِنْسَانُ وَقَدْ لَا يَجِدُهَا ، قَالَ الْمَصْنِفُ رَحِمَهُ اللَّهُ

(٢) قَوْلُهُ (وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ مَنْ أَحَبَّ فِي اللَّهِ وَأَبْغَضَ فِي اللَّهِ وَوَالَى فِي اللَّهِ وَعَادَى فِي اللَّهِ فَإِنَّمَا تَنَالُ وَلَايَةَ اللَّهِ بِذَلِكَ وَلَنْ يَجِدَ عَبْدٌ طَعْمَ الْإِيمَانِ وَإِنْ كَثُرَتْ صَلَاتُهُ وَصَوْمُهُ حَتَّى يَكُونَ كَذَلِكَ ، وَقَدْ صَارَتْ عَامَةً مَوْاخَاةَ النَّاسِ عَلَى أَمْرِ الدُّنْيَا وَذَلِكَ لَا يَجِدُ عَلَى أَهْلِهِ شَيْئًا رَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ . وَأَخْرَجَ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ الْجُمْلَةَ الْأُولَى مِنْهُ فَقَطَّ

قَوْلُهُ (مَنْ أَحَبَّ فِي اللَّهِ) أَيُّ أَحَبَّ أَهْلَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَطَاعَتِهِ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ

قَوْلُهُ (وَأَبْغَضَ فِي اللَّهِ) أَيُّ أَبْغَضَ مِنْ كَفَرٍ بِاللَّهِ وَأَشْرَكَ بِهِ وَفَسَقَ عَنْ طَاعَتِهِ وَإِنْ كَانَ أَقْرَبَ قَرِيبَ إِلَيْهِ
قَوْلُهُ (وَوَالَى فِي اللَّهِ) أَيُّ وَالَى أَوْلِيَاءَهُ .

قَوْلُهُ (وَعَادَى فِي اللَّهِ) أَيُّ عَادَى أَهْلَ مَعْصِيَتِهِ وَإِنْ كَانَ أَقْرَبَ قَرِيبًا ، =

عبد طعم الإيمان - وإن كثرت صلاته وصومته - حتى يكون -
كذلك ، وقد صارت عامة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا ، وذلك
لا يُجدي على أهـ له شيئاً

= وجاهد أعداءه ونصر أنصاره ، وكلما قويت محبة العبد لله في قلبه قويت هذه
الاعمال المترتبة عليها وبكاملها يكمل توحيد العبد ، ويكون ضعفها على قدر ضعف
محبة العبد لله ، فستقل ومستكثر وعزوم

قوله (فإنما تنال ولاية الله بذلك) أى توليه لعبده . ولاية بفتح الواو
لا غير الاخوة والنصرة والمحبة ، وبالسكسر الإمارة والمراد هنا الاول قاله في
فتح المجيد ، ولحبة الله شروط ذكرها العلامة ابن القيم في قوله :

شرط المحبة أن توافق من تحب على محبته بلا منكرات
فاذا ادعيت المحبة مع خلا فك ما يجب فأنت ذو بهتان
أتحب أعداء الحبيب وتدعى حبا له ما ذاك في إمكان
وكذا تعادى جاهدا أحبابه أين المحبة يا أبا الشيطان

قوله (ولين يجد عبد طعم الإيمان وإن كثرت صلاته وصومه حتى يكون
كذلك) أى حتى يحب في الله ويبنض في الله ويوالى في الله ويعادى في الله .
ولاحد والطبراني عن النبي ﷺ قال : لا يجد العبد صريح الإيمان حتى يحب في
الله ويبنض في الله فإذا أحب في الله وأبنض في الله فقد استحق الولاية ،
وفي حديث أبي أمامة مرفوعاً : من أحب لله وأبنض لله وعادى لله وأعطى لله
ومنعه لله فقد استكمل الإيمان ، رواه أبو داود . وفيه معرفة أعمال القلب الأربع
التي لا تنال ولاية الله إلا بها ولا يجد أحد طعم الإيمان إلا بها ، قاله المصنف
رحمه الله تعالى

قوله (وقد صارت عامة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا) هذا في زمن ابن
عباس رضى الله عنهما ، فكيف لو رأى مؤاخاة أهل زماننا على الكفر والفسوق
والعصيان

قوله (وذلك لا يجدي على أهله شيئاً) يعنى أنه إذا ضعف داعى الإيمان =

رواه ابن جرير . وقال ابن عباس في قوله ﴿ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمْ ﴾
الأسباب قال : المودة

== أحب دنياه وإبشار ما يهواه على ما يحبه الله ورسوله وذلك غير نافع لهم بل
يضر في العاجل والآجل ، فافقه المستعان . وفيه فهم الصحابي للواقع أن عامة
المؤاخاة على أمر الدنيا ، قاله المصنف رحمه الله تعالى

قوله (وقال ابن عباس في قوله تعالى ﴿ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴾ قال
المودة) هذا الأثر رواه عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم
والحاكم وصححه

وقوله (المودة) أى التى كانت بينهم فى الدنيا خاتمتهم أخرج ما كانوا إليها
كما قال تعالى ﴿ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَبِلَعْنٍ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمُ مِنْ
نَاصِرِينَ ﴾ وقال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى : فى قوله ﴿ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا
وَرَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴾ الآيتين فقولاء المتبوعين كانوا على
الهدى وأتباعهم ادعوا أنهم على طريقتهم ومنهجهم ، وهم مخالفون لهم سالكون
غير طريقهم ويزعمون أن محبتهم لهم تنفعهم مع مخالفتهم فيتبرؤون منهم يوم
القيامة فإنهم اتخذوهم أولياء من دون الله وهذا حال كل من اتخذ من دون الله
وليعة وأولياء يوالى لهم ويعادى لهم ويرضى لهم ويغضب لهم ، فإن أعماله كلها
باطلة يراها يوم القيامة حشرات عليه إذ لم يجرد موالاته ومعاداته وحبه وبغضه
واتصاره وإيثاره لله ورسوله ، فأبطل الله عز وجل ذلك العمل كله وقطع
تلك الأسباب ولا يبقى إلا السبب الواصل بين العبد وربّه ، وتجريده عبادته لله
وحده ولوازمها من الحب والبغض والعطاء والمنع والموالات والمعاداة وتجريد
متابعة رسوله وتجريدا بريئا من شوائب الالتفات إلى غيره فضلا عن تقديم قول
غيره عليه ، فهذا السبب الذى لا ينقطع بصاحبه ، انتهى ملخصا . وفيه معرفة
تفسير ﴿ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴾ قاله المصنف رحمه الله تعالى .

٣٢ - باب

قول الله تعالى ﴿ إِنَّمَا ذُلُّ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ ، فَلَا تَخَافُوهُمَّ وَالْخَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ^(١) ﴾

(١) قوله (باب قول الله تعالى ﴿ إِنَّمَا ذُلُّ الشَّيْطَانِ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمَّ وَالْخَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾) وهذا نهى من الله تعالى للمؤمنين أن يخافوا غيره وأمر لهم أن يقصروا خوفهم عليه فلا يخافون إلا إياه وهذا هو الإخلاص الذي أمر الله به عباده ورضيه منهم فالخوف من أفضل مقامات الدين وأجلها . وأجمع أنواع العبادة التي يجب إخلاصها لله تعالى . قال ابن القيم رحمه الله تعالى : ومن كيد عدو الله أنه يخوف المؤمنين من جنده وأوليائه لئلا يجاهدوهم ولا يأمرهم بمعروف ولا ينههم عن منكر ونهايا أن يخافهم ، قال : والمعنى عند جميع المفسرين : يخوفهم بأوليائه ، قال قتادة يعظمهم في صدوركم فكلما قوى إيمان العبد زال خوف أوليائه الشيطان من قلبه وكلما ضعف إيمانه قوى خوفه منهم ، فذلك الآية على أن إخلاص الخوف من كل شروط الإيمان . وقال أيضا : الخوف عبودية القلب فلا يصلح إلا لله كالذل والإقامة والمحبة والتوكل والرجاء وغيرها من عبودية القلب . والخوف من حيث هو ثلاثة أقسام : أحدها خوف السر ، وهو أن يخاف من وثن أو طاغوت أن يصيبه بما يكره ، كما قال تعالى عن قوم هود ﴿ إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءِ ﴾ الآية ، وقال تعالى ﴿ وَيَخُوفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ﴾ فعباد القبور ونحوها من الاوثان يخافونها ويخوفون بها أهل التوحيد إذا أنكروا عبادتها وهذا ينافي التوحيد . الثاني أن يترك الإنسان ما يجب عليه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خوفا من بعض الناس ، وهذا محرم وهو نوع شرك بالله ينافي كمال التوحيد ، وفي الحديث يقول الله تعالى للعبد يوم القيامة : ما منعك إذ رأيت المنكر أن لا تنفريه ؟ فيقول : يا رب خشية الناس . فيقول : إياي كنت أحق أن تخشى ، الثالث الخوف الطبيعي بالخوف من عدو أو سبع فهذا لا يذم ، قال تعالى عن موسى ﴿ إِنْ أَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴾ وفيه معرفة تفسير آية آل =

وقوله : ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنِ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ ﴾ (١) الآية .

وقوله ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ ﴾ (٢) الآية

= عمران ، وأن إخلاص الخوف لله من الفرائض ، وذكر ثواب من فعله وذكر عقاب من تركه قاله المصنف رحمه الله تعالى

(١) قوله (وقول الله تعالى ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنِ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ ﴾) أخبر تعالى أن مساجد الله لا يعمرها بالطاعة والعمل الصالح إلا أهل الإيمان بالله واليوم الآخر ، الذين آمنوا بقلوبهم وعملوا بموارحهم وأخلصوا له الخشية دون ما سواه فأثبت لهم عمارة المساجد بعد أن نفاهما عن المشركين

قوله (ولم يخش إلا الله) وهذا هو الشاهد من الآية للترجمة . قال ابن عطية يريد خشية التعظيم والعبادة والطاعة ولا محالة أن الإنسان يخشى المحاذير الدنيوية وينبغي أن يخشى في ذلك كله قضاء الله وتصريفه . قال في قرة العيون لأن النفع والضرر إنما يكون بمشيئته فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن

وقوله (فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين) قال ابن أبي طلحة عن ابن عباس يقول إن أولئك هم المهتدون وكل عسى في القرآن ففى واجبه ، وقال محمد ابن إسحق : وعسى من الله حق . وفيه معرفة تفسير آية براءة ، قاله المصنف رحمه الله

(٢) قوله (ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ . الآية) قال ابن القيم رحمه الله تعالى : أخبر تعالى عن حال الداخل في الإيمان بلا بصيرة أنه إذا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ وَهُوَ أَذَاهُمْ أو نيلهم له بالمسكروه وهو الألم الذى لا بد أن ينال الرسل وأتباعهم عن خالفهم ، جعل ذلك في الفرار منه وتركه السبب الذى يناله به كعذاب الله الذى =

عن أبي سعيد رضى الله عنه مرفوعاً^(١) « إن من ضُغف اليقين
أن تُرضى النَّاسَ بِسَخَطِ الله ،

= فر منه المؤمنون بالإيمان ، فالمؤمنون لكمال بصيرتهم فروا من ألم عذاب الله إلى الإيمان وتحملوا ما فيه من الألم الزائل المفارق عن قريب ، وهذا لضعف بصيرته فر من ألم أعداء الرسل إلى موافقتهم ومتابعتهم ففر من ألم عذابهم إلى ألم عذاب الله وغبن كل الغبن إذ استجار من الرمضاء بالنار وفر من ألم ساعة إلى ألم الأبد ، وإذا نصر الله جنده وأوليائه قال : إني كنت معكم والله أعلم بما الطوى عليه صدره من النفاق انتهى وإنما حمل ضعيف البصيرة على أن جعل فتنة الناس كعذاب الله الخوف منهم أن ينالوه بما يكره وذلك من جملة الخوف من غير الله . وهذا وجه مطابقة الآية للترجمة قاله في الشرح . وفيه معرفة تفسير آية العنكبوت . قاله المصنف رحمه الله تعالى . وفيه الخوف من مدهانة الخلق في الحق والمعصوم من عصمه الله . قاله في فتح المجيد

(١) قوله (وعن أبي سعيد رضى الله عنه مرفوعاً : « إن من ضُغف اليقين أن ترضى الناس بسخط الله وأن نحمدهم على رزق الله وأن نذمهم على ما لم يؤتوا الله إن رزق الله لا يجره حرص حريص ولا يرده كراهية كاره ،) هذا الحديث رواه أبو نعيم في الحلية والبيهقي وأعله بمحمد بن مروان السدي . وقال ضعيف . وفيه أيضاً عطية العوفي ذكره الذهبي في الضعفاء والمتروكين ، ومعنى الحديث صحيح وتامه ، وأن الله بحكمته جعل الروح والفرح في الرضى واليقين ، وجعل الحزن والحزن في الشك والسخط ،

قوله (إن من ضُغف اليقين) الضعف بالضم ويحرك ضد القوة والضعف بالفتح في الردى وبالضم في البدن واليقين كال الإيمان . قال ابن مسعود اليقين الإيمان كله والصبر نصف الإيمان ، رواه أبو نعيم في الحلية والبيهقي في الزهد من حديثه مرفوعاً

قوله (أن ترضى الناس بسخط الله) أن تؤثر رضاهم على رضى الله وذلك إذا لم يقم بقلبه من إعظام الله وإجلاله وهيبته ما يمنعه من استجلاب رضى =

وَأَنْ تَحْمَدَهُمْ عَلَى رِزْقِ اللَّهِ ، وَأَنْ تَذُمَّهُمْ عَلَى مَا لَمْ يُؤْتِكَ اللَّهُ . إِنَّ رِزْقَ اللَّهِ لَا يَجْرُهُ حَرِصٌ حَرِيصٌ ، وَلَا يَرُدُّهُ كَرَاهِيَةٌ كَارِهَةٌ

== المخلوق بما يجلب له سخط خالقه وربّه ومليكه الذى يتصرف فى القلوب ويفرج الكروب ويففر الذنوب ، وبهذا الاعتبار يدخل فى نوع من الشرك ، لأنه أثر رضى المخلوق على رضى الله وتقرب إليه بما يسخط الله ولا يسلم من ذلك إلا من سلمه الله ووقفه لمعرفته ومعرفة لإثبات صفاته على ما يليق بجلاله ، وتنزيهه تعالى عن كل ما ينافى كماله ، ومعرفة توحيدّه فى ربوبيته وإلاهيته ، قاله فى فتح المجيد . وقال ابن رجب رحمه الله تعالى : فمن تحقق أن كل مخلوق فوق التراب فهو تراب فكيف يقدم طاعة من هو تراب على طاعة رب الارباب ؟ أو كيف يرضى التراب بسخط الملك الوهاب ؟ إن هذا لشئ عجاب

قوله (وأن تحمدهم على رزق الله) أى على ما وصل إليك من أيديهم بأن تضيفه إليهم وتحمدهم عليه ، والله تعالى هو الذى كتبه لك ويسره لك فإذا أراد أمراً قيس له أسباباً ، ولا ينافى هذا حديث : من لا يشكر الناس لا يشكر الله ، ليكون الله ساقه على أيديهم فتدعو لهم أو تكافئهم لحديث : من صنع إليكم معروفا فكافئوه ، الحديث

قوله (وأن تذممهم على ما لم يؤتكم الله) لأنه لم يقدر لك ما طلبته على أيديهم ، فلو قدر ساقه إليك ، فمن علم أن الله سبحانه هو المنفرد بالعطاء والمنع بمشيئته وإرادته وأنه الذى يرزق العبد بسبب وبلا سبب ومن حيث لا يحسب لم يسأل حاجته إلا منه وحده ولم يمدح مخلوقاً على رزق ولم يذمه على منع ويفوض أمره إلى الله ويعتمد عليه فى أمر دينه ودنياه ، ولعل ما منع من ذلك يكون خيراً له ويحسن الظن بالله سبحانه ولا يرغب إلا إليه ولا يخاف إلا من ذنبه ، وقد قرر النبي ﷺ هذا المعنى بقوله : إن رزق الله لا يجره حرص حريص ولا يردّه كراهية كاره ، كما قال تعالى ﴿ ما يفتح الله للناس من رحمته فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده ﴾ . قال شيخ الإسلام : اليقين يتضمن اليقين فى القيام بأمر الله وما وعد أهل طاعته ، ويتضمن القيام بقدر الله وخلقه وتدبيره فإذا أَرْضِيَتْهُمْ بسخط الله لم تكن موقناً لا بوعده ولا برزقه ==

وعن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : « مَنْ
الْتَمَسَ رِضَى اللَّهِ بِسَخَطِ النَّاسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَى عَنْهُ النَّاسُ ،
وَمَنْ الْتَمَسَ رِضَى النَّاسِ بِسَخَطِ اللَّهِ سَخَطَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَسْخَطَ عَلَيْهِ
النَّاسَ » رواه ابن حبان في صحيحه ^(١)

= فإنه إنما يحمل الإنسان على ذلك إما ميل إلى ما في أيديهم فيترك القيام بهم بأمر
الله لما يجره منهم ، وإما ضعف تصديقه بما وعد الله أهل طاعته من النصر
والتأييد والثواب في الدنيا والآخرة فإنك إذا أرضيت الله لصرك ورزقك
وكتفاك مؤتاهم وإرضائهم بما يسخط الله إنما يكون خوفا منهم ورجاء لهم وذلك
من ضعف اليقين ، انتهى . وهذا هو الشاهد من الحديث للترجمة . وفيه أن اليقين
يضعف ويقوى ، وعلامة ضعفه ومن ذلك هذه الثلاث . قاله المصنف رحمه الله
تعالى . وفيه أن الإيمان يزيد وينقص ، وأن الأعمال داخلة في مسمى الإيمان ،
وإلا لم تكن هذه الثلاث من ضعفه وأضدادها من قوته ، قاله في الشرح

(١) قوله (وعن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : من الْتَمَسَ
رضا الله بسخط الناس رضى الله عنه وأرضى عنه الناس ومن الْتَمَسَ رضا الناس
بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس ، رواه ابن حبان في صحيحه) .
ورواه الترمذى عن زجل من أهل المدينة قال : كتب معاوية رضى الله عنه إلى
عائشة رضى الله عنها أن اكتبى لى كتابا توصينى فيه ولا تكثرى على فسكرت
عائشة رضى الله عنها إلى معاوية و سلام عليك ، أما بعد فإنى سمعت رسول الله
ﷺ يقول : من الْتَمَسَ رضا الله بسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس ، ومن
الْتَمَسَ رضا الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس ، والسلام عليك ، ورواه أبو
نعيم في الحلية

قوله (من الْتَمَسَ) أى طلب ، قال شيخ الإسلام : وكرت عائشة رضى الله
عنها إلى معاوية ، وروى أنها رفعتة . من أرضى الله بسخط الناس كفاه الله
مؤنة الناس ، ومن أرضى الناس بسخط الله لم يغفوا عنه من الله شيئا ، هذا
لفظ المرفوع ، ولفظ الموقوف . من أرضى الله بسخط الناس رضى الله عنه =

٣٣ - باب

قول الله تعالى ﴿وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين﴾

= وأرضى عنه الناس ، ومن أرضى الناس بسخط الله عاد حامده من الناس له ذاما . . وهذا من أعظم الفقه في الدين . فإن من أرضى الله بسخطهم كان قد اتقاه وكان عبده الصالح والله يتولى الصالحين والله كاف عبده ، ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ، والله يكفيه مؤنة الناس بلا ريب . وأما كون الناس كلهم يرضون عنه فقد لا يحصل ذلك لكن يرضون عنه إذا سلوا من الأغراض ، وإذا تبين لهم العاقبة ، ومن أرضى الناس بسخط الله لم يفتروا عنه من الله شيئا ، كالظالم الذي يعض على يديه . وأما كون حامده ينقلب ذاما فهذا يقع كثيرا ويحصل في العاقبة فإن العاقبة للتقين لا تحصل ابتداء . انتهى

(١) قوله (باب قول الله تعالى ﴿وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين﴾) .
أراد المصنف رحمه الله بالترجمة بهذه الآية بيان أن التوكل فريضة يجب إخلاصها لله تعالى فإن تقديم المعلول يفيد الحصر ، أى : وعلى الله فتوكلوا لا على غيره ، فهو من أجمع أنواع العبادة وأعظمها . قال الإمام أحمد : التوكل عمل القلب . وقال ابن القيم في الآية المترجم بها : جعل التوكل على الله شرطا في الإيمان فدل على انتفاء الإيمان عند انتفائه . وفي الآية الأخرى ﴿ وقال موسى يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين ﴾ فجعل دليل صحة الإسلام التوكل ، وكلما قوى إيمان العبد كان توكله أقوى ، وإذا ضعف الإيمان ضعف التوكل وإذا كان التوكل ضعيفا كان دليلا على ضعف الإيمان ولا بد ، والله تعالى يجمع بين التوكل والعبادة ، وبين التوكل والإيمان ، وبين التوكل والتقوى ، وبين التوكل والإسلام ، وبين التوكل والهداية ، فظهر أن التوكل أصل لجميع مقامات الإيمان والإحسان وجميع أعمال الإسلام ، وأن منزلته منها كنزلة الجسد من الرأس . فكما لا يقوم الرأس إلا على البدن ، فكذلك لا يقوم الإيمان ومقاماته وأعماله إلا على ساق التوكل . قال شيخ الإسلام رحمه الله : وما رجا أحد مخلوقا ولا توكل عليه إلا غاب ظنه فإنه مشرك ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح في مكان سحيق ، انتهى . والتوكل على غير الله =

وقوله ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ (١)

== فسيان : أحدهما التوكل في الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله تعالى ، كالذين يتوكلون على الاموات والطواغيت في رجاء مطالبهم من نصر أو حفظ أو رزق أو شفاة ، فهذا شرك أكبر . الثاني التوكل في الأسباب الظاهرة ، كمن يتوكل على أمير أو سلطان فيما أقدره الله عليه من رزق أو دفع أذى ونحو ذلك ، فهو نوع شرك أصغر . والوكالة المجازة هي توكيل الإنسان في فعل ما يقدر عليه نيابة عنه لكن ليس له أن يعتمد في حصول ما وكل فيه بل يتوكل على الله في تيسير أمره الذي يطلبه بنفسه أو بنائيه ، وذلك من جملة الأسباب التي يجوز فعلها ولا يعتمد عليها بل يعتمد على المسبب الذي أوجد السبب والمسبب ، قاله في الشرح . وفي الآية أن التوكل من النرائض وأنه من شروط الإيمان ، قاله المصنف رحمه الله تعالى

(١) قوله (وقول الله تعالى ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾) قال البغوي : أي خافت وفرقت قلوبهم ، وقيل : إذا خوفوا بالله انقادوا خوفا من عقابه ، قال ابن عباس رضي الله عنهما في الآية أن المنافقين لا يدخل قلوبهم شيء من ذكر الله عند أداء فرائضه ولا يؤمنون بشيء من آياته ولا يتوكلون على الله ولا يصلون إذا غابوا ولا يؤدون زكاة أموالهم ، فأخبر الله أنهم ليسوا بمؤمنين ، ثم وصف المؤمنين فقال : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ فأدوا فرائضه . رواه ابن جرير وابن أبي حاتم .

وقوله (وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً) أي تصديقاً و يقيناً . وقد استدلل الصحابة والتابعون ومن تبعهم من أئمة السلف بهذه الآية ولظاها على أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص ، قال عمير بن حبيب الصحابي : إن الإيمان يزيد وينقص ، فقليل له : وما زيادته وما نقصانه ؟ قال : إذا ذكرنا الله وخشينا فذلك زيادته ، وإذا غفلنا ونسينا فذلك نقصانه . وحكي الإجماع على ذلك الشافعي وأحمد وأبو عبيدة وغيرهم

وقوله (وعلى ربهم يتوكلون) أي يعتمدون عليه بقلوبهم مفوضين إليه أمورهم وحده لا شريك له ، فلا يرجون سواه ولا يقصدون إلا إياه ولا ==

الآية . وقوله ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ ﴾ الآية (١) .

= يرغبون إلا إليه ، يعلمون أن ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، وأنه المتصرف في الملك وحده لا شريك له . وهذا هو الشاهد من الآية للترجمة . وفي الآية وصف المؤمنين حقاً بثلاث مقامات من مقامات الإحسان وهي : الخوف ، وزيادة الإيمان ، والتوكل على الله وحده

وقوله (الذين يقيمون الصلاة) قال قتادة : إقامة الصلاة المحافظة على مواقيتها ووضوئها وركوعها وسجودها وتلاوة القرآن فيها والتشهد والصلاة على النبي ﷺ فيها هذا هو إقامتها

وقوله (وبما رزقناهم ينفقون) الإنفاق بما رزقهم الله يشمل لإخراج الزكاة وسائر الحقوق للعباد من واجب ومستحب . قال قتادة في قوله ﴿ وبما رزقناهم ينفقون ﴾ ، فانفقوا بما أعطاكم الله فإنما هذه الأموال عوار وودائع عندك يا ابن آدم أو شككت أن تفارقها . وهذه الأعمال الخمسة مستلزمة لباقي الواجبات فلذا اقتصر عليها . وفيه معرفة تفسير آية الأنفال ، قاله المصنف رحمه الله تعالى

(١) وقوله ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ ﴾ ومن اتبعك من المؤمنين (أى كافيك وكافى أتباعك ، وهذا اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى . قال ابن القيم رحمه الله : أى الله وحده كافيك وكافى أتباعك فلا تحتاجون معه إلى أحد فإن الحسب والكفاية لله وحده كالتوكل والتقوى والعبادة ، قال تعالى ﴿ وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين ﴾ ففرق بين الحسب والتأييد فجعل الحسب له وحده وجعل التأييد له بنصره وبعباده ، وأثنى على أهل التوحيد من عباده حيث أفردوه بالحسب فقال تعالى ﴿ الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ولنعم الوكيل ﴾ ولم يقولوا حسبنا الله ورسوله ، فإذا كان هذا قولهم ومدح الرب تعالى لهم فكيف يقول لرسول الله وأتباعك حسبك ، وأتباعه قد أفردوا الرب تعالى بالحسب ولم يشركوا إيمته وبين رسوله ، فكيف يشرك بينه وبينهم في حسب =

﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾

عن ابن عباس قال : ﴿ حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴾ ^(١) قالها

= رسوله ﷺ هذا من أحل المحال وأبطل الباطل انتهى ، وبهذا يتبين مطابقة الآية للترجمة ، فإذا كان هو الكافي لعبده وجب أن لا يتوكل إلا عليه ومتى التفت إلى سواء وكله الله إلى من التفت إليه . وفيه معرفة تفسير آية آخر الانفال ، قاله المصنف رحمه الله تعالى

وقوله (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) قال ابن القيم رحمه الله تعالى : ﴿ فهو حسبه ﴾ أى كافيهِ وواقية فلا مَطْمَع فيه لعدو ، ولا يضره إلا أذى لا بد منه كالحر والبرد والجوع والمطش ، وأما أن يضره بما يبلغ به مراده فهذا لا يكون أبداً ، قال بعض السلف : جعل الله لكل عمل جزاء من نفسه وجعل جزاء التوكل عليه نفس كفايته ، فقال ﴿ ومن يتوكل على الله فهو حسبه ﴾ أى كافيهِ ، فلم يقل فله كذا وكذا من الأجر كما قال في الأعمال بل جعل الله سبحانه نفسه كافي عبده المتوكل عليه وحسبه وواقية ، فلو توكل العبد على الله حق توكله وكادته السموات والأرض ومن فيهن لجعل الله له مخرجا وكفاه ونصره . انتهى . وفي الآية دليل على فضل التوكل وأنه أعظم الأسباب في جلب المنافع ودفع المضار لأن الله تعالى علق الجملة الأخيرة على الأولى تعليق الجزاء على الشرط فيمتنع أن يكون وجود الشرط كعدمه لأنه تعالى رتب الحكم على الوصف المناسب له فعلم أن توكله هو سبب كون الله حسبا له ذكره شيخ الإسلام رحمه الله وفيها تنبيه على القيام بالأسباب مع التوكل ، فالتوكل بدون القيام بالأسباب المأمور بها عجز . وفيه معرفة تفسير آية الطلاق ، قاله المصنف رحمه الله تعالى

(١) قوله (وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : حسبنا الله ونعم الوكيل قالها ابراهيم عليه السلام حين أُلقي في النار ، وقالها محمد ﷺ حين قالوا له : ﴿ إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل ﴾ رواه البخارى والنسائى) وفي رواية ابن عباس قال : كان آخر قول ابراهيم عليه السلام حين أُلقي في النار حسبنا الله ونعم الوكيل ، رواه البخارى . قوله (حسبنا الله) أى كافيْنَا فلا نتوكل إلا عليه

إبراهيم عليه السلام حين أُلقيَ في النار ، وقالها محمد ﷺ حين قالوا له
﴿ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكَ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا ﴾ الآية . رواه
البخارى والنسائى .

وقوله (ولعم الوكيل) أى نعم الموكول إليه ، ومخصوص نعم ، محذوف
تقديره هو ، قال ابن القيم : هو حسب من توكل عليه وكفى من لجأ إليه وهو
الذى يؤمن خوف الخائف ويحير المستجير فن تولاه واستنصر به وتوكل عليه
تولاه وحفظه ، ومن خافه واتقاه أمنه عما يخاف ويحذر ، انتهى . قال شيخ
الإسلام وما يروى أن الخليل لما أُلقيَ في المنجنيق قال جبريل : سل ؟ قال : حسبي
من سؤالي عليه بحالى ، ليس له إسناد معروف وهو باطل . وقد روى أن جبريل
عليه السلام قال : هل من حاجة ؟ قال : أما إليك فلا . وقد ذكر هذا الأثر الإمام
أحمد وغيره ، وأما سؤال الخليل لربه عز وجل فهذا مذكور فى القرآن فى غير
موضع فكيف يقول : حسبي من سؤالي عليه بحالى والله بكل شئ عليم ، وقد
أمر العباد أن يعبدوه ويتوكلوا عليه ويسألوه لأن الله سبحانه جعل هذه الأمور
أسباباً لما يريد عليها من إجابة العابدين وإجابة السائلين ، وهو سبحانه يعلم
الاشياء على ما هى عليه فعلمه بأن هذا محتاج وهذا مذنب لا ينافى أن يأمر هذا
بالتوبة والاستغفار ويأمر هذا بالدعاء ، وغيره من الأسباب التى تقضى بها حاجته
كما يأمر هذا بالعبادة والطاعة التى ينال بها كرامته . انتهى

قوله (وقالها محمد ﷺ حين قالوا له) (إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكَ فَاخْشَوْهُمْ) .
الآية) وذلك بعد منصرف قريش من أحد ، لقي أبو سفيان ركباً من عبد القيس
فقال : أين تريدون ؟ قالوا نريد المدينة . قال : فهل أنتم مبلغون بمحمد أئى رسالة
قالوا : نعم . قال : أخبروه أنا قد أجمعنا السير إليه وإلى أصحابه لنستأصلهم ، فر
الركب برسول الله ﷺ وهو بحمراء الاسد فأخبروه بالذى قال أبو سفيان ،
فقال : حسبنا الله ونعم الوكيل ، أى نعم من توكل عليه المتوكلون . ومخصوص
نعم محذوف تقديره نعم الوكيل الله ، قاله فى قره العيون ، فأتى الله الرعب فى
== قلب أبى سفيان فرجع إلى مكة بمن معه ، فى هاتين القصتين فضل هذه الكلمة ==

٣٤ - باب

قول الله تعالى ﴿ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴾^(١)

== العظيمة ، وأنها قول الخليلين عليهما السلام في الشدائد قاله المصنف رحمه الله تعالى وجاء في الحديث ، وإذا وقعت في الأمر العظيم فقولوا حسبنا الله ولعمركم ، رواه ابن مردويه

(١) قوله (باب قول الله تعالى ﴿ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴾) أراد المصنف رحمه الله بالترجمة بهذه الآية أن يبين أن أهل القرى المكذبين للرسول إنما حلهم على ذلك الأمن من مكر الله بهم وعدم خوفهم منه ، فالأمن من مكر الله من أعظم الذنوب المنافية لسكمال التوحيد ، ودليل على ضعف الإيمان ، فن آمن مكر الله لم يبال بما ترك من الواجبات وما فعل من المحرمات لعدم خوفه من الله ، بل يجب على الإنسان في هذه الحياة أن يجمع بين الخوف والرجاء ، ولهذا عقب الآية التي ترجم بها بقوله : (ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون) فلا يغلب عليه الرجاء حتى يوجب له الأمن من مكر الله ولا يغلب عليه الخوف حتى يقنط من رحمة الله بل يتساوى خوفه ورجاؤه وهذا مقام الأنبياء والصديقين كما قال تعالى (ويرجون رحمته ويخافون عذابه) ولهذا يقال الخوف والرجاء بمنزلة الجناحين للطائر ، وأما عند الموت والانتقال إلى الدار الآخرة فيغلب الرجاء لما في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : يقول الله تعالى ، أنا عند ظن عبدي بي ، وأنا معه إذا ذكرني ، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملأ ، ذكرته في ملأ خير منهم ، وفي الحديث ، إذا رأيت الله يعطي العبد على معاصيه ما يجب فإنما هو استدراج ، قال تعالى (سنستدرجهم من حيث لا يعلمون) وقال تعالى : (أيحسبون أن ما نمدم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون) قال الحسن البصري : من وسع عليه فلم ير أنه يمكر به فلا رأى له ، ومن قتر عليه فلم ير أنه ينظر له فلا رأى له . وقال قتادة : بغت القوم أمر الله وما أخذ ==

وقوله : ﴿ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ^(١) ﴾

عن ابن عباس : أن رسول الله ﷺ سُئِلَ عن الكبائر فقال :
« الشُّرْكُ بالله ، واليأسُ من رَوْحِ الله ، والأمنُ من مَسْكِ الله ^(٢) » .

== الله قوماً إلا عند سلوئهم وغرثهم ولعمتهم فلا تغفروا بالله إنه لا يغفر بالله إلا القوم الفاسقون . وقال اسماعيل بن رافع : من الأمن من مكر الله إقامة العبد على الذنب يتمنى على الله المغفرة . رواه ابن أبي حاتم . وهذا هو تفسير المكر في قول بعض السلف يستدرجهم الله بالنعيم ويملي لهم ثم يأخذهم أخذ عزيز مقتدر ، وهذا هو معنى المكر والخديعة . ذكره ابن جرير بمعناه . وفيه معرفة تفسير آية الأعراف . قاله المصنف رحمه الله تعالى

(١) قوله تعالى (ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون) القنوط استبعاد الفرج واليأس منه وهو يقابل الأمن من مكر الله ، وكلا الأمرين ذنب عظيم ينافي كمال التوحيد . ومعنى الآية أن الملائكة لما بشرت إبراهيم بالحق (قال : أبشروني على أن مسنى الكبر فيم تبشرون ؟ قالوا بشرناك بالحق الذى لا ريب فيه فلا تكن من القانطين) أى الآيسين فقال عليه السلام : ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون ، ، قال بعضهم إلا المخطئون طريق الصواب أو إلا لكافرون ، كقوله (إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون)

(٢) قوله (وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ سئل عن الكبائر فقال : الشرك بالله ، واليأس من روح الله ، والأمن من مكر الله ،) هذا الحديث رواه البزار وابن أبي حاتم من طريق شبيب بن بشر ، قال ابن معين ثقة ، ولينه أبو حاتم ، وقال ابن كثير فى إسناده نظر والأشبه أن يكون موقوفاً قوله (الشرك بالله) بدأ به من باب البداء بالآم فالآم وهو أكبر الكبائر . قال ابن القيم رحمه الله تعالى : الشرك بالله هضم للربوبية وتقص للإلهية وسوء ظن برب العالمين سبحانه ، قال فى الكافية الشافية .

والشرك فاحذره فشرک ظاهر ذا القسم ليس بقابل الغفران
وهو اتخاذ الند للرحمن أيا كان من حجر ومن لسان ==

وعن ابن مسعود قال : أكبر الكبائر الإشراك بالله ، والأمن من مكر الله ، والقنوط من رحمة الله ، واليأس من روح الله .
رواه عبد الرزاق^(١)

= يدعوه أو يرجوه ثم يخافه ويحبه كحبة الديان
والله ما ساووم بالله في خلق ولا رزق ولا إحسان
لكنهم ساووم بالله في حب وتعظيم وفي إيمان
جعلوا محبتهم مع الرحمن ما جعلوا المحبة قط للرحمن
قوله (واليأس من روح الله) أى قطع الرجاء والامل من الله فيما يخافه
ويرجوه وذلك إساءة ظن بالله وجهل به وبسعة رحمته وجوده ومغفرته ، قاله
في فتح المجيد

قوله (والأمن من مكر الله) أى الامن من استدراج العبد وسلبه ما أعطاه
من الإيمان - نعوذ بالله من ذلك - وذلك جهل بالله وبقدرته وثقة بالنفس
وعجب بها قاله في الشرح . وهذه الثلاث من أكبر الكبائر وهى كثيرة جدا ،
ولأنما ذكر هذه الثلاث لجمعها للشركه وبعدها عن الخير ، وقد وقع فيها كثير من
الناس قديما وحديثا لسأل الله العافية قاله في قره العيون . واعلم أن هذا الحديث
لا يدل على حصر الكبائر وضابطها ما قاله المحققون من العلماء أنها كل ذنب
ختمه الله بنار أو لعنة أو غضب أو عذاب زاد شيخ الإسلام أو نفى الإيمان ،
وزاد في فتح المجيد : من برئ منه رسول الله ﷺ أو قال ليس منا من فعل
كذا وكذا

(١) قوله (وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال أكبر الكبائر الإشراك
بالله ، والأمن من مكر الله ، والقنوط من رحمة الله ، واليأس من روح الله ،
رواه عبد الرزاق ، قال في الشرح ورواه ابن جرير بأسانيد صحاح ، وقد تقدم
الكلام على ما جاء في حديث ابن مسعود فأغنى عن إعادته . وفيه شدة الوعيد
فيمن أمن مكر الله وشدة الوعيد في القنوط ، قاله المصنف رحمه الله

٣٥ - باب

مِنَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ الصَّبْرُ عَلَى أَقْدَارِ اللَّهِ^(١)

وقول الله تعالى ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ﴾^(٢)

(١) قوله (باب من الإيمان بالله الصبر على أقدار الله) قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى: ذكر الله الصبر في تسعين موضعاً من القرآن، واشتقاقه من صبر: إذا حبس ومنع. قال ابن القيم: الصبر حبس النفس عن الجزع، واللسان عن التشكي والتسخط، والجوارح عن لطم الحدود وشق الجيوب ونحوهما. والصبر ثلاثة أنواع: صبر على طاعة الله، وصبر عن معصية الله، وصبر على أقدار الله. زاد شيخ الإسلام نوعاً رابعاً وهو: الصبر عن الأهواء المخالفة للشرع. وقال عليه الصلاة والسلام: ما أعطى أحد عطاء خيراً وأوسع من الصبر، متفق عليه، وفي حديث آخر: الصبر نصف الإيمان، رواه أبو نعم والبیهقي في الشعب، وقال علي رضي الله عنه: الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، ثم رفع صوته فقال: ألا لا إيمان لمن لا صبر له.

(٢) قوله (وقول الله تعالى ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ﴾) وقيل: (ما أصاب من معصية إلا ياذن الله) أي بمشيئته وإرادته وحكمته، ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ﴾. قال ابن عباس: يهد قلبه لليقين فيعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه هذا تفسير الإيمان في الآية. وفي الآية بيان أن من ثواب الصبر هداية القلب. قال ابن كثير: أي من أصابته معصية فعمل أنها بقدر الله فصبر واحتسب واستسلم لقضاء الله تعالى هدى الله قلبه وعوضه عما فاته من الدنيا هدى في قلبه وبقينا صادقا، وقد يخلف عليه ما كان أخذ منه. وهذا هو الشاهد من الآية للترجمة

وقوله (والله بكل شيء عليم) تنبيه على أن ذلك إنما يصدر عن علمه تعالى المتضمن لحكمته وذلك يوجب الصبر والرضى

قال علقمة : هو الرجلُ تصيبه المصيبةُ فيعلمُ أنها من عندِ الله فيرضى ويُسلم^(١)

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة أن رسولَ الله ﷺ قال « ائتمان في الناس هما بهم كفر : الطَّعْنُ في النَّسَبِ والنياحَةُ على الميت^(٢) » .

(١) قوله (قال علقمة هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم) هذا الأثر رواه ابن جرير وابن أبي حاتم وهذا سياق ابن جرير . وعلقمة هو ابن قيس بن عبد الله النخعي الكوفي ولد في حياة النبي ﷺ وسمع من أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وسعد وابن مسعود وعائشة وغيرهم رضى الله عنهم وهو من كبار التابعين وأجلاتهم وعلماهم وثقاتهم ، مات بعد الستين . وفي هذا دليل على أن الأهمال من مسمى الإيمان ، وقال سعيد بن جبير . ومن يؤمن بالله يهد قلبه يعني يسترجع يقول إنا لله وإنا إليه راجعون . وفيه معرفة تفسير آية التغابن وأن هذا من الإيمان بالله قاله المصنف رحمه الله . وفي الآية أن الصبر سبب لهداية القلب وأن من ثواب الحسنة الحسنة بعدها وفيها لإثبات القدر قاله في الشرح

(٢) قوله (وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « ائتمان في الناس هما بهم كفر : الطعن في النسب والنياحه على الميت ») قال شيخ الإسلام : أى هاتان الخصلتان هما كفر قائم بالناس فنفس الخصلتين كفر حيث كانتا من أعمال الكفار وهما قائمتان بالناس لكن ليس من قام به شعبة من شعب الكفر بصير كافراً الكفر المطلق حتى يقوم به حقيقة الكفر كما أنه ليس من قام به شعبة من شعب الإيمان ، يصير مؤمناً بالإيمان المطلق حتى يقوم به أصل الإيمان وفرق بين الكفر المعروف باللام كما في قوله ليس بين العبد وبين الكفر أو الشرك إلا ترك الصلاة ، وبين كفر منكر في الإثبات انتهى .

قوله (الطعن في النسب) أى عيبه ويدخل فيه أن يقال هذا ليس ابن فلان مع ثبوت نسبه . وفيه أن الطعن في النسب من أمر الجاهلية ، قاله المصنف رحمه الله تعالى قوله (والنياحه على الميت) أى رفع الصوت بالندب وتعداد فضائله لما فيه من التسخيط على قدر الله المنافي للصبر ، وهذا هو الشاهد من الحديث للترجمة . =

ولهما عن ابن مسعود مرفوعاً « ليس منا من ضرب الحدود ،
وشق الجيوب ، ودعا بدعوى الجاهلية ^(١) »

== وفيه دليل على أن الصبر واجب وأن من الكفر ما لا ينقل عن الملة ، قاله في
الشرح

(١) قوله (ولهما) أى البخارى ومسلم (عن ابن مسعود رضى الله عنه
مرفوعاً أن النبي ﷺ قال : ليس منا من ضرب الحدود وشق الجيوب ودعا
بدعوى الجاهلية) ، وهذا هو الشاهد من الحديث للترجمة ، لما في هذه الأمور من
التسخط المنافي للصبر . وقد تأول بعضهم قوله : ليس منا ، أى ليس من أهل
طريقتنا ، وليس المراد إخراجه من الإسلام ، وفائدة إيراد هذا اللفظ المبالغة
في الردع عن مثل ذلك ، وروى عن سفیان الثوري والإمام أحمد وغيرهما من
أهل العلم أنهم كرهوا الخوض في تأويله ويرون أن يمسك عن ذلك ليكون أوقع
في النفوس وأبلغ في الزجر ، وقال شيخ الإسلام على حديث : من غشنا فليس
منا ، ليس المراد أنه كافر كما تأولته الخوارج ، ولا أنه ليس من خيارنا كما
تأولته المرجئة ، وليكن المضمرب مطابق المظهر ، والمظهر هم المؤمنون المستحقون
للثواب السالمون من العذاب ، والغاش ليس منا لأنه متعرض لعذاب الله
وسخطه انتهى .

قوله (من ضرب الحدود) أى : أو بقية البدن ، وإنما خص الحد لأنه
القال .

قوله (وشق الجيوب) والمراد كالفتح ، قاله الحافظ ابن حجر

قوله (ودعا بدعوى الجاهلية) قال شيخ الإسلام هو نذب الميت . وقال
ابن القيم الدعاء بدعوى الجاهلية كاللداء إلى القبائل والعصية للأنساب ومثله
التعصب للذاهب والطوائف والمشايخ ، وتفضيل بعضهم على بعض يدعو إلى
ذلك ويؤال عليه ويعادى عليه فكل هذا من دعوى الجاهلية ، وليس في هذه
الاحاديث ما يدل على النهي عن البكاء على الميت لما في الصحيح أن رسول الله
ﷺ لما مات ابنه إبراهيم قال : تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول إلا ما يرضى ==

وعن أنس أن رسول الله ﷺ قال « إذا أراد الله بعبده الخير
جَعَلَ له العقوبة في الدنيا ، وإذا أراد بعبده الشرَّ أمسك عنه بذنبه
حتى يُوافي به يومَ القيامة (١) »

والرب وإنا بك يا إبراهيم لمحزونون ، وقال شيخ الإسلام : البكاء على الميت على
وجه الرحمة حسن مستحب ولا ينافي الرضاء بقضاء الله ، بخلاف البكاء عليه
لفوات حظه منه انتهى . وفيه شدة الرعيد فيمن ضرب الحدود وشق الجيوب
ودعا بدعوى الجاهلية قال المصنف رحمه الله

(١) قوله (وعن أنس رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « إذا أراد الله
بعبده الخير جعل له العقوبة في الدنيا ، وإذا أراد بعبده الشرَّ أمسك عنه بذنبه
حتى يوافي به يوم القيامة ») هذا الحديث رواه للترمذى وحسنه والحاكم وأخرجه
الطبرانى والحاكم عن عبد الله بن مغفل ، وأخرجه ابن عدى عن أبي هريرة
والطبرانى عن عمار بن ياسر قاله في الشرح ، وقال شيخ الإسلام : رواه الرويانى
في مسنده من طريق الليث عن يزيد بن أبى حبيب عن سميد بن سنان عن
أنس انتهى

قوله (إذا أراد الله بعبده الخير جعل له العقوبة في الدنيا ، أى على ذنوبه إذا
صبر فيخرج منها وليس عليه ذنب يوافي به يوم القيامة . وهذا هو الشاهد من
الحديث للترجمة وقال شيخ الإسلام : المصائب نعمة لأنها مكفرة للذنوب ولأنها
تدعو إلى الصبر فيثاب عليها ولأنها تقتضى الإنابة إلى الله والذل فنفس البلاء
يكفر الله به الخطايا ومعلوم أن هذا من أعظم النعم ولو كان الرجل من أجر
الناس ، فلا بد أن يخفف الله عنه عذابه بمصائبه . وقال يقول الله في بعض الكتب
« أهل ذكرى أهل مشاهدتى وأهل شكرى أهل زيادتى وأهل طاعتى أهل كرامتى
وأهل معصيتى لأؤايسهم من رحمتى ، إن تابوا فأنا حبيهم وإن لم يتوبوا فأنا
طبيهم أبتليهم بالمصائب لأطهرهم من المعائب فالمصائب نعمة ورحمة في حق عموم
الخلق إلا أن يدخل صاحبها بسببها في معاص أعظم مما كان قبل ذلك فتكون شرا
عليه من جهة ما أصابه في دينه ، فإن من الناس من إذا ابتلى بفقر أو مرض أو =

وقال النبي ﷺ « إِنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ »^(١) وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِذَا

= جوع حصل له من الجزع والسخط والنفاق ومرض القلب والكفر الظاهر أو ترك الواجبات أو فعل المحرمات ما يوجب له ضرراً في دينه بحسب ذلك ، فهذا كانت العاقبة خيراً له من جهة ما أورثته المصيبة لامن جهة نفس المصيبة كما أن من أوجبت له المصيبة صبراً وطاعة كانت في حقه نعمة دينية فهي بعينها فعل الرب عز وجل رحمة للخلق والله تبارك وتعالى محمود عليها ، فمن ابتلى فرزق الصبر كان الصبر نعمة في دينه وحصل له مع ما كفر من خطايا به رحمة وحصل له بثناؤه على ربه صلاة ربه عليه ، قال تعالى ﴿ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ﴾ وحصل له غفران السيئات ورفع الدرجات انتهى ملخصاً

قوله (وإذا أراد بعبد الشر أمسك عنه) تدنيه حتى يوافي به يوم القيامة وهو بضم الياء وكسر الفاء منصوب بحق مبنى للفاعل أى لا يجازى بذنبه في الدنيا حتى يحىء يوم القيامة موفر الذنوب فيستوفي ما يستحقه من العذاب . وفيه معرفة علامة إرادة الله بعبد الخير وإرادته بعبد الشر . قاله المصنف رحمه الله تعالى . قلت : وفيه إثبات الإرادة لله عز وجل وهي نوعان : إرادة شرعية دينية وإرادة كونية قدرية فالسعيد من أراد منه تشريعاً ما أراد به تقدير ، والشقي من أراد به تقدير ما لم يرد منه تشريعاً ، قاله شيخ الإسلام رحمه الله . وفيه التنبيه على حسن الرجاء وحسن الظن بالله فيما يقضيه لك ، كما قال تعالى ﴿ وَعسى أن تسكرها شيئاً وهو خير لكم ، وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون ﴾

(١) قوله (وقال ﷺ) إِنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ ، وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَب قوماً ابتلاهم ، فمن رضى فله الرضى ومن سخط فله السخط ،) وهذا الحديث رواه الترمذى بسند الحديث الذى قبله ، ثم قال : هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه ، ورواه ابن ماجة . وروى الإمام أحمد عن محمود بن لبيد رفعه ، إذا أحب الله قوماً ابتلاهم ، فمن صبر فله الصبر ، ومن جزع فله الجزع ، قال المنذرى رواه ثقات

وقوله (إِنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ) بكسر العين وفتح الظاء فيهما =

« أَحَبُّ قَوْمًا ابْتِلَاهُمْ ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا ، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ »
حَسَنُهُ التِّرْمِذِيُّ .

= ويجوز ضمها مع سكون الظاء ، أى من كان ابتلاؤه أعظم كان جزاؤه أعظم .
وقد يحتاج بهذا الحديث من يقول إن المصائب يثاب عليها مع تكفير الخطايا ،
ورجح العلامة ابن القيم أن ثوابها تكفير الخطايا فقط إلا إذا كانت سببا لعمل
صالح كالصبر والرضى والاستغفار فإنه حينئذ يثاب على ما تولد منها

قوله (وأن الله إذا أحب قوما ابتلاهم فمن رضى فله الرضى ومن سخط فله
السخط) حسنه الترمذى ولهذا سئل النبي ﷺ في حديث سعد : أى الناس أشد
بلاء قال الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل يبتلى الرجل على حسب دينه فإن كان فى
دينه صلابة اشتد بلاءه ، وإن كان فى دينه رقة ابتلى على قدر دينه ، فإى يرح
البلاء بالعبد حتى يتركه يمشى على الأرض وما عليه خطيئة ، رواه الداريمى وابن
ماجه والترمذى وصححه . وهذا الحديث ونحوه من أدلة التوحيد فإذا عرف العبد
أن الأنبياء والأولياء يصيبهم البلاء فى أنفسهم الذى هو فى الحقيقة رحمة ولا
يدفعه عنهم إلا الله ، عرف أنهم لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا فلا يملكونه
لغيرهم أولى وأحرى فيحرم قصدهم والرغبة اليهم فى قضاء حاجة أو تفرج كربة .
وفى وقوع الابتلاء بالأنبياء والصالحين من الأسرار والحكم والمصالح وحسن
العاقبة ما لا يحصى ، قاله فى فتح المجيد

قوله (فمن رضى فله الرضى) أى من الله (ومن سخط) بكسر الخاء (فله
السخط) أى من سخط على الله فيما قضاء وقدره ، فله السخط أى من الله وكفى
بذلك عقوبة . وهذا هو الشاهد من الحديث للترجمة ، والرضى والسخط صفتان
وصف الله بهما نفسه فى كتابه . ومذهب السلف وأتباعهم من أهل السنة لإثبات
الصفات التى وصف الله بها نفسه أو وصفه بها رسوله ﷺ على ما يليق بجلاله
وعظمته لإثباتا بلا تمثيل وتنزيها بلا تعطيل . وقد يستدل بهذا الحديث من يرى
وجوب الرضاء كإن عقيل ، واختار القاضى عدم الوجوب ، ورجحه شيخ
الإسلام وابن القيم . قال شيخ الإسلام : ولم يحىء الأمر به كما جاء الأمر بالصبر
ولما جاء الثناء على أصحابه ، قال وأما ما يروى : من لم يصبر على بلائى ولم يرض =

٣٦ - باب

ما جاء في الرياء ^(١)

وقول الله تعالى ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ ^(٢) ﴾ الآية

== بقضائي فالتبخذ رباً سوائى ، فهذا إسرائيلى لم يصح عن النبي ﷺ انتهى . قال شيخ الإسلام : وأعلى من ذلك - أى من الرضا - أن يشكر الله على المصيبة لما يرى من إتمام الله عليه بها انتهى . وفيه علامة حب الله تعالى للعبد وتحريم التسخط وثواب الرضا بالبلاء ، قاله المصنف رحمه الله تعالى

(١) قوله (باب ما جاء في الرياء) أى من النهى والتحذير وأنه شرك ينافى كمال التوحيد ، والرياء مشتق من الرؤية والمراد إظهار العبادة لتقصد رؤية الناس لها فيحمد صاحبها . والفرق بين الرياء والسمعة أن الرياء لما يرى من العمل كالصلاة ، والسمعة لما يسمع كالقراءة والوعظ والذكر ويدخل في ذلك التحدث بما عمله ، قاله الحافظ ابن حجر

(٢) قوله (وقول الله تعالى ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ ﴾ فن كان يرجو لقاء ربه فاليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً ﴾) يقول تعالى لغيره ﷺ : قل يا محمد للناس إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ - أى فى البشرية - وليس لى من الربوبية ولا من الإلهية شىء بل ذلك لله وحده

وقوله (يوحى إلى أنما إلهكم إله واحد) أى معبودكم واحد لا شريك له (فن كان يرجو لقاء به) أى من كان يخشى البعث فى الآخرة ، رواه ابن أبى حاتم عن سعيد بن جبير . قال شيخ الإسلام : أما اللقاء فقد فسر طائفة من السلف والخلف بما يقتضى المعاينة ، وقالوا لقاء الله يتضمن رؤيته سبحانه وتعالى يوم القيامة وذكر الأدلة على ذلك

وقوله (فاليعمل عملاً صالحاً) قال ابن القيم رحمه الله تعالى : العمل الصالح هو السالم من الرياء المقيد بالسنة . وفى الآية دليل على أن أصل الدين الذى بعث الله به ==

عن أبي هريرة مرفوعاً قال الله تعالى « أنا أغنى الشركاء عن
الشرك ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ مَعِيَ فِيهِ غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكُهُ » .
رواه مسلم^(١)

= رسوله والمرسلين قبله هو لإفراد الله تعالى بأنواع العبادة كما قال تعالى ﴿ وما
أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ﴾ والمخالف
لهذا الأصل من هذه الأمة إما طاغوت ينازع الله في ربوبيته وإلا هيته ، ويدعو
الناس إلى عبادته ، أو طاغوت يدعو الناس إلى عبادة الأوثان ، أو مشرك يدعو
غير الله ويتقرب إليه بأنواع العبادة أو بعضها ، أو شاك في التوحيد أو جاهل
يعتقد أن الشرك دين يقرب إلى الله ، وهذا هو الغالب على أكثر العوام لجهلهم
وتقليدهم من قبلهم لما اشتدت غربة الدين ولسى العلم بدين المسلمين

وقوله (ولا يشرك بعبادة ربه أحداً) وأحداً نكرة في سياق النفي ، نعم كل
أحد سواء كان ملصكا أو نبيا أو ولياً أو غيرهم . وهذا هو الشاهد من الآية للترجمة .
وفيه معرفة تفسير آية السكف ، قاله المصنف . وفيها دليل على الشهادتين وتسمية
الرباء شركا والتصريح بأن الشرك الواقع من المشركين إنما هو في العبادة ،
والرد على من قال : أولئك يستشفعون بالاصنام ونحن نستشفع بصالح ، قاله في
الشرح

(١) قوله (وعن أبي هريرة رضى الله عنه مرفوعاً قال الله تعالى « أنا أغنى
الشركاء عن الشرك ، من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركه » ، رواه
مسلم) ولابن ماجه « فأنا منه بريء » وهو للذى أشرك ، قال الطيبي : الضمير
المنصوب في قوله « تركته » ، يجوز أن يرجع إلى العمل . قلت وهذا هو الشاهد
من الحديث للترجمة . قال ابن رجب : واعلم أن العمل لغير الله أقسام تارة يكون
رباء محض كحال المنافقين الذين يراؤون الناس ولا يذكر الله إلا قليلا ، وهذا
الرباء المحض لا يكاد يصدر من مؤمن في فرض الصلاة والصيام ، وقد يصدر في
فرض الصدقة الواجبة أو الحج أو غيرهما من الأعمال الظاهرة أو التي يتعدى
نفعها فإن الإخلاص فيها عزيز وهذا العمل لا يشك مسلم أنه حابط وأن صاحبه =

وعن أبي سعيد مرفوعاً « أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَا هُوَ أَخَوْفُ عَلَيْكُمْ عِنْدِي مِنْ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ ؟ » قَالُوا : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ . قَالَ : « الشَّرْكُ الْخَفِيُّ ؛ يَقُومُ الرَّجُلُ فَيُصَلِّي ، فَيُزَيِّنُ صَلَاتَهُ لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ رَجُلٍ »
رواه أحمد^(١)

== يستحق المقت من الله والعقوبة . وقارة يكون العمل لله ويشاركه الرياء فإن شاركه من أصله فالتصوص الصحيحة تدل على بطلانه وأما إذا كان أصل العمل لله ثم طرأ عليه نية الرياء فإن كان خاطراً ثم دفعه فلا يضره بغير خلاف وإن استرسل معه فهل يحبط عمله أم لا ويجازى على أصل نيته ، في ذلك اختلاف بين العلماء من السلف ، قد حكاه الإمام أحمد وابن جرير ورجحا أن عمله لا يبطل بذلك وأنه يجازى بنيته الأولى وهو مروي عن الحسن وغيره انتهى ملخصاً . وذكر ابن جرير أن هذا الاختلاف إنما هو في عمل مرتبط آخره بأوله كالصلاة والصيام والحج فأما ما لا ارتباط فيه كالقراءة والذكر وإنفاق المال ونشر العلم فإنه ينقطع بنية الرياء الطارئة عليه ويحتاج إلى تجديد نية انتهى . وفيه الأمر العظيم في رد العمل الصالح إذا خالطه شيء لغير الله وذكر السبب الموجب لذلك وهو كمال الغنى ، وأن من الأسباب أنه تعالى خير الشركاء قاله المصنف رحمه الله تعالى

(١) قوله (وعن أبي سعيد رضى الله عنه مرفوعاً أن النبي ﷺ قال : أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَا هُوَ أَخَوْفُ عَلَيْكُمْ عِنْدِي مِنَ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ ؟) قَالُوا : بَلَى . قَالَ : الشَّرْكُ الْخَفِيُّ يَقُومُ الرَّجُلُ فَيُصَلِّي فَيُزَيِّنُ صَلَاتَهُ لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ رَجُلٍ ، رواه أحمد) وروى ابن خزيمة في صحيحه عن محمود بن لبيد قال خرج علينا رسول الله ﷺ فقال : « أَيُّهَا النَّاسُ إِيَّاكُمْ وَشُرَكَ السَّرَاتِ ، قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا شُرَكَ السَّرَاتِ ؟ قَالَ : يَقُومُ الرَّجُلُ فَيُصَلِّي فَيُزَيِّنُ صَلَاتَهُ لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ الرَّجُلِ إِلَيْهِ فَذَلِكَ شُرَكَ السَّرَاتِ »

قوله (الشَّرْكُ الْخَفِيُّ) سماه خفياً لأنه عمل قلب لا يعلمه إلا الله ولأن صاحبه يظهر أنه لله وقد قصد غيره أو شركه فيه بتزيين صلواته لأجله ولا خلاف أن ==

٣٧ - باب

مَنْ الشَّرْكُ إِرَادَةُ الْإِنْسَانِ بِعَمَلِهِ الدُّنْيَا^(١)

== الإخلاص شرط لصحة العمل وقبوله وكذا المتابعة وعن شداد بن أوس رضى الله عنه قال : كسنا لعد الرياء على عهد رسول الله ﷺ الشرك الأصغر . رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الإخلاص وغيره . قال ابن القيم : وأما الشرك الأصغر فكيسير الرياء ، والتصنع للخلق ، والحلف بغير الله ، وقول الرجل للرجل ما شاء الله وشئت ، وهذا من الله ومنك ، وأنا بالله وبك ، ومالى إلا الله وأنت ، وأنا متوكل على الله وعليك ، ولو الله وأنت لم يكن كذا وكذا ، وقد يكون هذا شركاً أكبر بحسب حال قائله وقصده انتهى .

وقوله (كيسير الرياء) فدل على أن كثيره أكبر قاله فى الشرح . قال الفضيل ابن عياض فى قوله (ليلوكم أيسكم أحسن عملاً) قال أخلصه وأصوبه ، قيل يا أبا على ما أخلصه وأصوبه ؟ قال : إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل ، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل حتى يكون خالصاً صواباً . فالخالص ما كان لله ، والصواب ما كان على السنة . وفى الحديث شفقتى ﷺ على أمته ولصحة لهم وأن الرياء أخوف على الصالحين من فتنة الدجال ، قاله فى فتح المجيد . وفيه خوفه ﷺ على أصحابه من الرياء وأنه فسر ذلك بأن يصلى المرء لله لكن يزينها لما يرى من نظر رجل إليه ، قاله المصنف رحمه الله تعالى .

(١) قوله (باب من الشرك إِرَادَةُ الْإِنْسَانِ بِعَمَلِهِ الدُّنْيَا) أى عمله الصالح الذى يتقرب به إلى الله تعالى . وأراد المصنف رحمه الله بهذه الترجمة بيان أن العمل لأجل الدنيا كالرياء فى بطلان العمل إن استرسل معه كمن يطلب بعمله الصالح أمراً دنيوياً وهو شرك ينافى كمال التوحيد الواجب ويحبط الأعمال ، وهو أعظم من الرياء لأن مرید الدنيا قد تغلب إرادته تلك على كثير من عمله ، وأما الرياء فقد يعرض له فى عمل دون عمل ولا يسترسل معه ، قاله فى فتح المجيد والفرق بين هذا الباب والذى قبله أنه فى هذا إنما أراد بالعمل الصالح الذى يتقرب به إلى الله عرضاً من الدنيا ، وفى الذى قبله إنما أراد مراعات الناس ==

وقول الله تعالى ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَتْهَا نُوفٌ
لَهُمْ أَهْمَالُهُمْ فِيهَا ^(١) ﴾ الآيتين

== لينثروا عليه وكلاهما مشرك خاسر وعمله حابط لأنه لم يرد بعمله وجه الله
والدار الآخرة

(١) قوله (وقول الله تعالى) من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم
أعمالهم فيها وهم لا يبخسون أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط
ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون) قال ابن عباس : من كان يريد الحياة
الدنيا أى ثوابها وزينتها أى مالها ، نوف أى نوفر لهم ثواب أعمالهم بالصحة
والسرور فى المال والأهل والولد ، وهم فيها لا يبخسون لا ينقصون ثم نسختها
(من كان يريد العاجلة عجزنا له فيها ما نشاء لمن نريد) الآيتين رواه النحاس فى
كتاب الناسخ والمنسوخ له . وقوله : ثم نسختها أى قيدتها أو خصصتها فلم تبق
الآية على إطلاقها ، فان السلف كانوا يسمون التقييد والتخصيص نسخاً وإلا
فالآية محكمة ، قال الضحاك : من عمل صالحاً من أهل الإيمان من غير تقوى عجل
له ثواب عمله فى الدنيا ، واختاره الفراء . قال ابن القيم وهذا القول هو الراجح
انتهى . وقد سئل المصنف عن هذه الآية فأجاب بما حاصله ذكر عن السلف فيها
أنواع مما يفعله الناس اليوم ، فمن ذلك العمل الصالح الذى يفعله كثير من الناس
ابتغاء وجه الله من صلاة وصدقة وإحسان ونحو ذلك مما يفعله الإنسان أو يتركه
خالصاً لله ، لكنه لا يريد به ثواب الآخرة وإنما يريد به أن يحفظ الله ماله
وينمي ، أو يحفظ أهله وعياله ، ولاهمة له فى طلب الجنة والهرب من النار ، فهذا
يعطى ثواب عمله فى الدنيا وليس له فى الآخرة من نصيب ، وهذا النوع ذكره
ابن عباس . النوع الثانى وهو أكبر من الاول وأخوف وهو الذى ذكر مجاهد
أن الآية نزلت فيه وهو أن يعمل أعمالاً صالحة وينتبه رياء الناس لا طلب ثواب
الآخرة . النوع الثالث أن يعمل أعمالاً صالحة يقصد بها مالا مثل أن يبيع مالاً
ياخذه أو يهاجر لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها أو يجاهد لاجل المغنم ، فقد
ذكر هذا النوع أيضاً فى تفسير هذه الآية . النوع الرابع أن يعمل بطاعة الله ==

في الصحيح^(١) عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « تَعَسَ الدِّرْهَمُ ، الدِّينَارُ ، تَعَسَ عَبْدُ الدِّرْهَمِ ،

== مخلصا في ذلك لله وحده لا شريك له لكنه على عمل يكفره كفرا يخرج به عن الإسلام ، مثل اليهود والنصارى إذا تصدقوا أو عبدوا الله أو صاموا ابتغاء وجه الله ، ومثل كثير من هذه الأمة الذين فيهم كفر أو شرك أكبر يخرجهم من الإسلام بالكلية إذا أطاعوا الله طاعة خالصة يريدون بها ثواب الله في الدار الآخرة لكنهم على أعمال يخرجهم من الإسلام وتمنع قبول أعمالهم فهذا النوع قد ذكر في هذه الآية عن أنس بن مالك وغيره ، وكان السلف يخافون منها انتهى ملخصا . وفيه إرادة الإنسان الدنيا بعمل الآخرة ومعرفة تفسير آية هود قاله المصنف رحمه الله . وفي الآية أن الشرك محبط للأعمال وأن إرادة الدنيا وزينتها بالعمل كذلك وأن الله يجازي الكافر بحسناته في الدنيا ، وكذلك طالب الدنيا ، ثم يفضى إلى الآخرة وليس له حسنة ، وشدة الوعيد على ذلك والفرق بين الجبوت والبطلان قاله في الشرح

(١) قوله (وفي الصحيح) - أى صحيح البخارى - (عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « تَعَسَ عَبْدُ الدِّينَارِ ، تَعَسَ عَبْدُ الدِّرْهَمِ ، تَعَسَ عَبْدُ الْخَيْصَةِ ، تَعَسَ عَبْدُ الْخَيْلَةِ . إِنْ أُعْطِيَ رِضًى وَإِنْ لَمْ يَمُطْ سَخَطٌ ، تَعَسَ وَاتَّكَسَ وَإِذَا شَيْكَ فَلَا اتَّقَشَّ ؛ طَوْبُ لِعَبْدٍ أَخَذَ بَعْضَانِ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَشْعَثَ رَأْسَهُ مَغْبِرَةً قَدَمَاهُ ، إِنْ كَانَ فِي الْحَرَاةِ كَانَ فِي الْحَرَاةِ ، وَإِنْ كَانَ فِي السَّاقَةِ كَانَ فِي السَّاقَةِ ، إِنْ اسْتَأْذَنَ لَمْ يُؤْذَنَ لَهُ وَإِنْ شَفَعَ لَمْ يَشْفَعْ »)

قوله (تَعَسَ) بكسر العين ويجوز الفتح أى سقط والمراد هنا هلك ، قاله المحافظ ابن حجر ، قال وهو ضد سعد أى شق ، وقال أبو السعادات يقال تعس إذا عثر وانسكب لوجهه وهو دعاء عليه بالهلاك

وقوله (عبد الدينار) هو المعروف من الذهب كالمثقال فى الوزن ، قاله فى فتح المجيد

قوله (تَعَسَ عَبْدُ الدِّرْهَمِ) وهو من الفضة قدره الفقهاء بالشعير وهو زنة خمسين حبة شعير وخمسا حبة

تَعَسَّ عَبْدُ الْخَمِيصَةِ ، تَعَسَّ عَبْدُ الْخَيْلَةِ : إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ . تَعَسَّ وَانْتَكَسَّ ، إِذَا شَيْكَ فَلَا انْتَقَشَ .

قوله (تعس عبد الخميصة) قال أبو السعادات هي ثواب خز أو صوف معلم ، وقيل لا تسمى خميصة إلا أن تكون سوداً معلنة

وقوله (تعس عبد الخيلة) بفتح الحاء المعجمة قال أبو السعادات الخيل والخيلة القطيفة ، وهي ثوب له نمل من أى شيء كان

وقوله (تعس وانتكس) قال الحافظ أى عاوده المرض ، وقال أبو السعادات أى انقلب على رأسه وهو دعاء عليه بالخيلة لأن من انتكس فى أمره فقد خاب وخسر

وقوله (وإذا شيك فلا انتقش) قال أبو السعادات أى إذا شاكته شوكة فلا يقدر على انتقاشها وهو إخراجها بالانتقاش . قال شيخ الإسلام سماء النبي ﷺ عبد الدينار والدرهم والقطيفة والخميصة وذكر فيه ما هو دعاء وخبر وهو قول : تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش وهذه حال من أصابه شر لم يخرج منه ولم يفلح لكونه تعس وانتكس فلا قال المطلوب ولا خلاص من المكروه وهذه حال من عبد المال وقد وصف بأنه إن أعطى رضى وإن منع سخط ، كما قال تعالى (ومنهم من يلزك فى الصدقات ، فإن أعطوا منها رضوا وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون) فراضاهم لغير الله وسخطهم لغير الله وهكذا حال من كان متعلقاً برياسة أو بصورة أو نحو ذلك من أهواء نفسه إن حصل له رضى وإن لم يحصل له سخط فهذا عبد ما يهواه من ذلك وهو رقيق له إذ الرق والعبودية فى الحقيقة رق القلب وعبوديته فما أشرق القلب واستعبده فهو عبده . وهذه الأمور نوعان فمنها ما يحتاج إليه العبد كما يحتاج إلى طعامه وشرابه ومنكحه ومسكنه ونحو ذلك فهذا يطلبه من الله ويرغب إليه فيه فيكون المال عنده يستعمله فى حاجته بمنزلة حماره الذى يركبه وبساطه الذى يجلس عليه من غير أن يستعبده فيكون هلوها . ومنها ما لا يحتاج إليه العبد فهذا ينبغي له أن لا يعاق قلبه بها فإذا تعلق قلبه بها صار مستعبداً لها وربما صار مستعبداً لها معتمداً على غير الله فيها فلا ==

طوبى لعبدٍ أَخَذَ بَعْنَانَ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، أَشْعَثَ رَأْسَهُ

= يبقى معه حقيقة العبودية ولا حقيقة التوكل على الله بل فيه شعبة من العبادة لغير الله وشعبة من التوكل على غير الله وهذا من أحق الناس بقوله ﷺ ، تعس عبد الدينار ، تعس عبد الدرهم ، تعس عبد الخميصة ، تعس عبد الخميعة ، وهذا عبد لهذه الأمور ولو طلبها من الله فإن الله إذا أعطاه إياها رضى وإن منعه إياها سخط وإنما عبد الله ما يرضيه ما يرضى الله ويسخطه ما يسخط الله ويجب ما أحب الله ورسوله ويبغض ما أبغض الله ورسوله ويوالى أولياء الله ويمادى أعداء الله فهذا الذى استكمل الإيمان انتهى ملخصا . وفيه تسمية المسلم عبد الدينار والدرهم والخميصة وتفسير ذلك بأنه إن أعطى رضى وإن لم يعط سخط . وقوله : (تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش) قاله المصنف رحمه الله والمراد أن من كانت هذه حاله فإنه يستحق أن يدعى عليه بما يسوؤه في العواقب ومن كانت هذه حاله فلا بد أن يحد أثر هذه الدعوات في الوقوع فيما يضره في عاجل دنياه وآجل آخره قاله في فتح المجيد

قوله (طوبى لعبد) قال أبو السعادات طوبى اسم الجنة وقيل شجرة فيها ويؤيد هذا ما روى ابن وهب بسنده عن أبي سعيد قال : قال رجل يا رسول الله : وما طوبى ؟ قال : شجرة في الجنة مسيرة مائة سنة ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها ، ورواه الإمام أحمد حدثنا حسن بن موسى سمعت عبد الله بن لهيعة حدثنا دراج أبو السمح أن أبا الهيثم حدثه عن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ أن رجلا قال : يا رسول الله طوبى لمن رآك وآمن بك ، قال : طوبى لمن رآنى وآمن بى وطوبى ثم طوبى ثم طوبى لمن آمن بى ولم يرنى ، قال رجل : وما طوبى ؟ قال شجرة في الجنة مسيرة مائة عام ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها . وله شواهد في الصحيحين وغيرهما قاله في فتح المجيد

وقوله (أخذ بعنان فرسه في سبيل الله) أى في جهاد المشركين

قوله (أشعث رأسه) بنصب أشعث صفة لعبد غير مصروف للوصف ووزن الفعل ورأسه مرفوع فاعل أى شغلته الجهاد في سبيل الله عن التمتع بالادهان وتسريح الشعر

مغبرة قدماء ، إن كان في الحراسة كان في الحراسة ، وإن كان في الساقة كان في الساقة ، إن استأذن لم يؤذن له ، وإن شفع لم يشفع .

وقوله (مغبرة قدماء) بالجر صفة ثانية لعبد . وفيه فضل لإصابة الغبار في سبيل الله قاله في الشرح

وقوله (إن كان في الحراسة) بكسر الحاء أى حماية الجيش عن أن يهجم عليهم العدو كان في الحراسة أى قام بواجبها غير مقصر فيها

قوله (وإن كان في الساقة) أى مؤخر الجيش ، كان في الساقة أى صار فيها ولزمها . وقال ابن الجوزى : المعنى أنه خامل الذكر لا يقصد السمو فأى موضع اتفق له كان فيه ، وقال غيره : المعنى ائتماره لما أمر وإقامته حيث أقيم لا يفقد من مقامه . وفيه فضل الحراسة في سبيل الله ، قاله في الشرح وروى الإمام أحمد عن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير قال : قال عثمان رضى الله عنه وهو يخاطب على المنبر : إني أحدثكم حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ لم يكن يمنى أن أحدثكم به إلا الظن بكم ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : حرس ليلة في سبيل الله أفضل من ألف ليلة يقام ليلها ويصام نهارها ،

وقوله (إن استأذن لم يؤذن له) أى إن استأذن على الأمرأ ونحوهم لم يؤذن له لأنه ليس له جاء ولا منزلة عندهم

قوله (وإن شفع) أى عندهم لم يشفع بفتح الفاء مشدداً أى لم تقبل شفاعته ، وفي الحديث الذى رواه الإمام أحمد ومسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه مرفوعاً : رب أشمك مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره ، وفيه ترك حب الرياسة والشهرة وفضل الخول والتواضع ، قاله الحافظ ابن حجر . وفيه الثناء على المجاهد الموصوف بتلك الصفات ، قاله المصنف رحمه الله تعالى .

٣٨ - باب

مَنْ أَطَاعَ الْعُلَمَاءَ وَالْأَمْرَاءَ فِي تَحْرِيمِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ

أَوْ تَحْلِيلِ مَا حَرَّمَ فَقَدْ اتَّخَذَهُمْ أَرْبَاباً^(١)

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ^(٢) : يُوشِكُ أَنْ تَنْزَلَ عَلَيْكُمْ حِجَارَةٌ مِنَ السَّمَاءِ

(١) قَوْلُهُ (بَابُ مَنْ أَطَاعَ الْعُلَمَاءَ وَالْأَمْرَاءَ فِي تَحْرِيمِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ ، أَوْ تَحْلِيلِ مَا حَرَّمَ فَقَدْ اتَّخَذَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ) لَمَّا كَانَتْ الْعِبَادَةُ هِيَ طَاعَةُ اللَّهِ تَعَالَى بِامْتِثَالِ مَا أَمَرَ بِهِ عَلَى أَلْسِنَةِ رُسُلِهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ نَبِيَّهِ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ بِهَذِهِ التَّرْجُمَةِ عَلَى وَجُوبِ اخْتِصَاصِ الْخَالِقِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِالطَّاعَةِ فَلَا يَطَاعُ أَحَدٌ مِنَ الْخَلْقِ إِلَّا إِذَا كَانَتْ طَاعَتُهُ مَنْدُوجَةً تَحْتَ طَاعَةِ اللَّهِ وَإِلَّا فَلَا تَجِبُ طَاعَةُ أَحَدٍ اسْتِقْلَالاً ، وَأَمَّا قَوْلُهُ (أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرُّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ) قِيلَ هُمْ الْعُلَمَاءُ وَقِيلَ هُمُ الْأَمْرَاءُ وَهَذَا رِوَايَتَانِ عَنْ أَحْمَدَ . قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ : وَالتَّحْقِيقُ أَنَّ الْآيَةَ تَعْمُ الطَّائِفَتَيْنِ ، فَإِنَّمَا تَجِبُ طَاعَتُهُمْ إِذَا أَمَرُوا بِطَاعَةِ اللَّهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ ، فَكَانَ الْعُلَمَاءُ مُبْلِغِينَ لِأَمْرِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَالْأَمْرَاءُ مُنْفِذِينَ لَهُ فَتَجِبُ طَاعَتُهُمْ تَبَعاً لَطَاعَةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَفِي الْحَدِيثِ : إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ ، وَقَالَ ﷺ : عَلَى الْمَرْءِ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ مَا لَمْ يَأْمُرْ بِمَعْصِيَةٍ فَإِذَا أَمَرَ بِمَعْصِيَةٍ فَلَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ ،

(٢) قَوْلُهُ (وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : يُوشِكُ أَنْ تَنْزَلَ عَلَيْكُمْ حِجَارَةٌ مِنَ السَّمَاءِ ، أَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَتَقُولُونَ قَالَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ)

قَوْلُهُ (يُوشِكُ) بَضْمٌ أَوَّلُهُ وَكَسْرُ الشَّيْنِ الْمُعْجَمَةِ أَيْ يَقْرُبُ وَيَدْنُو وَيَسْرِعُ قَالَهُ أَبُو السَّعَادَاتِ

وَقَوْلُهُ (أَنْ تَنْزَلَ عَلَيْكُمْ حِجَارَةٌ مِنَ السَّمَاءِ فَتُخْلَغَ رُؤُوسُكُمْ ، أَقُولُ . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَتَقُولُونَ قَالَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ) . وَسَبَبُ قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ هَذَا مَا رَوَاهُ الْأَثَرِيُّ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : تَمَتَّعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ : نَهَى أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ عَنْ الْمُتَعَةِ فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ لَأَنْهُمْ سَيَسْلُكُونَ . أَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَيَقُولُونَ قَالَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ ، وَهَذَا هُوَ =

أقول : قال رسول الله ﷺ ، وتقولون : قال أبو بكر وعمر . وقال

==الشاهد من قول ابن عباس لترجمة وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما لا يريان التمتع بالعمرة إلى الحج ويريان أن أفراد الحج أفضل ، وأن يفرد الحج بسفر والعمرة بسفر ليكثر تردد الناس إلى البيت ، وابن عباس يرى أن التمتع بالعمرة إلى الحج واجب ، ويقول إذا طاف بالبيت وسعى بين الصفا والمروة سبعة أشواط فقد حل من عمرته شاء أم أبي الحديث سراقه بن مالك حين أمرم النبي ﷺ أن يجعلوها عمرة ويحلوا إذا طافوا بالبيت وسعوا بين الصفا والمروة ، فقال سراقه ألعائنا هذا أم للأبد ؟ فقال : بل للأبد ، والحديث في الصحيحين ، وكان شيخ الإسلام يقول : فرض على الصحابة فسخ الحج إلى العمرة لأمر الرسول ﷺ لهم به ، وأما الجواز والاستحباب فللأمة إلى يوم القيامة لكن أبي ذلك ابن عباس وجعل الوجوب للأمة إلى يوم القيامة وأن فرضا على كل مفرد وقارن لم يسق الهدى أن يحل ولا بد بل قد حل وإن لم يشأ . قال ابن القيم : وأنا إلى قوله أميل مني إلى قول شيخنا انتهى . وإذا كان هذا قول ابن عباس لمن عارض قول الرسول ﷺ بقول أبي بكر وعمر فإذا يقول فيمن يعارض سنن الرسول ﷺ بقول شيخه أو إمام مذهبه فما وافق مذهبه أو قول شيخه قبله وما خالفه رده أو تأوله . وقد قال الشافعي : أجمع العلماء على أن من استبانت له سنة رسول الله ﷺ لم يكن له أن يدعها لقول أحد وحينئذ فلا عذر لمن استفتى أن ينظر في مذاهب العلماء وما استدلل به كل إمام وبأخذ من أقوالهم ما دل عليه الدليل إذا كان له ملكه يقتدر بها على ذلك ، وأن من بلغه الدليل فلم يأخذ به فإنه يجب الإنكار عليه بالتغليظ فيجب الإنكار على من ترك الدليل لقول أحد من العلماء كائناً من كان ونصوص الأئمة على هذا وأنه لا يسوغ التقليد إلا في مسائل الاجتهاد التي لا دليل فيها من كتاب ولا سنة . فهذا هو الذي عناه العلماء بقولهم لا إنكار في مسائل الاجتهاد . وأما من خالف الكتاب والسنة فيجب الرد عليه كما قال ابن عباس والإمام أحمد وذلك يجمع عليه قاله في فتح المجيد

أحمد بن حنبل : عَجِبْتُ لِقَوْمٍ عَرَفُوا الْإِسْنَادَ وَصَحَّتَهُ ، يَذْهَبُونَ إِلَى رَأْيِ سُفْيَانَ ^(١) ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ

(١) قَوْلُهُ (وَقَالَ الْإِمَامُ أَحْمَد : عَجِبْتُ لِقَوْمٍ عَرَفُوا الْإِسْنَادَ وَصَحَّتَهُ يَذْهَبُونَ إِلَى رَأْيِ سُفْيَانَ وَاللَّهُ يَقُولُ ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ ﴾) أَتَدْرِي مَا الْفِتْنَةُ ؟ الْفِتْنَةُ الشَّرْكُ لَعَلَّهُ إِذَا رَدَّ بَعْضُ قَوْلِهِ أَنْ يَقَعَ فِي قَلْبِهِ شَيْءٌ مِنَ الزَّيْغِ فِيهِلِكَ (وَكَلَامُ الْإِمَامِ أَحْمَدُ هَذَا رَوَاهُ عَنْهُ الْفَضْلُ ابْنُ زِيَادٍ وَأَبُو طَالِبٍ ، قَالَ الْفَضْلُ قَالَ أَحْمَدُ : لَظَرْتُ فِي الْمَصْخَفِ فَوَجَدْتُ طَاعَةَ الرَّسُولِ فِي ثَلَاثَةِ وَثَلَاثِينَ مَوْضِعاً ، ثُمَّ جَعَلَ يَتْلُو ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ ﴾ وَجَعَلَ يَكْرُرُهَا وَيَقُولُ : وَمَا الْفِتْنَةُ إِلَّا الشَّرْكُ لَعَلَّهُ إِذَا رَدَّ بَعْضُ قَوْلِهِ أَنْ يَقَعَ فِي قَلْبِهِ شَيْءٌ مِنَ الزَّيْغِ فِيهِلِكَ وَجَعَلَ يَتْلُو هَذِهِ الْآيَةَ : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾ وَقَالَ أَبُو طَالِبٍ قَبْلَ لَأَحْمَدَ إِنَّ قَوْمًا يَدْعُونَ الْحَدِيثَ وَيَذْهَبُونَ إِلَى رَأْيِ سُفْيَانَ فَقَالَ عَجِبْتُ لِقَوْمٍ سَمِعُوا الْحَدِيثَ وَعَرَفُوا الْإِسْنَادَ وَصَحَّتَهُ يَدْعُونَهُ وَيَذْهَبُونَ إِلَى رَأْيِ سُفْيَانَ وَغَيْرِهِ قَالَ اللَّهُ ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ ﴾ وَتَدْرِي مَا الْفِتْنَةُ الْكُفْرُ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ ﴾ فَيَذْهَبُونَ الْحَدِيثَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَتَغْلِبُهُمْ أَمْوَازِمُ إِلَى الرَّأْيِ

وقوله (عرفوا الإسناد) أى إسناد الحديث وصحته أى صحة الإسناد ، وصحته دليل على صحة الحديث

وقوله (يذهبون إلى رأى سفيان) أى الثورى الإمام الزاهد العابد الفقيه كان له أصحاب ومذهب افترض . وفيه معرفة تفسير آية النور ، وتمثيل ابن عباس بأبي بكر وعمر وتمثيل أحمد بسفيان . قاله المصنف رحمه الله تعالى . وهذا هو الشاهد من كلام أحمد للترجمة . وقد عمت البلوى بهذا المنكر الذى أنكره الإمام أحمد خصوصاً فيمن ينسب إلى العلم والإفتاء والتدريس وزعموا أنه لا يأخذ بأدلة الكتاب والسنة إلا المجتهد والاجتهاد قد انقطع وقد أخطأوا في ذلك وقد استدلل الإمام أحمد رحمه الله تعالى بقوله ﷺ ، لا تزال طائفة من أمتي على =

أمرِدَ أَنْ يُصَيِّبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصَيِّبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ أَدْرَى مَا الْفِتْنَةُ ؟
الْفِتْنَةُ الشُّرْكُ ، لَعَلَّهُ إِذَا رَدَّ بَعْضُ قَوْلِهِ أَنْ يَقَعَ فِي قَلْبِهِ شَيْءٌ مِنَ الزَّيْغِ
فِيهِلِكَ .

عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ ^(١) أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقْرَأُ هَذِهِ الْآيَةَ
﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ الْآيَةُ . فَقُلْتُ لَهُ

= الحق منصور لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على
ذلك ، على أن الاجتهاد لا ينقطع ، قاله في قرّة العيون

وقوله (لعله إذا رد بعض قوله) أى النبي ﷺ أن يقع في قلبه شيء من
الزَّيْغِ فَيَهْلِكُ ، وهذا تنبيه على أن رد قول الرسول ﷺ سبب لزَيْغِ القلب الذي
هو سبب الهلاك ، لأن مخالفة أمر الرسول ﷺ مخالفة لأمر المرسل واستخفاف
بحق الأمر كما فعل إبليس لعنه الله

(١) قوله (عن عدى بن حاتم) بن عبد الله بن سعد بن الحشرج بفتح الحاء
الطائي المشهور بالسخاء والكرم . قدم عدى على النبي ﷺ في شعبان سنة تسع
من الهجرة فأسلم وعاش مائة وعشرين سنة وكان من متصرة العرب (أنه سمع
النبي ﷺ يقرأ هذه الآية ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ
وَالْمَسِيحَ بْنِ مَرْيَمَ وَمَا أُمُورُهُمْ إِلَّا لِيُعْبَدُوا إِلَهًُا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا
يُشْرِكُونَ ﴾ فَقُلْتُ لَهُ إِنَّا لَسْنَا نَعْبُدُهُمْ ؟ قَالَ أَلَيْسَ يَحْرَمُونَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ فَنَحْرُمُونَهُ
وَيَحْلُلُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَنَحْلُلُونَهُ ؟ فَقُلْتُ بَلَى ، قَالَ : فَتِلْكَ عِبَادَتُهُمْ . رَوَاهُ أَحْمَدُ
وَالْتِّرْمِذِيُّ وَحَسَنُهُ) . وهذا هو الشاهد من الحديث للترجمة ، وفي الحديث دليل
على أن طاعة الأحرار والرهبان في معصية الله عبادة لهم من دون الله ، ومن
الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله ، لقوله في آخر الآية ﴿ وَمَا أُمُورُهُمْ إِلَّا
لِيُعْبَدُوا إِلَهًُا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ قاله في فتح المجيد .
قال شيخ الإسلام فما أحلوه مما حرمه الله استحلال لحم الخنزير وإسقاط الختان =

إنا لسنا نعبدكم ، قال « أليس يُحَرِّمُونَ ما أَحَلَّ الله ، فتحرّمونه .
وَيُحِلُّونَ ما حَرَّمَ الله ، فتحلّونه ؟ فقلت : بلى . قال فتلك عبادتهم » .
رواه أحمد والترمذى وحسنه

= والصلاة إلى المشرق وزيادة الصوم ونفله من زمان إلى زمان واتخاذ الصور
في الكنائس وتعظيم الصليب واتباع الرهبانية ، قال هذه كلها خالفوا فيها شرع الله
الذى بعث به الأنبياء . وقال أيضاً وهؤلاء الذين اتخذوا أجبّارهم ورهبانهم
أرباباً من دون الله على وجهين : أحدهما أن يعدّوا أنهم بدلوا دين الله اتباعاً
لرؤسائهم مع علمهم أنهم خالفوا دين الرسل فهذا كفر ، وقد جعله الله ورسوله
شركاً وإن لم يكونوا يصلون لهم ويسجدون . الثانى أن يكون اعتقادهم وإيمانهم
بتحريم الحلال وتحليل الحرام ثابتاً لكنهم أطاعوهم في معصية الله كما يفعل المسلم
ما يفعله من المماصى التى يعتقد أنها معاصى ف هؤلاء لهم حكم أمثالهم من أهل
الذنوب كما ثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال : إنما الطاعة في المعروف ،
وفي الحديث دليل على أن طاعة الأجبّار والرهبان في معصية الله عبادة لهم من
دون الله ، وأما طاعة الأمرأ و متابعتهم فيما يخالف ما شرعه الله ورسوله فقد
عمت بها البلوى قديماً وحديثاً في أكثر الولايات بعد الخلفاء الراشدين وهلم جرا .
وقد قال تعالى ﴿ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا يُؤْمِنُونَ أَهْوَاهُمْ ، وَمَنْ أَضَلُّ مِنْ
اتَّبَعَ هَوَاهُ بَغْيِرَ هَدًى مِنْ اللَّهِ إِنْ اللَّهُ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ قاله في فتح المجيد .
وفيه معرفة تفسير آية براءة والتفويه على معنى العبادة التى أنكرها عدى وتغير
الأحوال إلى هذه الغاية حتى صار عند الأكثر عبادة الرهبان هى أفضل الأعمال
وتسمى الولاية ، وعبادة الأجبّار هى العلم والفقه ثم تغيرت الحال إلى أن من عبد
دون الله من ليس من الصالحين وعبد بالمعنى الثانى من هو من الجاهلین ، قاله
المصنف رحمه الله تعالى

وقوله (حتى صار عند الأكثر عبادة الرهبان هى أفضل الأعمال) يشير إلى
ما يعتقد كثير من الناس فيمن ينسب إلى الولاية من الضر والنفع ويسمون
ذلك الولاية والمر وهو الشرك

٣٩ - باب

قول الله تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَكَّمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ ^(١) .
وَقَالُوا _____ أَمْرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ ،

وقوله (وعبادة الاحبار) هي العلم والفقه المؤلف على مذاهب الائمة فيطيعونهم في كل ما يقولون سواء وافق حكم الله أم لا بل يصرحون فإنه لا يحمل العمل بالكتاب والسنة ولا تلقى العلم والهدى منها

وقوله (ثم تغيرت الاحوال) إلى أن عبد من ليس من الصالحين كاعتقادهم فينسب إلى الولاية من الفساق والمجاذيب

وقوله (وعبد) بالمعنى الثانى من هو من الجاهلين كاعتقادهم العلم فى أناس من جهة المقلدين قاله فى الرياح

(١) قوله (باب قول الله تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَكَّمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾) قال ابن كثير : هذه الآية دامة لمن عدل عن الكتاب والسنة وتحكم إلى ما سواهما من الباطل وهو المراد بالطاغوت هاهنا . وفيه معرفة تفسير الآية وما فيها من الإعانة على فهم الطاغوت قاله المصنف رحمه الله تعالى

قوله (وقد أمرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ) أى بالطاغوت فالكفر بالطاغوت ركن التوحيد فلا يصح الإيمان بالله إلا بالكفر بالطاغوت فمن لم يكفر بالطاغوت لم يؤمن بالله . قال الإمام مالك رحمه الله : الطاغوت ما عبد من دون الله . قال ابن القيم رحمه الله : الطاغوت ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع فطاغوت كل قوم من يتحاكمون إليه غير الله ورسوله ، أو يعبدونه دون الله أو يتبعونه على غير بصيرة من الله أو يطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعة لله ، فهذه طواغيت العالم إذا تأملت أحوال الناس معها رأيت أن أكثرهم بمن أعرض عن عبادة الله إلى عبادة الطاغوت ومتابعته . انتهى

ويريدُ الشيطانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٦﴾ وقوله ﴿١٦﴾ وإذا

وقوله (ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالا بعيداً) تضمنت هذه الآية أربعة أمور : الأول أنه من إرادة الشيطان معنى التحاكم إلى الطاغوت . الثانى أنه ضلال . الثالث تأكيده بالمصدر . الرابع وصفه بالبعد عن سبيل الحق والهدى .

وقوله (وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا) قال ابن القيم : هذا دليل على أن من دعى إلى التحاكم إلى الكتاب والسنة فأبى أنه من المنافقين

قوله (ويصدون) لازم وهو بمعنى يعرضون لأن مصدره صدوداً فأكثر من اتصف بهذا الوصف خصوصاً من يدعى العلم فإنهم صدوا عما توجبه الأدلة من كتاب الله وسنة رسوله إلى أقوال من يخطئ . كثيراً ممن ينتسب إلى الأئمة الأربعة فى تقليدهم من لا يجوز تقليده واعتداهم على قول من لا يجوز الاعتماد على قوله ، ويجعلون قوله المخالف لنص الكتاب والسنة وقواعد الشريعة هو المعتمد عندهم الذى لا تصح الفتوى إلا به فصار المتبع لسنة الرسول ﷺ بين أولئك غريباً . انتهى

وقوله (فكيف إذا أصابهم مصيبة بما قدمت أيديهم) قال ابن القيم المصيبة فضيحتهم إذا نزل القرآن بحالهم ولا ريب أن المصائب التى تصيبهم بما قدمت أيديهم فى أبدانهم وقلوبهم وأديانهم بسبب مخالفة الرسول أعظمها مصائب القلب والدين . فىرى المعروف منكراً والهدى ضلالاً ، والرشاد غياً والجود باطلاً ، والصلاح فساداً ، وهذا من المصيبة التى أصيب بها فى قلبه

وقوله (ثُمَّ جَاءَهُمْ وَلَمْ يَحْملُونَ بِاللَّهِ إِذْ أَرَدْنَا أَنْ نَحْسَنَآ وَتَوْفِيقًا ﴿١٧﴾)
أى المداراة والمصالحة وتوفيقاً بين الخصمين

وقوله (أولئك الذين يعلم الله ما فى قلوبهم) قال ابن كثير أى هذا الضرب من الناس هم المنافقون ، والله أعلم بما فى قلوبهم وسيجزئهم على ذلك وقوله (فأعرض عنهم وعظمهم وقل لهم فى أنفسهم قولاً بليغاً) . قال ابن القيم =

قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ^(١) . وقوله ﴿ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا^(٢) ﴾ . وقوله ﴿ أَلْحِكْمُ

= أمر الله رسوله ﷺ فيهم بثلاثة أشياء : أحدها الإعراض عنهم إهانة لهم وتحقيراً لشأنهم وتصغيراً لأمرهم لا إعراض متاركة وإهمال ، وبهذا يعلم أنها غير مفسوخة . والثاني قوله : وعظهم وهو تخويفهم عقوبة الله . وبأسه وتقمته إن أصرروا على التحاكم إلى غير رسوله وما أنزل عليه . والثالث وقل لهم في أنفسهم قولاً بليغاً أى يبلغ تأثيره إلى قلوبهم ، ليس قولاً ليناً لا يتأثر به المقول له ، وهذه المسادة تدل على بلوغ المراد بالقول ، فهو قول يبلغ به مراد قائله من الزجر والتخويف وهذا القول البليغ يتضمن ثلاثة أمور : أحدها عظم معناه وتأثير النفوس به . الثاني نخامة لفظه وجزالته . الثالث كيفية القائل في إلقاءه إلى المخاطب فإن القول كالسهم والقلب كالقوس الذى يدفعه وكالسيوف والقلب كالساعد الذى يضرب به . انتهى

(١) قوله (وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون) قال أبو العالية في الآية (لا تفسدوا في الأرض) يعنى لا تمصوا في الأرض ، لأن من عصى الله في الأرض أو أمر بمعصية الله فقد أفسد في الأرض لأن صلاح الأرض والسماء إنما هو بطاعة الله ورسوله ، ومناسبة الآية للترجمة أن التحاكم إلى غير الله ورسوله من أعمال المناقضين وهو من الفساد في الأرض ، قاله في فتح المجيد . وفيه معرفة تفسير آية البقرة (وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض) قاله المصنف رحمه الله

(٢) وقوله (ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها) قال أبو بكر بن عياش في الآية : إن الله بعث محمداً إلى أهل الأرض وهم في فساد فأصلحهم الله بمحمد ﷺ فن دعى إلى خلاف ما جاء به محمد ﷺ فهو من المفسدين في الأرض وقال ابن القيم : قال أكثر المفسرين : لا تفسدوا فيها بالمعاصي والدعاء إلى غير طاعة الله بعد إصلاح الله لها ببعث الرسل وبيان الشريعة والدعاء إلى طاعة الله ، فإن عبادة غير الله والدعوة إلى غيره والشرك به هو أعظم فساد في الأرض ، بل فساد الأرض في الحقيقة إنما هو بالشرك به وخالفه أمره ، ولا صلاح لها =

الجاهلية يَبْغُونُ^(١) ﴿ الآية .

= ولا لأهلها إلا أن يكون الله وحده هو المعبود المطاع والدعوة له لا لغيره والطاعة والاتباع لرسوله ليس إلا ، وغيره إنما يجب طاعته إذا أمر بطاعة الرسول ﷺ ، فإذا أمر بمعصيته فلا سمع ولا طاعة ، ومن تدبر أحوال العالم وجد كل صلاح في الأرض فسببه توحيد الله وعبادته وطاعة رسوله ، وكل شر في العالم وقتنة وبلاء وقحط وتسليط عدو وغير ذلك فسببه مخالفة رسوله والدعوة إلى غير الله ورسوله ، انتهى ملخصاً . ووجه مناسبة الآية للترجمة أن التحاكم إلى غير الله ورسوله من أعظم ما يفسد الأرض من المعاصي ، فلا صلاح لها إلا بتحكيم كتاب الله وسنة رسوله قاله في فتح المجيد . وفيه معرفة تفسير آية الاعراف ﴿ ولا تفسدوا الأرض بعد إصلاحها ﴾ قاله المصنف رحمه الله

(١) وقوله تعالى (ألحكم الجاهلية يبغون ؟ ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون) قال ابن كثير : ينكر الله تعالى على من خرج عن حكم الله تعالى المشتمل على كل خير والنأهى عن كل شر وعدل إلى ما سواه من الآراء والأهواء والاصطلاحات التي وضعا الرجال بلا مسند من شريعة الله كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الجهالات والضلالات كما يحكم به التتار من السياسات المأخوذة عن جنكيز خان الذي وضع لهم الياسق وهو عبارة عن كتاب أحكام اقتبسها من شرائع شتى من اليهودية والنصرانية والملة الإسلامية وفيها كثير من الأحكام أخذها من مجرد لظنه وهواه فصارت في بنه شرعاً يقدمونها على الحكم بالكتاب والسنة فن فصل ذلك فهو كافر يجب قتاله حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله ، فلا يحكم بسواه في قليل ولا كثير . وفيه معرفة تفسير ﴿ ألحكم الجاهلية يبغون ﴾ قاله المصنف

وقوله (ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون) استفهام إنكار أي لأحكم أحسن من حكمه تعالى وهذا من باب استئمال أفضل التفضيل فيما ليس له في الطرف الآخر مشارك ، أي ومن أعدل من الله حكماً لمن عقل عن الله شرعه وآمن وأيقن أنه تعالى أحكم الحاكمين ، الحكيم في أقواله وأفعاله وشرعه وقدره ، وفي الآية التحذير من حكم الجاهلية واختياره على حكم الله ورسوله فمن فعل ذلك فقد أعرض عن الأحسن وهو الحق إلى ضدّه من الباطل قاله في فتح المجيد

عن عبد الله بن عمرو^(١) أن رسول الله ﷺ قال « لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به » قال النووي : حديث صحيح ،
رويناه في كتاب الحجة بإسناد صحيح

(١) قوله (عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به ، قال النووي حديث صحيح رويناه في كتاب الحجة بإسناد صحيح) هذا الحديث رواه الشيخ أبو الفتح لصبر ابن ابراهيم المقدسى الشافعى في كتاب الحجة على تارك الحجة بإسناد صحيح كما قاله النووي ورواه الطبرانى وأبو بكر بن عاصم والمافظ أبو نعيم فى الأربعين التى شرط لها أن تكون من صحيح الأخبار . قال ابن رجب : تصحيح هذا الحديث بعيد جداً من وجوه ذكرها وتعقبه بعضهم ، قلت ومعناه صحيح قطعاً وإن لم يصح إسناده وأصله فى القرآن كثير كقوله (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم) الآية قاله فى الشرح

قوله (لا يؤمن أحدكم) أى لا يكون من أهل كمال الإيمان الواجب الذى وهب أهله عليه بدخول الجنة والنجاة من النار

قوله (حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به) الهوى بالقصر ما يهواه وتعبه نفسه فإن كان الذى يحبّه وتميل إليه نفسه تابعاً لما جاء به الرسول ﷺ فهذه صفة أهل الإيمان المطلق وإن كان بخلاف ذلك أو فى بعض أحواله أو أكثرها انتفى عنه من الإيمان كماله الواجب ونزل عنه فى درجة الإسلام كما فى حديث أبى هريرة « لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ، الحديث فلا يطلق عليه الإيمان إلا بقيد المعصية أو الفسوق فيقال مؤمن عاص أو مؤمن بإيمانه فاسق بمعصيته فيكون معه مطلق الإيمان الذى لا يصح إسلامه إلا به ، والذى عليه سلف الأمة وأئمتها أن الإيمان قول وعمل ونية يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية والأدلة على ذلك من الكتاب والسنة أكثر من أن تحصى خلافاً لمن قال إن الإيمان هو القول وهم المرجئة ، ومن قال هو التصديق كالاشاعرة ، ومن المعلوم عقلاً وشرعاً أن نية الحق تصديق ، والعمل به تصديق ، وقول الحق تصديق ، وليس مع أهل البدع =

وقال الشعبي^(١) : كان بين رجل من المنافقين ورجل من اليهود خصومة ، فقال اليهودي : نتحاكم إلى محمد - عَرَفَ أنه لا يأخذ الرشوة - وقال المنافق : نتحاكم إلى اليهود . لعلمه أنهم يأخذون الرشوة . فاتفقا على أن يأتيا كاهناً في جُهيّة فيتحاكما إليه ، فنزلت : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ ﴾ الآية . وقيل : نزلت في رجلين اختصما

= ما يتنافى قول أهل السنة والجماعة والله الحمد والمنة . انتهى ملخصاً من فتح المجيد .
وأما الخوارج الذين يكفرون بالذنوب فيخرجون الزاني والسارق من الإسلام ويحكمون بكفره وتخليده في النار . والمعتزلة يقولون ليس بمؤمن ولا كافر له منزلة بين المنزلتين ومع ذلك فهو غلد في النار ، ومناسبة الحديث للترجمة بيان الفرق بين أهل الإيمان وأهل النفاق والمعاصي في أقوالهم وأفعالهم وإراداتهم ، قاله في فتح المجيد

(١) قوله (وقال الشعبي) - بفتح الشين - وهو عامر بن شراحيل الكوفي أبو عمرو ثقة مشهور فقيه فاضل . قال مكحول ما رأيت أفقه منه عالم أهل زمانه أدرك خلقاً كثيراً من الصحابة كان حافظاً علامة ذا فنون كان يقول : ما كتبت سوداء في بيضاء ، هاش بضعاً وثمانين سنة قاله الذهبي . قال (كان بين رجل من المنافقين ورجل من اليهود خصومة ، فقال اليهودي : نتحاكم إلى محمد لأنه عرف أنه لا يأخذ الرشوة ، وقال المنافق نتحاكم إلى اليهود لعلمه أنهم يأخذون الرشوة ، فاتفقا أن يأتيا كاهناً في جُهيّة فيتحاكما إليه فنزلت ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ ﴾ الآية . وقيل نزلت في رجلين اختصما فقال أحدهما نترافع إلى النبي ﷺ وقال الآخر إلى كعب بن الأشرف ثم ترافعا إلى عمر فذكر له أحدهما القصة فقال للذي لم يرض برسول الله ﷺ أ كذلك قال نعم فضربه بالسيف فقتله) هذا الأمر رواه ابن جرير وابن المنذر بنحوه ، وذكر شيخ الإسلام أن عمر رضى الله عنه لما قتل المنافق قال : هكذا أفضى بين من لم يرض بقضاء الله وقضاء رسوله ، فنزلت ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ ﴾ الآية ، فقال جبريل : إن =

فقال أحدهما : ترفع إلى النبي ﷺ ، وقال الآخر : إلى كعب بن الأشرف . ثم زافعا إلى عمر ، فذكر له أحدهما القصة ، فقال للذي لم يرض برسول الله ﷺ : أ كذلك ؟ قال : نعم ، فضربه بالسيف فقتله

٤٠ - باب

من جحد شيئا من الأسماء والصفات

== عمر فرق بين الحق والباطل فسمى الفاروق ، انتهى . وقد رويت هذه القصة من طرق متعددة قاله في الشرح . وفيه معرفة تفسير (الحكم الجاهلية يبنون) وما قاله الشعبي في سبب نزولها وتفسير الإيمان الصادق والكاذب وقصة عمر مع المنافق قاله المصنف رحمه الله تعالى ، وفيه أن النجاشي لم إلى غير الله ورسوله من صفات المنافقين ، ولو كان الدعاء إلى تحكيم إمام فاضل ومعرفة أعداء الله ورسوله ﷺ بما كان عليه من العلم والعدل في الأحكام والغضب لله والشدة في أمر الله كما فعل عمر رضي الله عنه وأن من طعن في أحكام النبي ﷺ أو في شيء من دينه قتل كهذا المنافق بل أولى ، وفيها جواز تغيير المنكر وإن لم يأذن فيه الإمام قاله في الشرح ، وفيها ما يبين أن المنافق يكون أشد كراهة لحكم الله ورسوله من اليهود والنصارى وأشد عداوة منهم لأهل الإيمان كما هو الواقع في هذه الأزمنة وقبلها من إعانة العدو على المسلمين وحرصهم على إطفاء نور الإسلام والإيمان وقتل من أظهر الكفر والنفاق قاله في فتح المجيد .

(١) قوله (باب من جحد شيئا من الأسماء والصفات) أي ما حكمه ؟ ومن اسم شرط والجواب محذوف تقديره : فقد كفر ، لما كان التوحيد الذي بعث الله به رسوله وأنزل به كتبه نوعين ؛ أحدهما توحيد في المعرفة والإجابات وهو لإثبات حقيقة ذات الرب تعالى وصفاته وأفعاله وأسمائه ، والثاني توحيد في الطلب والقصد وهو توحيد الإلهية وهما متلازمان لا يصح أحدهما بدون الآخر به المصنف رحمه الله بهذه الترجمة على أن من جحد شيئا من الأسماء والصفات التي وودت في الكتاب والسنة لم يصح توحيد الله ، وإن جحد ما كفر يخرج من الإسلام .

وقول الله تعالى ﴿ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ ﴾^(١) الآية . وفي

(١) قوله (وقول الله تعالى : وهم يكفرون بالرحمن قل هو ربى لا إله إلا هو عليه توكلت وإليه متاب) ولما سمعت قريش رسول الله ﷺ يذكر الرحمن أنكروا ذلك فأنزل الله (وهم يكفرون بالرحمن) . ذكر المفسرون أن سبب نزول هذه الآية في صلح الحديبية لما أمر النبي ﷺ عليا بكتابة وثيقة الصلح فكتب بسم الله الرحمن الرحيم قالوا لا نعرف الرحمن إلا رحمان اليمامة وكان مسيلة قبيحة الله قد تسمى برحمان اليمامة فأنزل الله (وهم يكفرون بالرحمن) أى لا يقرون به ، ووجه مطابقة الآية للترجمة أن الله عز وجل سمي جحود اسمه الرحمن الذى هو اسم وصفة كفرا فدل على أن جحود شئ من الاسماء والصفات كفر

وقوله (قل هو ربى) أى قل يا محمد رداً عليهم فى كفرهم بالرحمن تبارك وتعالى ، هو أى الرحمن ربى لا إله إلا هو ، أى لا معبود بحق سواه ، عليه توكلت وإليه متاب ، أى إليه مرجعى وأوتى فالرحمن اسمه وصفته فالرحمة وصفه القائم به ، فإذا كان المشركون جحدوا اسما من أسمائه الذى دل على كماله تعالى لجحود معناه كجحود لفظه فإن الجهمية يزعمون أنه لا يدل على صفة قائمة به تعالى وتبعمهم على ذلك طوائف من المعتزلة والأشاعرة فلهذا كفرهم كثير من أئمة السنة ولذا قال العلامة ابن القيم فى السكاية الشافية :

ولقد قتلت كفرهم خمسون فى عشر من العلماء فى البلدان

والإسكائى الإمام حكاه عنهم بل حكاه قبله الطبرانى

فإن الجهمية ومن تبعمهم على التعطيل وجحد ما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله بنوا تعطيلهم على أصل باطل أصلوه من عند أنفسهم قالوا هذه صفات الأجسام فيلزم من إثباتها أن يكون الله جسما هذا منشأ ضلال عقولهم لم يفهموا من صفات الله إلا ما فهموا من خصائص صفات المخلوقين فشبهوا الله أولا بخلقه ثم عطلوه من صفة كماله وشبهوه ثانيا بالناقصات والجمادات . قال ابن القيم رحمه الله تعالى : لجعل المعطلة جحد الصفات توحيدا وجعلوا إثباتها تشديدا وتجبسا وتركيبا ، فسموا الباطل باسم الحق ترغيبا فيه ، وسموا الحق باسم الباطل تنفيراً عنه ، والذى عليه سلف الأمة وأئمتها إثبات ما وصف الله به نفسه أو وصفه به =

صحيح البخارى ^(١) قال على حدثوا الناس بما يعرفون ، أتريدون أن يكذب الله ورسوله ؟ ^(٢)

=رسوله على ما يليق بجلاله وعظمته إيمانياً بلا تمثيل وتزيهاً بلا تعطيل فإن الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات يحتذى حدوه ، فكما أنا ثبت لله ذاتاً لا تشبه الذوات فكذلك ثبت له صفاتاً لا تشبه الصفات ، والجهمية المعطلة ومن تبهم على ضلالهم أمعنوا لله ذاتاً لا تشبه الذوات ولم يثبتوا له صفاتاً لا تشبه الصفات فتناقضوا . وقد ألف العلماء من أئمة السلف كتباً في الرد عليهم كالإمام أحمد في رده المشهور وكتاب السنة لابن عبد الله ، وكتاب الحيدة المشهور لعبد العزيز الكنانى ، وكتاب السنة لابن عبد الله المروزي ، ورد عثمان بن سعيد على المريسي ، وكتاب التوحيد للإمام الأئمة محمد بن خزيمة ، وكتاب السنة لابن بكر الخلال ، وغيرهم رحمهم الله ورضى عنهم . وفيه معرفة تفسير آية الرعد وإن جحد شيء من الاسماء والصفات كفر ، قاله المصنف رحمه الله

(١) قوله (وفي صحيح البخارى عن على رضى الله عنه قال : حدثوا الناس بما يعرفون) زاد آدم بن أبي إياس في كتاب العلم : ودعوا ما ينكرون ، قاله الحافظ ابن حجر أى ما يشبه عليهم فهمه ، ومثله قول ابن مسعود : ما أنت محدث قوما حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة . رواه مسلم

(٢) وقوله (أتريدون أن يكذب الله ورسوله) وسبب قول على هذا والله أعلم ما حدث في خلافته من إقبال الناس على الحديث وكثرة القصص ، فيأتون في قصصهم بأحاديث من هذا القبيل لا تعرف ، فربما استنكرها بعض الناس وقد يكون لبعضها أصل أو معنى صحيح فيقع بعض المفاصد فأرشدهم أمير المؤمنين إلى أنهم لا يتحدثون عامة الناس إلا بما هو معروف ينفع الناس في أصل دينهم وأحكامه من بيان حلاله وحرامه الذى كفوا به علما وعملا دون ما يشغل عن ذلك بما قد يؤدى إلى رد الحق وعدم قبوله فيفضي بهم إلى التكذيب . وقد كان أمير المؤمنين معارفة بن أبي سفيان ينهى القصص عن القصص لما في قصصهم من الغرائب والتساهل في النقل ويقول : لا يقص إلا أمير أو مأمور . وكل هذا محافظة على لزوم الثبات على الصراط المستقيم علماً وعملاً ونية وقصد ، وترك كل ما كان وسيلة إلى الخروج عنه إلى البدع والله أعلم

وروى عبد الرزاق^(١) عن معمر عن ابن طاووس عن أبيه عن ابن عباس أنه رأى رجلاً انتفض لما سمع حديثاً عن النبي ﷺ في الصفات استنكاراً لذلك ، فقال : ما فرق هؤلاء ؟ يجدون رقة عند محكمه .
ويهلكون عند متشابهه

(١) قوله (وروى عبد الرزاق) بن همام الصنعاني محدث الين صاحب التصانيف أكثر الرواية عن شيخه معمر بن راشد صاحب الزهري ، ومعمر بفتح اليمين وسكون العين ابن راشد أبو عروة بن أبي عمرو بن راشد الأزدي الحراني ثم البائي أحد الاعلام من أصحاب محمد بن شهاب الزهري يروى عنه كثير (عن ابن طاووس) وهو عبد الله بن طاووس البائي ، قال معمر : أعلم الناس بالعربية ، وقال ابن عيينة : مات سنة اثنتين وثلاثين ومائة وأبوه طاووس بن كيسان الجندى بفتح الجيم والنون الإمام العلم قبل اسمه ذكوان قاله ابن الجوزي (عن ابن عباس) وهو حبر الأمة وترجمان القرآن دعا له النبي ﷺ وقال : اللهم فقهه في الدين وعلله التأويل ، روى عنه أصحابه أئمة التفسير كجاهد وسعيد بن جبير وعطاء بن أبي رباح وطاووس وغيرهم (أنه) أي ابن عباس (رأى رجلاً انتفض لما سمع حديثاً عن النبي ﷺ في الصفات استنكاراً لذلك فقال ما فرق هؤلاء) يستفهم من أصحابه يشير إلى أناس ممن يحضر مجلسه من عامة الناس يجدون رقة عند محكمه أي إذا سمعوا شيئاً من محكم القرآن ومعناه حصل معهم رقة أي خوف (ويهلكون عند متشابهه) أي إذا سمعوا شيئاً مما يشبه عليهم فهمه لا أن آيات الصفات هي المتشابهة كما تقوله الجهمية ونحوهم قال شيخ الإسلام : وأما إدخال أسماء الله وصفاته أو بعض ذلك في المتشابهة الذي لا يعلم تأويله إلا الله فما أعلم عن أحد من سلف الأمة ولا من الأئمة لا أحمد بن حنبل ولا غيره أنه جعل ذلك من المتشابهة ونفى أن يعلم معناه وجعلوا أسماء الله وصفاته من الكلام الأعجمي الذي لا يفهم معناه ولا أن الله ينزل كلاماً لا يفهم أحد معناه ، وإنما قالوا كلمات الله لها معان صحيحة ، وقالوا في أحاديث الصفات تمر كما جاءت ونهوا عن تأويلات الجهمية وردوها وأبطلوها التي معانها تعطيل النصوص =

ولما سمعت قريش رسول الله ﷺ يذكر الرحمن أنكروا
ذلك ، فأنزل الله فيهم ﴿ وهم يكفرون بالرحمن ﴾

== عن مادلت عليه ، ويقرون النصوص على ما دلت عليه من معناها ، ويفهمون منها بعض ما دلت عليه وكذلك نص أحد في كتاب الرذ على الزنادقة والجهمية أنهم تسكوا بمشابه القرآن ، وتكلم أحد على ذلك المتشابه وبين معناه وتفسيره بما يخالف تأويل الجهمية ، وجرى في ذلك على سنن الأئمة قبله رحمه الله . قال الذهبي حدث وكيع عن إسرائيل بحديث : إذا جلس الرب على الكرسي ، فاقشعر رجل عند وكيع فغضب وكيع وقال أدركنا الاعمش وسفيان يحدثون بهذه الأحاديث ولا ينكرونها أخرجه عبد الله بن الإمام أحمد في كتاب الرد على الجهمية ، فهو لا الذين ذكروا ابن عباس تركوا ما وجب عليهم من الإيمان بما لم يفهموا معناه من الكتاب والسنة وهو حق لا يرتاب فيه مؤمن وبعضهم يفهم منه غير المراد من المعنى فيحمله على غير معناه كما جرى لأهل البدع كالخوارج والرافضة والقدرية ونحوهم ممن يتأول بعض آيات القرآن على بدعته وسبب هذه البدع جهل أهلها وقصورهم في الفهم وعدم أخذ العلوم الشرعية على وجهها وتلقيها عن أهلها . فالتشابه أمر نسبي إضافي فقد يكون مشتبه بالنسبة إلى قوم بينا جليا بالنسبة إلى آخرين ولهذا لما خرج النبي ﷺ على قوم يتراجعون في القرآن غضب وقال بهذا ضلعت الأمم قبلكم باختلافهم على أنبيائهم ، وضرب الكتاب بعضه ببعض ، وأن القرآن لم ينزل ليكذب بعضه بعضا ولكن أنزل لأن يصدق بعضه بعضا فاعرفتم منه فاعملوا به وما تشابه عليكم فآمنوا به . رواه ابن سعد وابن مردويه ، وغيرهم . وأما قوله تعالى ﴿ هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات ﴾ أي بينات واضحات الدلالة لا التباس فيها على أحد ﴿ من أم الكتاب ﴾ أي أصله الذي يرجع إليه عند الاشتباه ﴿ وآخر متشابهات ﴾ أي تحتل دلالاتها موافقة المحكم وقد تحتل معنى آخر من حيث اللفظ والتركيب لا من حيث المعنى المراد ﴿ فأما الذين في قلوبهم زيغ ﴾ أي ضلال وخروج عن الحق إلى الباطل ﴿ فيتبعون ما تشابه منه ﴾ أي إنما يأخذون منه بالتشابه الذي يمكنهم أن يحرفوه أي يصرفوه إلى مقاصدهم الفاسدة لاحتمال ==

٤١ - باب

قول الله تعالى ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا﴾ (١) الآية .

= لفظه لما يصرفونه (ابتغاء الفتنة) أى الإضلال لاتباعهم ليوهوم أنهم ينجحون على بدعتهم بالقرآن وهو حجة عليهم لا لهم فن رد ما اشتباه عليه إلى الواضح منه وحكم محكمه على متشابهه فقد اهتمدى ومن عكس انعكس قال شيخ الإسلام : والله جعل الحكم مقابل المتشابهة تارة ومقابل المنسوخ تارة والمنسوخ يدخل فيه كل ظاهر ترك ظاهره لمعارض راجحه كتنخيص العام وتقييد المطلق فان هذا متشابه لانه يحتمل معنيين ويدخل فيه المجمل فإنه متشابه وإحكامه رفع ما يتوهم فيه من المعنى الذى ليس بمراد . وقد روى أن من نصارى نجران الذين وفدوا على النبي ﷺ من تأول أنا ونحن على أن الآلهة ثلاثة لأن هذا ضمير جمع ومعلوم أن أنا ونحن من المتشابهة فإنه يراد بها الواحد الذى معه غيره من جنسه ويراد بها الواحد الذى معه أعوانه وإن لم يكونوا من جنسه ويراد بها الواحد المعظم نفسه الذى يقوم مقام من معه غيره لتنوع أسمائه التى كل اسم منها يقوم مقام مسمى فصار متشابهها لأن اللفظ واحد والمعنى متنوع والأسماء المشتركة فى اللفظ هى من المتشابهة فالذين فى قلوبهم زيغ يدعون المحكم الذى لا اشتباه فيه مثل : وإلهكم إله واحد . إني أنا الله لا إله إلا أنا . الله لا إله إلا أنا فاعبدنى . ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله . ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك . لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد . ويتبعون المتشابهة انتهى باختصار وفيه ترك التحديث بما لا يفهم السامع وذكر العلة أنه يفضى إلى تكذيب الله ورسوله ولو لم يتعمد المنكر ، وكلام ابن عباس لمن استنكر شيئا من ذلك وأنه هلك ، قاله المصنف رحمه الله تعالى

(١) قوله (باب قول الله تعالى : يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها وأكثروا الكافرون) ترجم المصنف رحمه الله تعالى بهذه الآية من سورة النحل المسماة سورة النعم ليبين أن إنكار النعمة بعد معرفتها كفر كنسبة النعمة إلى غير المنعم بها وهو من الشرك الحقيقى المنافى لكمال التوحيد . وقد اختلف المفسرون فى المراد بالنعمة فذكر عن سفيان عن السدى يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها ، قال محمد =

قال مجاهد ما معناه : هو قول الرجل : هذا مالي ، ورثته عن آبائي .
وقال عون بن عبد الله ^(١) يقولون لولا فلان لم يكن كذا .

= **عليه السلام** ذكره ابن جرير ولا شك أن بعثة محمد **عليه السلام** أعظم نعمة ألهم الله بها على أهل الأرض ، قال شيخ الإسلام : فبمحدثين الكفر من الإيمان ، والريج من الخسران ، والهدى من الضلال ، والنجاة من الوبال ، والقي من الرشاد ، والزيغ من السداد ، وأهل الجنة من أهل النار ، والمتقون من الفجار ، وسبيل من ألهم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين من سبيل المفضوب عليهم والضالين . فالنفوس أحوج إلى معرفة ما جاء به وأتباعه منها إلى الطعام والشراب فإن هذا إن فات حصل الموت في الدنيا وذلك إذا فات حصل العذاب فحق على كل أحد بذل جهده ما استطاع في معرفة ما جاء به وطاعته إذ هذا طريق النجاة من العذاب الآليم والسعادة في دار النعيم انتهى (وقال مجاهد في الآية : النعمة هي المساكن والأنعام وسراويل الثياب والحديد يعرفه كفار قريش ثم ينكرونها بأن يقولوا هذا كان لأبائنا وورثناه عنهم) رواه ابن جرير وابن أبي حاتم واختار هذا القول ابن جرير ، واختار غيره أن الآية تم ما ذكر العلماء في معناها

(١) قوله (وقال عون بن عبد الله) بن عتبة بن مسعود أبو عبد الله الكوفي ثقة عابد مات في سنة عشرين ومائة في الآية (يقولون لولا فلان لم يكن كذا) رواه ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم ، وقال ابن القيم ما معناه هذا يتضمن قطع إضافة النعمة عن من لولاه لم تكن وإضافتها إلى من لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ، فضلا عن غيره ، وغايته أن يكون جزاء من السبب أجرى الله نعمته على يده ، والسبب لا يستقل بالإيجاد ، وجعله سببا هو من نعم الله عليه فهو المنعم بتلك النعمة وهو المنعم بما جعله سببا من أسبابها ، فالسبب والمسبب من إنعامه وهو سبحانه كما قد ينعم بذلك السبب ، فقد ينعم بدوره ولا يكون له أثر ، وقد يسلبه سببيته وقد يحمل لها معارضا يقاومها ، وقد يرتب على السبب ضد مقتضاه فهو وحده المنعم على الحقيقة

وقال ابنُ قُتيبة^(١) : يقولون هذا بشفاعة آلهتنا . وقال أبو العباس^(٢) -
بعد حديث زيد بن خالد الذي فيه « إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ : أَصْبَحَ مِنْ
عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ » الحديث ، وقد تقدم - : وهذا كثيرٌ في
الكتاب والسنة ، يَذُمُّ سبحانه من يُضَيِّفُ إنعامه إلى غيره ، ويشركُ
به . قال بعضُ السلف : هو كقولهم كانتِ الرِّيحُ طيبةً والملاحُ حاذقاً ،
ونحو ذلك مما هو جارٍ على السُّنة كثير

(١) قوله (وقال - أبو محمد عبد الله بن مسلم - بن قتيبة) الدينوري الحافظ
صاحب التفسير والمعارف وغيرهما وثقه الخطيب وغيره ومات سنة سبع وستين
ومايتين أو قبلها (يقولون هذا بشفاعة آلهتنا) قال ابن القيم : هذا يتضمن
الشرك مع إضافة النعمة إلى غير وإلها ، فالآلهة التي تعبد من دون الله أحقر وأذل
من أن تشفع عند الله وهي محضرة في الهوان والعذاب مع عابديها ، وأقرب الخلق
إلى الله وأحبهم إليه لا يشفع عنده إلا من بعد إذنه لمن ارتضاه ، والشفاعة عنده
بإذنه من نعمه فهو المنعم بالشفاعة وهو المنعم بقبولها وهو المنعم بتأهيل
المشفوع له ، إذ ليس كل أحد أهلاً أن يشفع له ، فمن المنعم على الحقيقة سواء ؟
انتهى

(٢) قوله (وقال الإمام أبو العباس) شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحلیم بن عبد
السلام بن تيمية الحراني رحمه الله تعالى ورضي عنه بعد حديث زيد بن خالد
الذي فيه أن الله قال (أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر) وهذا كثير في الكتاب
والسنة يذم سبحانه من يضيف أنعامه إلى غيره ويشرك به ، قال بعض السلف :
هو كقولهم كانت الرِّيح طيبةً والملاح حاذقاً ونحو ذلك مما هو جارٍ على السُّنة
كثير) انتهى . وكلام الشيخ هذا يدل على أن حكم هذه الآية عام في كل من
نسب النعم إلى غير الله الذي أنعم بها وأسند أسبابها إلى غيره مما هو مذكور في
كلام المفسرين المذكور بعضه هنا وذلك من أنواع الشرك كما لا يخفى ، قاله في
قرة العيون . وفيه معرفة النعمة وإنكارها ومعرفة أن هذا جارٍ على السنة =

٤٢ - باب

قول الله تعالى ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾^(١)
قال ابن عباس في الآية^(٢) : الأندادُ هو الشرك ، أخفى من ديب

= كثير ، وتسمية هذا الكلام إنكاراً للنعمة ، واجتماع العبدین في القلب ، قاله المصنف رحمه الله تعالى . قلت والمراد بالصدين معرفة النعمة وإنكارها

(١) قوله (باب قول الله تعالى فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون) ينهى تبارك وتعالى عباده أن يجعلوا له أنداداً ونظراء يشركونهم معه في عبادته وهم يعلمون أنه لا ند له ويذكركم بنعمه التي امتن بها عليهم في قوله (يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون ، الذي جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون) قال البغوي (يا أيها الناس) خطاب لأهل مكة و (يا أيها الذين آمنوا) خطاب لأهل المدينة وهو هنا عام إلا من حيث أنه لا يدخله الصغار والمجانين ، وقال ابن عباس كل ما في القرآن من العبادة فعناه التوحيد ثم شرع تعالى في بيان وحدانية ألوهيته بأنه المنعم على عباده بإخراجهم من العدم إلى الوجود وإسباغ نعمه عليهم الظاهرة والباطنة فجعل الأرض فراشاً مثبتة بالرواسي الشاخات ، والسماء بناء وهو السقف وأنزل من السماء - والمراد السحاب - ماء في وقت احتياجهم إليه فأخرج به أنواع الزروع والثمار رزقا لكم . ومضمون هذا أنه الخالق الرازق مالك الدار وساكنها ورازقهم فهو المستحق أن يعبد وحده ولا يشرك معه غيره من الأنداد . قال ابن القيم رحمه الله فتأمل هذه وعدة لزومها لتلك المقدمات قبلها وظفر العقل بها بأول وهلة وخلصها من كل شبهة وريب وقادح إذا كان الله وحده هو الذي فعل هذه الأفعال فكيف تجعلون لله أنداداً وقد علمتم أنه لا ند له يشاركه في فعله

(٢) قوله (وعن ابن عباس رضى الله عنهما في الآية) الأنداد هو الشرك أخفى من ديب النمل على صفاة سوداء في ظلة الليل وهو أن تقول : والله =

العمل على صفة سوداء في ظلمة الليل . وهو أن تقول : والله وحياتك
يا فلان وحياتي . وتقول لو لا كُليبةُ هذا لاتانا اللصوص ، ولو لا
البط في الدار لآتى اللصوص . وقول الرجل لصاحبه : ما شاء الله
وشئت ، وقول الرجل : لو لا الله وفلان . لا تجعل فيها فلاناً ، هذا
كله به شرك . رواه ابن أبي حاتم

وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ^(١) أن رسول الله ﷺ قال
« مَنْ حَافَ بغير الله كفر ، أو أشرك » رواه الترمذى وحسنه ،
وصححه الحاكم

= وحياتك يا فلان وحياتي ، وتقول لو لا كُليبةُ هذا لاتانا اللصوص ولو لا البط في
الدار لاتانا اللصوص ، وقول الرجل لصاحبه ما شاء الله وشئت ، وقول الرجل
لصاحبه لو لا الله وفلان هذا ، كله به شرك رواه ابن أبي حاتم) وفيه معرفة تفسير
آية البقرة في الانداد وأن الصحابة يفسرون الآية النازلة في الشرك الأكبر أنها
نعم الأصغر قاله المصنف رحمه الله تعالى . وهذا الذى ذكره ابن عباس كله من
الشرك الأصغر ، وهو الجارى على السنة كثير من الناس ممن لا يعرف التوحيد
ولا الشرك ، وهو من المنكر العظيم الذى يجب النهى عنه والتخليط فيه لكونه
أكبر من الكبائر وهذا من ابن عباس تفنيه بالأدنى من الشرك على الأعلى . قاله
في فتح المجيد ، وهذا هو الشاهد من كلام ابن عباس للترجمة

(١) قوله (وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه) قال في الشرح صوابه ابن
عمر كذا ، أخرجه أحمد وأبو داود والترمذى والحاكم وصححه ابن حبان قال ابن
العراق وإسناده ثقات (أن رسول الله ﷺ قال : من حلف بغير الله فقد كفر ، أو
أشرك) يحتمل أن يكون شكاً من الراوى ويحتمل أن تكون أو بمعنى الواو
فيكون قد كفر وأشرك ويكون من التكفر الذى هو دون الكفر الأكبر كما
هو من الشرك الأصغر ، وهذا هو الشاهد من الحديث للترجمة ، قال ابن عبد البر : =

وقال ابن مسعود : لَأَنْ أَحْلِفَ بِاللَّهِ كَاذِبًا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ
أَحْلِفَ بغيره صادقاً^(١)

وعن حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « لَا تَقُولُوا :
مَا شَاءَ اللَّهُ وَشَاءَ فُلَانٌ ، وَلَكِنْ قُولُوا : مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ شَاءَ فُلَانٌ »^(٢) .
رواه أبو داود بسند صحيح

= لا يجوز الحلف بغير الله بالإجماع ذكره في إبطال التنديد . وأما قوله : أفلح
وأبيه إن صدق ونحوه ، فقال في الشرح الحق أن هذا كان قبل النهي عنه ثم لسخ ،
قال السهيلي : وعليه أكثر الشراح

(١) قوله (وقال ابن مسعود : لَأَنْ أَحْلِفَ بِاللَّهِ كَاذِبًا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ
أَحْلِفَ بغيره صادقاً) وهذا لأن الحلف بالله كاذباً من الكبائر والحلف بغير الله
شرك أصغر وهو أكبر من الكبائر وكلام ابن مسعود هذا رواه الطبراني وذكره
ابن جرير غير مستند . وقال شيخ الإسلام : وإنما رجح ابن مسعود الحلف بالله
كاذباً على الحلف بغيره صادقاً لأن الحلف بالله توحيد ، والحلف بغيره شرك ،
وإن قدر الصدق في الحلف بغير الله لحسنة التوحيد أعظم من حسنة الصدق
وسبب الكذب أسهل من سبب الشرك ، وفيه أن الحلف بغير الله شرك وأنه إذا
حلف بغير الله صادقاً فهو أكبر من اليمين الغموس ، قاله المصنف رحمه الله
تعالى

(٢) قوله (وعن حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : لَا تَقُولُوا مَا شَاءَ
اللَّهُ وَشَاءَ فُلَانٌ وَلَكِنْ قُولُوا مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ شَاءَ فُلَانٌ) رواه أبو داود بسند
صحيح (وهذا لأن المعطف بالوار يقتضى المساواة لأنها في وضعها لمطلق الجمع
بخلاف الفاء وثم وتسوية المخلوق بالخالق بكل نوع من أنواع العبادة شرك وهو
من الشرك الأصغر

وجاء عن إبراهيم النخعي أنه يكره ، أعوذ بالله وبك ويجوز أن يقول : بالله ثم بك . قال : ويقول : لو لا الله ثم فلان ، ولا تقولوا : لو لا الله وفلان^(١)

٤٣ - باب

ما جاء فيمن لم يقنع بالحلف بالله^(٢)

عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال : لا تحلفوا بأبائكم^(٣) ، من

(١) قوله (وجاء عن إبراهيم النخعي أنه يكره أعوذ بالله وبك ويجوز أن يقول أعوذ بالله ثم بك ، قال : ويقول لو لا الله ثم فلان ، ولا تقولوا لو لا الله وفلان) وكلام إبراهيم هذا الذي ذكره المصنف رواه عبد الرزاق وابن أبي الدنيا في كتاب الصمت عن مغيرة قال كان إبراهيم يكره أن يقول الرجل الخ لان الوار لمطلق الجمع بخلاف ثم فانها تقتضي الترتيب ، وفيه معرفة الفرق بين الوار وثم في اللفظ قاله المصنف رحمه الله . تنبيه : السكراهة في عرف السلف إنما يراد بها كراهة التحريم لا كراهة التزويد المصطلح عليها عند متأخرى الفقهاء ومطابقة الحديثين والآخرين للترجمة ظاهرة على ما فسر به ابن عباس رضى الله عنهما الآية ، قاله في الشرح

(٢) قوله (باب ما جاء فيمن لم يقنع بالحلف بالله) أى من الوعيد لأن ذلك يدل على قلة تعظيمه لجناب الربوبية إذ القلب الممتلئ بمعرفة عظمة الله وجلاله وعزته وكبريائه لا يفعل ذلك ، قاله في الشرح

(٣) قوله (عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال لا تحلفوا بأبائكم من حلف بالله فليصدق ومن حلف له بالله فليرض ومن لم يرض فليس من الله ، رواه ابن ماجه بسند حسن)

قوله (لا تحلفوا بأبائكم) تقدم النهى عن الحلف بغير الله عموما

حَلَفَ بِاللَّهِ فَلْيَصْذُقْ ، وَمَنْ حَلَفَ لَهُ بِاللَّهِ فَلْيَرْضَ ، وَمَنْ لَمْ يَرْضَ
فليسَ من الله » رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهَ بِسَنَدٍ حَسَنٍ

٤٤ - بَابُ

قَوْلِ مَا شَاءَ اللَّهُ وَشَتَّى^(١)

وقوله (من حلف بالله فليصدق) هذا مما أوجب الله على عباده وحضهم عليه في كتابه ، قال الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) قوله (ومن حلف له بالله فليرض) ومن لم يرض فليس من الله (قال ابن كثير أى فقد برأ من الله . وهذا عام في الدعاوى وغيرها وحدثت عن المصنف أنه حل حديث الباب على اليمين في الدعاوى كمن يتحاكم عند الحاكم فيحكم على خصمه باليمين فيحلف فيجب عليه أن يرضى ، قاله في الشرح . قلت تعبير الشارح بالحكم على خصمه باليمين سبقة قلم منه رحمه الله لأنه إذا لم يكن للدعى بنية عرض عليه هل يطلب لإحلاف خصمه فإن طلب ذلك أحلفه لايحكم عليه باليمين فإن نكل عن اليمين حكم عليه بالنكول وإن حلف فعليه أن يرضى باليمين ولا تكون يمين خصمه مبطله لدعواه بل إذا وجد بنية فله إقامة الدعوى وإقامة البنية . قال في فتح المجيد : أما إذا لم يكن له بحكم الشريعة على خصمه إلا اليمين فأحلف فلا ريب أنه يجب عليه الرضا ، وأما إذا كان فيما يجرى بين الناس مما قد يقع في الاعتذارات من بعضهم لبعض ونحو ذلك فهذا من حق المسلم أن يقبل منه إذا حلف معتذراً أو متبرأ من تهمة ، ومن حقه عليه أن يحسن الظن به إذا لم يقبل خلافه ، كما في الأثر عن عمر رضى الله عنه : ولا تظن بكلمة خرجت من مسلم شرأ وأنت تجد لها في الخير محملاً انتهى . وفيه النهى عن الحلف بالآباء والأمر للمحلف له بالله أن يرضى ووعيد من لم يرض ، قاله المصنف رحمه الله تعالى

(١) قوله (باب قول : ما شاء الله وشئت) أى ما حكم التلفظ بذلك وحكمه أنه تشريك في اللفظ ، لأنه عطف مشيئة المخلوق على مشيئة الخالق جل وعلا بحرف المطفف المقتضى للتشريك بين المعطوف والمعطوف عليه ، وهو من أنواع الشرك الأصغر

عن قُتَيْبَةَ^(١) "أن يهودياً أتى النبي ﷺ فقال : إنكم تُشركون ،
تقولون : ما شاء اللهُ وشئتَ ، وتقولون : والكعبة . فأمرهم النبي
ﷺ إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا : ورب الكعبة ، وأن يقولوا
ما شاء اللهُ ثم شئتَ . رواه النسائي وصححه

(١) قوله (عن قُتَيْبَةَ) بضم القاف وفتح التاء بعدها مشاة تحنية مصغر ،
بفت صيفى الجهنية أو الألبارية صحابة مهاجرة لها حديث في سنن النسائي
واليوم والليل ، وهو هذا الذى ذكره المصنف وأشار ابن سعد إلى أنه ليس لها
غير هذا الحديث (أن يهودياً أتى إلى النبي ﷺ فقال إنكم تشركون ، تقولون
ما شاء الله وشئتَ وتقولون والكعبة ، فأمرهم النبي ﷺ إذا أرادوا أن يحلفوا
أن يقولوا : ورب الكعبة وأن يقولوا ما شاء الله ثم شئتَ . رواه النسائي
وصححه) وهذا نص في أن هذا اللفظ من الشرك لأن النبي ﷺ أقر اليهودى على
تسمية هذا اللفظ شركاً ونهى النبي ﷺ عن ذلك وأرشد إلى اللفظ الذى لا محذور
فيه ، وهو قول ما شاء الله ثم شئتَ وإن كان الأولى قول ما شاء الله وحده ،
والعبد وإن كانت له مشيئة فمشيئته تابعة لمشيئة الله كما قال تعالى (وما تشاؤون
إلا أن يشاء الله رب العالمين) وقوله (لمن شاء منكم أن يستقيم) الآية
وغيرها . وفى الحديث والآيات الرد على القدرية والمعتزلة نفاة القدر الذين
يثبتون للعبد مشيئة تخالف ما أراده الله تعالى من العبد وشاءه ، وأما أهل السنة
والجماعة فتمسكوا بالكتاب والسنة فى هذا الباب وغيره واعتقدوا أن مشيئة
العبد تابعة لمشيئة الله فى كل شيء بما شرعه الله وما يخالفه من أفعال العباد
وأقوالهم فالكل بمشيئة الله وإرادته فما وافق ما شرعه رضىه وأحبه وما خالفه
كرهه من العبد كما قال تعالى (إن تكفروا فإن الله غنى عنكم ولا يرضى لعباده
الكفر) الآية . وفيه أن الحلف بالكعبة شرك لأن النبي ﷺ أقر اليهودى على
قوله إنكم تشركون ، وفيه فهم الإنسان إذا كان له هوى ، قاله المصنف رحمه الله .
وفيه معرفة اليهود بالشرك الأصغر ، قال فى الشرح وكثير من يدعى الإسلام
لا يعرف الشرك الأكبر بل يعرف خالص العبادات من الدعاء والذبح والنذر =

وله أيضاً عن ابن عباس أن رجلاً قال للنبي ﷺ : ما شاء الله وشئت : فقال : « أجعلتنى لله نداً ! ما شاء الله وحده »^(١)

= لغير الله ويظن أن ذلك من الدين . وفيه قبول الحق من جاء به وإن كان عدواً مخالفاً في الدين ، وأن الحلف بالكعبة من الشرك الأصغر

(١) قوله (عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رجلاً قال للنبي ﷺ ما شاء الله وشئت فقال : « أجعلتنى لله نداً ؟ بل ما شاء الله وحده ») هذا الحديث رواه النسائي في اليوم والليلة ، ورواه ابن ماجه في الكفارات من السنن عن هشام بن عمار عن عيسى نحوه

قوله (أجعلتنى لله نداً) هذه رواية ابن مردويه ورواية النسائي وابن ماجه . « أجعلتنى لله عدلاً ، والمعنى واحد قاله في الشرح . قال ابن القيم رحمه الله تعالى : ومن الشرك في الالفاظ قول القائل للخلوق ما شاء الله وشئت كما ثبت عن النبي ﷺ أن رجلاً قال له : ما شاء الله وشئت ، فقال : « أجعلتنى لله نداً ، هذا مع أن الله قد أثبت للعبد مشيئة كقوله (لمن شاء منكم أن يستقيم) فكيف بمن يقول : أنا متوكل على الله وعليك ، وأنا في حسب الله وحسبك ، ومالى إلا الله وأنت ، وهذا من الله ومنك ، وهذا من بركات الله وبركاتك ، والله لى فى السماء وأنت لى فى الأرض . فوازن بين هذه الالفاظ وبين قول القائل : ما شاء الله وشئت ثم انظر أيهما أخش

وقوله (أجعلتنى لله نداً) فكيف بمن قال

يا أكرم الخلق مالى من ألؤذ به سواك عند حلول الحادث العمم
فإن من جودك الدنيا وضرتها ومن علومك علم اللوح والقلم
إن لم تكن فى معادى آخذاً بيدى فضلاً وإلا فيأزلة القدم
وقوله :

دع ما ادعته النصرارى فى نبيهموا واحكم بما شئت مدحا فيه واحسبك
لو ناسبت قدره آياته عظم أحيا اسمه حين يدعى دارم الرمم

ولابن ماجة ، عن الطفيل أخى عائشة لأمها^(١) قال : رأيتُ كأنى
أتيتُ على نفرٍ من اليهود ، قلتُ إنكم لآتم القومُ ، لو لا أنكم
تقولون : عزيرُ ابنُ الله ، قالوا : وأنتم لآتم القومُ ، لو لا أنكم
تقولون : ما شاء الله وشاء محمد . ثم مررتُ بنفرٍ من النصارى ،
فقلتُ : إنكم لآتم القوم ، لو لا أنكم تقولون : المسيحُ ابنُ الله ،
قالوا : وأنتم لآتم القوم ، لو لا أنكم تقولون ما شاء الله وشاء محمد .
فلما أصبحتُ أخبرتُ بها من أخبرتُ ، ثم أتيتُ النبی ﷺ فأخبرتهُ
قال : هل أخبرتَ بها أحداً ؟ قلتُ : نعم . فحمد الله وأثنى عليه ، ثم
قال : أما بعدُ فإن طفيلاً رأى رؤيا أخبر بها من أخبر منكم ، وإنكم
قلتم كلمة كان يمنعكم كذا وكذا أن أنهاكم عنها ، فلا تقولوا : ما شاء الله

(١) قوله (عن الطفيل أخى عائشة لأمها) وهو الطفيل بن عبد الله بن =
سحبرة صحابي له حديث عند ابن ماجة وهو ما ذكره المصنف فى الباب ، قال
البعقوى لا أعلم له غيره (قال رأيت) أى فيما يرى النائم (كأنى أتيت) أى مررت
(على نفر من اليهود فقلت : إنكم لآتم القوم لو لا أنكم تقولون عزير بن الله)
أى لعم القوم أنتم لو لا ما أنتم عليه من الشرك والمسبة لله بنفسه الولد إليه (قالوا
وأنتم لآتم القوم لو لا أنكم تقولون ما شاء الله وشاء محمد) عارضوه بذكر
شئ مما فى المسلمين من الشرك الأصغر (ثم مررت بنفر من النصارى فقلت إنكم
لآتم القوم لو لا أنكم تقولون المسيح ابن الله . قالوا إنكم لآتم القوم لو لا أنكم
تقولون ما شاء الله وشاء محمد) قال فلما أصبحت أخبرت بها من أخبرت ثم أتيت
النبي ﷺ فأخبرته لحمد الله وأثنى عليه (والثناء هو تكرار الحمد ، قاله ابن القيم
رحمه الله) ثم قال : أما بعد فإن طفيلاً رأى رؤيا أخبر بها من أخبر منكم وإنكم
قلتم كلمة كان يمنعكم كذا وكذا أن أنهاكم عنها ، (وفى رواية أحمد والطبرانى كان
يمنعكم الحياء منكم أن أنهاكم عنها . وهذا الحياء منهم ليس على سبيل الحياء من =

وشاء محمد ، وإن كن قولوا : ما شاء الله وخذه

٤٥ - باب

مَنْ سَبَّ الدَّهْرَ فَقَدْ آذَى اللَّهَ ^(١)

= الإنكار عليهم بل كان ﷺ يكرها ويستحي أن يذكرها لأنه لم يؤمر بإنكارها ، فلما جاء الأمر الإلهي بالرؤيا الصالحة أنكرها ولم يستح في ذلك . وفيه دليل على أنها من الشرك الأصغر إذ لو كانت من الأكبر لأنكرها من أول مرة قالوا ، قاله في الشرح . وهذه رؤيا حق أقرها النبي ﷺ وعمل بمقتضاها (فنهاهم أن يقولوا ما شاء الله وشاء محمد وأمرهم أن يقولوا ما شاء الله وحده) قال في فتح المجيد وإن كانت رؤيا منام فهي وحى يثبت بها ما يثبت بالوحى أمراً ونهياً ، والله أعلم . وفيه معنى قوله ﷺ : الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة ، لأنه ﷺ قبل النبوة وهو يتحدث في غار حراء كان يرى الرؤيا التي كانت تجيء مثل فلق الصبح مدة ستة أشهر وهي بالنسبة إلى مدة النبوة الثلاثة والعشرين سنة جزء من ستة وأربعين جزءاً منها ، وذكر الحليمي أن الوحى كان يأتيه على ستة وأربعين نوعاً فذكرها وغالبها من صفات حامل الوحى ومجموعها يدخل فيما ذكر انتهى . وفيه أن الرؤيا الصالحة من أقسام الوحى وأنها قد تكون سبباً لشرع بعض الأحكام ، وأن قول ما شاء الله وشئت ليس من الشرك الأكبر لقوله : يمتنع كذا وكذا ، قاله المصنف رحمه الله تعالى .

(١) قوله (باب من سب الدهر فقد آذى الله) تبارك وتعالى مناسبة هذا الباب لكتاب التوحيد ظاهرة لأن سب الدهر يتضمن الشرك ولفظ الآذى في اللغة هو لما خيف أمره وضعف أثره من الشرك والمكروه ذكره الخطابي . قال شيخ الإسلام وهو كما قال وهذا بخلاف الضرر ، فقد أخبر سبحانه أن العباد لا يضررونه كما قال تعالى (ولا يضررك الذين يسارعون في الكفر إنهم لن يضرروا الله شيئاً) فبين أن الخلق لا يضررونه لكن يؤذونه إذا سبوا مقلب الأمور ، قاله في الشرح

وقول الله تعالى ﴿وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما
يهلكنا إلا الدهر﴾^(١) الآية . في الصحيح^(٢) عن أبي هريرة عن النبي

(١) قوله (وقول الله تعالى ﴿وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر﴾) قال ابن كثير: يخبر تعالى عن قول الدهرية من الكفار ومن وافقهم من مشركي العرب في إنكار المعاد وقالوا ما هي إلا حياتنا الدنيا قال ابن جرير: أي ما حياة إلا حياتنا التي نحن فيها لا حياة سواها تكذيبا منهم للبحث بعد الموت ونحيي قال ابن كثير: أي يموت قوم ويعيش آخرون وما هم معاد ولا قيامة ، وهذا يقوله مشركوا العرب المنكرون للعاد ، وتقوله للفلاسفة الإلهيون منهم وهم ينكرون البداة والرجعة ، وتقوله الفلاسفة الدهرية الدورية المنكرون للصانع المعتقدون أن في كل ستة وثلاثين ألف سنة يعود كل شيء إلى ما كان عليه ، وزعموا أن هذا قد تكرر مرات لا تتناهى فكذبوا المعقول وكذبوا المنقول ، ولهذا قالوا ﴿وما يهلكنا إلا الدهر﴾ قال ابن جرير أي ما يهلكنا إلا مر الليالي والأيام وطول العمر إنكارا منهم أن يكون لهم رب يفتنهم ويهلكهم . قال الله تعالى ﴿وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون﴾ أي يتوهمون ويتخيلون . فان قلت : أين مطابقة الآية للترجمة إذا كانت خبراً عن الدهرية المشركين ؟ قلت المطابقة ظاهرة لأن من سب الدهر فقد شاركهم في سبه وإن لم يشاركهم في الاعتقاد ، قاله في الشرح

(٢) قوله (في الصحيح) أي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال قال الله تعالى : يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر أقلب الليل والنهار ،) وأخرجه أحمد بهذا اللفظ وأخرجه مسلم بلفظ آخر قال في شرح السنة ومعناه أن العرب كان من شأنها ذم الدهر أي سبه عند النوازل لأنهم كانوا ينسبون إليه ما يصيبهم من المصائب والمكاره فيقولون أصابهم قوارع الدهر وأبادهم الدهر فاذا أضافوا إلى الدهر ما فالهم من الشدائد سبوا فاعلموا فكان مرجع سبهم إلى الله عز وجل إذ هو الفاعل في الحقيقة للأمور التي يصفونها فتموا عن سب الدهر . انتهى ملخصا

ﷺ قال « قال الله تعالى يؤذيني ابن آدم ، يَسُبُّ الدهرَ ، وأنا الدهرُ ، أَقْلَبُ الليلَ والنهار »

وفى رواية « لا تَسُبُّوا الدهرَ ، فإن الله هو الدهر »^(١)

وقوله (أَقْلَبُ الليل والنهار) تقليبه تصرفه تعالى فيه بما يحبه الناس ويكرهونه . وفى هذا الحديث زيادة لم يذكرها المصنف وهى قوله : يبدى الأمر (١) قوله (وفى رواية : لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر) هذه الرواية ذكرها مسلم وغيره . قال الشافعى وأبو عبيد وغيرهما من الأئمة فى تفسير قوله « لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر » كانت العرب فى جاهليتها إذا أصابهم شدة أو بلاء أو نكبة قالوا يا خيبة الدهر فيسندون تلك الأفعال إلى الدهر ويسبونه ، وإنما فاعلها هو الله تعالى فكأنما سبوا الله سبحانه لأنه فاعل ذلك فى الحقيقة ، فلماذا نهى عن سب الدهر بهذا الاعتبار لا أن الله هو الدهر الذى يعضونه ويسندون إليه تلك الأفعال وهذا أحسن ما قيل فى تفسيره وهو المراد والله أعلم وقد تبين بهذا خطأ ابن حزم فى عده الدهر من أسماء الله الحسنى ، ولو كان كذلك لكان الذين قالوا وما يهلكنا إلا الدهر صادقين ، قاله فى الشرح . قال ابن القيم رحمه الله تعالى : وفى مسبة الدهر ثلاث مفاسد عظيمة أحدها مسبة من ليس أهلاً للسب فإن الدهر خلق مسخر من خلق الله متقاد لأنصره متذلّل لتسخيره فسأبه أولى بالسب والذم منه ، والثانية أن سبه متضمن للشرك فإنه إنما سبه لظنه أنه يضر وينفع وأنه مع ذلك ظالم قد ضر من لا يستحق الضرر ورفع من لا يستحق الرفعة ، وحرّم من لا يستحق الحرمان وأعطى من لا يستحق العطاء وهو عند شاتميه من أظلم الظلمة وأشعار هؤلاء الطلبة الخونة فى سبه كثيرة جداً وكثير من الجهال يصرح بلعنه وتقييده ، الثالثة أن السب منهم إنما يقع على من فعل هذه الأفعال التى لو اتبع الحق أهواءهم فيها لفسدت السموات والأرض ، فإذا وافقت أهواءهم حمدوا الدهر وأثروا عليه ، وفى حقيقة الأمر قرب الدهر هو المعطى المانع الخافض الرافع المعز المذل ، والدهر ليس له من الأمر شيء فسبهم مسبة لله عز وجل ، ولهذا كانت مؤذية لله تعالى ، فسأب الدهر دائر بين أمرين لا بد له من أحدهما ، أما مسبة الله أو الشرك به فإنه إن اعتقد أن الدهر فاعل مع الله =

٤٦ - باب

التسمى بقاضى القضاة ونحوه^(١)

فى الصحيح^(٢) عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال « إِنْ أَخْنَعَ

= فهو مشرك ، وإن اعتقد أن الله وحده هو الذى يفعل ذلك وهو بسبب من فعله فهو سب لله تعالى انتهى . وليس من مسبة الدهر وصف السنين بالشدة لقوله تعالى (ثم يأتى من بعد ذلك سبع شداد) الآية . وفيه النهى عن سب الدهر وتسميته إذا الله والتأمل فى قوله فإن الله هو الدهر وإنه قد يكون ساباً وإن لم يقصده بقلبه قاله المصنف رحمه الله تعالى

(١) قوله (باب التسمى بقاضى القضاة ونحوه) ذكر المصنف رحمه الله هذه الترجمة إشارة إلى النهى عن التسمى بقاضى القضاة قياساً على ما فى حديث الباب لكونه شبهة فى المعنى فنهى عنه قاله فى فتح المجيد

(٢) قوله (فى الصحيح) أى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : إِنْ أَخْنَعَ اسْمَ عِنْدَ اللَّهِ رَجُلٌ تَسْمَى مَلِكُ الْأَمْلَاقِ لَا مَالِكَ إِلَّا اللَّهُ لِأَنَّ هَذَا اللَّفْظَ إِنَّمَا يَصْدُقُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى فَهُوَ مَلِكُ الْأَمْلَاقِ لَا مَلِكَ أَعْظَمَ مِنْهُ وَلَا أَكْبَرَ مِنْهُ مَالِكُ الْمَلِكِ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ وَكُلُّ مَلِكٍ يُؤْتِيهِ اللَّهُ مِنْ يَشَاءَ مِنْ عِبَادِهِ فَهُوَ عَارِيَةٌ يَسْرِعُ رَدُّهَا إِلَى الْمَعِيرِ وَهُوَ اللَّهُ تَعَالَى يَنْزِعُ الْمَلِكَ مِنْ مَلِكِهِ تَارَةً وَيَنْزِعُ الْمَلِكَ مِنْهُ تَارَةً فَيُصِيرُ لَا حَقِيقَةً لَهُ سِوَى اسْمِ زَالٍ مَسَاءً ، وَأَمَّا رَبُّ الْعَالَمِينَ فَلَسَكِهِ دَائِمٌ كَامِلٌ لَا انْتِهَاءَ لَهُ ، بِيَدِهِ الْقِسْطُ يَخْفِضُهُ وَيَرْفَعُهُ وَيَحْفَظُ عَلَى عِبَادِهِ أَعْمَالَهُمْ يَعْلَمُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَمَا تَكُنْهُ الْحَفَظَةُ عَلَيْهِمْ فَيَجَازِى كُلَّ عَامِلٍ بِعَمَلِهِ إِنْ خَيْرٌ أَوْ خَيْرٌ وَإِنْ شَرٌّ أَفْشَرَ كَمَا وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ « اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ كُلُّهُ وَلَكَ الْمُلْكُ كُلُّهُ وَبِيَدِكَ الْخَيْرُ كُلُّهُ وَإِلَيْكَ يَرْجِعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ ، أَسْأَلُكَ مِنَ الْخَيْرِ كُلِّهِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ » .

قوله (إِنْ أَخْنَعَ) اسم ، ذكر المصنف أن معناه أوضع ، وهذا التفسير . رواه مسلم عن الإمام أحمد عن أبى عمرو الشيبانى ، قال عياض معناه أنه أشد =

اسم عند الله رجل تسمى ملك الأملاك ، لا مالك إلا الله .
قال سفيان : مثل شاهان شاه^(١) وفي رواية « أغيظ رجل على الله
يوم القيامة وأخيمته^(٢) » . قوله

== الأسماء صفاراً ونحو ذلك فسر أبو عبيد ، والخائع الذليل ، وخضع الرجل ذل
قاله في الشرح ، وفي رواية « اشتد غضب الله على من زعم أنه ملك الأملاك ،
رواه الطبراني

وقوله (تسمى) بفتح التاء الفوقية والسين المهملة أى سمي نفسه ، وقيل بضم
الياء التحتية أى يدعى بذلك ويرضى به

وقوله (لا مالك إلا الله) أى هو الذى يستحق هذا الاسم ومن تسمى به
فقد كذب واقرى وادعى ما ليس له فلذا صار أذل الناس عند الله يوم القيامة .
قال ابن القيم رحمه الله تعالى المالك المتصرف بفعله ، والمالك المتصرف بفعله
وأمره .

(١) وقوله (قال سفيان - هو ابن عيينة - مثل شاهان شاه) . قال ابن القيم :
ملك الملوك وسليطان السلاطين ومراد سفيان أن الحديث متناول لمثل هذا بأى
لسان فلا ينحصر فى لفظ بعينه بل ما أدى هذا المعنى فهو داخل فى الحديث ،
هذا معنى كلام الحافظ ابن حجر قاله فى إبطال التنديد

(٢) قوله (وفى رواية « أغيظ رجل على الله يوم القيامة وأخيمته ») هذه
الرواية ذكرها مسلم فى صحيحه قاله فى الشرح

قوله (أغيظ من الغيظ) وهو مثل الغضب فيكون بغيضاً إلى الله مغضوباً
عليه والله أعلم . وهذا من الصفات التى تمر كما جاءت ويجب اتباع الكتاب
والسنة فى ذلك وإثباته على وجه يليق بجلال الله وعظمته تعالى قاله فى فتح المجيد
قوله (وأخيمته) وهو يدل على أن هذا خبيث عند الله فاجتمعت فى حقه
هذه الأمور لتعاطفه فى نفسه وتعظيم الناس له بما ليس له بأهل فصار أخيب
الخلق وأبغضهم إلى الله وأحقهم عنده وهذا المذكور يتألف كمال التوحيد الذى
دلت عليه كلمة الإخلاص فيكون فيه شائبة من الشرك وإن لم يكن أكبر قاله فى
قرة العيون .

« أَخْنَعُ » يعنى : أوضع

٤٧ - باب

احترام أسماء الله تعالى وتغيير الاسم لأجل ذلك ^(١)

عن أبي شريح ^(٢) أنه كان يُكنى 'أبا الحكم' ، فقال له النبي ﷺ
« إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَكَمُ ، وَإِلَيْهِ الْحُكْمُ » ^(٣) ،

قوله (أخنع) يعنى أوضع . وفيه النهى عن التسمي بملك الأملاك ، وأن
ما فى معناه مثله كما قال سفيان ، والتفطن للتخليط فى هذا ونحوه مع القطع أن
القلب لم يقصد معناه والتفطن فى أن هذا لأجل الله سبحانه ، قاله المصنف رحمه
الله تعالى

(١) قوله (باب احترام أسماء الله تعالى وتغيير الاسم لأجل ذلك)

(٢) قوله (عن أبي شريح) بضم المعجمة وفتح الراء وآخره مهملة مصغر قاله
فى الشرح واسمه هانىء بن يزيد الكندى قاله الحافظ ابن حجر ، وقيل الحارث
الضبابى قاله المزى ، وقيل خويلد بن عمرو الخزاعى قاله فى الخلاصة وجزم به فى
قرة عيون الموحدين ، وذكر أنه أسلم عام الفتح ، له عشرون حديثاً اتفاقاً على
حديثين وانفرد البخارى بحديث وعنه أبو سعيد المقبرى ونافع بن جبير وطائفة ،
قال ابن سعد مات بالمدينة سنة ثمان وستين ، وقيل غير ذلك والصحيح الاول .
وقد جاء مصرحاً باسمه فى رواية أبي داود من طريق يزيد بن المقدم بن شريح
عن أبيه عن جده عن أبيه هانىء وهو أبو شريح (أنه لما وفد على رسول الله
ﷺ مع قومه سمعهم يكتونه بأبى الحكم فدعاه رسول الله ﷺ فقال « إِنَّ اللَّهَ هُوَ
الْحَكَمُ (أى الذى إذا حكم لا يرد حكمه وهذه الصفة لا تليق بغيره سبحانه) قاله
فى شرح السنة

(٣) قوله (وإليه الحكم) أى الفصل بين العباد فى الدنيا والآخرة ، فالحكم
فى الدنيا بين خلقه بوجه الذى أنزله على أنبيائه ورسله وما من قضية إلا والله =

فقال : إن قومي إذا اختلفوا في شيء أتوني لحكت بينهم ، فرضي
كلا الفريقين^(١) . فقال « ما أحسن هذا ، فمالك من الولد ؟ »^(٢) قلت :

== فيها حكم ، قال تعالى (وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله) وقال (فإن
تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر)
فالحكم إلى الله هو الحكم إلى كتابه والحكم إلى رسوله هو الحكم إليه في حياته
وإلى سنته بعد وفاته

قوله (فلم تكني أبا الحكم ؟) والكنية ما صدر بأب أو أم واللقب
ما أشعر بمدح أو ذم ، قال بعضهم : الكنية قد تكون بالأوصاف كأبي الفضائل
وأبي المعالي وأبي الخير وأبي الحكم وقد تكون بالنسبة إلى الأولاد كأبي سلة ،
وأبي شريح ، وإلى ما يلبسه كأبي هريرة ، وقد تكون للعلية الصرفة كأبي بكر
ذكره في الشرح

(١) قوله (قال : إن قومي إذا اختلفوا في شيء أتوني لحكت بينهم فرضي
كلا الفريقين) . فقال النبي ﷺ : ما أحسن هذا ، والمعنى والله أعلم أن أبا شريح
كان مرضياً عندهم يتحرى ما يصلحهم إذا اختلفوا فيرضون حكمه ، وهذا هو
الصلح لأن مداره على الرضا لا على الإلزام فكنوه أبا الحكم . فأما ما يحكم به
الجهلاء من سوائف آبائهم وأهوائهم فليس في هذا الباب لما فيه من النهي الشديد
والخروج عن حكم الله ورسوله إلى ما يخالفه كما قال تعالى (ومن لم يحكم بما أنزل
الله فأولئك هم الكافرون) وهذا كثير فن الناس من يحكم بين الخصمين برأيه
وهو أهو ومنهم من يتبع في ذلك سلفه ويحكم بما كانوا يحكمون به وهذا كفر إذا
استقر وغلب على من تصدى لذلك عن يرجع الناس إليه . قاله في قرّة العيون .

(٢) قوله (فمالك من الولد ؟) قال : شريح ومسلم وعبد الله . قال : د فن
أكبرهم ، قلت : شريح . قال : د فأت أبو شريح ، رواه أبو داود وغيره (قال
ابن مفلح وإسناده جيد ورواه الحاكم وزاد فدعا له ولولده فكناه بالكبير وهو
السنة وغير كنيته بأبي الحكم فإن الله هو الحكم ، وهذا هو الشاهد من الحديث
للترجمة . قال في قرّة العيون ومنه تسمية الأئمة بالحكام فينبغي ترك ذلك والنهي
عنه . قلت : وفيما قاله نظر لقول الله تعالى (ولا تأكلوا أموالكم بينكم ==

شُرِّيحٌ ومسلمٌ وعبدُ الله . قال ، قال : « فنَّ أ كبرُهم » قلتُ : شُرِّيحٌ قال « فانتَ أبو شُرِّيح » رواه أبو داود وغيره

٤٨ - باب

مَنْ هَزَلَ بِشَيْءٍ فِيهِ ذِكْرُ اللَّهِ أَوْ الْقُرْآنِ أَوْ الرَّسُولِ ^(١)
وقول الله تعالى ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ
وَنَلْعَبُ ﴾ الآية ^(٢) .

= بالباطل وتدَّلُّوا بها إلى الحُكَماء ﴿ فسيأمر حكماً فدل على جواز ذلك . وفيه احترام أسماء الله تعالى وصفاته ولو لم يقصد معناه وتغيير الاسم لأجل ذلك واختيار أكبر الأبناء للكتابة قاله المصنف رحمه الله تعالى . فإن لم يكن له ابن فبأكبر بناته وكذلك المرأة قاله في شرح السنة

(١) قوله (باب من هزل بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول) أي فقد كفر بذلك لاستخفافه بجناب الروبية وذلك مناف للتوحيد ، ولهذا أجمع العلماء على كفر من فعل شيئاً من ذلك ، فن استهزأ بالله أو بكتابه أو برسوله أو بدينه كفر ولو هازلاً لم يقصد حقيقة الاستهزاء إجماعاً

(٢) قوله (وقول الله تعالى ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ﴾ قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون ﴾) يقول تعالى مخاطباً لرسوله محمد ﷺ ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ ﴾ أي المناقطين الذين تكلموا بكلمة الكفر استهزاء ﴿ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ﴾ أي يعتذرون بأنهم لم يقصدوا الاستهزاء والتكذيب إنما قصدنا الخوض في الحديث واللعب

وقوله (قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون) لم يصب باعتذارهم إنما لأنهم كانوا كاذبين فيه ، وإما لأن الاستهزاء على وجه الخوض واللعب لا يكون صاحبه معذوراً فلذا كان الجواب مع ما قبله ﴿ لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم ﴾ . انتهى ملخصاً من الشرح

عن ابن عمرَ ومحمد بن كعب وزيد بن أسلم وقتادة^(١) - دخل حديثُ بعضهم في بعض - أنه قال رجلٌ في غزوة تبوك : ما رأينا

(١) قوله (عن ابن عمر ومحمد بن كعب القرظي وزيد بن أسلم وقتادة دخل حديث بعضهم في بعض أنه قال رجل في غزوة تبوك ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطونا ولا أكذب أسنأ ولا أجبن عند اللقاء ، يعني رسول الله ﷺ وأصحابه القراء ، فقال عوف بن مالك : كذبت ولكنك منافق ، لا خبرن رسول الله ﷺ ، فذهب عوف إلى رسول الله ﷺ لينخبره فوجد القرآن قد سبقه فجاء ذلك الرجل إلى رسول الله ﷺ وقد ارتحل وركب ناقته ، فقال يا رسول الله إنما كنا نخوض ونلعب وتحدث حديث الركب نقطع به عنا الطريق . قال ابن عمر كأنى أظن إليه متعلقاً بنسمة ناقة رسول الله ﷺ وإن الحجارة لتنكب رجله وهو يقول : إنما كنا نخوض ونلعب ، فيقول رسول الله ﷺ : أبا الله وآياته ورسوله كنتم تستهزون ، ما يلتفت إليه وما يزيد عليه) هذا الأثر ذكره المصنف مجموعاً من رواية ابن عمر ومحمد بن كعب وزيد بن أسلم وقتادة وقد ذكره قبله شيخ الإسلام . فأما أثر ابن عمر فرواه ابن جرير وابن أبي حاتم وغيرهما بنحو مما ذكره ، وأما أثر محمد بن كعب وزيد بن أسلم وقتادة فهي معروفة لكن بغير هذا اللفظ . وابن عمر هو عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما ، ومحمد بن كعب هو محمد بن كعب بن سليم أبو حمزة القرظي المدني . قال البخاري إن أباه كان ممن لم يثبت من بنى قريظة وهو ثقة عالم مات سنة عشرين ومائة ، وزيد بن أسلم هو مولى عمر بن الخطاب والد عبد الله وإخوته يكنى أبا عبد الله ثقة مشهور مات سنة ست وثلاثين ومائة . وقتادة هو ابن دعامة السدوسي .

قوله (دخل حديث بعضهم في بعض) أى أن الحديث مجموع من رواياتهم قوله (أنه قال رجل) لم أقف على تسمية القائل أبهم اسمه في جميع الروايات التى وقفت عليها إلا أن في بعض الروايات أنه عبد الله بن أبي ، لكن رده ابن القيم بأن ابن أبي تخلف عن غزوة تبوك

مثل قرائتنا هؤلاء ، أرغب بطونا ، ولا أكذب ألسنا ، ولا أجنبن
عند اللقاء - يعنى رسول الله ﷺ وأصحابه القراء - فقال له عوف
ابن مالك ، كذبت ولكذك منافق ، لأخبرن رسول الله ﷺ .
فذهب عوف إلى رسول الله ﷺ ليخبره ، فوجد القرآن قد سبقه

قوله (ما رأينا مثل قرائتنا هؤلاء) القراء جمع قارئ وهم عند السلف الذين
يقروون القرآن ويعرفون معانيه فأما قراءته من غير فهم لمعناه فلا يوجد في
ذلك العصر وإنما حدث بعد ذلك قاله في الشرح

قوله (أرغب بطونا) أى أوسع بطونا يصفونهم بسعة البطون وكثرة
الآكل (ولا أكذب ألسنا ولا أجنبن عند اللقاء) يعنى رسول الله ﷺ وأصحابه
القراء ، وقد كذب فإن الصحابة هم أحسن الناس اقتصاداً في الآكل وغيره ،
بل المنافقون والكفار أوسع بطونا وأكثر أكلًا كما صحت بذلك الأحاديث وإن
المؤمن يأكل في معاء واحد والكافر يأكل في سبعة أمعاء ، وكذلك المنافقون
وهم أشد الناس جبنًا وأكذب خلق الله كما وصفهم بذلك في كتابه ، وهذا القول
الصريح في الاستهزاء . وأما الفعل الصريح فمثل مد الشفة وإخراج اللسان ورمز
العين . قاله في إبطال التنديد ، ولهذا قال له عوف كذبت ولكذك منافق ، فيه
المبادرة في الإنكار والشدة على المنافقين وجواز وصف الرجل بالنفاق إذا قال
أو فعل ما يدل عليه . قاله في الشرح

قوله (لأخبرن رسول الله ﷺ) فيه المسئلة العظيمة أن من هزل بهذا فهو
كافر وأن هذا هو تفسير الآية فيمن فعل ذلك كاتماً من كان ، والفرق بين النيمة
وبين النصيحة لله ولرسوله . قال المصنف رحمه الله فيذبني معرفة الفرق بين النيمة
والنيمة وبين النصيحة لله ولرسوله ، فذكر أفعال المنافقين والفساق لولاة الأمور
ليزجروهم ويقيموا عليهم أحكام الشريعة ليس من النيمة والنيمة انتهى

قوله (فوجد القرآن قد سبقه) أى جاء الوحي من الله بما قالوه ، وفيه دلالة
على علم الله وقدرته وإلهية ، وأن محمداً عبده ورسوله

جاء ذلك الرجل إلى رسول الله ﷺ - وقد ارتحل وركب ناقته -

فقال : يا رسول الله ، إنما كنا نخوض ونتحدث حديث الركب نقطع به عناء الطريق . قال ابن عمر : كفى أنظر إليه متعلقاً بنسعة ناقة رسول الله ﷺ ، وإن الحجارة تنكب رجليه ، وهو يقول : إنما كنا نخوض ونلعب ، فيقول له رسول الله ﷺ ﴿ أيا الله

قوله (جاء ذلك الرجل) تقدم أنه ابن أبي ، رواه ابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عمر ، لكن رده ابن القيم بأن ابن أبي تخلف عن غزوة تبوك ، قال ابن إسحق : وقد كان جماعة من المنافقين منهم وديعة بن ثابت أخو بني أمية بن زيد ابن عمرو بن عوف ورجل من أشجع حليف لبني سلة يقال له مخشى بن حمير يشيرون إلى رسول الله ﷺ وهو منطلق إلى تبوك فقال بعضهم لبعض اتحبسون جلاد بني الأصفر كقتال العرب بعضهم بعضاً ؟ والله لسكانا بكم غدا مقرنين في الحبال إرجافاً وترهيباً للؤمنين فقال مخشى بن حمير : والله لوددت أني أفاضى على أن يضرب كل رجل منا مائة جلدة وأنا ننقلب أن ينزل فينا قرآن لمقاتلتكم هذه ، وقال رسول الله ﷺ فيما بلغني لعمار بن ياسر أدرك القوم فقد احترقوا فسلمهم عما قالوا فإن أنكروا فقل بلى ، قلت كذا وكذا ، فانطلق إليهم عمار فقال لهم ذلك فأتوا رسول الله ﷺ يعتذرون إليه فجعل وديعة بن ثابت ورسول الله ﷺ واقف على راحلته وهو آخذ بحقبها يقول : يا رسول الله إنما كنا نخوض ونلعب فقال مخشى بن حمير يا رسول الله قد بي اسمي واسم أبي ، فكان الذي يتمناه أي بقوله إن لعف عن طائفة منكم لعذب طائفة في هذه الآية مخشى بن حمير فسمى عبد الرحمن وسأل الله أن يقتل شهيداً لا يعلم بمكانه فقتل يوم اليمامة فلم يوجد له أثر ، انتهى . وقال عكرمة : كان رجل من أنسأ الله عني عنه يقول اللهم إني أسمع آية أنا أعني بها تقشعر منها الجلود وتجل منها القلوب اللهم فاجعل وفاي قتلاً في سبيلك لا يقول أحد أنا غسلت أنا كفنت أنا دفنت قال فأصيب يوم اليمامة فاحد من المسلمين إلا قد وجد غيره

وآياته ورسوله كنتم تستهزئون^(١) ؟ ما يلتفت إليه ، وما
يزيده عليه

(١) وقوله (لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم) . أى بهذه المقالة وهذا هو
الشاهد من الآية للترجمة ، وفيه الفرق بين العفو الذى يحبه الله وبين الغلظة على
أعداء الله ، وأن من الاعتذار ما لا يقبض أن يقبل . قاله المصنف رحمه الله تعالى
وقوله (إن لعف عن طائفة منكم) أى عفى بن حمير لعذب طائفة أى لا
يعنى عن جميعكم ولا بد من عذاب بعضكم أنهم كانوا مجرمين أى بهذه المقالة
الفاجرة الخاطئة . انتهى . وفى الآية دليل على أن الرجل إذا فعل الكفر ولم يعلم
أنه كفر لا يعذر بذلك بل يكفر وعلى أن الساب كافر بطريق الأولى نبه عليه
شيخ الإسلام قاله فى الشرح ، وقال شيخ الإسلام أمره الله أن يقول لهم قد كفرتم
بعد إيمانكم وقول من يقول إنهم كفروا بعد إيمانهم بلسانهم مع كفرهم أولاً
بقلوبهم لا يصح لأن الإيمان باللسان مع كفر القلب قد قارنه الكفر فلا يقال قد
كفرتم بعد إيمانكم فإنهم لم يزالوا كافرين فى نفس الامر وإن أريد إنكم أظهرتم
الكفر بعد إظهاركم الإيمان فهم لم يظهروا ذلك إلا لخواصهم وهم مع خواصهم
ما زالوا هكذا بل لما ناققوا وحذروا أن تنزل عليهم سورة تبين ما فى قلوبهم من
التفاق وتكلموا بالاستهزاء صاروا كافرين بعد إيمانهم ، ولا يدل اللفظ على أنهم
ما زالوا منافقين . وقال أيضاً أخبر أنهم كفروا بعد إيمانهم مع قولهم إنما تكلمنا
بالكفر من غير اعتقاد له . بل إنما كنا نخوض ونلعب ، وبين الاستهزاء بآيات
الله كفر ولا يكون هذا إلا من شرح صدره بهذا الكلام ولو كان الإيمان فى قلبه
لمنعه أن يتكلم بهذا الكلام ، والقرآن يبين أن إيمان القلب يستلزم العمل الطاهر
بحسبه كقوله تعالى (ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا ثم يتولى فريق منهم
بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين ، إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله
ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون) ففى الإيمان عن
تولى عن طاعة الرسول وأخبر أن المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم
سمعوا وأطاعوا فبين أن هذا من لوازم الإيمان . انتهى . وفيه أن الإنسان قد
يكفر بكلمة يتكلم بها أو عمل يعمل به ، وأشدّها خطراً إرادات القلوب فهى =

٤٩ - باب

ما جاء في قول الله تعالى ﴿ وَلئنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِن بَعْدِ ضِرَاءِ مَنَّتِهِ لَيَقْهُ وَلَنَ هَذَا لى ﴾ ^(١) الآية . قال مجاهد : هذا بعملى ، وأنا محقّق به . وقال ابن عباس يريد من عندى ، وقوله ﴿ قال إنما أوتيته على علم عندى ﴾ ^(٢) قال قتادة : على علم منى بوجوه المكاسب . وقال آخرون : على علم من الله أنى له أهل . وهذا معنى قول مجاهد : أوتيته على شرف

= البحر الذى لا ساحل له ويفيد الخوف من النفاق الأكبر فإن الله أثبت لهؤلاء إيماناً قبل أن يقولوا ما قالوه . قال ابن أبى مليكة أدركت ثلاثين من أصحاب رسول الله ﷺ كلهم يخاف النفاق على نفسه ، لسأل الله السلامة والعفو والعافية فى الدنيا والآخرة . قاله فى الشرح

(١) قوله (باب ما جاء فى قول الله تعالى ﴿ وَلئنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِن بَعْدِ ضِرَاءِ مَنَّتِهِ لَيَقْهُ وَلَنَ هَذَا لى ﴾ وما أظن الساعة قائمة ولئن رُجعت إلى ربى إن لى عنده للحسنى فلننابئن الذين كفروا بما عملوا ولنذيقنهم من عذاب غليظ ﴾ قال مجاهد : هذا بعملى وأنا محقّق به ، وقال ابن عباس يريد من عندى

(٢) وقوله : (إنما أوتيته على علم عندى ﴾ قال قتادة على علم منى بوجوه المكاسب ، وقال آخرون : على علم من الله أنى له أهل ، وهذا معنى قول مجاهد أوتيته على شرف (وليس فيما ذكره اختلاف وإنما هى لإفراد المعنى ، قاله فى الشرح . قال ابن كثير رحمه الله فى معنى الآية ﴿ وإذا خولناه نعمة منا قال إنما أوتيته على علم بل هى فتنة ﴾ يخبر تعالى أن الإنسان فى حال الضر يضرع إلى الله تعالى ويغيب إليه ويدعوه ثم إذا خوله لعمة منه طغى وبغى ، وقال : إنما أوتيته على علم أى لما يعلم الله من استحقاق له ولولا أنى عند الله حظيظ لما خولنى هذا قال الله تعالى ﴿ بل هى فتنة ﴾ أى اختبار (ولكن أكثرهم لا يعلمون ﴾ فلماذا يقولون ما يقولون ويدعون ما يدعون . وفيه معرفة تفسير الآية وما معنى قوله أوتيته على علم عندى . قاله المصنف رحمه الله

وعن أبي هريرة أنه سمع رسول الله ﷺ يقول ^(١) « إن ثلاثة من بني إسرائيل : أبرص وأقرع وأعمى . فأراد الله أن يبتليهم فبعث إليهم ملكاً ، فأتى الأبرص فقال : أى شيء أحب إليك ؟ قال : لونٌ حسن ، وجلدٌ حسن ، ويذهبُ عني الذي قد قدرني الناس به . قال : فمسحه ، فذهب عنه قدره وأعطى لوناً حسناً وجلداً حسناً . قال : فأى المال أحب إليك ؟ قال : الإبل - أو البقرُ شك إسحاق - فأعطى ناقةً عشاء ، وقال : بارك الله لك فيها . قال فأتى الأقرع فقال : أى شيء أحب إليك ؟ قال : شعرٌ حسن ، ويذهبُ عني الذي قدرني الناس به . فمسحه فذهب عنه . وأعطى شعراً حسناً . فقال : أى المال

(١) قوله (وعن أبي هريرة رضى الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « إن ثلاثة من بني إسرائيل أبرص وأقرع وأعمى فأراد الله أن يبتليهم ، ») هذا سياق مسلم ورواية البخارى بدأ الله بالبلاء الموحدة والذال المهمة وكسر لام الجلالة قال ابن قرقول ضبطناه بالهمز ورواه كثير من الشيوخ بلا همز (فبعث إليهم ملكاً فأتى الأبرص فقال : أى شيء أحب إليك ؟ قال : لون حسن وجلد حسن ويذهب عني الذي قد قدرني الناس فيه) بكسر الذال المعجمة أى كرهنى (فمسحه فذهب عنه قدره وأعطى جلداً حسناً ولوناً حسناً ، قال : فأى المال أحب إليك قال : الإبل والبقر شك إسحاق) أى ابن عبد الله بن أبى طلحة راوى الحديث (فأعطى ناقة عشاء بعين مهملة مضمومة وشين معجمة مفتوحة وبالمد غير منصرف قال فى تيسير الوصول هى الحامل وقيل هى التى أتى على حملها عشرة أشهر (وقال) أى الملك (بارك الله لك فيها . قال فأتى الأقرع فقال : أى شيء أحب إليك قال : شعر حسن ويذهب عني الذي قدرني الناس به ، فمسحه فذهب عنه قدره وأعطى شعراً حسناً ، فقال : أى المال أحب إليك ؟ قال البقر أو الإبل فأعطى بقرة حاملاً ، وقال : بارك الله لك فيها . فأتى الأعمى فقال : أى شيء =

أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ قال : البقرُ - أو الإبل - فَأَعْطَى بَقْرَةً حَامِلاً ، قال :
بارك الله لك فيها . فَأَتَى الْأَعْمَى فَقَالَ : أَيُّ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ قال : أَنْ
يَرُدَّ اللَّهُ إِلَيَّ بَصْرِي فَأُبْصِرَ بِهِ النَّاسَ ، فَسَحَّه ، فَرَدَّ اللَّهُ إِلَيْهِ بَصْرَهُ
قال : فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ قال : الْغَنَمُ . فَأَعْطَى شَاةً وَالِدًا ، فَأَنْتَجَ
هَذَانِ وَوَلَدَ هَذَا ، فَكَانَ لِهَذَا وَادٍ مِنَ الْإِبِلِ ، وَلِهَذَا وَادٍ مِنَ الْبَقَرِ ،
ولِهَذَا وَادٍ مِنَ الْغَنَمِ . قال : ثُمَّ لَمَّا أَتَى الْأَبْرَصَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ
فَقَالَ : رَجُلٌ مُسْكِينٌ قَدْ انْقَطَعَتْ بَيْنَ الْحَبَالِ فِي سَفَرِي ، فَلَا بَلَاغَ
لِي الْيَوْمَ إِلَّا بِاللَّهِ ثُمَّ بَكَ . أَسْأَلُكَ - بِالَّذِي أَعْطَاكَ اللَّوْنَ الْحَسَنَ
وَالْجِلْدَ الْحَسَنَ وَالْمَالَ - بَعِيرًا أَتَبْلُغُ بِهِ فِي سَفَرِي ، فَقَالَ : الْحَقُوقُ
كَثِيرَةٌ . فَقَالَ لَهُ : كَأَنِّي أَعْرِفُكَ ، أَلَمْ تَكُنْ أَبْرَصَ يَقْدُرُكَ النَّاسُ ،

== أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ قال : أَنْ يَرُدَّ اللَّهُ إِلَيَّ بَصْرِي فَأُبْصِرَ بِهِ النَّاسَ فَسَحَّه فَرَدَّ اللَّهُ إِلَيْهِ
بَصْرَهُ ، قال : فَأَيُّ الْمَالِ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ قال : الْغَنَمُ فَأَعْطَى شَاةً وَالِدًا أَيُّ ذَاتِ وَلَدٍ
قال في التيسير الشاة الوالد التي عرف منها كثرة الوالد والتاج (فَأَنْتَجَ هَذَانِ)
بفتح الهمزة والتاء المثناة فوق أي صاحب الناقة والبقرة وولد بتشديد اللام
(هَذَا أَيُّ) صاحب الشاة قال في تيسير الوصول ومعناه اعتنى بها عند الولادة أي
حفظها وقام بمصالحها فكان لهذا وادٍ من الإبل ، ولهذا وادٍ من البقر ، ولهذا
وادٍ من الغنم (ثُمَّ لَمَّا) أي الملك (أَتَى الْأَبْرَصَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ) قال ابن
القيم في كتاب الأعلام : وهذا ليس بتعريض وإنما هو تصريح على وجه ضرب
المثال وإيهام أني أنا صاحب هذه القصة كما أوهم المملكان داود أنهما صاحباً
القصة (فَقَالَ : رَجُلٌ مُسْكِينٌ وَابْنٌ سَيْيلٌ قَدْ انْقَطَعَتْ بَيْنَ الْحَبَالِ) بالحاء المهملة
بعدها باء موحدة أي الأسباب التي يقطعها في طلب الرزق ولبعض رواة مسلم
الحبال بياء تحتية جمع حيلة (فِي سَفَرِي فَلَا بَلَاغَ لِي الْيَوْمَ إِلَّا بِاللَّهِ ثُمَّ بَكَ أَسْأَلُكَ ==

فقيراً فأعطاك الله عز وجل المال ؟ فقال : إنما ورثتُ هذا المالَ كبيراً
عن كابر . فقال : إن كنتَ كاذباً فصيرك الله إلى ما كنتَ . قال :
وأتى الأقرعَ في صورته ، فقال له مثل ما قال لهذا ، وردَّ عليه مثل
ما وردَّ عليه هذا . فقال : إن كنتَ كاذباً فصيرك الله إلى ما كنتَ .
قال : وأتى الأعمى في صورته فقال : رجلٌ مسكينٌ وابنُ سبيل ، قد
انقطعتُ بي الجبالُ في سفري ، فلا بَلاغَ لي اليومَ إلا بالله ثم بكَ
— أسألك بالذي ردَّ عليك بصرك — شاةً أتبلغُ بها في سفري . فقال :
قد كنتُ أعمى فردَّ الله إلىَّ بصري ، فخذ ما شئت ودع ما شئت ،
فوالله لا أجهدك اليوم بشيء أخ — ذنَّه الله . فقال :

== بالذي أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال بغير أن تبلغ به في سفري من البلغة
وهي المكفاية أي أتوصل به إلى مرادى ، فقال الحقوقي كثيرة فقال له كأنى أعرفك
ألم تكن أبرص يقدرك الناس فقيراً فأعطاك الله عز وجل المال ، فقال : إنما
ورثت هذا المال كابرًا عن كابر فقال : إن كنت كاذباً فصيرك الله إلى ما كنت (
أي ردك الله إلى ما كنت عليه سابقاً من البرص والفقر) قال : فأتى الأقرع
في صورته ، فقال له مثل ما قال لهذا ، ورد عليه ، أي الأقرع مثل ما رد عليه
هذا أي الأبرص ، فقال : إن كنت كاذباً فصيرك الله إلى ما كنت (أي رد الله
عليك ما كنت عليه سابقاً من القرع والفقر ، قال : (وأتى الأعمى في صورته
وهيئة فقال رجل مسكين وابن سبيل قد انقطعت بي الجبال في سفري فلا بلاغ
لي اليوم إلا بالله ثم بك ، أسألك بالذي رد عليك بصرك شاة أتبلغ بها في
سفري ، فقال : قد كنت أعمى فرد الله إلىَّ بصري فخذ ما شئت ودع ما شئت
فوالله لا أجهدك اليوم بشيء أخذته الله عز وجل) هكذا لبعض رواة مسلم ،
أي لا أشق عليك في الأخذ والامتنان ، ورواية البخاري : لا أحملك ، بالحاء ==

أَمْسِكْ مَالِكَ ، فَإِنَّمَا ابْتَلَيْتُمُ ، فَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْكَ وَمَنْحَطٌ عَلَى
صَاحِبَيْكَ » أَخْرَجَاهُ

٥٠ - بَابُ

قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى ﴿ فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيهَا آتَاهُمَا ﴾
الآيَةُ (١)

== المهمة والميم أى على طلب شيء أو أخذ شيء مما تحتاج إليه من مالى ، كما قيل ليس
على طول الحياة ندم أى على فوت طول الحياة (فقال) الملك (أمسك عليك
مالك فإنما ابتليتكم فقد رضى الله عنك ومنحط على صاحبيك أخرجاه) أى البخارى
ومسلم ، وهذا حديث عظيم ، وفيه معتبر ، فإن الاولين جحد نعمة الله فما أقرا
الله بنعمة ولا نسبوا النعمة إلى المنعم بها ولا أديا حق الله فيها لخل عليها السخط
وأما الاعمى فاعترف بنعمة الله ونسبها إلى المنعم عليه بها وأدى حق الله فيها
فاستحق الرضا من الله بقيامه بشكر النعمة لما أتى بأركان الشكر الثلاثة وهى :
الإقرار بالنعمة ونسبتها إلى المنعم بها وبذلها فيما يجب ، قال ابن القيم رحمه الله
تعالى : أصل الشكر هو الاعتراف بإنعام المنعم على وجه الخضوع له والذل
والحبة فمن لم يعرف النعمة بل كان جاهلا بها لم يشكرها ، ومن عرفها ولم يعرف
المنعم بها لم يشكرها أيضا ، ومن عرف النعمة والمنعم بها لكن جحدها لم
يشكرها ، ومن عرف النعمة والمنعم بها وأقر بها ولم يمجدها ولم يخفض
للمنعم بها ولم يرض به وعنه ، لم يشكرها أيضا ، ومن عرفها وعرف المنعم بها
وأقر بها وخضع للمنعم بها وأحبه ورضى عنه واستعملها فى محابه فهذا هو
الشاكرا لها ، فلا بد فى الشكر من علم القلب وعمل يقبح العلم وهو الميل إلى المنعم
ومحبته والخضوع له انتهى ، وفيه معرفة ما فى هذه القصة العجيبة من العبر
المظيمة ، قاله المصنف رحمه الله تعالى

(١) قَوْلُهُ (بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى ﴿ فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيهَا
آتَاهُمَا فَعَالَيَ اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾) وَقَبْلَهَا (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ)
أَيُّ مِنْ أَبْنَاءِ آدَمَ (وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا) أَيُّ حَوَاءَ خَلَقَهَا مِنْهُ (لَيْسَ كُنْ =

(= إليها) أي يطن إليها ويألفها (فلما تغشاهما) أي وطئها (حملت حملا خفيفا) أي لا يشغلها أولا إنما هو لطفة وحلقة ومضفة (فرت به) أي استمرت بالماء قامت به وقعدت (فلما أثقلت) أي صارت ذات ثقل بحملها ودمت ولادتها (دعوا الله ربهما) أي آدم وحواء (لئن آتينا صالحا) أي بشرا سويا (لنكونن من الشاكرين) قال الإمام أحمد في معنى الآية : حدثنا عبد الصمد حدثنا عمر بن إبراهيم حدثنا قتادة عن الحسن عن سمرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال : لما ولدت حواء طاف بها إبليس وكان لا يعيش لها ولد فقال سميه عبد الحارث فإنه يعيش ، فسمته عبد الحارث فعاش ، وكان ذلك من وحى الشيطان وأمره ، وهكذا رواه ابن جرير عن محمد بن بشار بندار عن عبد الصمد بن عبد الوارث به ، ورواه الترمذي في تفسير هذه الآية عن محمد بن المثنى عن عبد الصمد به وقال هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث عمر بن إبراهيم ، ورواه بعضهم عن عبد الصمد ولم يرفعه ورواه الحاكم في مستدركه من حديث عبد الصمد مرفوعا وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، ورواه الإمام أبو محمد بن أبي حاتم في تفسيره عن أبي زرعة الرازي عن هلال بن فياض عن عمر بن إبراهيم به مرفوعا ، قال ابن كثير بعد حكاية ما تقدم : وهذا الحديث مسلول من ثلاثة أوجه : أحدها قول أبي حاتم الرازي : إن عمر بن إبراهيم هو البصري لا يحتاج به . والثاني لأنه قد روى من قول سمرة نفسه . والثالث قول الحسن ثم اليهود والنصارى انتهى . فأما قول أبي حاتم لجوابه أن عمر بن إبراهيم قد وثقه ابن معين وروى أبو بكر بن مردويه له متابعا من حديث المعتمر عن أبيه عن الحسن عن سمرة مرفوعا وأما قوله ابن كثير بأنه قد روى من قول سمرة نفسه لجوابه أن هذا لا يقتضى عدم رفع سمرة للحديث لأن رفعه زيادة والزيادة من الثقة مقبولة لا سيما الصحابي ، ولأنه يجوز أن يسمع الرجل حديثا فيثبته به في وقت ويرفعه في وقت ، وبما يؤيد صحة رفع الحديث رواية الإمام أحمد له في مسنده والأصل أنه لا يروى فيه إلا الأحاديث المرفوعة دون أقوال الصحابة ، قاله الحافظ ابن حجر ، وأما قول الحسن ثم اليهود والنصارى لجوابه أن هذا لا يعد من الحسن عدولا عما رواه عن سمرة ، ولا ينفي أن يكون سبب نزول الآية آدم وحواء وحكما عام للشريكين من الذرية من اليهود والنصارى وغيرهم لأنه لا يجوز قصر الآيات على سبب نزولها

قال ابن حزم^(١): اتفقوا على تحريم كل اسم مُعْبَدٍ لغير الله، كعبد
مُهر وعبد الكعبة وما أشبه ذلك، حاشا عبد المطلب^(٢)

(١) قوله (قال ابن حزم) وهو عالم الاندلس أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد
ابن حزم القرطبي الظاهري صاحب التصانيف ، توفي سنة ست وخمسين وأربعمائة
وله اثنتان وسبعون سنة (اتفقوا - يعني أهل العلم - على تحريم كل اسم معبد لغير
الله كعبد عمر وعبد الكعبة وما أشبه ذلك) حكى ابن حزم اتفاق العلماء على
تحريم كل ما عبد لغير الله لانه شرك في الربوبية والإلهية لأن الخلق كلهم ملك لله
وعبيد له ، خلقهم لعبادته وحده وتوحيده في ربوبيته وإلاهيته ، فمنهم من عبد
الله ووحدته في ربوبيته وإلاهيته ، ومنهم من أشرك به في إلهيته وأقر له بربوبيته
وأسمائه وصفاته ، قاله في فتح المجيد

(٢) قوله (حاشا عبد المطلب) وعبد المطلب هذا جد رسول الله ﷺ واسمه شيبة
الحمد وهو ابن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن
غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر
ابن نزار بن معد بن عدنان ، ولا ريب أن عدنان من ذرية إسماعيل بن إبراهيم
الخليل عليه السلام وقوله (حاشا عبد المطلب) هذا استثناء من العموم المستفاد من
كل ، وذلك أن تسميته بهذا الاسم لا محذور فيه لانه لم يعبد لغير الله وإنما أصله من
عبودية الرق ، وذلك أن المطلب أخو هاشم قدم المدينة وكان ابن أخيه شيبة هذا
قد نشأ في أخواله بني النجار من الخزرج لأن هاشماً تزوج فيهم امرأة فجاءت منه
بهذا الاب ، فلما شب في أخواله وبلغ سن التمييز سافر به عمه المطلب إلى مكة
بلد أبيه وعشيرته فقدم به مكة وهو دينة فرآه أهل مكة وقد تغير لونه بالسفر
خسبه عبداً للطلب فقالوا هذا عبد المطلب فعلق به هذا الاسم فصار لا يذكر
ولا يدعى إلا به ، وقد قال النبي ﷺ : أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب ،
وقد صار معظماً في قريش والعرب ، فهو سيد قريش وأشرفهم في جاهليته ،
وهو الذي حفر زمزم وصارت له السقاية وفي ذريته من بعده ، ووالد رسول
الله ﷺ أحد بني عبد المطلب وتوفي في حياة أبيه وكان سن أبيه عبد الله حين
حملت منه آمنة برسول الله نحو ثمانية عشر طاماً ، قال الحافظ الذهبي : توفي أبوه =

وعن ابن عباس في الآية^(١) قال : لما تغشأها آدمُ حملتُ ، فأتاهما

==عبد الله والنبي ﷺ ثمانية وعشرون شهراً ، وقيل أقل من ذلك ، وقيل وهو حمل ، توفي بالمدينة وعاش خمسة وعشرين سنة ، قال الواحدى : وذلك أثبت الاقوال في سنه ووفاته . وتوفيت أمه آمنة بالأبواء وهي راجعة به من المدينة إلى مكة من زيارة أحوال أبيه بنى عدى بن النجار وهو يومئذ ابن ست سنين ومائة يوم ، وقيل ذلك أربع سنين ، فلما ماتت أمه حملته أم أيمن مولاته إلى جده ، فكان في كفالته إلى أن توفي جده والنبي ﷺ ثمان سنين فأوصى به إلى عمه أبي طالب . وقال شيخ الإسلام كان المشركون يعبدون أنفسهم وأولادهم لغير الله فيضيفون فيه التعبيد إلى غير الله من شمس أو وثن أو بشر أو غير ذلك مما قد يشرك بالله فغير ذلك النبي ﷺ فعبدوا الله وحده فسمى جماعة من أصحابه ، كان اسم عبد الرحمن بن عوف عبد الكعبة فسماه عبد الرحمن ، وكان اسم أبي هريرة عبد شمس فغير اسمه ، وسمى أبا معاوية عبد الرحمن وكان اسمه عبد العزى ، وكان اسم مولاه قيوم فسماه عبد القيوم ، فشريعة الإسلام الذى هو الدين الخالص لله وحده تعبيد الخلق لربهم كما سنه رسول الله ﷺ وتغيير الاسماء الشركية إلى الاسماء الإسلامية والاسماء الكفرية إلى الاسماء الإيمانية ، انتهى ملخصاً . إذا علم هذا ، فلا تجوز التسمية بعبد النبي وعبد الرسول وعبد المسيح وعبد على وعبد الحسين وعبد الكعبة وعبد الدار وما أشبه ذلك مما فيه تعبيد لغير الله ، وفيه تحريم كل اسم معبد لغير الله ، قاله المصنف رحمه الله تعالى

(١) قوله (وعن ابن عباس رضى الله عنهما في الآية قال لما تغشأها آدم حملت فأتاهما إبليس فقال إني صاحبكما الذى أخرجتكما من الجنة لتطيعاننى أو لأجعلن له) أى الولد (قرنى أيل) بالثنية والإضافة ، والأيل بفتح الهمزة وكسر المثناة التحتية المشددة ذكر الأوعال ، (فيخرج من بطنك فيشققه ، ولا فعلن ولا فعلن) ، والمعنى أنه (يخوفهما ، سمياه عبد الحارث) قال سعيد بن جبير كان اسمه - يعنى إبليس فى الملائكة - الحارث وكان مراده أن يسمياه بذلك ليكون قد وجد له صورة الاشتراك به (فأبيا أن يطيعاه فخرج ميتاً ثم حملت فأتاهما فقال مثل قوله فأبيا أن يطيعاه فخرج ميتاً ، ثم حملت فأتاهما فذكر لها فأدركم ما حب ==

إبليسُ فقال: إني صاحبكما الذي أخرجتكما من الجنة لتطيعاني أو
لأجعلنَّ له قرنيَّ أبَل فيخرجُ من بطنك فيشققه، ولا فعلنَّ، ولا فعلنَّ
— يُخَوِّفهما — سَمِيَاهُ عَبْدَ الْحَارِثِ . فَأَيُّمَا أَنْ يَطِيعَاهُ ، فخرجَ مَيِّتاً . ثم
حَمَلَتْ ، فَأَتَاهُمَا فَقَالَ مِثْلَ قَوْلِهِ ، فَأَيُّمَا أَنْ يَطِيعَاهُ فخرجَ مَيِّتاً . ثم حَمَلَتْ
فَأَتَاهُمَا فَذَكَرَ لَهَا ، فَأَدْرَكَهُمَا حُبُّ الْوَلَدِ ، فَسَمِيَاهُ عَبْدَ الْحَارِثِ . فَذَلِكَ
قَوْلُهُ ﴿ جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا ﴾ رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ .

== الْوَلَدُ فَسَمِيَاهُ عَبْدَ الْحَارِثِ ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ : ﴿ جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا ﴾ ، رَوَاهُ
ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ . وَأَمَّا قَوْلُ ابْنِ كَثِيرٍ لَيْسَ الْمُرَادُ مِنَ السِّيَاقِ آدَمَ وَحَوَاءَ وَإِنَّمَا الْمُرَادُ
الْمُشْرِكُونَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ وَلِهَذَا قَالَ ﴿ فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ . وَقَوْلُهُ هَذَا عَمَّا
لَا يَسَاعِدُ عَلَيْهِ لَفْظُ سِيَاقِ الْآيَاتِ الْكَرِيمَةِ فَإِنَّهَا مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى آخِرِهَا خَبَرَ عَنْ آدَمَ
وَحَوَاءَ مِنْ حِينَ خَلَقَهُمَا اللَّهُ إِلَى أَنْ جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا مِنَ الْوَلَدِ ، وَلِذَا
ذَكَرَا بَعْضُهُمَا التَّنْثِيَةَ ، وَدَعَوَى أَنْ الْمُرَادُ بِالْآيَةِ الذَّرِّيَّةِ لِقَوْلِهِ ﴿ فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا
يُشْرِكُونَ ﴾ بَعْضُهُمَا الْجَمْعُ لَا يَقْتَضِي صَرْفَ الْآيَةِ عَنْ مَدْلُوحِهَا لَفْظًا ، وَمَعْنَى لِأَنَّ
أَقْلَ الْجَمْعِ اثْنَانِ فَيَكُونُ سَبَبُ نَزُولِهَا آدَمَ وَحَوَاءَ وَحَكْمُهَا عَامٌ يَشْمَلُ الْمُشْرِكِينَ مِنْ
الذَّرِّيَّةِ كَثِيرًا مِنَ الْآيَاتِ ، وَأَمَّا قَوْلُ ابْنِ كَثِيرٍ عَنْ أَثَرِ ابْنِ عَبَّاسٍ وَكَانَ أَصْلُهُ
— وَاللَّهُ أَعْلَمُ — مَا خُوِذَ عَنْ أَهْلِ الْكِتَابِ فَقَدْ اسْتَبْعَدَهُ فِي فَتْحِ الْمَجِيدِ جَدًّا ، وَهُوَ
كَأَنَّ قَالَ لَا سِيَّامًا وَقَدْ تَلَقَّى هَذَا الْاِثْرَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ جَمَاعَةً مِنْ أَصْحَابِهِ كِبَاهِدٍ وَسَعِيدٍ
ابْنِ جَبْرِ وَعُكْرَمَةَ ، وَمِنْ الطَّبَقَةِ الثَّانِيَةِ قَتَادَةُ وَالسُّدِّيُّ وَغَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ
وَجَمَاعَةٌ مِنَ الْخَلْفِ ، وَمِنْ الْمُفْسِّرِينَ مِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ جَمَاعَاتٌ لَا يَحْصُونَ كَثْرَةً ،
وَعَلَى فَرَضِ تَلْقِيهِ عَنْ أَهْلِ الْكِتَابِ فَهُوَ عَمَّا دَلَّ عَلَى صِحَّتِهِ ظَاهِرُ سِيَاقِ الْآيَاتِ
الْكَرِيمَةِ فَيَكُونُ مِنَ الْقِسْمِ الَّذِي يَشْهَدُ لَهُ شَرْعُنَا بِالصَّحَّةِ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ . (وَرَوَى
ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ بَهَّادٍ فِي قَوْلِهِ ﴿ لَئِنْ آتَيْنَا صَالِحًا ﴾ قَالَ أَشْفَقْنَا أَنْ
لَا يَكُونَ إِنْسَانًا ، وَذَكَرَ مَعْنَاهُ عَنِ الْحَسَنِ وَسَعِيدٍ وَغَيْرِهِمَا) وَقَالَ أَبُو صَالِحٍ أَشْفَقْنَا
أَنْ يَكُونَ بَهِيمَةً فَقَالَا لَئِنْ آتَيْنَا صَالِحًا بَشَرًا سَوِيًّا ، رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ . وَفِيهِ أَنْ ==

وله بسند صحيح^(١) عن قتادة قال : شركاء في طاعته ، ولم يكن في عبادته .
وله بسند صحيح عن مجاهد في قوله ﴿ لَنْ آتِيَنَّكَ صَالِحًا ﴾ قال :
أشفقاً أن لا يكون إنساناً . وذكر معناه عن الحسن وسعيد وغيرهما

٥١ - باب

قول الله تعالى ﴿ وَهُوَ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾^(٢)

== هبة الله للرجل البنت السوية من النعم قاله المصنف رحمه الله تعالى وذلك أن الله قادر على أن يجعلها غير سوية أو من غير الجنس فلا يذنبى للرجل أن يسخط بما وهبه الله كأهل الجاهلية بل يحمد الله الذى جعلها بشرية سوية فلمذا كانت عائشة رضى الله عنها إذا بشرت بمولود لم تسأل إلا عن صورته لا عن ذكوريته وأنوثيته قاله في الشرح

(١) قوله (وله - أى ابن أبى حاتم - بسند صحيح عن قتادة قال : جعلاً له شركاء في طاعته ولم يكن في عبادته) أى لكونهما أطاعاه في التسمية بعبد الحارث لا أنهما عبداه فهو دليل على الفرق بين شرك الطاعة وبين شرك العبادة . وفيه معرفة تفسير الآية وأن هذا الشرك في مجرد تسميته لم تقصد حقيقتها . قاله المصنف رحمه الله تعالى

(٢) قوله (باب قول الله تعالى ﴿ وَهُوَ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون ﴾) أشار المصنف رحمه الله تعالى بالترجمة بهذه الآية إلى الرد على الذين يتوسلون بذوات الاموات مع أن المشروع التوسل بالأسماء والصفات والاعمال الصالحات ، قاله في قرة العيون . أخبر تعالى أن له أسماء وأنها حسنى أى قد بلغت الغاية في الحسن فلا أحسن منها ولا أكمل فله من كل صفة كال أحسن اسم وأكمله وأتمه معنى وأبعده وأنزهه عن شائبة النقص ، فأسمائه أحسن الأسماء كما أن صفاته أكمل الصفات فلا يعطى عما سمي به نفسه إلى غيره كما لا يتجاوز ما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله إلى ما وصفه به المبطلون

فادعوه بها^(١) وذروا الذين يلحدون في أسمائه^(٢) الآية . ذكر ابن أبي حاتم عن ابن عباس ﴿ يلحدون في أسمائه ﴾ : يشركون . وعنه : سموا اللات من الإله ، والعزى من العزيز . وعن الأعمش^(٣)

(١) وقوله (فادعوه بها) ودعاه بها نوعان : دعاء ثناء وعبادة ، ودعاء طلب ومسألة فلا يثنى عليه إلا بأسمائه الحسنى كذلك لا يسأل إلا بها ، فلا يسأل في كل مطلوب إلا باسم يكون مقتضياً لذلك المطلوب فيكون السائل متوسلاً بذلك الاسم ، تقول : رب اغفرلى وارحمنى إنك أنت الغفور الرحيم ، ولا يحسن أنك أنت السميع البصير ونحو ذلك قاله ابن القيم رحمه الله ، وقوله ﷺ : إن لله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة ، رواه البخارى . قال ابن حزم : جاءت في إحصائها أحاديث مضطربة لا يصح شيء منها . انتهى . وقال ابن القيم رحمه الله تعالى : أما قوله ان لله تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة ، فالكلام جملة واحدة . وقوله : من أحصاها دخل الجنة ، صفة لا خبر مستقل ، والمعنى : له أسماء متعددة من شأنها أن من أحصاها دخل الجنة ، وهذا لا ينبغي أن يكون له أسماء غيرها ، ويدل عليه قوله ﷺ : أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحداً من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك ، فجعل أسماء ثلاثة أقسام : قسم سمي به نفسه فأظهره لمن شاء من ملائكته أو غيرهم ولم ينزل به كتابه ، وقسم أنزل به كتابه وتعرف به إلى عباده ، وقسم استأثرت به في علم الغيب عنده فلم يطلع عليه أحد من خلقه . انتهى

(٢) قوله (وذروا الذين يلحدون في أسمائه) أى اتركوهم وأعرضوا عن مجادلهم ، قال العونى (عن ابن عباس - فى قوله - يلحدون فى أسمائه : يشركون ، وعنه سموا اللات من الإله ، والعزى من العزيز)

(٣) قوله (وعن الأعمش) وهو سليمان بن مهران أبو محمد الكوفى الفقيه ثقة حافظ ورع ، مات سنة مائة وسبع وأربعين وكان مولده سنة إحدى وستين ، قال (يدخلون فيها ما ليس منها) كتسمية النصارى له أباً ونحوه ، قاله فى الشرح ، =

== وأصل الإلحاد في كلام العرب العدول عن القصد والميل والجور والانحراف ،
ومنه اللحد في القبر لانحرافه إلى جهة القبلة عن سمت الحفر . وقال ابن القيم رحمه
الله تعالى : الإلحاد في أسمائه هو العدول بها وبحقائقها ومعانيها عن الحق الثابت ،
وهو أنواع : أحدها أن تسمى الأصنام بها كتسمية اللات من الإله ونحوه .
الثاني تسميته بما لا يليق بجلاله كتسمية النصارى له أباً وتسمية الفلاسفة له موجباً
بذاته أو هلة فاعلة ، وثالثها : وصفه بما يتعالى عنه ويتقدس من النقائص كقول
أخبيت اليهود إن الله فقير ، وقولهم إنه استراح ، وقولهم يد الله مغلولة .
ورابعها : تعطيل الأسماء الحسنى عن معانيها وجحد حقائقها كقول من يقول من
الجهمية : إنها ألفاظ مجردة لا تتضمن صفات ولا معاني فيطلقون عليه اسم
السميع البصير الحى ، ويقولون : لا سمع له ولا بصر ولا حياة ونحو ذلك ،
وغامسها : تشبيه صفاته بصفات خلقه - تعالى الله عن قول الملحدين علواً كبيراً -
لجميعهم الإلحاد وقررت بهم طرقه وبرأ الله أتباع رسوله وورثته القائمين بسنته
عن ذلك كله فلم يصفوه إلا بما وصف به نفسه ولم يحددوا صفاته ولم يشبهوها
بصفات خلقه ولم يعدلوا بها عما أنزلت لفظاً ولا معنى بل أمبثوا له الأسماء
والصفات ونفوا عنه مشابهة المخلوقات فكان لإثباتهم بريئاً من التشبيه وتنزيههم
خلياً من التعطيل لا كن شبه حتى كأنه يعبد صنأ أو عطل حتى كأنه يعبد عدما
انتهى ، وقال أيضاً في الكافية الشافية :

فصل في بيان حقيقة الإلحاد في أسماء رب العالمين وذكر انقسام الملحدين

أسماءه أسماء مدح كلها مشتقة قد حملت لمعان
إياك والإلحاد فيها إنه كفر معاذ الله من كفران
وحقيقة الإلحاد فيها الميل بالإشراك والتعطيل والسكران
فالملحدون إذا ثلاث طوائف فعلمهموا غضب من الرحمن
المشركون لأنهم سموا بها أوثانهم قالوا إله ثانى
هم شبهوا المخلوق بالخالق عكس مشبه الخلاق بالإنسان
وكذاك أهل الاتحاد فإنهم إخوانهم من أقرب الإخوان
أعطوا الوجود جميعه أسماءه إذ كان عين الله ذى السلطان ==

والمشركون أقل شركاً منهم هم خصصوا ذا الاسم بالأوثان
ولذلك كانوا أهل شرك عندهم لو عموا ما كان من كفران
والملمد الثاني فذو التعطيل إذ ينفي حقائقها بلا برهان
ما ثم غير الاسم أوله بما ينفي الحقيقة نفي ذي بطلان
فالفصد دفع النص عن معنى الحقيقة فاجتهد فيه بلفظ بيان
عطل وحرف ثم أول وانفها واقذف بتجسيم وبالكفران
للمثبتين حقائق الأسماء والآ وصاف بالأخبار والقرآن
فإذا هموا احتجوا عليك فقل لهم هذا مجاز وهو وضع ثاني
فإذا غلبت عن المجاز فقل لهم لا يستفاد حقيقة الإيقان
إني وتلك أدلة لفظية عزلت عن الإيقان منذ زمان
فإذا تظافرت الأدلة كثرة وغلبت عن تقرير ذا بيان
فعليك حينئذ بقانون وضعناه لدفع أدلة القرآن
ولكل نص ليس يقبل أن يؤول بالمجاز ولا بمعنى ثاني
قل عارض المنقول معقول وما الأمران عند العقل يتفقان
ما ثم إلا واحد من أربع متقابلات كلم بوزان
أعمال دين أو عكسه أو تلقى المعقول ما هذا بذى إمكان
العقل أصل النقل وهو أبوه إن تبطله يبطل فرعه التختاني
فتعين الأعمال للمعقول والإلغاء للمعقول بالقانون ذى البرهان
أعماله يفضى إلى إلغائه فاهجره هجر الترك والنسيان
إلى أن قال :

هذا وثالثهم فتأفها وما في ما تدل عليه بالهتان
ذا جاحد الرحمن رأساً لم يقر بخالق أبداً ولا رحمن
هذا هو الإلحاد فاحذره لعل الله أن ينجيك من نيران
وتفوز بالزلى لديه وجنة السمأوى مع الغفران والرضوان
وفيه إجابات الاسماء وكونها حسنى ، والأمر بدعائه بها وترك من عارض من
الجاهلين الملاحدين ، وتفسير الإلحاد فيها ووعيد من ألحد فيها ، قاله المصنف رحمه
الله تعالى .

يَدْخِلُونَ فِيهَا مَا لَيْسَ مِنْهَا

٥٢ - بَاب

لَا يُقَالُ السَّلَامُ عَلَى اللَّهِ^(١)

في الصحيح^(٢) عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ

== فَمَدَّة : مَا يَجْرِي صِفَةً أَوْ خَبَرًا عَنِ الرَّبِّ تَعَالَى أَقْسَامًا ، أَحَدُهَا : مَا يَرْجِعُ إِلَى نَفْسِ الذَّاتِ كَقَوْلِكَ ذَاتٌ وَمَوْجُودٌ ، الثَّانِي : مَا يَرْجِعُ إِلَى صِفَاتِهِ وَلِعَوْنِهِ كَالْعَلِيمِ وَالتَّقْدِيرِ ، الثَّالِثُ : مَا يَرْجِعُ إِلَى أَعْمَالِهِ كَالْحَالِقِ وَالرَّازِقِ ، الرَّابِعُ : التَّنْزِيهِ الْمُحْضَى وَلَا بَدَّ مِنْ تَضَمُّنِهِ ثُبُوتًا كَالْقُدُّوسِ وَالسَّلَامِ ، الْخَامِسُ : وَلَمْ يَذْكُرْ أَكْثَرَ النَّاسِ وَهُوَ الْأَسْمُ الدَّالُّ عَلَى جَمَلَةِ أَوْصَافٍ لَا تَخْصُ بِصِفَةٍ مُعَيَّنَةٍ ، نَحْوُ الْمَجِيدِ الْعَظِيمِ الصَّمَدِ ، السَّادِسُ : صِفَةٌ تَحْصُلُ مِنْ اقْتِرَانِ أَحَدِ الْأَسْمَاءِ وَالْوَصْفَيْنِ بِالْآخِرِ وَذَلِكَ قَدْرُ زَائِدٍ عَلَى مُفْرَدِيهِمَا نَحْوُ : الْغَنِيِّ الْمَجِيدِ الْغَفُورِ الْقَدِيرِ الْحَمِيدِ الْمَجِيدِ ، وَهَكَذَا عَامَةُ الصِّفَاتِ الْمُقْتَرَنَةِ وَالْأَسْمَاءِ الْمَزْدُوجَةِ فِي الْقُرْآنِ ، فَإِنَّ الْغَنَى صِفَةٌ كَالْحَمْدِ وَكَذَلِكَ وَاجْتِمَاعُ الْغَنَى مَعَ الْحَمْدِ كَمَا آخَرُ فَلَهُ ثَنَاءٌ مِنْ غَنَاهُ وَثَنَاءٌ مِنْ حَمْدِهِ وَثَنَاءٌ مِنْ اجْتِمَاعِهِمَا فَتَأَمَّلْهُ فَإِنَّهُ مِنْ أَشْرَفِ الْمَعَارِفِ ، أَنْتَهَى بِاخْتِصَارٍ . قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ

(١) قَوْلُهُ (بَابُ لَا يُقَالُ السَّلَامُ عَلَى اللَّهِ) قُلْتُ وَجْهٌ مُنَاسِبَةٌ التَّرْجُمَةُ لِكِتَابِ التَّوْحِيدِ أَنَّ السَّلَامَ دَعَاءٌ لِلسَّلَامِ عَلَيْهِ وَهُوَ يَسْتَلْزِمُ مَدْعُوًّا وَمَدْعُوًّا لَهُ ، وَانَّهُ سَبْحَانَهُ غَنَى عَنِ دَعَاءِ الدَّاعِي وَلَيْسَ هُنَاكَ مَدْعُوًّا سِوَاهُ ، فَهَوَا عَنْ السَّلَامِ عَلَيْهِ تَنْزِيهًا وَتَحْقِيقًا لِمَنْجَابِ التَّوْحِيدِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ

(٢) قَوْلُهُ (فِي الصَّحِيحِ) أَيُ الصَّحِيحِينَ (عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ كُنَّا إِذَا كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الصَّلَاةِ قُلْنَا السَّلَامَ عَلَى اللَّهِ مِنْ عِبَادِهِ السَّلَامُ عَلَى فُلَانٍ وَفُلَانٍ ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : لَا تَقُولُوا السَّلَامَ عَلَى اللَّهِ مِنْ عِبَادِهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّلَامُ وَلَكِنْ قُولُوا التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ) أَخْبَرَنَا هَذَا الْحَدِيثُ دَلِيلٌ عَلَى النَّهْيِ عَنْ قَوْلِ السَّلَامِ عَلَى اللَّهِ لِأَنَّ اللَّهَ هُوَ السَّلَامُ ، أَيُ هُوَ تَعَالَى سَالِمٌ مِنْ كُلِّ نَقْصٍ وَمِنْ كُلِّ

ﷺ في الصلاة ، قلنا : السلامُ على الله من عباده ، السلامُ على فلان وفلان ، فقال النبي ﷺ « لا تقولوا السلامُ على الله ، فإن الله هو السلام » .

== تمثيل فهو الموصوف بكل كال المنزه عن كل عيب ونقص جل وعلا . قال ابن القيم رحمه الله : السلام اسم مصدر وهو من ألفاظ الدعاء يتضمن الإنشاء والإخبار فجته الخبرية فيه لا تنافي الجهة الإنشائية وهو معنى السلام المطلوب عند التحية ، وفيه قولان مشهوران : أحدهما : أن السلام هنا هو الله عز وجل ومعنى السلام نزلت بركته عليكم فاختر في هذا المعنى من أسماء الله عز وجل اسم السلام دون غيره . الثاني أن السلام مصدر بمعنى السلامة وهو المطلوب المدعوبه عند التحية ، وحق من دعا الله بأسمائه الحسنى أن يسأل في كل مطلوب بالاسم مقتضى لذلك المطلوب المناسب لحصوله فيكون الداعي مستشفعاً إلى الله تعالى متوسلاً إليه به فالمقام لما كان مقام طلب السلامة التي هي أهم شيء عند الإنسان أتى في طلبها بصيغة اسم من أسماء الله تعالى وهو السلام الذي تطلب منه السلامة فتضمن لفظ السلام معنيين : أحدهما ذكر الله ، والثاني طلب السلامة وهو مقصود المسلم . انتهى ملخصاً ، ثم أرشدني إلى ما ينبغي في حقه تعالى وهو قول التحيات لله أي جميع التعظيمات مستحقة لله تعالى والصلوات أي الخس أو العبادات كلها والطيبات أي من الأعمال الصالحة كلها لله ، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، تسلم على نفسك وعلى كل عبد صالح في السماء والأرض . ففي هذا الحديث بيان الفرق بين تحية الخالق وتحية المخلوق . فتحية الخالق التعظيم وتحية المخلوق السلام الذي هو دعاء له بالسلامة ، فالتعظيم بالتحية لا ينبغي إلا لله وحده فاستبدال بعض الناس السلام في مخاطبتهم بالتحية لا يجوز فينبغي النهي عن ذلك ، وفيه معرفة تفسير السلام وأنه تحية وأنها لا تصلح لله ، والعلة في ذلك وتعليمهم التحية التي تصلح لله ، قاله المصنف رحمه الله تعالى

٥٣ - باب

قول : اللهم اغفر لي إن شئت^(١)

في الصحيح^(٢) : عن أبي هريرة ، أن رسول الله ﷺ قال : « لا

يقول أحدكم : اللهم اغفر لي إن شئت ، اللهم ارحمني إن شئت ، ليعزم المسألة^(٣) فإن الله لا Mukre له^(٤) »

(١) قوله (باب قول . اللهم اغفر لي إن شئت) لما كان العبد لا غناء له عن ربه ومغفرته طرفة عين كما قال تعالى (يا أيها الناس أتمموا فقرائي إلى الله والله هو الغني الحميد) نهي عن قول اللهم اغفر لي إن شئت لما فيه من إيهام الاستغناء عن مغفرة الله ورحمته وذلك مضاد للتوحيد قاله في الشرح

(٢) قوله (في الصحيح) أي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : لا يقول أحدكم اللهم اغفر لي إن شئت ، اللهم ارحمني إن شئت ، (قال القرطبي : إنما نهي الرسول ﷺ عن هذا القول لأنه يدل على فتور الرغبة وقلة الاهتمام بالمطلوب ، وكان هذا القول يتضمن أن هذا المطلوب إن حصل وإلا استغنى عنه ، ومن كان هذا حاله لم يتحقق من حاله الافتقار والاضطرار الذي هو روح عبادة الدعاء ، وكان ذلك دليلاً على قلة معرفته بذنبه وبرحمته الله . وأيضاً فإنه لا يكون موقناً بالإجابة ، وقد قال عليه السلام : ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة . واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل ،

(٣) قوله (ليعزم المسئلة) قال القرطبي أي ليعزم في طلبته ويحقق رغبته ويتيقن الإجابة فإنه إذا فعل ذلك دل على عله بعظيم ما يطلب من المغفرة والرحمة وعلى أنه مقتدر إلى ما يطلب مضطر إليه وقد وعد الله المضطر بالإجابة بقوله (أم من يجيب المضطر إذا دعاه)

(٤) قوله (فإن الله لا Mukre له) هذا لفظ البخاري في الدعوات ، ولفظ مسلم عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ : لا يقول أحدكم اللهم اغفر لي إن شئت اللهم ارحمني إن شئت ، ليعزم على المسئلة في الدعاء فإن الله صالح ما شاء لا

وَلْيَقُلْ سَيِّدِي وَمَوْلَايَ ، وَلَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ عَبْدِي وَأُمَّتِي ، وَلْيَقُلْ
فَتَايَ وَفَتَاتِي وَغُلَامِي »

٥٥ - باب

لَا يُرَدُّ مَنْ سَأَلَ بِاللَّهِ ^(١)

= اسق ربك ، وكان المؤلف اختصرها وهذه الألفاظ المنهى عنها وإن كانت تطلق لغة فالنبي ﷺ نهى عنها تحقيقاً للتوحيد وسداً لذرائع الشرك لما فيها من التشريك في اللفظ لأن الله هو رب العباد جميعهم فإذا أطلق على غيره ما يطلق عليه تعالى وقع الشبه في اللفظ فينبغي أن يجتنب هذا اللفظ في حق المخلوق من ذلك وأرشدهم إلى ما يقوم مقام هذه الألفاظ فقال (وليقل سيدي ومولاي) وكذا قوله (ولا يقل أحدكم عبدي وأمتي) لأن العبيد عبيد الله والإماء إماء الله ، قال تعالى (إن كل من في السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبداً) في إطلاق هاتين الكلمتين على غير الله تشريك في اللفظ فنهام عن ذلك تعظيماً لله تعالى وأدباً وتحقيقاً للتوحيد ، وأرشدهم إلى ما ينبغي بقوله (وليقل فتاي وفتاتي وغلامي) وهذا من باب حماية جناب التوحيد ، قال الخطابي وسبب المنع أن الإنسان مربيوب متعبد بإخلاص التوحيد لله تعالى ، وترك الإشراك به فأمر بترك المضاهاة بالإسم لئلا يدخل في معنى الشرك ولا فرق في ذلك بين الحر والعبد وأما من لا تعبد عليه من سائر الحيوانات والجمادات فلا يكره أن يطلق ذلك عليه عند الإضافة كقوله رب الدار والثوب ، قاله في الشرح . قال ابن مفلح وظاهر النهي التحريم وقد يحتمل أنه للكرامة وجزم به غير واحد من العلماء . وفيه النهي عن قول عبدي وأمتي ولا يقول العبد ربي ، ولا يقال له أطعم ربك ، وتعليم الأول قول فتاي وفتاتي وغلامي ، وتعليم الثاني قول سيدي ومولاي ، والتنبه للراد وهو تحقيق التوحيد حتى في الألفاظ ، قاله المصنف رحمه الله تعالى .

(١) قوله (باب لا يرد من سأل بالله) أي إعظماً وإجلالاً لله تعالى أن يسأل به في شيء ولا يجاب السائل إلى سؤاله ومطلوبه ، قاله في الشرح ، أي إن =

عن ابن عمر قال ^(١) : قال رسول الله ﷺ « مَنْ اسْتَعَاذَ بِاللَّهِ فَأَعِيذُوهُ » ^(٢) ، وَمَنْ سَأَلَ بِاللَّهِ فَأَعْطُوهُ ، وَمَنْ دَعَاكُمْ فَأَجِيبُوهُ ^(٣) ، وَمَنْ صَنَعَ إِلَيْهِ _____ كَمْ مَعْرُوفًا فَكَافَتْهُ ^(٤) ،

= رده مكروه أو محرم إذا كان المطلوب ليس محرماً ولا مكروهاً لأن رده دليل على عدم إعظام الله

(١) قوله (عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ : د من سأل بالله فأعطوه) أى إذا قال السائل أسألك بالله ، قال شيخ الإسلام : وإذا قال السائل أسألك بالله فإنما سأله بإيمانه بالله وذلك سبب لإعطاء من سأله به . وفيه إعطاء من سأل بالله قاله المصنف . وقد جاء الوعيد على منع من سئل بالله أو بوجه الله ثم منع سائله . قال فى فتح المجيد : ظاهر الحديث النهى عن رد السائل إذا سأل بالله لكن هذا العموم يحتاج إلى تفصيل فيجب إذا سأل السائل ماله فيه حق كبيت المال أن يجاب فيعطى منه على قدر حاجته وما يستحقه وجوباً وكذلك إذا سأل المحتاج من فى ماله فضل فيجب أن يعطيه على قدر حالة المستول ما لا يضر بعائلته وإن كان مضطراً وجب أن يعطيه ما يدفع ضرورته . انتهى (٢) قوله (ومن استعاذ بالله فأعيذوه) أى تعظيماً لله وتقرباً إليه ، وفيه إعادة من استعاذ بالله قاله المصنف . ولهذا لما استعاذت منه الجونية قال ﷺ : ولقد هدت بمعاذ الحق بأهلك ،

(٣) قوله (ومن دعاكم فأجيبوه) أى من دعاكم إلى طعام فأجيبوه ، والحديث أعم من الوليمة وغيرها وهو يدل على الوجوب . قلت هذا إذا لم يكن فى الدعوة منكر فإن كان فيها منكر لم يجب إجابتها إلا إذا كان المدعو يستطيع إزالته فتجب الإجابة حينئذ . وفيه إجابة الدعوة . قاله المصنف رحمه الله

(٤) قوله (ومن صنع إليكم معروفاً فكافتوه) على إحسانه ليخلص القلب من إحسان الخلق ويتعلق بالحق لأنك إذا لم تكافى من صنع إليك معروفاً بقي فى قلبك له نوع تأله فشرع قطع ذلك بالكفاة . هذا معنى كلام شيخ الإسلام رحمه الله قاله فى إبطال التنديد . وفيه المكافاة على الصنعة ولا يهمل المكافاة =

فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِّرُونَهُ فَادْعُوا لَهُ ^(١) حَتَّى تَرَوْا ^(٢) أَنْكُمْ قَدْ كَفَأْتُمُوهُ ، رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ

٥٦ - بَاب

لَا يُسْأَلُ بَوَاجِهِ اللَّهِ إِلَّا الْجَنَّةُ ^(٣)

عَنْ جَابِرٍ قَالَ ^(٤) : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « لَا يُسْأَلُ بَوَاجِهِ اللَّهِ

= عَلَى الْمَعْرُوفِ إِلَّا اللَّثَامُ مِنَ النَّاسِ وَبَعْضُ اللَّثَامِ يَكْفِي عَلَى الْإِحْسَانِ بِالْإِسَاءَةِ
قَالَ فِي فَتْحِ الْمَجِيدِ

(١) قَوْلُهُ (فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِّرُونَهُ فَادْعُوا لَهُ) أَيْ إِذَا لَمْ تَقْدِرُوا عَلَى مَكَافَاتِهِ وَفِيهِ أَنَّ الدَّعَاءَ مَكَافَأَةٌ لِمَنْ لَمْ يَقْدِرْ إِلَّا عَلَيْهِ ، وَقَدْ رَوَى التِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ وَالنَّسَائِيُّ وَابْنُ حِبَّانَ عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ مَرْفُوعاً ، مِنْ صَنْعِ إِبْرَاهِيمَ مَعْرُوفٍ فَقَالَ لِفَاعِلِهِ جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا فَقَدْ أَبْلَغَ فِي الشَّيْءِ ،

(٢) قَوْلُهُ (حَتَّى تَرَوْا) بِضَمِّ التَّاءِ ، أَيْ تَنْظُرُوا ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ مَفْتُوحَةً بِمَعْنَى تَعْلَمُوا أَنْكُمْ قَدْ كَفَأْتُمُوهُ ، وَيُؤَيِّدُهُ مَا فِي سَنَنِ أَبِي دَاوُدَ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ حَتَّى تَعْلَمُوا فَتَعَيَّنَ الثَّانِي لِلتَّصْرِيحِ بِهِ قَالَ فِي فَتْحِ الْمَجِيدِ

(٣) قَوْلُهُ (بَابٌ لَا يُسْأَلُ بَوَاجِهِ اللَّهِ إِلَّا الْجَنَّةُ) أَيْ لِجَلَالِهَا وَإِكْرَامِهَا لِوَجْهِ اللَّهِ تَعَالَى أَنْ يُسْأَلَ بِهِ إِلَّا غَايَةَ الْمَطَالِبِ وَهِيَ الْجَنَّةُ

(٤) قَوْلُهُ (عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « لَا يُسْأَلُ بَوَاجِهِ اللَّهِ إِلَّا الْجَنَّةُ ») رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ

قَوْلُهُ (لَا يُسْأَلُ بَوَاجِهِ اللَّهِ) رَوَى بِالنُّقْيِ وَالنَّهْيِ وَرَوَى بِالْبِنَاءِ لِلْجَهْلِ وَهُوَ الَّذِي فِي الْأَصْلِ ، وَرَوَى بِالْخَطَابِ لِلتَّفْرِدِ قَالَهُ فِي الشَّرْحِ . وَأَمَّا سُؤَالُ الْمَخْلُوقِ بَوَاجِهِ اللَّهِ فَحَرَامٌ لَمَّا رَوَى الطَّبْرَانِيُّ عَنْ أَبِي مُوسَى مَرْفُوعاً « مَلْعُونٌ مَنْ سَأَلَ بَوَاجِهِ اللَّهِ وَمَلْعُونٌ مَنْ سَتَلَ بَوَاجِهِ اللَّهِ ثُمَّ مَنَعَ سَأَلَهُ مَا لَمْ يُسْأَلْ هَجْرًا ، وَعَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ مَوْلَى رِفَاعَةَ بْنِ رَافِعٍ مَرْفُوعاً « مَلْعُونٌ مَنْ سَأَلَ بَوَاجِهِ اللَّهِ وَمَلْعُونٌ مَنْ سَتَلَ » =

إِلَّا الْجَنَّةُ . رواه أبو داود

= بوجه الله فتح سائله ، رواه الطبراني أيضاً . وعن ابن عباس رضى الله عنه مرفوعاً : ألا أخبركم بشر الناس ؟ رجل سئل بوجه الله ولا يعطى ، رواه الترمذى وحسنه وابن حبان فى صحيحه ، وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ألا أخبركم بشر البرية ؟ قالوا : بلى يا رسول الله . قال : الذى يسأل بوجه الله ولا يعطى ، فهذه الأحاديث مع حديث الباب تدل على وجوب إعطاء السائل . وفيه : لمن من سأل أحداً بوجه الله ، قاله فى إبطال التنديد

قوله (إلا الجنة) كأن يقول : اللهم إني أسألك بوجهك الكريم أن تدخلني الجنة ، وقيل المراد لا تسألوا الناس شيئاً بوجه الله ، كأن يقول : أعطنى شيئاً لوجه الله فإن الله أعظم من أن يسأل به شيء من الحطام . قال فى الشرح : إن كلا المعنيين صحيح . قال الحافظ العراقى : وذكر الجنة إنما هو للتنبيه على الأمور العظام إلا للتخصيص ، فلا يسأل بوجه الله فى الأمور الدينية بخلاف الأمور العظام تحصيلاً أو دفعاً كما يشير إليه استعاذة النبى ﷺ به ، قال فى إبطال التنديد والحديث أحق بما قال ، وحديث الباب من جملة الأدلة المتواترة فى الكتاب والسنة على إثبات الوجه لله تعالى كما هو طريقة أهل السنة والجماعة سلفاً وخلفاً ، وفيه النهى عن أن يسأل بوجه الله إلا غاية المطالب وإثبات صفة الوجه قاله المصنف رحمه الله تعالى . قال فى فتح المجيد وهنا سؤال : وهو أنه قد ورد فى دعاء النبى ﷺ : أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات ، وحديث : أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له السموات والأرض ، وحديث : أعوذ بوجهك الكريم ، وأمثال ذلك فى الأحاديث المرفوعة بالأسانيد الصحيحة أو الحسان ، فالجواب أن ما ورد من ذلك فهو فى سؤال ما يقرب إلى الجنة أو ما يمنعه من الأعمال التى تمنعه من الجنة فيكون قد سأل بوجه الله وبنور وجهه ما يقرب إلى الجنة . . إلى آخره . فأقول : هذا السؤال الذى أورده الشيخ رحمه الله تعالى وتكلف الجواب عنه ليس من السؤال بوجه الله ، وإنما هو استعاذة بوجه الله ، وفرق بين السؤال والاستعاذة ، فتنبه لذلك

٥٧ - باب

ما جاء في الآية^(١)

وقول الله تعالى ﴿ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَهُنَا ^(٢) ﴾ .

وقوله ﴿ الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا ﴾ الآية^(٣) .

(١) قوله (باب ما جاء في الآية) أى من الوعيد والنهى عنه عند الأمور المكروهة كالمصائب إذا جرى بها القدر لما فيه من الإشعار بعدم الصبر والاسمى على ما فات مما لا يمكن استدراكه ، فالواجب التسليم للقدر والقيام بالعبودية الواجبة وهى الصبر على ما أصاب العبد مما يكره ، والإيمان بالقدر أصل من أصول الإيمان الستة . وأدخل المصنف رحمه الله تعالى أداة التعريف على « لو » ، وهى فى هذا المقام لا تفيد تعريفاً كنظائرها ، لأن المراد هنا اللفظ كما قال الشاعر :
رأيت الزيد بن الوليد مباركا شديداً بأعباء الخلافة كاهله

(٢) قوله (وقول الله تعالى ﴿ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا ﴾) هذا قول بعض المنافقين يوم أحد . روى ابن إسحاق بإسناده عن عبد الله بن الزبير قال : قال الزبير لقد رأيتنى مع رسول الله ﷺ حين اشتد الخوف علينا أرسل الله علينا النوم فامنا رجل إلا ذقته فى صدره ، قال : فوالله إنى لأسمع قول مُعْتَب بن قشير ما أسمعه إلا كالحلم : لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هاهنا لحفظتها منه ، وفى ذلك أنزل الله ﴿ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا ﴾ لقول معتب رواه ابن أبي حاتم ، وهذا من المنافقين معارضة منهم للقدر بلو ، ولهذا رد الله عليهم بقوله ﴿ قل لو كنتم فى بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم ﴾

(٣) وقوله (الذين قالوا لإخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ما قتلوا قل فادعوا عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين) وهذا أيضا معارضة للقدر من المنافقين =

في الصحيح^(١) عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « احرصن

= بقولهم لمن خرج مع رسول الله ﷺ يوم أحد . قيل : وإنما قال لإخوانهم أي لمشاركتهم لهم في الظاهر ، وقيل لإخوانهم في النسب لا في الدين لو أطاعونا في مشورتنا عليهم بعدم الخروج ما قتلوا قل فادروا عن أنفسكم الموت أي إن عدم الخروج لا ينجي من الموت فإن كنتم صادقين فادفعوا الموت إذا جاءكم أي إذا كان القعود يسلم به الشخص من القتل والموت فينبغي لكم أن لا تموتوا والموت لا بد آتيكم ولو كنتم في بروج مشيدة . قال مجاهد عن جابر بن عبد الله : نزلت هذه الآية في عبد الله بن أبي وأصحابه يعني أنه هو الذي قال ذلك . قال شيخ الإسلام : انخزل عبد الله بن أبي يوم أحد ، وقال : يدع رأيي ورأيه ويأخذ برأي الصبيان وانخزل معه خلق كثير كان كثير منهم لم يوافق قبل ذلك فأولئك كانوا مسلمين وكان معهم إيمان هو الضوء الذي ضرب الله به المثل ، فلو ماتوا قبل المحنة والنفاق لماتوا على الإسلام ولم يكونوا من المؤمنين حقا الذين امتحنوا فثبتوا على المحنة ، ولا من المنافقين حقا الذين ارتدوا عن الإيمان بالمحنة وهذا حال كثير من المسلمين في زماننا أو أكثرهم إذا ابتلوا المحنة التي يتضعض فيها أهل الإيمان ينقص إيمانهم كثيرا وينافق كثير منهم ، ومنهم من يظهر الردة إذا كان العدو غالبا ، وقد رأينا من هذا ورأى غيرنا من هذا ما فيه عبرة ، وإذا كانت العافية أو كان المسلمون ظاهرين على عدوهم كانوا مسلمين وهم مؤمنون بالرسول باطنا وظاهرا لكنه إيمان لا يثبت على المحنة ، ولهذا يكثر في هؤلاء ترك الفرائض وانتهاك المحارم وهؤلاء من الذين قالوا آمنا فقليل لهم (لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم) أي الإيمان المطلق الذي أهله هم المؤمنون حقا فإن هذا هو الإيمان إذا أطلق في كتاب الله كما دل عليه الكتاب والسنة فلم يحصل له ريب عند المحن التي تقلقل الإيمان في القلوب . انتهى . وفيه معرفة تفسير الآيتين من آل عمران قاله المصنف رحمه الله تعالى

(١) قوله (في الصحيح) أي صحيح مسلم (عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجزن) اختصر المصنف رحمه الله هذا الحديث ، وأوله أن النبي ﷺ قال : المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير احرص على ما ينفعك ، إلى =

على . ————— ا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعْنِ بِاللّٰهِ وَلَا تَعْجِزْ

== آخره . قال ابن القيم رحمه الله تضمن هذا الحديث أصولا عظيمة من أصول الإيمان ، أحدها أن الله سبحانه موصوف بالمحبة وأنه يجب حقيقة . الثاني أنه يجب مقتضى أسمائه وصفاته وما يوافقها ، فهو القوى يحب المؤمن القوى ، وهو وتر يحب الوتر ، وجميل يحب الجمال ، وعليم يحب العلماء ، ونظايف يحب النظافة ومؤمن يحب المؤمنين ، ومحسن يحب المحسنين ، وصابر يحب الصابرين ، وشاكر يحب الشاكرين . ومنها أن محبته للؤمنين تتفاضل فيحب بعضهم أكثر من بعض ومنها أن سعادة الإنسان في حرصه على ما ينفعه في معاشه ومعاده . والحرص هو بذل الجهد واستفراغ الوسع

وقوله (أحرص على ما ينفعك) أى في معاشك ومعادك ، والمراد الحرص على فعل الأسباب التى تنفع العبد في دنياه وأخراه عما شرعه الله تعالى لعباده من الأسباب الواجبة والمستحبة والمباحة ويكون العبد في حال فعله السبب مستعينا بالله وحده لئلا له مطلوبه ويكون اعتماد العبد على الله مع فعل السبب لأن الله هو الذى خلق السبب والمسبب ولا ينفعه سبب إلا إذا نفعه الله به ، ففعل السبب سنة والتوكل على الله توحيد ، فاذا جمع بينهما تم له مراده بإذن الله

قوله (واستعن بالله) لما كان حرص الإنسان وفعله إنما هو بمعونة الله ومشيتته وتوفيقه أمره أن يستعين به ليجمع له بين مقام (إياك نعبد وإياك نستعين) فان حرصه على ما ينفعه عبادة لله ولا تتم إلا بمعونة الله فأمره أن يعبد الله وأن يستعين به قاله ابن القيم رحمه الله تعالى

قوله (ولا تعجزن) النون نون التوكيد الخفيفة نهاء عنه عن العجز وذمه والعجز مذموم شرعا وعقلا ، وفي الحديث « الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني » . قال ابن القيم : فالحريرص على ما ينفعه المستعين بالله ضد العاجز فهذا إرشاد له قبل وقوع المقدور إلى ما هو من أعظم أسباب حصوله وهو الحرص عليه مع الاستعانة بمن أؤتمن الأمور بيده ومصدرها منه ومردمها إليه ، فاذا وقع المقدور فللعبد ==

وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلتُ لكان كذا وكذا ، ولكن
قل : قَدَرَ الله وما شاءَ فعَل ، فإنَّ (لو) تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ (١) »

==حالتان حالة عجز وهي مفتاح عمل الشيطان فيلقيه العجز إلى دلو ، ولا فائدة فيها بل هي مفتاح اللوم والعجز والسخط والحزن وهذا من عمل الشيطان فنهاء عن اقتراح عمله بهذا المفتاح وأمره بالحالة الثانية وهي النظر إلى القدر وأنه لو قدر لم يفته ولم يغلبه عليه أحد ولهذا قال (وإن أصابك شيء) أى غلبك الأمر ولم يحصل المقصود بعد بذل الجهد والاستعانة بالله (فلا تقل لو أني فعلت كان كذا وكذا ولكن قل قدر الله وما شاءَ فعَل) فأرشده إلى ما ينفعه حالة حصول مطلوبه وحالة فواته ، ولهذا كان هذا الحديث مما لا يستغنى عنه وهو يتضمن إثبات القدر والكسب والاختيار والقيام بالعبودية ظاهراً وباطناً في حالي حصول المطلوب وعدمه انتهى مانحاً ، وفيه الأمر بالحرص على ما ينفع مع الاستعانة بالله والنهي عن ضد ذلك وهو العجز ، قاله المصنف رحمه الله

(١) قوله (فإن دلو ، تفتح عمل الشيطان) أى لما فيها من التأسف على ما فات والنحس ولوم القدر وذلك يناقى الصبر ، والرضى واجب ، والإيمان بالقدر فرض . وفيه النهى الصريح عن قول دلو ، إذا أصابك شيء وتعليل المسألة بأن ذلك يفتح عمل الشيطان والإرشار إلى الكلام الحسن ، قاله المصنف . تنبيه : وأما قوله ﷺ دلو لا حدثنان قومك بالكفر لامتمت البيت على قواعد إبراهيم . وقوله دلو كنت راجماً أحداً بغير بينة لرجمت هذه ، وقوله دلو لا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك ، وشبه ذلك . فأجاب القاضى عياض بأن هذا كله مستقبل لا اعتراض فيه على قدر ولا كراهة فيه لأنه إنما أخبر عن اعتقاده فيما كان يفعل لولا المانع وعما هو في قدرته فأما مذهب فليس في قدرته ، وكذا قوله دلو استقبلت من أمرى ما استدبرت ما سقت الهدى ولجعاتها عمرة ، فليس من المنهى عنه بل هو إخبار لهم عما كان يفعل في المستقبل لو حصل ولا خلاف في جواز ذلك وإنما ينهى عن ذلك في ممارضة القدر أو مع اعتقاد أن ذلك المانع لو ارتفع لوقع خلاف المقدر ، انتهى ملخصاً

٥٨ - باب

النهي عن سبِّ الرِّيح^(١)

عن أبي بن كعب رضى الله عنه^(٢) أن رسول الله ﷺ قال :
« لا تَسُبُّوا الرِّيحَ ، فإذا رأيتم ما تَكْرَهُونَ فقولوا : اللهم إنا

(١) قوله (باب النهي عن سبِّ الرِّيح) أى لانها مأمورة فسبها مسبة لآمرها فيكون إذاً لله كسبة الدنر ، وهو من أفعال أهل الجاهلية

(٢) قوله (عن أبي بن كعب) أى ابن عبيد بن زيد بن معاوية بن قيس بن عمرو بن مالك بن النجار الأعصاري الخزرجي أبو المنذر صحابي جليل ، وكان من قراء الصحابة وعلمائهم وله مناقب مشهورة منها : أن النبي ﷺ قال له إن الله أمرني أن أقرا عليك (لم يكن الذين كفروا) قال وسماي قال نعم ، فبكى أبي . قال الهيثم بن عدى : مات سنة تسع عشرة ، وقال خليفة بن خياط في سنة اثنتين وثلاثين ، يقال مات فيها أبي بن كعب ، ويقال مات في خلافة عمر وقيل غير ذلك رضى الله عنه (أن رسول الله ﷺ قال « لا تسبوا الرِّيح ، فإذا رأيتم ما تكرهون فقولوا : اللهم إنا نسألك من خير هذه الرِّيح وخير ما فيها ما أمرت به ، ولنعوذ بك من شر هذه الرِّيح وشر ما فيها وشر ما أمرت به » صححه الترمذى)

قوله (لا تسبوا الرِّيح) أى لا تشتموها ولا تلعنوها . (فإنها مأمورة) فلا يجوز سبها بل نجب التوبة عند الضرر بها وهو تأديب من الله لعباده وتأديبه رحمة للعباد ، فلهذا جاء في حديث أبي هريرة مرفوعاً « الرِّيح من روح الله تأتي بالرحمة وبالعذاب فلا تسبوها ، ولكن سلوا الله من خيرها وتعوذوا بالله من شرها ، رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه

قوله (فإذا رأيتم ما تكرهون) أى من الرِّيح إما شدة حرها أو بردها أو قوتها فارجعوا إلى ربكم بالتوحيد وقولوا « اللهم إنا نسألك من خير هذه =

نَسَأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هَذِهِ الرِّيحِ ، وَخَيْرِ مَا فِيهَا ، وَخَيْرِ مَا أَمَرْتُ بِهِ ،
وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ هَذِهِ الرِّيحِ ، وَشَرِّ مَا فِيهَا ، وَشَرِّ مَا أَمَرْتُ بِهِ »
صححه الترمذى

٥٩ - بَاب

قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى ﴿ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ ﴾ يَقُولُونَ
هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ ﴿١﴾ الْآيَةُ

= الرِّيحُ وَخَيْرُ مَا فِيهَا وَخَيْرُ مَا أَمَرْتُ بِهِ ، وَلِنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ هَذِهِ الرِّيحِ وَشَرِّ مَا
فِيهَا ، وَشَرِّ مَا أَمَرْتُ بِهِ ، فَنَفِي هَذَا عِبُودِيَّةِ اللَّهِ وَطَاعَةِ لَهُ وَلِرَسُولِهِ وَاسْتِدْفَاعِ لِلشَّرِّ
وَتَمَرُّضِ لِفَضْلِهِ وَلِعَمَّتِهِ ، وَهَذِهِ حَالُ أَهْلِ التَّوْحِيدِ وَالْإِيمَانِ خِلَافًا لِحَالِ أَهْلِ
الْفُسُوقِ وَالْمَعْصِيَانِ الَّذِينَ حَرَمُوا ذَوْقَ طَعْمِ التَّوْحِيدِ الَّذِي هُوَ حَقِيقَةُ الْإِيمَانِ .
وَفِيهِ النَّهْيُ عَنِ سَبِّ الرِّيحِ ، وَالْإِرْشَادُ إِلَى الْكَلَامِ النَّافِعِ إِذَا رَأَى الْإِنْسَانُ
مَا يَكْرَهُ ، وَالْإِرْشَادُ إِلَى أَنَّهَا مَأْمُورَةٌ ، وَأَنَّهَا قَدْ تَوَمَّرَ بِخَيْرٍ وَقَدْ تَوَمَّرَ بِشَرٍّ ، قَالَ
الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى .

(١) قَوْلُهُ (بَابِ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى ﴿ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ ﴾ ،
يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ ﴾) (الْآيَةُ) أَرَادَ الْمُصَنِّفُ
رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِهَذِهِ التَّرْجُمَةِ النَّفْيِيَّةِ عَلَى وَجُوبِ حَسَنِ الظَّنِّ بِاللَّهِ لِأَنَّ ذَلِكَ مِنْ
وَاجِبَاتِ التَّوْحِيدِ وَلِذَلِكَ ذَمَّ اللَّهُ مِنْ أَسَاءِ الظَّنِّ بِهِ ، لِأَنَّ مَبْنَى حَسَنِ الظَّنِّ عَلَى الْعِلْمِ
بِرَحْمَةِ اللَّهِ وَعِزَّتِهِ وَإِحْسَانِهِ وَقُدْرَتِهِ وَعِلْمِهِ وَحَسَنِ اخْتِيَارِهِ وَقُوَّةِ التَّوَكُّلِ عَلَيْهِ
فَإِذَا تَمَّ الْعِلْمُ بِذَلِكَ أَثْمَرَ لَهُ حَسَنَ الظَّنِّ بِاللَّهِ ، قَالَ فِي الشَّرْحِ . وَقَدْ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ
الْقَدِيمِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِي ، رَوَاهُ
الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ ، وَعَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ قَبْلَ مَوْتِهِ بِثَلَاثَةِ
أَيَّامٍ يَقُولُ : لَا يَمُوتُنَ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يَحْسِنُ الظَّنَّ بِاللَّهِ عِزَّ وَجَلَّ ، رَوَاهُ مُسْلِمٌ
وَأَبُو دَاوُدَ .

قَوْلُهُ (يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ) هَذِهِ الْآيَةُ نَزَلَتْ خَبَرٌ مِنْ اللَّهِ عَنْ =

وقوله ﴿الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَنُّ السَّوْءِ ، عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ﴾

الآية (١)

== المنافقين وما جرى لهم في وقعة أحد فقال تعالى ﴿ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمانة نعاماً يشئ طائفة منكم﴾ يعني المؤمنين الصادقين الذين هم على يقين بأن الله سينصر رسوله ويظهره على عدوه ، وطائفة قد أهمتهم أنفسهم ، يعني المنافقين ، لا يفشاهم النعاس ، من القلق والجزع والخوف على أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية من أهل الشرك شكاً في أمر الله وتكذيباً لنبيه لما رأوا من الهزيمة على المسلمين بسبب غافلتهم لأمر الرسول ﷺ وتركهم الثغر الذي أمرهم بلزومه ففكر عليهم العدو فقتل من قتل منهم وشج النبي ﷺ وكسرت رباعيته فظن المنافقون أنها الفصلة وأن الإسلام قد باد أهلهم فقال ممثب بن قشير أخو بني عمرو بن عوف : لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هاهنا . ولما قيل لعبد الله بن أبي قتل بنو الخزرج اليوم ، قال : وهل لنا من الأمر شيء . قال ابن القيم رحمه الله تعالى فليس مقصودهم بالكلمة الأولى والثانية إثبات القدر ورد الأمر كله لله ولو كان هذا مقصودهم لما ذموا ولما حسن الرد عليهم بقوله قل إن الأمر كله لله ، ولا كان هذا الكلام ظن الجاهلية ولهذا قال غير واحد من المفسرين إن ظنهم الباطل مهنا هو التكذيب بالقدر وأن الأمر لو كان اليهم وكان الرسول ﷺ وأصحابه تبعاً لهم يسمعون منهم لما أصابهم القتل ولما كان النصر والظفر لهم فكذبهم الله في هذا الظن الباطل الذي هو ظن الجاهلية وهو المنسوب إلى أهل الجبل الذين يزعمون بعد نفاذ القضاء والقدر الذي لم يكن بد من نفاذه أنهم كانوا قادرين على دفعه وأن الأمر لو كان اليهم لما نفذ القضاء فأكذبهم الله بقوله ﴿قل إن الأمر كله لله﴾ فلا يكون إلا ما سبق به قضاؤه وقدره وجرى به قلبه وكتابه السابق

(١) وقوله (الظالمين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء . الآية) قال ابن كثير يهتمون الله تعالى في حكمه ويظنون بالرسول ﷺ وأصحابه أن يقتلوا ويذبحوا بالسكينة ، ولهذا قال ﴿عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم﴾ أي أبعدهم من رحمته وأعد لهم جهنم وساءت مصيراً (قال ابن القيم رحمه الله في الآية ==

قال ابن القيم في الآية الأولى : **فُسر** هذا الظن بأنه سبحانه لا ينصر رسوله وأن أمره مبضمحل . **وفُسر** بظنهم أن ما أصابهم لم يكن بقدر الله وحكمته ، **فُسر** بإنكار الحكمة ، وإنكار القدر ، وإنكار أن يتم أمر رسول الله ﷺ وأن يظهره على الدين كله . وهذا هو ظل السوء الذي ظنه المنافقون والمشركون في سورة الفتح . وإنما كان هذا ظن السوء لأنه ظن غير ما يليق به سبحانه ، وما يليق بحكمته وحمده ووعد الصادق ، فمن ظن أنه يُدبّل الباطل على الحق إدالة مستقرة يضمحل معها الحق ، أو أنكر أن يكون ما جرى بقضائه وقدره ، أو أنكر أن يكون قدره بحكمة بالغة يستحق عليها الحمد ، بل زعم أن ذلك لمشيتة مجردة ، فذلك ظن الذين كفروا ، فويل للذين كفروا من الذ

= الأولى فسر هذا الظن بأنه سبحانه لا ينصر رسوله ، وأن أمره مبضمحل وفسر بأن أصابهم لم يكن بقدر الله وحكمته ففسر بإنكار الحكمة وإنكار القدر وإنكار أن يتم أمر رسول الله ﷺ وأن يظهره على الدين كله وهذا هو ظل السوء الذي ظن المنافقون والمشركون في سورة الفتح ، وإنما كان هذا ظن السوء لأنه ظن غير ما يليق به سبحانه وما يليق بحكمته وحمده ووعد الصادق ، فمن ظن أنه يدبّل الباطل على الحق إدالة مستمرة يضمحل معها الحق ، أو أنكر أن يكون ما جرى بقضائه وقدره ، أو أنكر أن يكون قدره بحكمة بالغة يستحق عليها الحمد بل زعم أن ذلك لمشيتة مجردة فذلك ظن الذين كفروا فويل للذين كفروا من الذ (من التار) . وفيه معرفة تفسير آية آل عمران وتفسير آية الفتح قاله المصنف رحمه الله تعالى

وأكثر الناس يظنون بالله ظنَّ السوء فيما يختص بهم^(١) وفيما يفعله
بغيرهم ، ولا يسلم من ذلك من عرف الله وأسماء وصفاته وموجب
حكيمته وحده^(٢) . فليعتن اليب^(٣) والناصح لنفسه بهذا ، وليتب
إلى الله ويستغفره من ظنّه بربه ظنَّ السوء . ولو فتشت من فتشت^(٤)
لرأيت عنده تعنتاً على القدر وملامةً له ، وأنه كان ينبغي أن يكون
كذا وكذا ، فستقلّ ومستكثر ، وفتش نفسك ، هل أنت سالم ؟

-
- (١) قوله (وأكثر الناس يظنون بالله ظنَّ السوء فيما يختص بهم) بل غالب
بنى آدم إلا من شاء الله يعتقد أنه مبخوس الحق ناقص الحظ وأنه يستحق فوق
ما أعطاه الله ، ولسان حاله يقول ظلني ربّي ومنعني ما أستحق ، ونفسه تشهد
عليه بذلك ، وهو بلسانه ينكر ولا يتجاسر على التصريح
- (٢) قوله (وفيما يفعله بغيرهم ولا يسلم من ذلك إلا من عرف الله وأسماء
وصفاته وموجب حكيمته وحده) فإذا رأوا رجلاً صالحاً قد قتر عليه قالوا هذا
ما يستحق أو رأوا رجلاً قد وسع عليه في الدنيا قالوا هذا ليس بكفو قد حاق
القدر واعتراضاً عليه . قال أبو الفرج بن الجوزي : وهذه حالة قد شملت خلقاً
كثيراً من العلماء والجهال أولهم إبليس فانه انظر بعقله فقال كيف يفضل العالين
على جوهر النار ؟ وفي ضمن اعتراضه أن حكمتك قاصرة وأنا أجود واتبع إبليس
في تفضيله واعتراضه خلق كثير مثل الراوندي والمعري ومن قوله
- إذا كان لا يحظى برزقك عاقل وترزق مجنوناً وترزق أحقاً
فلا ذنب يارب السماء على امرئ رأى منك ما لا يرضى فتردق
- (٣) قوله (فليعتن اليب) أي العاقل (الناصح لنفسه ، ولا يعترض على
ربه في قضائه وقدره وليتب إلى الله ويستغفره من ظنّه بربه ظنَّ السوء)
- (٤) قوله (ولو فتشت من فتشت) يعني من الناس (لرأيت عنده تعنتاً على
القدر وملامةً له وأنه كان ينبغي أن يكون كذا وكذا) أي خلاف ما جرى به
القدر (فستقلّ ومستكثر) أي مستقل من الاعتراض ومستكثر منه (وفتش
نفسك هل أنت سالم) من الاعتراض على قضاء الله وقدره أم لا

فَإِنْ تَنْجُ مِنْهَا تَنْجُ مِنْ ذِي عَظِيمَةٍ وَإِلَّا فَإِنِّي لَا إِعْصَالَكَ نَاجِيَا

٦٠ - بَاب

مَا جَاءَ فِي مُنْكَرِي الْقَدَرِ^(١)

= فَإِنْ تَنْجُ مِنْهَا تَنْجُ مِنْ ذِي عَظِيمَةٍ وَإِلَّا فَإِنِّي لَا إِعْصَالَكَ نَاجِيَا

قوله (لا إخالك) بكسر الهمزة ، أى لا أظنك ، والله در القائل :

فلا تظنن بربك ظن سوء فان الله أولى بالجميل
ولا تظنن بنفسك قط خيرا فكيف بظالم جان جهول
وظن بنفسك السوء تجدها كذاك وخيرها كالمستحيل
وما بك من تقى فيها وخير فتلك مواهب الرب الجليل
وليس لها ولا منها ولكن من الرحمن فاشكر للدليل

وفيه الإخبار بان ذلك النوع لا تحصر ، وأنه لا يسلم من ذلك إلا من عرف الاسماء والصفات وعرف نفسه ، قاله المصنف رحمه الله تعالى

(١) قوله (باب ما جاء فى منكرى القدر) أى من الوعيد الشديد ، قال فى المصباح والقدر بالفتح لا غير القضاء الذى يقدره الله تعالى والقدر مذكور عن علم الرب وقدرته ولهذا قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى : القدر هو قدرة الله ، واستحسن ابن عقيل هذا الكلام من أحمد غاية الاستحسان وقال إنه شفى بهذه الكلمة وأفصح بها عن حقيقة القدر ، وإلى هذا أشار العلامة ابن القيم بقوله :

وحقيقة القدر الذى حار الورى فى شأنه هو قدرة الرحمن
واستحسن ابن عقيل ذا من أحد لما حكاه عن الرضى الربانى
قال الإمام شفى القلوب بلفظة ذات اختصار وهى ذات بيان

قال شيخ الإسلام : وقول الإمام أحمد : القدر قدرة الله ، يعنى أن من أنكر القدر فقد أنكر قدرة الله ، وقال ابن عباس رضى الله عنهما : الإيمان بالقدر نظام التوحيد ، فمن آمن بالله وكذب بقدره نقض تكذيب توحيده ، ومن آمن بالقدر صدق إيمانه توحيده

وقال ابنُ عمر: والذي نفس ابنِ عمرَ بيده؛ لو كان لأحدهم مثلُ
أحدِ ذهباً ثم أنفقَه في سبيلِ الله ما قبلَهُ اللهُ منه حتى يؤمنَ بالقدرِ .
ثم استدلَّ بقولِ النبي ﷺ «الإيمانُ أن تؤمنَ بالله وملائكتهِ
وكتبهِ ورسولِهِ واليومِ الآخرِ؛ وتؤمنَ بالقدرِ خيرهَ وشرِّه»^(١)
رواه مسلم

(١) قوله (وقال عبد الله بن عمر: والذي نفس ابن عمر بيده لو كان لأحدهم مثل أحد ذهباً ثم أنفقَه في سبيلِ الله ما قبلَهُ اللهُ منه حتى يؤمنَ بالقدرِ . ثم استدلَّ بقولِ النبي ﷺ «الإيمانُ أن تؤمنَ بالله وملائكتهِ وكتبهِ ورسولِهِ واليومِ الآخرِ؛ وتؤمنَ بالقدرِ خيرهَ وشرِّه» (حديث ابن عمر هذا أخرجه مسلم وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه ، فالإيمان بالله هو التصديق بأنه سبحانه وتعالى موجود موصوف بصفات الجلال والكمال منزّه عن صفات النقص وأنه فرد صمد خالق جميع المخلوقات متصرف فيها بما يشاء يفعل في ملكه ما يريد ، والإيمان بالملائكة هو التصديق بعبوديتهم لله ﴿بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون﴾ ، يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون) . والإيمان بالرسول هو التصديق بأنهم صادقون فيما أخبروا به عن الله تعالى ، أيدهم الله بالمعجزات الدالة على صدقهم ، وأنهم بلغوا عن الله رسالاته وبينوا للكافرين ما أمرهم الله به ، وأنه يجب احترامهم وأن لا يفرق بين أحد منهم . والإيمان باليوم الآخر هو التصديق بيوم القيامة وما اشتمل عليه من الإعادة بعد الموت والفسر والحشر والحساب والميزان والصراف والجنة والنار ، وأنهما دار ثوابه وعقابه للحسنين والمسيئين إلى غير ذلك مما صح به النقل ، والإيمان بالقدر هو التصديق بما دل عليه قوله ﴿ والله خلقكم وما تعملون ﴾ وقوله ﴿ إنا كل شيء خلقناه بقدر ﴾ وكلام ابن عمر هذا أراد به غلاة القدرية المنكرين أن يكون الله عالماً بشيء من أعمال العباد قبل وقوعها منهم وإنما يعلمها بعد كونها قال القرطبي : ولا شك في تكفير من يذهب إلى ذلك فإنه جحد معلوماً من الشرع بالضرورة ، لذلك تبرأ منهم ابن عمر وأتقى بأنه =

== لا تقبل منهم أعمالهم ونفقاتهم . وقال شيخ الإسلام : مذهب أهل السنة في هذا الباب وغيره ما دل عليه الكتاب والسنة ، وكان عليه السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان ، وهو أن الله خالق كل شيء وربّه ومليكه ، وقد دخل في ذلك جميع الأعيان القائمة بأنفسها وصفاتها القائمة بها من أفعال العباد وغير أفعال العباد ، وأنه سبحانه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن فلا يكون في الوجود شيء إلا بمشيئته وقدرته ولا يمتنع عليه شيء شاءه بل قادر على كل شيء ولا يشاء شيئاً إلا هو قادر عليه ، وأنه سبحانه يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف كان يكون ، وقد دخل في ذلك أفعال العباد وغيرها ، وقد قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلقهم وقدر أرزاقهم وآجالهم وأعمالهم وكتب ما يصيرون إليه من شقاوة وسعادة ، فهم يؤمنون بخلقهم لكل شيء وقدرته على كل شيء ومشيئته لكل ما كان وعلمه بالاشياء قبل أن تكون وتقديره لها وكتابته إياها قبل أن تكون . وقد سئل الشافعي رحمه الله عن القدر فقال :

فما شئتَ كان وإن لم أشأ وما شئتُ إن لم تشأ لم يكن
خلقت العباد على ما علمت ففى العلم يجرى الفتى والمسن
على ذا منتت وهذا خذلت وهذا أعنت وذا لم تعن
فمنهم شقى ومنهم سعيد ومنهم قبيح ومنهم حسن

والإيمان بالقدر على درجتين إحداهما : الإيمان بأن الله تعالى سبق في علمه ما يعمل العباد من خير وشر وطاعة ومعصية قبل خلقهم ، ومن هو منهم من أهل الجنة ، ومن هو منهم من أهل النار . وأعد لهم الثواب والعقاب وكتب ذلك ، وأن أعمال العباد تجري على ما سبق في علمه وكتابته ، وهذه الدرجة أثبتها كثير من القدرية وتفاها غلاتهم كعبد الجهنى وعمرو بن عبيد وغيرهما . وقد قال كثير من أئمة السلف ناظروهم - يعنى القدرية - بالعلم فإن أقروا به خصموا وإن جحدوا كفروا ، يريدون أن من أنكر العلم القديم السابق بأفعال العباد ، وأن الله قسمهم قبل خلقهم إلى شقى وسعيد ، وكتب ذلك عنده في كتاب حفيظ ، فقد كذب بالقرآن فيكفر بذلك . وإن أقروا بذلك وأنكروا أن ==

وعن عبادة بن الصامت ^(١) أنه قال لابنه : يا بني إنك لن تجد طعم الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك ، وما أخطأك لم يكن ليصيبك . سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن أول ما خلق الله القلم ، فقال له : اكتب فقال : رب وماذا أكتب ؟ قال : اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة » يا بني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من مات على غير هذا فليس مني » . وفي رواية لأحمد

== الله خلق أفعال العباد وشاءها منهم وأرادها إرادة كونية قدرية فقد خصموا ، لأن ما أقرؤا به حجة عليهم فيما أسكروه . والدرجة الثانية أن الله خلق أفعال العباد كلها من الكفر والإيمان والطاعة والعصيان وشاءها منهم ، وفي تكفير هؤلاء نزاع مشهور بين العلماء

(١) قوله (وعن عبادة بن الصامت رضى الله عنه أنه قال لابنه . يا بني إنك لن تجد طعم الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : إن أول ما خلق الله القلم فقال له : اكتب . فقال : رب ، وماذا أكتب ؟ قال : أكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة ، يا بني سمعت رسول الله ﷺ يقول : من مات على غير هذا فليس مني) .
أورد المصنف رحمه الله حديث عبادة هذا ولم يعزه . وقد رواه أبو داود مختصراً والترمذى ، ورواه الإمام أحمد مطولاً

قوله (أنه قال لابنه) هو الوليد بن عبادة كما جاء مصرحاً به في رواية الترمذى قوله (إنك لن تجد طعم الإيمان حتى) إلى آخره . فيه بيان فرض الإيمان بالقدر وبيان كيفية الإيمان به ، وإحباط عمل من لم يؤمن به والإخبار أن أحداً لا يجد طعم الإيمان حتى يؤمن به قاله المصنف ، وأن من لم يؤمن بالقدر بأن يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطاه لم يكن ليصيبه لا يجد طعم الإيمان . وفيه براهته ﷺ عن لم يؤمن بالقدر ، قاله المصنف رحمه الله .

قوله (سمعت رسول الله ﷺ يقول : أول ما خلق الله القلم ، وفي رواية لأحمد ==

« إن أول ما خلق الله تعالى القلم فقال له : اكتب جري في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة » . وفي رواية لابن وهب ^(١) : قال رسول الله ﷺ « فمن لم يؤمن بالقدر خيره وشره أحرقه الله بالنار » ^(٢)

== إن أول ما خلق الله القلم فقال له أكتب ، جرى في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة ، وفيه ذكر أول ما خلق الله وأنه جرى بالمقادير في تلك الساعة إلى يوم القيامة ، قاله المصنف رحمه الله . قال الحافظ ابن حجر : حكى أبو العلاء الهمداني للعلماء قولين في أيهما خلق أولا : العرش أو القلم ؟ قال والاكثر على سبق خلق العرش واختار ابن جرير ومن تبعه الثاني ، روى ابن أبي حاتم من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس قال « خلق الله اللوح المحفوظ مسيرة خمسمائة عام ، فقال للقلم قبل أن يخلق الخلق وهو على العرش : اكتب . فقال : وما أكتب ؟ قال : على في خلق إلى يوم القيامة ، ذكره في تفسير سورة سبحان ، وليس فيه سبق خالق القلم على العرش بل فيه سبق العرش . وقد أشار العلامة ابن القيم إلى هذا الخلاف في قصيدته الكافية الشافية فقال :

والناس مختلفون في القلم الذي كتب القضاء به من الرحمن
هل كان قبل العرش أو هو بعده قولان عند أبي العلاء الهمداني
والحق أن العرش قبل لانه قبل الكتابة كان ذا أركان
وكتابة القلم الشريف تعقبت لإيجاده من غير فصل زمان
لما براه الله قال اكتب كذا ففدا بأمر الله ذا جريان

(١) قوله (وفي رواية لابن وهب) وهو الإمام الحافظ عبد الله بن وهب ابن مسلم القرشي مولاهم المصري الفقيه ثقة إمام مشهور عابد ، له مصنفات منها الجامع وغيره ، مات سنة سبع وتسعين ومائة وله اثنتان وسبعون سنة

(٢) قوله (قال رسول الله ﷺ) من لم يؤمن بالقدر خيره وشره أحرقه الله بالنار ، أي الكفره أو بدعته إن كان من يقر بالعلم السابق وينكر خلق أفعال العباد ، فإن صاحب البدعة معرض للوعيد كأصحاب الكبائر بل أعظم ، قاله في الشرح

وفي المسند^(١) والسُنن عن ابن الدَّيْلِيِّ^(٢) قال : أَتَيْتُ أَبِي بْنَ كَعْبٍ فَقُلْتُ : فِي نَفْسِي شَيْءٌ مِنَ الْقَدَرِ ، فَخَدَّثَنِي بِشَيْءٍ لَعَلَّ اللَّهَ يُذْهِبُهُ مِنْ قَلْبِي . فَقَالَ : لَوْ أَنْفَقْتَ مِثْلَ أَحَدٍ ذَهَباً مَا قَبِلَهُ اللَّهُ مِنْكَ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ ، وَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ ، وَمَا أَخْطَاكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ ، وَلَوْ مِتُّ عَلَى غَيْرِ هَذَا لَكُنْتُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ . قَالَ فَأَتَيْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ وَحُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ وَزَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ ، فَمَكَّلَهُمْ حَدَّثَنِي بِمِثْلِ ذَلِكَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ . حَدِيثٌ صَحِيحٌ ، رَوَاهُ الْحَاكِمُ فِي صَحِيحِهِ

(١) قَوْلُهُ (وَفِي الْمُسْنَدِ) أَيْ مُسْنَدُ الْإِمَامِ أَحْمَدَ (وَالسُّنَنِ) أَيْ سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ وَابْنِ مَاجَهَ

(٢) قَوْلُهُ (عَنْ ابْنِ الدَّيْلِيِّ) وَهُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ فَيْرُوزَ الدَّيْلِيُّ وَفَيْرُوزُ قَاتِلُ الْأَسْوَدِ الْعَدَنِيِّ الْكَذَّابِ ، وَعَبْدُ اللَّهِ هَذَا ثِقَةٌ مِنْ كِبَارِ التَّابِعِينَ بَلْ ذَكَرَهُ بَعْضُهُمْ فِي الصَّحَابَةِ ، وَالدَّيْلِيُّ لِسَبِّهِ إِلَى جَبَلِ الدَّيْلَمِ ، وَهُوَ مِنْ أَبْنَاءِ فَارَسَ الَّذِينَ بَعَثَهُمْ كَسْرَى إِلَى الْيَمَنِ (قَالَ : أَتَيْتُ أَبِي بْنَ كَعْبٍ فَقُلْتُ فِي نَفْسِي شَيْءٌ مِنَ الْقَدَرِ فَخَدَّثَنِي بِشَيْءٍ لَعَلَّ اللَّهَ يُذْهِبُهُ مِنْ قَلْبِي ، فَقَالَ : لَوْ أَنْفَقْتَ مِثْلَ أَحَدٍ ذَهَباً مَا قَبِلَهُ اللَّهُ مِنْكَ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ ، وَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ ، وَمَا أَخْطَاكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ ، وَلَوْ مِتُّ عَلَى غَيْرِ هَذَا لَكُنْتُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ ، قَالَ فَأَتَيْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ وَحُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ وَزَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ كَلَّمَهُمْ حَدَّثَنِي بِمِثْلِ ذَلِكَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ حَدِيثٌ صَحِيحٌ رَوَاهُ الْحَاكِمُ فِي صَحِيحِهِ) وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ مَاجَهَ زِيَادَةٌ اخْتَصَرَهَا الْمُصَنِّفُ وَهِيَ : لَوْ أَنَّ اللَّهَ عَذَّبَ أَهْلَ سَمَوَاتِهِ وَأَهْلَ أَرْضِهِ لَعَذَّبَهُمْ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ لَهُمْ ، وَلَوْ رَحِمَهُمْ لَكَانَتْ رَحْمَتُهُ خَيْرَ أَلْهِمَ مِنْ أَعْمَالِهِمْ ، وَفِيهِ عَادَةُ السَّلَافِ فِي إِزَالَةِ الشُّبْهِ بِسُؤَالِ الْعُلَمَاءِ وَأَنَّ الْعُلَمَاءَ أَجَابُوهُ بِمَا يَزِيلُ الشُّبْهَةَ وَذَلِكَ أَنَّهُمْ لَسَبَّوْا الْكَلَامَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَطْ ، قَالَهُ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى . قَالَ ابْنُ الْقَيْمِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى : وَهَاهُنَا أَمْرٌ يَجِبُ التَّنْبِيهُ عَلَيْهِ وَالتَّنَبُّهُ لَهُ ، وَبِمَعْرِفَتِهِ تَزُولُ إِشْكَالَاتُ كَثِيرَةٌ =

٦١ - باب

ما جاء في المصورين^(١)

عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : قال الله تعالى : وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي^(٢) فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً ، أَوْ لِيَخْلُقُوا حَبَّةً ،

= تعرض لمن لم يحط به علما ، وهو أن الله سبحانه له الخلق والأمر ، وأمره سبحانه نوعان : أمر كوني قدرى ، وأمر دينى شرعى . فشيعته سبحانه متعلقة بخلقه وأمره السكونى ، وأما محبته ورضاه فتعلقة بأمره الدينى وشرعه الذى شرعه على السنة رسلا ، فأوجد منه تعلقت به المحبة والمشية جميعا فهو محبوب للرب واقع بمشيئته ، وما لم يوجد منه تعلقت به محبته وأمره الدينى ولم تتعلق به مشيئته ، وما وجد من الكفر والفسوق والمعاصى تعلقت به مشيئته ولم تتعلق به محبته ولا رضاه ولا أمره الدينى ، وما لم يوجد منها لم تتعلق به مشيئته ولا محبته فلفظ المشيئة كوني ولفظ المحبة دينى شرعى . ولفظ الإرادة ينقسم إلى إرادة كونية فتسكون هى المشيئة ، وإرادة دينية فتسكون هى المحبة انتهى . وقال أيضا : وهو يعاقب الخالق على مخالفة أمره وإرادته الشرعية وإن كان ذلك بإرادته القدريّة فإن القدر كما جرى بالمعصية جرى أيضا بعقابها انتهى

(١) قوله (باب ما جاء في المصورين) أى من الوعيد

(٢) قوله (عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : قال الله تعالى ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي فليخلقوا ذرة أو ليخلقوا حبة أو ليخلقوا شعيرة ، أخرجاه) هذا من الأحاديث القدسية التى يروها النبى ﷺ عن جبريل عن ربه تبارك وتعالى

قوله (ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي) فلا أظلم من المصورين الذين عملوا صوراً تشبه خلق الله عز وجل لأنه تعالى هو الخالق البارئ المصور وهم بعملهم قد نازعوه فى أسمائهم وتشبهوا به فى صفات ربوبيته حيث عملوا ما يضاهاى خلقه ، ولذا تخدامهم تعالى بقوله : فليخلقوا ذرة ، فيها روح تتعريف بنفسها

أَوْ لِيَخْلُقُوا شَعِيرَةً « أخرجاه . ولهما ^(١) عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ قال « أَشَدُّ النَّاسِ عَذَاباً يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِينَ يُضَاهَوْنَ بِخَلْقِ اللَّهِ » . ولهما عن ابن عباس : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول « كُلُّ مُصَوِّرٍ فِي النَّارِ ، يُجْعَلُ لَهُ بِكُلِّ صُورَةٍ صَوْرَهَا نَفْسٌ يُعَذَّبُ

== كمثل ما خلق الله من ذوات الأرواح ، أو ليخلقوا حبة أو ليخلقوا شعيرة ، مثل ما خلق الله من النباتات التي تزرع وتنمو وتحيا بالماء ، فان للنبات حياة تخصه وهى النمو والزيادة كما للحيوان حياة تخصه وهى النمو والحركة فنبه بالذرة والحبة والشعيرة على ما هو أعظم منها وأكبر فانهم لا يستطيعون ذلك بل هم عاجزون عنه

وقوله (أخرجاه) أى البخارى ومسلم

(١) قوله (ولهما) أى البخارى ومسلم (عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ قال « أَشَدُّ النَّاسِ عَذَاباً يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِينَ يُضَاهَوْنَ بِخَلْقِ اللَّهِ ») قال فى النهاية أراد المصورين والمضاهاة المشابهة وقد تهمز فالمصور لما صور الصورة على مثل ما خلق الله صار مضاهما لخلق الله فكان أشد الناس عذابا ، لأن ذنبه من أعظم الذنوب . وأما قول من قال هذا محمول على صانع الصورة لتعبد ، فهذا تخصيص لكلام النبوة بغير دليل بل يردده قوله فى نفس الحديث « يُضَاهَوْنَ خَلْقَ اللَّهِ » فذكر العلة وهى المضاهاة . وأما قوله : وقيل هو فيمن قصد المضاهاة واعتقد ذلك فهذا الاعتقاد الذى اشترطه تقييد للحديث مردود لأنه من المعلوم لدى كل ذى عقل سليم أن المصور إنما قصد بعمل الصورة نفس مضاهاة خلق الله أى مشابهته ، ولا يخطر بباله سوء ذلك ولكن بمثل هذه المحامل التى لا تحتمل والقيود التى لا دليل عليها والتأويلات التى هى صرف اللفظ عن ظاهره أو هنوا دلالة الأحاديث عند ضعفاء البصائر وجنوا على الشريعة وصار ما قالوه حجة لكل مبطل فلا حول ولا قوة إلا بالله

قوله (ولهما) أى البخارى ومسلم (عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « كُلُّ مُصَوِّرٍ فِي النَّارِ يُجْعَلُ لَهُ بِكُلِّ صُورَةٍ صَوْرَهَا نَفْسٌ ==

بها في جهنم . ولها عنه مرفوعاً « مَنْ صَوَّرَ صُورَةً فِي الدُّنْيَا كُفِّرَ
أَنْ يَنْفُخَ فِيهَا الرُّوحَ ، وَلَيْسَ بِنَافِخٍ »

= يعذب بها في جهنم ، ولها عنه مرفوعاً ، من صور صورة في الدنيا كلف أن ينفخ
فيها الروح وليس بنافخ ، وفيه التخليط الشديد في المصورين والتنبية على العلة
وهو ترك الأدب مع الله لقوله « ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقى ، والتنبية على
قدرته وعجزه لقوله « فاليخلقوا ذرة أو حبة أو شعيرة ، والتصريح بأنهم أشد
الناس عذاباً ، وأن الله يخلق بعدد كل صورة نفساً يعذب بها في جهنم ، وأنه
يكلف أن ينفخ فيها الروح ، قاله المصنف رحمه الله . واعلم أن التعليل في أحاديث
التصوير قد ورد بالفاظ متعددة فعلل في بعضها بالمضاهاة يعنى المشابهة ، وفي
بعضها بتكليفه بأن ينفخ فيها الروح ، وفي بعضها بقوله أحيا ما خلقتم . فأما
التعليل بالمضاهاة والإحياء فيقتضى تحريم تصوير ما خاق الله من حيوان ونبات
لوجود المضاهاة والحياة . قال تعالى (وجعلنا من الماء كل شئ حى) فإن
للنبات حياة تخصه وهى النمو والزيادة ، كما أن للحيوان حياة تخصه وهى النمو
والحركة ، ولقوله « فاليخلقوا ذرة أو ليخلقوا حبة أو ليخلقوا شعيرة ، وبهذا
قال مجاهد بن جبر إمام التفسير ورواية ابن عباس ، وسواء كانت صورة كاملة
أو بعض صورة حتى الرأس والكف لحصول المضاهاة بذلك ، وقوله في بعض
الروايات « يحمل له بكل صورة نفس يعذب بها ، وتكليفه في الرواية الأخرى
بأن ينفخ فيها الروح لا يبنى تحريم ما علته المضاهاة والحياة وإلا لم يكن للتعليل
بذلك فائدة . وأما ما احتج به من أراد استحلال ما حرم الله من أن الصورة
الشمسية ليست من الصور المحرمة بحجة أنها مسك للظل كما يرى الناظر صورته
في المرأة فهذا غير صحيح لأن ما يبدو في المرأة صورة غير ثابتة ولا صنع للناظر
فيها ولا يسمى الناظر مصوراً ولا تسمى صورة لغة ولا شرعاً ولا عرفاً ، وأما
الصورة الشمسية فلا يشك من له أدنى معرفة بأحكام الشرع وعلمه أنها من جملة
الصور المحرمة لأنها لا تتأتى إلا بالآلة المخصوصة التى صنعت لها وعمل من المصور
بوضعها في مواد التحميص لتسكون ثابتة وملونة فهى صورة حقيقة ، وعاملها
يسمى مصوراً لغة وشرعاً وعرفاً ، والتصوير محرم سواء كانت الصورة لها شخص
منصب أو كانت منقوشة في سقف أو جدار أو موضوعة في نمط أو في نقد أو =

ولمسلم عن أبي الهيثاج^(١) قال : قال لي عليّ : ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ « ألا تدع صورة إلا طمسها ، ولا قبراً شرفاً إلا مسويته »

==منموجة في ثوب أو بساط أو مكان وسواء في كانت من شمع أو عجين أو حلاوة أو غير ذلك ، فإن قضية العموم تأتي على ذلك كله

(١) قوله (ولمسلم عن أبي الهيثاج الاسدي ، واسمه حبان بن حصين قاله في قال : قال لي علي رضي الله عنه : ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ « أن لا تدع صورة إلا طمسها ، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته ») فدل هذا الحديث على إتلاف الصورة لمن قدر على إتلافها ، وإزالتها لمضاهاتها لحق الله ، وطمسها إن كانت غير مجسمة ، وتسوية القبور المشرقة لما في تعليتها من الفتنة بأربابها وتمظيمها وهو من ذرائع الشرك ووسائله ، فصرف الهمم إلى هذا وأمثاله من مصالح الدين ومقاصده وواجباته ، ولما وقع التساهل في هذه الأمور وقع المحذور ، وعظمت الفتنة بأرباب القبور ، وصارت عطار لرحال العابدين المعظمين لها فصرفوا لها جل العبادة من الدعاء والاستغاثة والاستعانة والتضرع لها والذبح والنذور وغير ذلك من كل شرك محظور ، قاله في الشرح . قال ابن القيم رحمه الله تعالى : ومن جمع بين سنة رسول الله ﷺ في القبور وما أمر به ونهى عنه وما كان عليه أصحابه ، وبين ما عليه أكثر الناس اليوم رأى أحدهما مضاداً للآخر مناقضاً له ، فنهى عن الصلاة إلى القبور وهؤلاء يصلون عندها وإليها ونهى عن اتخاذها مساجد وهؤلاء يبنون المساجد عليها ويسمونها مشاهد مضاهاة لبيوت الله ، ونهى عن إبقاء السرج عليها . وهؤلاء يوقنون الوقوف على إيقاد القناديل عليها ، ونهى عن أن تتخذ أعياداً وهؤلاء يتخذونها أعياداً ومناسك ويجمعون لها كاجتماعهم للعيد أو أكثر ، وأمر بتسويتها كما في حديث أبي الهيثاج وفضالة ابن عبيد ، وهؤلاء يبالغون في مخافة هذين الحديثين ويرفعونها عن الأرض كالبيت ويمقدون عليها القبيب ، ونهى عن تجسيصها والبناء عليها والكتابة عليها ، وهؤلاء يتخذون عليها الألواح ويكتبون عليها القرآن وغيره ، انتهى ملخصاً . وقيد الأمر بطمس الصور إذا وجدت ، قاله المصنف رحمه الله تعالى .

٦٢ - باب

ما جاء في كثرة الحلف^(١)

وقول الله تعالى ﴿ واحفظوا أيمانكم ﴾ عن أبي هريرة قال :
سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول « الحلفُ منفقَةٌ للسلعةِ منحةٌ
للكسبِ » أخرجاه^(٢)

(١) قوله (باب ما جاء في كثرة الحلف) أى من النهي عنه والوعيد عليه .
قوله (وقول الله تعالى واحفظوا أيمانكم) ذكر غير واحد من المفسرين عن
ابن عباس ، يريد لا تحلفوا . وهذا هو الشاهد من الآية للترجمة ، قال في فتح المجيد
وهو المعنى الذى أراد المصنف من الآية ، وقال آخرون احفظوا أيمانكم عن
الحنث فلا تحنثوا ، وقال ابن جرير لا تتركوها بغير تكفير لأنه يلزم من كثرة
الحلف كثرة الحنث مع ما فى ذلك من الاستخفاف بعظمة الله وهذا مما يتنافى كمال
التوحيد الواجب أو عدمه . قاله فى فتح المجيد . وفيه الوصية بحفظ الأيمان ، قاله
المصنف رحمه الله .

(٢) قوله (وعن أبي هريرة رضى الله عنه سمعت رسول الله ﷺ يقول
« الحلف منفقة للسلعة منحة للكسب ، أخرجاه) أى البخارى ومسلم وأخرجه
أبو داود والنسائى .

قوله (الحلف منفقة للسلعة) أى مظنة لنفاقها ورواجها عند المشتري فإذا
حلف أنه أعطى بها كذا أو أنه اشتراها بكذا ظنه صادقا فيأخذها بزيادة على
ما ذكره .

وقوله (منحة للكسب) أى مظنة لمحق الكسب فانه يحلف بالله كاذبا قد
عصى الله فيعاقب بمحق البركة ، فإذا ذهب بركة كسبه دخل عليه من النقص أعظم
من تلك الزيادة التى دخلت عليه بسبب حلفه ، وربما ذهب ثمن تلك السلعة رأسا .
فإن ما عند الله لا يتال إلا بطاعته وإن تزخرت الدنيا للعاصي فعاقبتها اضمحلال
وذهاب وعقاب قاله فى فتح المجيد . وفيه الإخبار بأن الحلف منفقة للسلعة منحة
للكسب ، قاله المصنف .

وعن سلمان^(١) أن رسول الله ﷺ قال «ثلاثة لا يكلمهم الله ولا يزكّيهم ولهم عذاب أليم» — ذاب أليم : أشيمط زان ،

(١) قوله (وعن سلمان رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «ثلاثة لا يكلمهم الله ولا يزكّيهم ولهم عذاب أليم أشيمط زان وعائل مستكبر ورجل جعل الله بضاعته لا يشتري إلا بيمينه ولا يبيع إلا بيمينه ، ورواه الطبراني بسند صحيح) سلمان لعنه سلمان الفارسي أبو عبد الله أسلم مقدم النبي ﷺ المدينة وشهد الخندق ، روى عنه أبو عثمان النهدي وشرحبيل بن السمط وغيرهما ، قال النبي ﷺ « سلمان منا أهل البيت إن الله يحب من أصحابي أربعة عليا وأبا ذر وسلمان والمقداد » أخرجه الترمذى ، توفي في خلافة عثمان رضى الله عنه ، ويحتمل أنه سلمان بن عامر بن أوس الضبي .

قوله (إن رسول الله ﷺ قال : «ثلاثة لا يكلمهم الله») هذا وعيد شديد في حقهم ونفى كلامه تعالى وتقدس ، عن هؤلاء العصاة دليل على أنه يكلم من أطاعه ويكلمونه في عرصات القيامة ، وأن الكلام صفة من صفات كماله ، والأدلة على ذلك من الكتاب والسنة أظهر شيء وأبينه . وفيه الرد على الجهمية والأشاعرة فناء الكلام . قال في فتح المجيد : والذي عليه أهل السنة والجماعة من المحققين قيام الأفعال بالله سبحانه وأن الفعل يقع بمشيئته تعالى وقدرته شيئا فشيئا ولم يزل متصفا به فهو حادث الآحاد قديم النوع كما يقول ذلك أئمة أصحاب الحديث وغيرهم من أصحاب الشافعى وأحد وسائر الطوائف ، كما قال تعالى (إنما أمره إذا أراد أن يقول له كن فيكون) فأتى بالحروف الدالة على الاستقبال والأفعال الدالة على الحال والاستقبال أيضاً وذلك في القرآن كثير . انتهى

قوله (ولا يزكّيهم) أى لا يطهرهم (ولهم عذاب أليم) لما عظم ذنبهم عظمت عقوبتهم فموقبوا بهذه الثلاث التى هى من أعظم العقوبات

قوله (أشيمط زان) صغره تحقيراً له ، والأشيط الذى قد اختلط شعره الأبيض بالأسود لأن داعى المعصية قد ضعف في حقه فدل على أن الحامل له على الزنا محبة المعصية والفجور وعدم خشية الله عز وجل

وعائلٌ مُستَكبرٌ، ورجلٌ جعلَ اللهَ بضاعتهُ^(١) ، لا يشتري إلا بيمينه ، ولا يبيعُ إلا بيمينه ، رواه الطبراني بسند صحيح . وفي الصحيح^(٢) عن عمران بن حصين رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « خ ————— يرُ أمي قرني ،

قوله (وعائلٌ مستكبر) أى فقير لأنه لا داعى له إلى الكبر فإن الكبر إنما يحمل عليه في الغالب كثرة المال والنعم والرياسة فاستكباره مع عدم الداعى يدل على أن الكبر طبيعة له ، كامن في قلبه ، وفيه أن الذنب يعظم مع قلة الداعى . قاله المصنف .

(١) قوله (ورجل جعل الله بضاعته) بنصب الاسم الشريف أى الحلف به جملة بضاعته لكثرة استعماله الدين في بيعه وشراؤه ، وهذا هو الشاهد من الحديث للترجمة ، وفيه الوعيد الشديد فيمن لا يبيع ولا يشتري إلا بيمينه ، قاله المصنف رحمه الله

(٢) قوله (وفي الصحيح) أى صحيح مسلم عن عمران بن حصين رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « خير أمي قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم » قال عمران فلا أدري أذكر بعد قرنه مرتين أو ثلاثاً ، ثم إن بعدكم قوماً يشهدون ولا يستشهدون ويخونون ولا يؤتمنون وينذرون ولا يوفون ويظهر فيهم السمن ، وأخرجه البخاري وأبو داود والترمذي

قوله (قال رسول الله ﷺ « خير أمي قرني ») ولفظ البخاري « خيركم قرني » قال في النهاية : والقرن أهل كل زمان وهو مقدار التوسط في أعمار أهل كل زمان مأخوذ من الاقتران وكأنه المقدار الذى يقترن فيه أهل ذلك الزمان في أعمارهم وأحوالهم ، وقيل القرن أربعون سنة وقيل ثمانون وقيل مائة سنة ، وقيل هو مطلق من الزمان ، بدأ ﷺ بقرنه لفضيلة أهل ذلك القرن في العلم والإيمان والأعمال الصالحة ، ولذا لم يعرف فيهم والله الحمد من تعمد الكذب على النبي ﷺ كالم يعرف فيهم من كان من أهل البدع المعروفة كبعدة الخوارج =

ثم الذين يُلُونهم ، ثم الذين يُلُونهم ، قال همران : فلا أدري أذكر

= والرافضة والقدرية والمرجئة . قال الشافعي رحمه الله تعالى وقد أثنى الله على الصحابة في القرآن والتوراة والإنجيل وسبق لهم من الفضل على لسان نبيهم ما ليس لأحد بعدهم ، وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد قال قال رسول الله ﷺ : لا تسبوا أصحابي فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مداً أحدهم ولا نصيفه ، وقال ابن مسعود : إن الله نظر في قلوب عبادہ فوجد قلب محمد خير قلوب العباد ثم نظر في قلوب الناس بعده فرأى قلوب أصحابه خير قلوب العباد فاخترهم لصحبته وجعلهم أنصار دينه ووزراء نبيه . وقال ابن الحاج في المدخل : فالقرن الأول خصهم الله عز وجل بخصوصيته لا سبيل لأحد أن يلحق غباراً أحدهم فضلاً عن عمله لأن الله عز وجل قد خصهم برؤية نبيه عليه الصلاة والسلام ومشاهدته ونزول القرآن عليه غصاً طرياً يتلقونه من في النبي ﷺ حين يتلقاه من جبريل عليه السلام ، وخصهم بالقتال بين يدي نبيه ولصترته وحايته وإذلال الكفر وإخماده ورفع منار الإسلام وإعلانه وحفظهم القرآن الذي كان ينزل نجوماً فأهلهم الله لحفظه حتى لم يضع منه حرف واحداً فجمعوه ويسروه لمن بعدهم وفتحوا البلاد والأقاليم للسليدين ومهدوها لهم وحفظوا أحاديث نبيهم عليه الصلاة والسلام في صدورهم وأثبتوها على ما ينبغي من عدم اللحن والغلط والسو والغفلة فوضعهم في الحفظ والضبط لا يمكن الإحاطة به ولا يصل إليه أحد ، فجزاهم الله عن أمة نبيه خيراً . لقد أخلصوا الله الدعوة وذبوا عن دينه بالحجة . انتهى ملخصاً

قوله (ثم الذين يُلُونهم) أى قرن التابعين فضلوا على من بعدهم لظهور الإسلام فيهم وكثرة الداعي إليه والراغب فيه وما ظهر فيهم من البدع أنكر وأزيل كبدعة الخوارج والقدرية والرافضة ، فهذه البدع وإن كانت قد ظهرت فيه فأهلها في غاية الذل والهوان والقتل لمن عاند منهم ولم يقب

قوله (ثم الذين يُلُونهم) فلا أدري أذكر بعد قرنه مرتين أو ثلاثاً هذا شك من راوى الحديث عمران بن حصين ، قال القرطبي ما شك فيه عمران تحقيقه في حديث ابن مسعود حيث ذكر بعد قرنه ثلاثاً . انتهى ، والمشهور في الروايات أن القرون المفضلة ثلاثة والثالث دون الأولين في الفضل لكثرة البدع فيه ، =

بعد قرنه مرتين أو ثلاثاً ، « ثم إن بعدكم قوماً يشهدوا ولا يستشهدون ، ويخونون ولا يؤمنون ، وينذرون ولا يوفون ، ويظهر فيهم السمن »

وفيه ^(١) عن ابن مسعود أن النبي ﷺ قال « خير الناس قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم . ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم

= اسكن العلماء متوافرون والإسلام فيه ظاهر والجهاد فيه قائم ثم ذكر ما يقع بعد القرون الثلاثة من الجفاء في الدين وكثرة الأهواء . وفيه مناهة ﷺ على القرون الثلاثة أو الأربعة وذكر ما يحدث بعدهم ، قاله المصنف رحمه الله

قوله (ثم إن بعدكم قوماً يشهدون ولا يستشهدون) لاستخفافهم بأمر الشهادة وعدم تحرهم الصدق لقلة دينهم وضعف إسلامهم . ولا يعارض هذا حديث « خير الشهداء الذي يأتي بشهادته قبل أن يسألها ، لأن الأول في حقوق الآدميين ، وهذا في حقوق الله التي لا طالب لها . وقيل الأول في الشهادة على الغيب في أمر الخلق فيشهد أنه من أهل النار والآخرين بغيره وقيل إن يتحملوا الشهادة من غير تحميل قاله في إبطال التنديد . وفيه ذم الذين يشهدون ولا يستشهدون . قاله المصنف

قوله (ويخونون ولا يؤمنون) أي لحياتهم الظاهرة بحيث لا يعتمد عليهم ، قاله في إبطال التنديد

قوله (وينذرون ولا يوفون) لا يعارض حديث النبي عن النذر ، وإنما هو تأكيد لآمره وتحذيره من التهاون به بعد إيجابه ، قاله في إبطال التنديد

قوله (ويظهر فيهم السمن) أي يخبون التوسع في المآكل والمشارب وهي أسباب السمن ، قاله في إبطال التنديد

(١) قوله (وفيه) أي صحيح مسلم (عن ابن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال « خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم »

يَمِينَهُ ، وَيَمِينُهُ شَهَادَتُهُ » . وقال إبراهيم ^(١) : كانوا يَضْرِبُونَنا على
الشهادة والعهد ونحن صِغار

٦٣ - باب

ما جاء في ذِمَّةِ اللَّهِ وذِمَّةِ نَبِيِّهِ ^(٢)

وقولِ اللَّهِ تعالى ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ ﴾ ^(٣) ، وَلَا تَنفُضُوا

== يحىء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه ، ويمينه شهادته ، (إشارة إلى التسارع في
الشهادة واليمين ، وهذه حال من صرف رغبته إلى الدنيا ولمس المعاد نخف أمر
الشهادة واليمين عنده تحملاً وأداء لقله خوفه من الله وعدم مبالاته بذلك . وهذا
علم من أعلام النبوة فإنه قد وجد ذلك كما أخبر النبي ﷺ
(١) قوله (وقال إبراهيم) هو ابن يزيد النخعي : كانوا يضربوننا على
الشهادة والعهد ونحن صغار

قوله (كانوا) الظاهر أن مراده أصحاب عبد الله بن مسعود كما هي عادة
إبراهيم في النقل عنهم ، قاله في إبطال التنديد . قلت ولا وجه لتخصيص كلام
إبراهيم بأصحاب عبد الله بن مسعود بل كان هذا حال السلف في تربية أولادهم لأنهم
إذا اعتادوا ذلك في حال الصغر أدى ذلك إلى التساهل في ذلك في حال الكبر ،
وكانت هذه حالة السلف الصالح محافظة على أولادهم لا يتركون شيئاً مما يكره إلا
أنكروه على الصغار وأدبهم عليه . وفيه كون السلف يضربون الصغار على
الشهادة والعهد قاله المصنف رحمه الله تعالى

(٢) قوله (باب ما جاء في ذمة الله وذمة نبيه ﷺ) أى من الأدلة على
وجوب الوفاء بها وإتمامها إذا عقدت لأحد ، والذمة : العهد

(٣) قوله (وقول الله تعالى ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا
الْإِيمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ﴾ (الآية) قال ابن كثير وهذا
بما أمر الله به وهو الوفاء بالعهود والمواثيق والمحافظة على الإيمان ولهذا قال : ==

الايانَ بعد توكيدها ﴿ الآية . عن بُرَيْدَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا أَمَرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ أَوْ سَرِيَّةٍ أَوْصَاهُ بِتَقْوَى اللَّهِ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا ^(١) فَقَالَ : «اغْزُوا بِسْمِ اللَّهِ ^(٢) فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ ^(٣) . اغْزُوا وَلَا تَغْلُوا وَلَا تَغْدِرُوا وَلَا تَمُتُّلُوا ^(٤) وَلَا

== (وَلَا تَقْتَضُوا الْإِيمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا) وهذه الأيمان المراد بها الأيمان الداخلة في اليهود والموائيق لا الأيمان الواردة على حث أو منع ، ونكت العهد دليل على عدم تعظيم الله فهو قادح في التوحيد ، قاله في إبطال التنديد وقوله (إن الله يعلم ما تفعلون) تهديد ووعيد على نقض الأيمان قوله (عن بريدة) هو ابن الحصيب بمهملتين مصغر أبو سهل الأسلمي صحابي أسلم قبل بدر مات سنة ثلاث وستين قاله في التقريب ، وهذا من رواية ابنه سلمان عنه قاله في المفهم (قال : كان رسول الله ﷺ إِذَا أَمَرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ أَوْ سَرِيَّةٍ أَوْصَاهُ بِتَقْوَى اللَّهِ) قال الحربي : السرية الخيل تبلغ أربعمائة ونحوها والجيش ما كان أكثر من ذلك ، وتقوى الله التحرز بطاعته من عقوبته بأن تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجوا ثواب الله ، وأن تترك معصية الله على نور من الله تخاف عقاب الله

(١) قوله (ومن معه من المسلمين خيراً) أى وأوصاه بمن معه من جنود المسلمين أن يفعل معهم خيراً من الرفق بهم والإحسان إليهم وخفض الجناح لهم وترك التعاضم عليهم

(٢) قوله (فقال اغزوا بسم الله) الباء هنا للاستعانة أى : اشرعوا في فعل الغزو مستعينين بالله غلصين له متوكلين عليه . وفيه قوله أغزوا باسم الله (في سبيل الله) قاله المصنف رحمه الله

(٣) وقوله (قاتلوا من كفر بالله) بيان أكلة القتال وهى الكفر قاله المصنف وفيه الرد على من زعم أن أكلة القتال المقاتلة . وهذا العموم شامل لجميع أهل الكفر المحاربين وغيرهم ، وقد خص من هذا العموم من له عهد والربان والنساء ومن لم يبلغ الحلم ، ومن أعطى الجزية من أهل الكتاب والمجوس

(٤) قوله (اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا) الغلول الأخذ من ==

تَقْتُلُوا وَلِيداً ، وَإِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَادْعُهُمْ إِلَى ثَلَاثِ خِصَالٍ - أَوْ خِلَالٍ - ^(١) فَأَيَّتَهُنَّ مَا أَجَابُوكَ فَأَقْبِلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ ^(٢) . ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ ^(٣) ، فَإِنْ أَجَابُوكَ فَأَقْبِلْ مِنْهُمْ . ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى التَّحْوِيلِ مِنْ دَارِهِمْ إِلَى دَارِ الْمُهَاجِرِينَ ^(٤) وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ إِنْ

= الغنيمة قبل أن تقسم ، والغدر نقض العهد ، والتشيل التشويه بالقتيل كجذع أشفه وقطع أذنه ومذاكيره وشق بطنه ، وما أشبه ذلك ولا خلاف في تحريم الغلول والغدر وكرامة التشيل

(١) قوله (وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال أو خصال) شك من الراوى ومعناها واحد

(٢) قوله (فأيتن ما أجابوك فأقبل منهم وكف عنهم) قيدناه عن من يوثق بعلمه وتقييده بنصب آيتن ، على أن يعمل فيها أجابوك لا على إسقاط حرف الجر ، وما زائدة ، ويكون تقدير الكلام : فألى آيتن أجابوك فأقبل منهم ، كما تقول جئتكم إلى كذا فيعدي إلى الثاني بحرف الجر ، قاله في الشرح . قال في فتح المجيد : فيكون في ناصب آيتن وجهان ذكرهما الشارح ، الأول : منصوب على الاشتغال . والثاني : على نزع الخافض . انتهى

(٣) قوله (ثم ادعهم إلى الإسلام) كذا وقعت الرواية في جميع نسخ كتاب مسلم ، ثم ادعهم بزيادة ثم ، والصواب إسقاطها كما روى أبو داود في سننه ، وأبو غييد في كتاب الأموال ، وقال المازرى : ليست ثم زائدة بل دخلت لاستفتاح الكلام

(٤) قوله (فان أجابوك فأقبل منهم ثم ادعهم إلى التحويل إلى دار المهاجرين) يعنى المدينة ، وذلك مستحب إذا أسلموا أو واجبت في أول الامر على من أسلم ، أو على أهل مكة خاصة من أسلم منهم قبل الفتح ، وأما بعد الفتح فقال ﷺ ولا هجرة بعد الفتح ، ولكن جهاد ونية ، قاله في إبطال التنديد . قال في قرّة العيون حديث : لا هجرة بعد الفتح ، يعنى من مكة لأنها صارت دار إسلام ، =

فعلوا ذلك^(١) فلم يأتوا للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين : فإن أبوا أن يتحولوا منها فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين يجرى عليهم حكم الله تعالى ، ولا يكون لهم في الغنيمة والنيء شيء ، إلا أن يجاهدوا مع المسلمين . فإن هم أبوا فامسكوا _____ ألهم الجزية^(٢) ،

= وهذا لا يتنى وجوب الهجرة من بلاد الشرك والكفر وكذا إذا ظهرت المعاصي في بلدة ، نص عليها الفقهاء في كتبهم . انتهى

(١) قوله (وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك) أى تحولوا إلى دار المهاجرين فلم يأتوا للمهاجرين أى من الاستحقاق في النيء والغنيمة (وعليهم ما على المهاجرين وإلا فهم كسائر أعراب المسلمين) المقيمين في البادية من غير هجرة ولا غزو ، وتجري عليهم أحكام الإسلام ولا حق لهم في الغنيمة والنيء وإنما يكون لهم نصيب من الزكاة إذا كانوا مستحقين

(٢) قوله (فإن هم أبوا فامسكوا الجزية) فيه حجة للمالك والاوزاعي في أخذ الجزية من كل كافر عربيا كان أو غيره ، ككتابها كان أو غيره . وذهب أبو حنيفة إلى أنها تؤخذ من الجميع إلا مشركي العرب ومجوسهم . وقال الشافعي لا تؤخذ إلا من أهل الكتاب عربيا كانوا أو عجماء ، وهو قول الإمام أحمد في ظاهر مذهبه ، وتؤخذ من المجوس لأن النبي ﷺ أخذها من مجوس هجر ، وقال سنوا بهم سنة أهل الكتاب ، واختلفوا في القدر المفروض من الجزية فقال مالك : أربعة دنانير على أهل الذهب وأربعون درهما على أهل الورق وهل ينقص منها الضعيف أو لا ؟ قولان . وقال الشافعي : فيه دينار على الغنى والفقير . وقال أبو حنيفة والكوفيون : على الغنى ثمانية وأربعون درهما والوسط أربعة وعشرون درهما والفقير إثني عشر درهما . وهو قول الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله ، قال يحيى بن يوسف الصرصري الحنبلي :

وقائل يهودا والنصارى وعصبة المجوس فإن هم سلبوا الجزية أضدروا على الأدون إثني عشر درهما افرضوا وأربعة من بعد عشرين زيد لاوسطهم حالا ومن كان موسرا ثمانية مع أربعين امتد =

فَإِنْ هُمْ أَجَابُوكَ^(١) فَأَقْبَلَ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ . فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَاسْتَعْنِ
بِاللهِ وَقَاتِلْهُمْ . وَإِذَا حَاصِرَتْ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَنْ تَجْعَلَ لَهُمْ
ذِمَّةَ اللهِ وَذِمَّةَ نَبِيِّهِ^(٢) فَلَا تَجْعَلَ لَهُمْ ذِمَّةَ اللهِ وَذِمَّةَ نَبِيِّهِ ، وَلَكِنْ
اجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّتَكَ وَذِمَّةَ أَصْحَابِكَ فَإِنَّكُمْ إِنْ تَخَفَرُوا ذِمَّتَكُمْ وَذِمَّةَ
أَصْحَابِكُمْ أَهْوَنُ مِنْ أَنْ تَخَفَرُوا ذِمَّةَ اللهِ وَذِمَّةَ نَبِيِّهِ . وَإِذَا حَاصِرَتْ
أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَنْ تُنْزِلَهُمْ عَلَى حُكْمِ اللهِ فَلَا تُنْزِلْهُمْ عَلَى
حُكْمِ اللهِ ، وَلَكِنْ أَنْزِلْهُمْ عَلَى حُكْمِكَ ، فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي أَتُصِيبُ
فِيهِمْ حُكْمَ اللهِ أَمْ لَا ؟ رَوَاهُ مُسْلِمٌ^(٣)

= وتسقط عن صبيانهم ولسانهم وشيوخ لهم فإن وأعمى ومقعده
وذى الفقر والمجنون أو عبد مسلم ومن وجبت فهم عليه فيهندي
(١) قوله (فإن هم أجابوك) يعنى إلى إعطاء الجزية (فاقبل) الجزية منهم
(وكف عنهم فإن هم أبوا) أن يعطوا الجزية (فاستعن بالله وقاتلهم) وفيه
الاستعانة بالله وقاتلهم عند امتناعهم من أداء الجزية .
(٢) قوله (وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله وذمة
نبيه) والذمة العهد (فلا تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه ولكن اجعل لهم ذمتك
وذمة أصحابك فإنكم أن تخفروا ذمتكم وذمة أصحابكم أهون من أن تخفروا ذمة الله
وذمة نبيه)
وقوله (تخفروا) أى تنقضوا ، قال فى النهاية أخفرت الرجل إذا نقضت
عهده وذمامه . قال فى إبطال التشديد : وهذا نهى تنزيه ، أى لا تجعل لهم ذمة الله
فإنه قد ينقضها من لا يعرف حقها كبعض الأعراب وسواد الجيش فكأنه يقول
إن وقع نقض عهد من متعمد أو جاهل كان نقض عهد الخلق أهون من نقض عهد
الخالق تعالى
(٣) قوله (وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله =

٦٤ - باب

ما جاء في الإقسام على الله^(١)

عن جُنْدُب بن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ « قال رجل :
والله لا يَغْفِرُ الله لفلان ، فقال الله عز وجل : مَنْ ذا الذى تَتَأَلَّى على
أن لا أَعْفِرَ لفلان ؟ إني قد غفرتُ له وأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ » رواه مسلم^(٢)

== فلا تنزههم على حكم الله ولكن أنزههم على حكمك فإنك لا تدري أتصيب حكمك
فيهم أم لا ، رواه مسلم) فيه دليل على أنه ليس كل مجتهد مصيب بل المصيب
واحد وهو الموافق لحكم الله في نفس الامر ، ووجه الاستدلال به أنه ﷺ قد
لص على أن الله تعالى حكما معينا في المجتهدات فمن وافقه فهو المصيب ومن لم
يوافقه فهو المخطئ . ، قاله في فتح المجيد . وفيه الفرق بين ذمة الله وذمة نبيه
وذمة المسلمين ، والإرشاد إلى أقل الأمرين خطراً والفرق بين حكم الله وحكم
العلماء وكون الصحابي يحكم عند الحاجة بحكم لا يدري أوافق حكم الله أم لا ،
قاله المصنف

(١) قوله (باب ما جاء في الإقسام على الله) الإقسام على الله هو التآلى عليه
والإلية بالتشديد هو الحلف ، قال في النهاية : يقال تآلى يتآلى تآليا والاسم الإلية
ومنه الحديث « ويل للتآلين من أمتي » ، يعنى الذين يحكمون على الله ويقولون فلان
في الجنة وفلان في النار ، وكذا الحديث الآخر « من المتآلى على الله ؟ »

(٢) قوله (عن جندب بن عبد الله رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ
« قال رجل والله لا يغفر الله لفلان : فقال الله عز وجل : من ذا الذى يتألى على
أن لا أعفر لفلان ؟ إني قد غفرت له ، وأحبطت عملك » رواه مسلم) وقد رواه
أبو داود من حديث أبي هريرة بأبسط من رواية مسلم قال : سمعت رسول الله
ﷺ يقول « كان رجلان في بني إسرائيل متواخيين فكان أحدهما يذنب والآخر
يجتهد في العبادة ، فكان المجتهد لا يزال يرى الآخر على الذنب فيقول أقصر ==

وفي حديث أبي هريرة أن القائل رجلٌ عابد . قال أبو هريرة : تكلم بكلمة أوبقت ديناه وآخرته (١)

== فوجدته يوما على ذنب فقال له : أقصر . فقال : خلني وربي ، أبعثت علي رقيبا ؟ فقال : والله لا يغفر الله لك ولا يدخلك الجنة . فقبض أرواحها فاجتمعا عند رب العالمين فقال لهذا المجتهد أكنت بي عالما وعلى ما في يدي قادرا ، وقال للذنب اذهب فادخل الجنة برحمتي ، وقال للآخر اذهبوا به إلى النار ،

قوله (من ذا الذي يثألي علي ؟) استفهام على جهة الإنكار والوعيد لأن هذا يقتضى الحسك على الله بعدم المغفرة لفلان ، وهذا جهل وسوء أدب . وأما إذا أقسم العبد على ربه في أمر من الأمور بناء على حسن الظن به سبحانه في إبرار قسمه فليس من ذلك ، كما ثبت في الصحيح أن أنس بن النضر قال للنبي ﷺ : والذي بعثك بالحق لا تكسر ثنية الربيع . فقال النبي ﷺ : يا أنس ككتاب الله القصاص ، فعني القوم . فقال النبي ﷺ : إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره ، أى لا يبر قسمه ولم يخش ، وفي الصحيح أيضا عن النبي ﷺ أنه قال : رب أشعث أغبر ذى طمرين مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره ، وكما كان البراء بن مالك وغيره من السلف يقول : أقسمت عليك يارب لتفعلن كذا

(١) قوله (وفي حديث أبي هريرة أن القائل رجل عابد ، قال أبو هريرة تكلم بكلمة أوبقت ديناه وآخرته) وفي هذا بيان خطر اللسان . وفي حديث معاذ : قلت يا رسول الله : وإننا لمؤاخذون بما نتكلم به ؟ قال : ثمكتك أملك يا معاذ ، وهل يكب الناس في النار على وجوههم - أو قال - على مناخرهم إلا خصائم ألسنتهم ، رواه أحمد والترمذي وابن ماجه وقال الترمذي حسن صحيح . وفيه التحذير من التالى على الله وكون النار أقرب إلى أخذنا من شرك نله ، وأن الجنة مثل ذلك . وفيه شاهد لقوله : إن الرجل ليتكلم بالكلمة الخ . وأن الرجل قد يغفر له بسبب هو من أكره الأمور إليه ، قاله المصنف رحمه الله تعالى

٦٥ - باب

لا يُسْتَشْفَعُ بِاللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ^(١)

عن جبير بن مطعم قال : جاء أعرابيٌّ إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ، نهكتَ الأنفُسُ ، وجاعَ العيالُ ، وهلكَتِ الأموالُ ، فاستسقِ لنا ربكَ^(٢) ، فإنَّا نَستشفعُ بالله عليك ، وبك على الله . فقال النبي ﷺ « مُبِحَانُ الله ، مُبِحَانُ الله » فما زال يسبِّحُ حتى عُرفَ ذلك في

(١) قَوْلُهُ (باب لا يستشفع بالله على خلقه) الاستشفاع بالله طلب الشفاعة به في حصول الشيء ، أي جبهه واسطة في ذلك وهذا لا يليق بجلال الله سبحانه لانه الكبير المتعال الذي لا يشفع أحد عنده إلا بإذنه ، فكيف يستشفع به عند أحد من خلقه ، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا

(٢) قَوْلُهُ (عن جبير بن مطعم) بن عدى بن نوفل بن عبد مناف القرشي ، يكنى أبا محمد ، كان من أكابر قريش وعلماء النسب أسلم قبل الفتح ، ومات في خلافة معاوية بالمدينة سنة سبع أو ثمان أو تسع وخمسين رضى الله عنه قال (جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله نهكت الأنفس - أي هزات - وجاع العيال وهلكَتِ الأموال فاستسقِ لنا ربك) والاستسقاء طلب السقيا (فإنما نستشفع بالله عليك) أي نطلب الشفاعة به في حصول المطر (وبك على الله . فقال النبي ﷺ « مُبِحَانُ الله ، مُبِحَانُ الله » فما زال يسبِّح حتى عُرف ذلك في وجوه أصحابه) قال شيخ الإسلام : وهذا يبين أن معنى الاستشفاع بالشخص في كلام النبي ﷺ وأصحابه هو الاستشفاع بدعائه وشفاعته ليس هو السؤال بذاته فإنه لو كان هذا السؤال بذاته لكان سؤال الخلق بالله تعالى أولى من سؤال الله بالخلق ، ولكن لما كان معناه هو الأول أنكر النبي ﷺ قوله (نستشفع بالله عليك) ولم ينكر قوله (نستشفع بك على الله) لأن الشفيع يسأل المشفوع إليه أن يقضى حاجة الطالب ، والله تعالى لا يسأل أحدا من عباده أن يقضى حوائج خلقه ، انتهى

وُجُوهُ أَصْحَابِهِ، ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «وَيَحْكُ»^(١) ، أَتَدْرِي مَا اللَّهُ ؟ إِنَّ
شَأْنَ اللَّهِ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ^(٢) ، إِنَّهُ لَا يُسْتَشْفَعُ بِاللَّهِ عَلَى أَحَدٍ مِنْ
خَلْقِهِ^(٣) ، وَذَكَرَ الْحَدِيثَ . رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ^(٤)

(١) قَوْلُهُ (ثُمَّ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : وَيَحْكُ) كَلِمَةٌ تَقَالُ لِلزَّجَرِ ، كَذَا فِي قُرَّةِ
الْعَيْوُنِ وَفِي النِّهَايَةِ ، وَيَحْ ، كَلِمَةٌ تَرْحَمُ وَتَوْجَعُ تَقَالُ لِمَنْ وَقَعَ فِي هَلَاكِهِ لَا يَسْتَحِقُّهَا
(٢) وَقَوْلُهُ (أَتَدْرِي مَا اللَّهُ ؟ إِنَّ شَأْنَ اللَّهِ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ) فِيهِ إِمَارَةٌ إِلَى
قَلَّةِ عَلَيْهِ بِعَظَمَةِ اللَّهِ وَجَلَالِهِ .

(٣) قَوْلُهُ (إِنَّهُ لَا يَسْتَشْفَعُ بِاللَّهِ عَلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ) لِأَنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ بِيَدِهِ
تَعَالَى لَيْسَ فِي يَدِ الْمَخْلُوقِ مِنْهُ شَيْءٌ ، لَا مَانِعٌ لِّمَا أُعْطِيَ وَلَا مُعْطَى لِّمَا مَنَعَ ، تَعَالَى
وَتَقَدَّسَ .

(٤) قَوْلُهُ (وَذَكَرَ الْحَدِيثَ ، رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ) فِي السَّنَنِ بِتَمَامِهِ لَكِنِ الْمُصَنِّفُ
اِقْتَصَرَ مِنْهُ عَلَى الشَّاهِدِ لِلتَّرْجُمَةِ وَبَقِيَّةِ الْحَدِيثِ ، شَأْنَ اللَّهِ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ ، وَيَحْكُ
أَتَدْرِي مَا اللَّهُ ؟ إِنَّ عَرْشَهُ عَلَى سَمَوَاتِهِ لِهَكَذَا - وَقَالَ بِأَصَابِعِهِ مِثْلَ الْقُبَّةِ عَلَيْهِ -
وَأَنَّهُ لَيَسُطُّ بِهِ أَطْيَظُّ الرَّحْلِ بِالرَّاكِبِ ، قَالَ ابْنُ بَشَّارٍ فِي حَدِيثِهِ ، إِنَّ اللَّهَ فَوْقَ
عَرْشِهِ ، وَعَرْشُهُ فَوْقَ سَمَوَاتِهِ ، قَالَ الْحَافِظُ الذَّهَبِيُّ : رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ
عِنْدَهُ فِي الرَّدِّ عَلَى الْجَهْمِيَّةِ مِنْ حَدِيثِ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ يَسَّارٍ . وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ
إِثْبَاتُ عُلُوِّهِ عَلَى خَلْقِهِ وَأَنَّ عَرْشَهُ فَوْقَ سَمَوَاتِهِ ، وَفِيهِ تَفْسِيرُ الْإِسْتِوَاءِ بِالْعُلُوِّ
كَأَفْسَرِهِ الصَّحَابَةُ وَالتَّابِعُونَ وَالْأَتَمَّةُ ، خِلَافًا لِلْمَعْطَلَةِ وَالْجَهْمِيَّةِ وَالْمُعْتَزَلَةِ وَمَنْ
أَخَذَ عَنْهُمْ كَالْأَشَاعِرَةِ وَنَحْوِهِمْ مِنْ الْخُلَدِ فِي أَسْمَاءِ اللَّهِ وَصِفَاتِهِ ، قَالَ فِي الشَّرْحِ ،
وَهَذَا الْحَدِيثُ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَرَضِيهِ عَلَى عَادَتِهِ فِيمَا كَانَ عَنْدهُ صَحِيحاً أَوْ حَسَناً
وَسَكَتَ عَلَيْهِ ، وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ لَا يَجُوزُ الْإِسْتِشْفَاعُ بِاللَّهِ عَلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ
وَأَمَّا الْإِسْتِشْفَاعُ بِالرَّسُولِ ﷺ فِي حَيَاتِهِ فَإِنَّمَا الْمُرَادُ الْإِسْتِشْفَاعُ بِدَعَائِهِ ﷺ
وَلَيْسَ هَذَا خَاصاً بِالنَّبِيِّ ﷺ بَلْ كُلُّ حَيٍّ صَالِحٍ يَرْجُو أَنْ يَسْتَجَابَ لَهُ لَا بِأَسْ أَنْ
يُعْطَى مِنْهُ الدَّعَاءُ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لَمُرِّ لِمَا اسْتَأْذَنَهُ فِي الْعَمْرَةِ ، لَا تَنْفُسْنَا يَا أَخِي =

٦٦ - باب

ما جاء في حماية النبي ﷺ حَمَى التوحيد وسدّه طُرُقَ الشُّركِ^(١)

عن عبد الله بن الشَّخِير^(٢) قال : انطلقت في وفدِ بني عامرٍ إلى النبي ﷺ فقلنا : أنتَ سيِّدُنا ، فقال : السَّيِّدُ اللهُ تبارك وتعالى ،

== من صالح دعائك ، وأما الميتُ فإنما يشرع في حقِّه الدعاء له في الصلاة على جنازته وعلى قبره عند زيارته . وفيه إنكاره ﷺ على من قال لستشفع بالله عليك وتغيره تغيراً عرف في وجوه أصحابه من هذه الكلمة ، وأنه لم ينكر عليه قوله لستشفع بك على الله ، والتنبية على تفسير سبحانه الله ، وأن المسلمين يسألونه ﷺ الاستسقاء ، قاله المصنف رحمه الله تعالى

(١) قوله (باب ما جاء في حماية النبي ﷺ حَمَى التوحيد وسدّه طُرُقَ الشُّركِ) قد بالغ ﷺ في حماية التوحيد في الأقوال والأفعال وحذر أمتَه من كل ما يبطله أو يقدح فيه أو ينقصه ، حتى قال : لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم ، وقال : إنه لا يستغاث بي وإنما يستغاث بالله ، ولما خاطبوه بالسيادة قال : السَّيِّدُ اللهُ ، أنا محمد عبد الله ورسوله ، خوفاً على أمتَه من الوقوع في الضلال وأدبا مع ربه الكبير المتعال ، فصلوات الله وسلامه عليه

(٢) قوله (عن عبد الله بن الشَّخِير) بكسر الشين وتشديد الخاء المعجمتين ابن عوف بن كعب بن عامر الحريشي بفتح المهملة وكسر الراء وآخره معجمة العامري ثم الحريشي - صحابي من سلسلة الفتح - رضى الله عنه (قال انطلقت في وفد بني عامر إلى رسول الله ﷺ فقلنا : أنتَ سيِّدُنا فقال : السَّيِّدُ اللهُ تبارك وتعالى ، قلنا : وأفضلنا فضلاً وأعظمنا طولاً . فقال : دَقُولُوا بقولكم أو بعض قولكم ولا يستجريكم الشيطان ، رواه أبو داود بسند جيد) وفي هذا الحديث نهي عن أن يقولوا أنتَ سيِّدُنا ، وقال : السَّيِّدُ اللهُ تبارك وتعالى ، ونهاهم أن يقولوا وأفضلنا فضلاً وأعظمنا طولاً ، وقال : لا يستجريكم الشيطان ، قاله في فتح المجيد

قوله (السَّيِّدُ اللهُ) قال الخطابي يريد عليه السلام السُّودد حقيقة لله عز وجل ==

قلنا : وأفضلنا فضلا ، وأعظمنا طولاً ، فقال « قولوا بقولكم ، أو بعض قولكم ، ولا يستخريكم الشيطان » . رواه أبو داود بسند جيد

وعن أنس رضي الله عنه أن ناسياً قالوا : يا رسول الله ، يا خيرنا وابن خيرنا ، وسيدنا وابن سيدنا . فقال « يا أيها الناس ، قولوا

= وأن الخلق كلهم عبيد له فعلمهم الثناء عليه ، عليه السلام وأرشدكم إلى الأدب في ذلك وقال عليه السلام « قولوا بقولكم ، يريد قولوا بقول أهل دينكم وملتكم » وادعوني نبياً ورسولاً كما سماني الله في كتابه فقال (يا أيها النبي - و - يا أيها الرسول) ولا تسموني سيداً كما تسمون رؤساءكم وعظماءكم ولا تجعلوني مثلم فاني لست كأحدكم إذ كنتم يسودونكم في أسباب الدنيا وأما أسودكم بالنبوة والرسالة فسموني رسولاً ونبياً ،

وقوله (أو بعض قولكم) فيه حذف واختصار ومعناه دعوا بعض قولكم واتركوه ، يريد بذلك الاختصار في المقال

وقوله عليه السلام (لا يستخريكم الشيطان) معناه لا يتخذكم جرياً ، والجري : الوكيل . ويقال الأجير ، انتهى كلام الخطابي باختصار قاله في إبطال التنديد . وفي النهاية : ولا يستخريكم الشيطان أي لا يستغلبنكم فيتخذكم جرياً ، أي رسولاً ووكيلاً ، وذلك أهم كانوا مدحوه فكره لهم المبالغة في المدح فنهأهم عنه ، يريد تسكلموا بما يحضركم من القول ولا تكلفوا كأنكم وكلاء الشيطان ورسله تطلقون عن لسانه ، انتهى

(١) قوله (وعن أنس رضي الله عنه أن أناساً قالوا يا رسول الله يا خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا : فقال « يا أيها الناس قولوا بقولهم أو بعض قولكم ولا يستخريكم الشيطان » . أنا محمد عبد الله ورسوله ، ما أحب أن ترفعوني فوق منزلي التي أنزلى الله عز وجل ، رواه النسائي بسند جيد) قال في إبطال التنديد : وهذان الحديثان دليل على الأدب مع الله عز وجل ، وقوله أنا سيد =

بقولكم ولا يَسْتَهْوِيَنَّكُمْ الشَّيْطَانُ . أنا محمدٌ عبدُ الله ورسوله ،
ما أحبُّ أن ترفعوني فوق منزلي التي أنزلني الله عزَّ وجل ، رواه
النسائي بسند جيد

= ولد آدم وشبهه دليل على الجواز . فأقول إذا كان الحديثان دليلاً على الأدب مع
الله عز وجل فالذي أجاز سوء الأدب ومخالفة الأحاديث الصحيحة ؟ أما
الاستدلال على جواز سوء الأدب بقوله ﷺ : أنا سيد ولد آدم ولا فخر ، فلا يدل
على الجواز لأن هذا إخبار منه ﷺ عن ما فضله الله به على البشر ، تحدثنا بنعمة
الله عليه ، عملاً بقوله (وأما بنعمة ربك فحدث) قال شيخ الإسلام في المنهاج :
فإن الله خير محمد بين أن يكون عبداً رسولاً وبين أن يكون ملكاً نبياً فاختار
أن يكون عبداً رسولاً انتهى ، فجعله سيد ولد آدم لما تواضع لربه عز وجل
وليس هذا تشريفاً للأمة حتى يخاطبوه أو يصفوه بذلك ، ولهذا لم ينقل عن أحد
من الصحابة رضوان الله عليهم أنه خاطبه بذلك ، ولو كان خيراً لسبقونا إليه بل
نهام عن إطراره ، فقال : لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم إنما أنا عبد ،
فقلوا : عبد الله ورسوله ، ولما قيل له : أنت سيدنا . قال : السيد الله ، وعد
مخاطبتهم له بذلك من استجراء الشيطان واستهوائه ثم أرشدكم إلى ما ينبغي في
مخاطبته ، فقال : أنا محمد عبد الله ورسوله ما أحب أن ترفعوني فوق منزلي التي
أنزلني الله عز وجل ، وهي العبودية التي وصفه بها في أشرف المقامات فقال
(سبحان الذي أسرى بعبده) وقال (تبارك الذي نزل الفرقان على عبده)
وقال (وإن كنتم في شك مما نزلنا على عبدنا) وفيه تحذير الناس عن الغلو ،
وما ينبغي أن يقول من قيل له أنت سيدنا . وقوله : لا يستهوينكم الشيطان ،
مع أنهم لم يقولوا إلا الحق . وقوله : ما أحب أن ترفعوني فوق منزلي ، قاله
المصنف رحمه الله تعالى . قال ابن القيم رحمه الله تعالى : اختلف العلماء في جواز
إطلاق السيد على البشر فمنعه قوم ، ونقل عن مالك ، واحتجوا بقول النبي ﷺ
لما قيل له أنت سيدنا قال : السيد الله ، وجوزه قوم ، واحتجوا بقول النبي ﷺ
للأنصار قوموا إلى سيدكم وهذا أصح من الحديث الأول قال هؤلاء : السيد أحد
ما يضاف إليه ، فلا يقال للتميمي سيد كنده ولا لذلك سيد البشر ، وعلى هذا =

٦٧ - باب

ما جاء في قول الله تعالى :

﴿ وما قَدَرُوا اللهَ حقَّ قدرِه ، والأرضُ جميعاً قبضته يومَ
القيامة ﴾ الآية ^(١)

== فلا يجوز أن يطلق على الله هذا الاسم ، وفي هذا نظر فإن السيد إذا أطلق عليه تعالى فهو بمنزلة الملك والمولى والرب لا بمعنى الذى يطلق على المخلوق انتهى . قلت : والصواب المنع من إطلاق لفظ السيد على البشر لقول النبي ﷺ : السيد الله ، ولما صح عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿ قل أغير الله أبني رباً ﴾ أى إلآها وسيداً ، ولما صح عنه أيضاً في قوله ﴿ الله الصمد ﴾ أنه السيد الذى كمل في جميع أنواع السؤدد . وقال أبو وائل : هو السيد الذى انتهى سؤدده . أما ما احتج به من أجاز ذلك من قول النبي ﷺ للألصار : قوموا إلى سيدكم ، فهذا لا حجة فيه لأنه قال ذلك عام الخندق سنة خمس حينما جاء سعد للحكم في بنى قريظة وقوله : السيد الله ، قاله لوفد بنى عامر سنة الوفود سنة تسع وإنما يؤخذ بالمتأخر من قوله ﷺ . وإذا كان محمد بن عبد الله أفضل الخلق وأكرمهم على ربه لم يقبل مخاطبته بالسيادة أدباً وتواضعاً لربه عز وجل فغيره أولى أن لا يخاطب بذلك لا سيما وقد اتخذ هذا اللفظ بعض الدجالين أداة للسيطرة على ضعفاء العقول وأوهومهم أن لهم مزية وفضلاً على غيرهم وأن لهم حقاً في أمواهم بل استعبدوهم وأوهومهم أنهم ينفعون ويضررون ويتبرك بهم وأنهم أولياء واتخذوا لهم علامة على السيادة خضراء وكل هذا جهل وضلال فانه لا فضل لعربي على عجمي ولا لأحمر على أسود إلا بالتقوى هذا الذى ندين الله تعالى به والله الموفق لا إله غيره ولا رب سواه

(١) قوله (باب ما جاء في قول الله تعالى ﴿ وما قدرُوا اللهَ حقَّ قدرِه ، والأرضُ جميعاً قبضته يومَ القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون ﴾) أى من الأحاديث والآثار في معنى هذه الآية الكريمة . قال ابن كثير رحمه الله تعالى : يقول تعالى : ما قدر المشركون الله حق قدره حتى عبدوا ==

عن ابن مسعود رضى الله عنه قال^(١) : جاء خبر من الأحبار إلى رسول الله ﷺ فقال : يا محمد ، إنا نجد أن الله يجعل السموات على إصبع ، والأرضين على إصبع ، والشجر على إصبع ، والثرى على إصبع ، وسائر الخلق على إصبع ، فيقول : أنا الملك . فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه تصديقاً لقول الخبر ، ثم قرأ رسول الله ﷺ ﴿ وما قدرُوا اللهَ حقَّ قدره والأرضُ جميعاً قبضته يومَ القيامة ﴾ الآية : وفي رواية لمسلم « والجبال والشجر على إصبع ، ثم يهزُّهُنَّ فيقول : أنا الملك ، أنا الله » . وفي رواية للبخارى : « يجعل السموات على إصبع ، والماء والثرى على إصبع ، وسائر الخلق على إصبع » أخرجاه

== معه غيره ، وهو العظيم الذى لا أعظم منه ، القادر على كل شيء ، المالك لكل شيء ، وكل شيء تحت قهره وقدرته . وقال السدى : ما عظموه حق عظمته ، وقال محمد بن كعب : لو قدروه حق قدره ما كذبوه . قال مجاهد : نزلت في قريش ، وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس : هم الكفار الذين لم يؤمنوا بقدره الله عليهم ، فن آمن أن الله على كل شيء قدير فقد قدر الله حق قدره ، ومن لم يؤمن بذلك فلم يقدر الله حق قدره

(١) قوله (عن ابن مسعود رضى الله عنه قال جاء خبر من الأحبار إلى رسول الله ﷺ فقال : يا محمد إنا نجد أن الله يجعل السموات على إصبع ، والأرضين على إصبع ، والشجر على إصبع ، والماء على إصبع ، والثرى على إصبع ، وسائر الخلق على إصبع ، فيقول أنا الملك فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه تصديقاً لقول الخبر ، ثم قرأ ﴿ وما قدرُوا اللهَ حقَّ قدره والأرضُ جميعاً قبضته يومَ القيامة ﴾ وفي رواية لمسلم : والجبال والشجر على إصبع ثم ==

ولمسلم عن ابن عمر مرفوعاً « يَطْوِي اللهُ السَّمَوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِيَدِهِ الْيَنبِيُّ ، ثُمَّ يَقُولُ : أَنَا الْمَلِكُ ، أَيْنَ الْجَبَّارُونَ ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ ؟ ثُمَّ يَطْوِي الْأَرْضِينَ السَّبْعَ ، ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِشِمَالِهِ ثُمَّ يَقُولُ : أَنَا الْمَلِكُ ، أَيْنَ الْجَبَّارُونَ ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ ؟ »^(١)

وَرَوَى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : مَا السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُونَ

== يهزمه فيقول أنا الملك أنا الله . وفي رواية للبخاري : يجعل السموات على إصبع والماء والثرى على إصبع وسائر الخلق على إصبع أخرجاه) وروى الإمام أحمد عن ابن مسعود قال : جاء رجل من أهل الكتاب إلى النبي ﷺ فقال : يا أبا القاسم ، أبلغك أن الله تعالى يجعل الخلائق على إصبع والسموات على إصبع والأرضين على إصبع والشجر على إصبع والثرى على إصبع وسائر الخلق على إصبع فيقول أنا الملك . فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه تصديقا لقول الخبر . قال وأنزل الله ﴿ وما قدر الله حق قدره ﴾ الآية . وهكذا رواه البخاري ومسلم والنسائي من طرق عن الأعمش به

(١) قوله (ولمسلم عن ابن عمر مرفوعاً : يَطْوِي اللهُ السَّمَوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِيَدِهِ الْيَنبِيُّ ثُمَّ يَقُولُ أَنَا الْمَلِكُ أَيْنَ الْجَبَّارُونَ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ ، ثُمَّ يَطْوِي الْأَرْضِينَ السَّبْعَ ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِشِمَالِهِ ثُمَّ يَقُولُ : أَنَا الْمَلِكُ أَيْنَ الْجَبَّارُونَ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ) وروى عن ابن عباس ما السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُونَ السَّبْعُ فِي كَفِّ الرَّحْمَنِ إِلَّا كَخِرْدَلَةٍ فِي يَدِ أَحَدِكُمْ ، وفيه معرفة قوله تعالى ﴿ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ وَأَنَّ هَذِهِ الْعُلُومَ وَأُمُثَالَهَا بَاقِيَةٌ عِنْدَ الْيَهُودِ الَّذِينَ فِي زَمَنِهِ ﷺ لَمْ يَنْسَكُوهَا وَلَمْ يَتَأَوَّلُوهَا وَأَنَّ الْخَبَرَ لَمَّا ذَكَرَ النَّبِيُّ ﷺ صَدَقَ وَنَزَلَ الْقُرْآنُ بِتَقْرِيرِ ذَلِكَ وَوُقُوعِ الضَّحْكِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَمَّا ذَكَرَ الْخَبَرَ هَذَا الْعِلْمَ الْعَظِيمَ وَالتَّصْرِيحَ بِذِكْرِ الْيَدَيْنِ وَأَنَّ السَّمَوَاتِ فِي الْيَدِ الْيُمْنَى وَالْأَرْضِينَ فِي الْآخَرَى وَالتَّصْرِيحَ بِتَسْمِيَتِهَا الشِّمَالِ ، وَذَكَرَ الْجَبَّارِينَ وَالْمُتَكَبِّرِينَ ، عِنْدَ ذَلِكَ . وَقَوْلُهُ كَخِرْدَلَةٍ فِي كَيْفِ أَحَدِكُمْ ، قَالَهُ الْمُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ

السبع في كنف الرحمن إلا كخزدلة في يد أحدكم، وقال ابن جرير :
حدثني يونس أنبأنا ابن وهب قال : قال ابن زيد : حدثني أبي قال :
قال رسول الله ﷺ « ما السموات السبع في الكرسي إلا كدراهم
سبعة ألقيت في ترس » قال : وقال أبو ذر : سمعت رسول الله ﷺ
يقول « ما الكرسي في العرش إلا كحاقة من حديد ألقيت بين
ظهري وفلاة من الأرض »^(١)

وعن ابن مسعود^(٢) قال : بين السماء الدنيا والتي تليها خمسمائة عام ،
وبين كل سماء وسماء خمسمائة عام ، وبين السماء السابعة والكرسي
خمسمائة عام ، وبين الكرسي والماء خمسمائة عام ، والعرش فوق الماء ،

(١) قوله (وقال ابن جرير حدثني يونس أنبأنا ابن وهب قال قال ابن زيد
حدثني أبي قال قال رسول الله ﷺ « ما السموات السبع في الكرسي إلا كدراهم
سبعة ألقيت في ترس ، قال : وقال أبو ذر : سمعت رسول الله ﷺ يقول
« ما الكرسي في العرش ، إلا كحاقة من حديد ألقيت بين ظهري وفلاة من
الأرض ») وروى ابن جرير عن أسباط عن السدي (وسع كرسيه السموات
والأرض) فإن السموات والأرض في جوف الكرسي ، والكرسي بين يدي
العرش وهو موضع قدميه . وفيه : معرفة عظم الكرسي بالنسبة إلى السماء ،
وعظم العرش بالنسبة إلى الكرسي ، وأن العرش غير الكرسي والماء ، قاله
المصنف رحمه الله

(١) قوله (وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال : « بين السماء الدنيا والتي
تليها خمسمائة عام وبين كل سماء إلى سماء خمسمائة عام وبين السماء السابعة والكرسي
خمسمائة عام وبين الكرسي والماء خمسمائة عام ، والعرش فوق الماء ، والله فوق »)

والله فوق العرش ، لا يَخْفَى عليه شيء من أعمالكم . أخرجه ابن مهدي عن حماد بن مسلمة عن عاصم عن زر عن عبد الله . ورواه بنحوه المسعودي عن عاصم عن أبي وائل عن عبد الله . قاله الحافظ الذهبي رحمه الله تعالى ، قال : وله طرق

وعن العباس بن عبد المطلب^(١) قال : قال رسول الله ﷺ « هل تَدْرُونَ كم بين السماء والأرض ؟ » قلنا : الله ورسوله أعلم .

==العرش لا يخفى عليه شيء من أعمالكم ، أخرجه ابن مهدي عن حماد بن سلمة عن عاصم عن زر عن عبد الله ، ورواه بنحوه المسعودي عن عاصم عن أبي وائل قاله الحافظ الذهبي رحمه الله تعالى ، قال : وله طرق (وفيه معرفة كم بين كل سماء إلى سماء ، وكم بين السماء السابعة والكبرى ، وكم بين الكبرى والماء ، وأن العرش فوق الماء ، وأن الله فوق العرش

(١) قوله (وعن العباس بن عبد المطلب قال قال رسول الله ﷺ) هل تدرون كم بين السماء والأرض ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم . قال : بينهما مسيرة خمسمائة سنة ومن كل سماء إلى سماء مسيرة خمسمائة سنة ، وكثف كل سماء خمسمائة سنة ، وبين السماء السابعة والعرش بحر بين أسفله وأعلى كما بين السماء والأرض والله سبحانه وتعالى فوق ذلك ، وليس يخفى عليه شيء من أعمال بني آدم ، أخرجه أبو داود وغيره (وحديث العباس هذا ساقه المصنف مختصرا والذي في سنن أبي داود عن العباس قال كنت في البطحاء في عصاة فيهم رسول الله ﷺ فمرت سحابة فنظر إليها فقال : ما تسمون هذه ، قالوا : السحاب . قال : المزن ، قالوا : والمزن ، قال : والعنان ، قالوا : والعنان قال أبو داود لم أتقن العنان جيدا . قال : هل تدرون ما بعد ما بين السماء والأرض ، قالوا : لا ندري ؟ قال : إن بعد ما بينهما واحدة أو اثنتان أو ثلاث وسبعون سنة ثم السماء التي فوقها كذلك حتى عد سبع سموات ، ثم فوق السابعة بحر بين أسفله وأعلى مثل ما بين سماء إلى سماء ثم فوق ذلك ثمانية أوعال بين أظلافهم وركبهم مثل ما بين سماء ==

قال : « بينهما مسيرة خمسمائة سنة ومن كل سماء إلى سماء مسيرة خمسمائة سنة ، وكثف كل سماء مسيرة خمسمائة سنة ، وبين السماء السابعة والعرش بحر بين أسفله وأعلاه كما بين السماء والأرض ، والله سبحانه وتعالى فوق ذلك ، وليس يخفى عليه شيء من أعمال بني آدم ، أخرجه أبو داود وغيره

= إلى سماء ثم على ظهورهم العرش بين أسفله وأعلاه كما بين سماء إلى سماء ثم الله تعالى فوق ذلك ، وأخرجه الترمذى وابن ماجه وقال الترمذى : حسن غريب ، وقال الحافظ الذهبي : رواه أبو داود بإسناد حسن وروى الترمذى نحوه من حديث أبي هريرة ، وفيه : ما بين سماء إلى سماء خمسمائة عام . قال فى الشرح : ولا منافاة بينهما لأن تقدير ذلك بخمسمائة عام هو على سير القافلة مثلاً ونيف وسبعون سنة على سير البريد . وفيه معرفة كم بين السماء والأرض وكثف كل سماء خمسمائة سنة وأن البحر الذى فوق السماء بين أسفله وأعلاه خمسمائة سنة والله أعلم ، قاله المصنف

وهذه الأحاديث التى ذكرها المصنف وما فى معناها تدل على عظمة الله وعظم قدرته وعظم مخلوقاته وأنه المستحق للعبادة وحده لا شريك له فى ربوبيته وإلهيته ، وتدل أيضاً على إثبات الصفات التى وصف بها نفسه فى كتابه أو وصفه بهارسوله ﷺ على ما يليق بجلال الله وعظمته لإثباتها بلا تمثيل ، وتنزيهاً بلا تعطيل ، وعلى هذا مضى سلف الأمة وأئمتها ومن تبعهم بإحسان

وصلى الله وسلم على محمد خاتم الأنبياء والمرسلين المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين
والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات

حرر فى اليوم الثالث والعشرين من شهر جمادى الآخرة سنة ألف وثلاثمائة وست وثمانين من هجرة النبى الكريم عليه من الله أفضل الصلاة وأتم التسليم بمنزلة بالطائف .

عامة

تم طبع كتاب « الدر النضيد على أبواب التوحيد » ، وهو شرح لكتاب التوحيد للإمام شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ، وذلك في السادس من ذى الحجة سنة ألف وثلاثمائة وسبع وتسعين من هجرة المصطفى ﷺ

وقد أشرف على ترتيبه ومراجعته وتصحيحه خادم العلم الشريف
قضى محب الدين الخطيب . والمحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات

تفسير

كتاب الدر النضيد على أبواب التوحيد



صفحة	
٢	خطبة الكتاب
٨	كتاب التوحيد
٢٢	باب فضل التوحيد
٣٤	د من حقق التوحيد دخل الجنة
٤٣	د الخوف من الشرك
٤٨	د الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله
٥٨	د تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله
٦٤	د من الشرك لبس الحلقة والحيط
٦٩	د ما جاء في الرقي والقائم
٧٦	د من تبرك بشجرة أو حجر ونحوهما
٨٢	د ما جاء في الذبح لغير الله
٨٧	د لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغيره
٩٢	د من الشرك التذر لغير الله
٩٤	د من الشرك الاستعاذه بغير الله
٩٧	د من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره
١٠٣	د قول الله (أيشركون ما لا يخلق شيئا)
١٠٩	د قول الله تعالى (حق إذا فرع عن قلوبهم ٠٠٠)
١١٧	د الشفاعة
١٢٤	د قول الله (إنك لا تهدي من أحببت)
١٢٩	د ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين
١٣٦	د ما جاء من التغليب فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح

صفحة	
١٤٤	باب ما جاء أن الغلو في قبور الصالحين يصيرها أوثاناً
١٥٠	• ما جاء في حاية المصطفى جناب التوحيد
١٥٥	• ما جاء أن بعض هذه الامة يعبد الاوثان
١٦٨	• ما جاء في السحر
١٧٤	• بيان شيء من أنواع السحر
١٧٩	• ما جاء في السكبان ونحوهم
١٨٥	• ما جاء في النشرة
١٨٧	• ما جاء في التطير
١٩٦	• ما جاء في التنجيم
٢٠٠	• ما جاء في الاستسقاء بالانواء
٢٠٧	• قول الله تعالى ﴿ ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً ﴾
٢١٤	• قول الله تعالى ﴿ إنما ذلکم الشیطان یخوف أولیاءه ﴾
٢١٩	• قول الله تعالى ﴿ وهی الله فتوکلوا إن کنتم مؤمنین ﴾
٢٢٤	• قول الله تعالى ﴿ أفأمنوا مکر الله ﴾
٢٢٧	• من الإیمان بالله : الصبر علی أقدار الله
٢٢٣	• ما جاء في الرياء
٢٣٦	• من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا
٢٤٢	• من أطاع العلماء والامراء في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرمه
٢٤٧	• قول الله تعالى ﴿ ألم تر إلى الذین یزعمون أنهم آمنوا بما أنزل الیک ﴾
٢٥٢	• من جحد شيئاً من الاسماء والصفات
٢٥٨	• قول الله تعالى ﴿ یعرفون نعمة الله ثم ینکرونها ﴾
٢٦١	• قول الله تعالى ﴿ فلا تجعلوا لله أنداداً ﴾
٢٦٤	• ما جاء فيمن لم تقنع بالحلف بالله
٢٦٥	• قول : ما شاء الله وشئت
٢٦٩	• من سب الدهر فقد آذى الله
٢٧٢	• التسمی بقاضی القضاة ونحوه
٢٧٤	• احترام أسماء الله وتغيير الاسم لاجل ذلك

صفحة	
٢٧٦	باب من هزل بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول
٢٨١	د قول الله تعالى ﴿ ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لي ﴾
٢٨٥	د قول الله تعالى ﴿ فلما آتاهما صالحاً جعلا له شركاء فيما آتاهما ﴾
٢٩٠	د قول الله تعالى ﴿ والله الاسماء الحسنی فادعوه بها ﴾
٢٩٤	د لا يقال : السلام على الله
٢٩٦	د قول اللهم اغفر لي إن شئت
٢٩٧	د لا يقال عبدي وأمتي
٢٩٨	د لا يرد من سأل بالله
٣٠٠	د لا يسأل بوجه الله إلا الجنة
٣٠٢	د ما جاء في اللو
٣٠٦	د النهي عن سب الریح
٣٠٧	د قول الله تعالى ﴿ يظنون بالله غير الحق ﴾
٣١١	د ما جاء في منكرى القدر
٣١٧	د ما جاء في المصورين
٣٢١	د ما جاء في كثرة الحلف
٣٢٦	د ما جاء في ذمة الله وذمة نبيه
٣٣١	د ما جاء في الإقسام على الله
٣٣٣	د لا يستشفع بالله على خلقه
٣٣٥	د ما جاء في حماية المصطفى حمى التوحيد
٣٣٨	د ما جاء في قول الله تعالى ﴿ وما قدرُوا الله حق قدره ﴾

صدر حديثاً

الدعوة إلى الله

بَيْنَ التَّجْمُعِ الْحَزْبِيِّ وَالنِّعَاوُنِ الشَّرْعِيِّ

دراسات في السياسة الشرعية :

” ٤ “

كتبت

على بن حسن بن علي بن عبد الحميد

الحلبى الأشرقى

مكتبة الصحابة

جدة - الشرفية

فاكس : ٦٥٣٤٤٨٩ / هاتف : ٦٥٢١٠٦٠

مِثْبَاتُ الْجَاهِلِيَّةِ
التي خالف فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الجاهلية

ألف أضلها

الإمام شيخ الإسلام

إمام ابن عبد الوهاب

(١١١٥ - ١٢٠٦ هـ)

وتوسّع فيها على هذا الوضع علامة العراق

السيد محمود شكري الآلوسي

(الطبعة الرابعة : ١٣٩٧)

كتاب التوجيه الذي هو جواز الدخول على العبد

تأليف

الإمام شيخ الإسلام
محمد بن عبد الوهاب

(١١١٥ - ١٢٠٦ هـ)

وعليه تعليقات حقيقه

العلامة الشيخ عبد الرحمن ابن الشيخ حسن ابن شيخ الإسلام المؤلف
وقد سماها نجله العلامة الشيخ عبد اللطيف :

قرعة عيون الموحدين

في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين

مكتبة الصحابة

جدة - الشرفية

فاكس : ٦٥٣٤٤٨٩ / هاتف : ٦٥٢١٠٦٠

الحَجَّةُ

بِإِيفِ
فَضْلِ سَكْنَى الْمَدِينَةِ
عَلَى سَكْنَى مَكَّةَ

تصنيف
أبي معاذ
محمَّد بن إمام بن منصور

تحت الطبع

مفتاح دار السعادة

تحقيق

الشيخ علي بن حسن بن علي بن عبد الحميد
الكلبي الأثري

وكذلك تحت الطبع

مختصر مفتاح دار السعادة

الشيخ
سليم الهلالي

صدر حديثاً

امتناع أولي النظر في حديث

قصة المقيم في ثناء السيف

تأليف

أبي عبد الرحمن عبد الله بن صالح العبدان

صدر حديثاً

الصلاة في الرجال

عند تفكير الأحوال

تأليف

عبد الرحمن بن صالح العبدان